



صفر 1442 هـ / أكتوبر 2020 م
التقييم الدولي (e) 1118-3365 / ISSN(p) 2695-2343
متوفرة على الموقع الإلكتروني: www.malamjournal.org

مالم

مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة)

العدد الثالث

يصدرها

قسم اللغة العربية

جامعة عثمان بن فودي صكتو، نيجيريا

مالم
مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثالث

SAFAR 1442/OCTOBER, 2020

ISSN(e) 2695-2343/ISSN(p) 1118-3365

It is also available on: www.malamjournal.org



MALAM

A JOURNAL OF ARABIC STUDIES

NEW SERIES
VOL. III

DEPARTMENT OF ARABIC
USMANU DANFODIYO UNIVERSITY SOKOTO NIGERIA

مالم

مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة).
العدد الثالث

صفر 1442هـ / أكتوبر 2020م

يصدرها

قسم اللغة العربية

جامعة عثمان بن فودي، صكتو، نيجيريا



© Department of Arabic, Usmanu Danfodiyo University, Sokoto
All Rights reserved. No part or whole of this journal is allowed to be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means, without prior permission of the Copyright owner.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة)

يصدرها

قسم اللغة العربية، جامعة عثمان بن فودي، صكتو، نيجيريا



صفر 1442هـ / أكتوبر 2020م

ISSN(e)2695-2343/ISSN(p) 1118-3365

عنوان المراسلات

صندوق البريد : PMB2346

موقع المجلة: www.malamjournal.org

البريد الإلكتروني: malam@udusok.edu.ng

Published by:
Department of Arabic,
Usmanu Danfodiyo University, Sokoto, Nigeria

شروط النشر في المجلة

- يشترط في الأبحاث والدراسات المقدمة للنشر في مجلة "مالم" أن تكون مبتكرة ولم يسبق نشرها في أي وسيلة نشر أخرى.
- يجب أن يستهل البحث بصفحة مستقلة تحتوي على ملخص البحث.
- ترسل البحوث والدراسات عبر الموقع الإلكتروني للمجلة، (www.malamjournal.org) أو عن طريق البريد الإلكتروني: (malam@udusok.edu.ng) مرفقا في محرر (ورد Word).
- ألا يتجاوز البحث المرسل عشرين صفحة، ولا يقل عن عشر صفحات، بنوع الخط Sakkal majalla حجم (18) مع كتابة الإحالات والمراجع في آخر البحث.
- أن يلتزم الباحث التدقيق في كتابة النص، إذ لا تتحمل المجلة الأخطاء اللغوية والإملائية الواردة في البحث.
- تعرض البحوث على محكمين متخصصين لبيان مدى صلاحيتها للنشر، وتبقى عملية التحكيم سرية.
- لا ترد البحوث المرسلة إلى المجلة إلى أصحابها، سواء نشرت أم لم تنشر.
- لغة المجلة هي اللغة العربية، وقد تُقبل البحوث المكتوبة باللغة الإنجليزية في حالات استثنائية نادرة.
- البحوث والدراسات المنشورة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها فقط، ولا تعكس بالضرورة رأي المجلة.

هيئة التحرير

- | | |
|--------------|-------------------------------------|
| رئيس التحرير | الأستاذ الدكتور ناصر أحمد صكتو |
| عضو | الأستاذ الدكتور صالح بلا أجناري |
| " " | الدكتور أبوبكر عبد الملك |
| " " | الأستاذ الدكتور أبوبكر أبوبكر ياغول |
| " " | الأستاذ الدكتور كمال بابكر |
| " " | الأستاذ الدكتور محمد أرزكا طنزافي |
| " " | الدكتور علي مالمي |
| " وسكريتر | الدكتور نور عتيق بلاري |

المستشارون

الأستاذ الدكتور عبد الباقي شعيب أغاك
قسم اللغة العربية، جامعة عثمان بن فودي، صكتو

الأستاذ الدكتور ثاني عمر موسى
قسم اللغة العربية، جامعة عثمان بن فودي، صكتو

الأستاذ الدكتور محمود مشهود جمبا
جامعة ولاية كورا، مليتي

الأستاذ الدكتور يحيى إمام سليمان
قسم اللغة العربية، جامعة بايرو، كنو

الدكتور عمر محمد آدم
معهد كدونا للفنون التطبيقية

نبذة عن أصحاب المقالات

- 1- شريف الدين أبو أبوبكر-جامعة ولاية نصراوا، كفي، قسم الدراسات العربية، ولاية نصراوا – نيجيريا.
- 2- الدكتور عباس شمس الدين إبراهيم - كلية التربية وعلوم الاتصالات بجامعة التربية. وينيبا فرع كوماسي.
- 3- عثمان إدريس موسى-معهد فاطمة لامي أبي بكر لدراسات الشريعة والشؤون الإدارية، منا، ولاية نيجار، نيجيريا، ص ب 133.
- 4- د. خالد صالح محمد العزاني-أستاذ النحو والصرف واللغة المشارك، كلية الآداب، جامعة عدن، عدن، اليمن.
- 5- د.عبد الوهاب صلاح الدين- محاضر بقسم العربية في جامعة ولاية يوبي.
- 6- محمد يونس- معهد فاطمة لامي أبي بكر للشريعة والشؤون الإدارية منا ولاية نيجا، ص ب:133.
- 7- والأستاذ الدكتور ثالث عبد الكريم- معهد فاطمة لامي أبي بكر للشريعة والشؤون الإدارية منا ولاية نيجا، ص ب:133.
- 8- والدكتور آدم أيوب بنثي-معهد فاطمة لامي أبي بكر للشريعة والشؤون الإدارية منا ولاية نيجا، ص ب:133.
- 9- فائز شعيب آدم- Department of Arabic language, Islamic University of Madina, Kingdom of Saudi Arabia
- 10- عبد الله عثمان فَيَكُو- Fati Lami Abubakar Institute for Legal and Administrative Studies Minna Niger State.
- 11- والدكتور آدم أيوب بنثي - Fati Lami Abubakar Institute for Legal and Administrative Studies Minna Niger State.
- 12- والدكتور أبوبكر إدريس إمام- Fati Lami Abubakar Institute for Legal and Administrative Studies Minna Niger State.
- 13- مرتضى إبراهيم- قسم القرآن وعلومه، معهد السلطان محمد مئطو للقرآن والدراسات العامة، صكتو- نيجيريا.
- 14- حواء عيسى وزير- الجامعة الفدرالية، كشي، ولاية غمبي، نيجيريا.

- 15- د. عبد النَّاصر علي محمَّد النَّخعي-أستاذ علم اللغة المشارك، في قسم اللغة العربية، في كلية التربية، جامعة عدن، عدن، اليمن.
- 16- د. المتبولي شيخ كبر-قسم اللغة العربية، جامعة بايرو كنو- نيجيريا.
- 17- الدكتور أحمد محمد ثالث-قسم اللغة العربية، جامعة بايرو، كنو، نيجيريا.
- 18- أبوبكر محمد ياي- Arabic unit, Department of languages, Nigerian Army University, Bui, Borno state Nigeria
- 19- البروفيسور مشهود محمود محمد جمبا- قسم اللغويات، واللغات الإفريقية والإروبية، جامعة ولاية كوارا، ماليتي.
- 20- إبراهيم جنيد موديبوأولا- باحث الدكتوراه بجامعة ولاية كوارا، قسم اللغويات، واللغات الإفريقية والإروبية.
- 21- شمس أول مصطفى-طالب دكتوراه قسم اللغة العربية جامعة بايرو كنو.
- 22- الدكتور حامد أدينوي جمعة-قسم الدراسات العربية والإسلامية، جامعة ولاية كوفي، أينغبا، نيجيريا.
- 23- إبراهيم شعبان، قسم اللغة العربية ولغات الشرق الأوسط، جامعة مالايا، مليزيا.
- 24- مت طيب بن فا، قسم اللغة العربية ولغات الشرق الأوسط، جامعة مالايا، مليزيا.
- 25- أحمد عارفين بن صفر، قسم اللغة العربية ولغات الشرق الأوسط، جامعة مالايا، مليزيا.
- 26- الدكتور يوسف ليمن-قسم اللغة والدراسات الإسلامية، جامعة ولاية صكتو، نيجيريا.
- 27- الدكتور سراج محمد صكتو- قسم اللغة العربية، جامعة الفدرالية، غسو.
- 28- عبد الحكيم عبد الرحمن- طالب الدراسات العليا (دكتوراه)، قسم اللغة العربية والتربية، جامعة ولاية بوشي، غطو.
- 29- د. مصباح تجاني رابع- قسم اللغات، أكاديمية الدفاع النيجيري، كدونا، نيجيريا.
- 30- الدكتور محمد منصور جبريل- قسم اللغة العربية، جامعة بايرو كنو-نيجيريا.
- 31- إبراهيم داود، مالي الجنسية- الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، كلية اللغة العربية، ماجستير الأدب والبلاغة.
- 32- محمود دن جمعة موسى- قسم اللغة العربية، جامعة إلورن، إلورن، نيجيريا.
- 33- د: شيخ عثمان أحمد- محاضر بقسم اللغة العربية، جامعة بايرو، كنو- نيجيريا.
- 34- رضوان بن هارون- قسم الدراسات الصيفية، قرية اللغة العربية -انغالانيجيريا.
- 35- إبراهيم آدم سليمان- قسم الدراسات الصيفية، قرية اللغة العربية -انغالانيجيريا.

- 36- محمد الجامع يعقوب- المحاضر بقسم اللغة العربية بكلية التربية لولاية كوارا، نيجيريا.
- 37- يوشع محمد عبد الله University of education, Winneba College of technology
education, Kumasi, P.o. Box: 1277, Kumasi
- 38- الدكتور مرتضى الإمام أكبيدي- قسم اللغة العربية كلية الآداب، جامعة إلورن، إلورن، نيجيريا.
- 39- الدكتور عبد الله عمر زور- المدرسة الحكومية الثانوية للغة العربية والدراسات الإسلامية، زور ولاية كِب.
- 40- منير محمد بَكور- قسم اللغة العربية جامعة الفيدرالية، غسو ولاية زنفرا.
- 41- رضوان بن هارون- محاضر بقرية اللغة العربية، انغال-نيجيريا.
- 42- سعاد محمد أبه- محاضر بقرية اللغة العربية، انغال-نيجيريا.
- 43- صالح محمد كبير- محاضر بقرية اللغة العربية، انغال-نيجيريا.
- 44- بشير محمد، معهد السلطان محمد مثطو للقرآن والدراسات العامة، صكتو، نيجيريا.
- 45- مرتضى إبراهيم، معهد السلطان محمد مثطو للقرآن والدراسات العامة، صكتو، نيجيريا.
- 46- الدكتور هارون محمد هطيغيا، قسم اللغة العربية، جامعة بايرو، كنو، نيجيريا.
- 47- الدكتور عمر ثاني فغى، قسم اللغة العربية، جامعة بايرو، كنو، نيجيريا.

محتويات العدد

- 1- شروط النشر في المجلة.....أ
- 2- هيئة التحرير.....ب
- 3- المستشارون.....ت
- 4- نبذة عن أصحاب المقالات.....ث
- 5- محتويات العدد.....خ
- 6- كلمة العدد.....ز
- 7- الإبدال وعلاقته بعلم الأصوات
- شريف الدين أبو أبوبكر.....1-13
- 8- المسائل النحوية والتصريفية في سورتي الفاتحة و البقرة من خلال تفسير تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي: دراسة نحوية و صرفية. الدكتور عباس شمس الدين إبراهيم.....14-39
- 9- صور من الإبدال في همزية الشيخ محمد النظيفي دراسة تحليلية عثمان إدريس موسى.....40-53
- 10- تعدد الآراء في اشتقاق الأسماء الجامدة من خلال (كتاب معاني القرآن وإعرابه للزجاج) د. خالد صالح محمد العزاني.....54-76
- 11- ميزان الصرف العربي بين أبعاده الصوتية والدلالية: نظرة نقدية د.عبد الوهاب صلاح الدين.....77-84
- 12- صور اسم المفعول ودلالاتها في ديوان الحاج محمد بن أبي بكر أغبي "دراسة صرفية" محمد يونس والأستاذ الدكتور: ثالث عبد الكريم والدكتور آدم أيوب بنثي.....85-97
- 13- أثر القراءات القرآنية في تعدد المدارس النحوية في الدر المصون لسمين الحلبي سورتا النساء والأنعام نموذجا فائز شعيب آدم.....98-113
- 14- ظاهرة الإبدال في قصائد مختارة للشيخ أبي بكر محمد النُّقَاوي، دراسة صرفية تطبيقية. عبد الله عثمان فيكو والدكتور آدم أيوب بنثي والدكتور أبوبكر إدريس إمام.....114-128

- 15- صور من التكرار في "ديوان الكشف والبيان" لابن إسحاق: دراسة أسلوبية
مرتضى إبراهيم وحواء عيسى وزير.....146-129
- 16- نَطْرَاتٌ فِي مُشْكِ الْقُرْآنِ
د. عبد النَّاصر علي مُحَمَّد النَّحِّي.....163-147
- 17- مخطوطة "القاموس المحيط" للفيروزآبادي: دراسة كوديكولوجية
د. المتبولي شيخ كبر.....177-164
- 18- نماذج من الدلالة الصوتية في ديوان جوهرة الرثاء للشيخ محمد قن الغسوي:
دراسة تطبيقية تحليلية
الدكتور أحمد محمد ثالث.....194-178
- 19- العنوان النصي والاستهلال الشعري في ديوان "جنة الأشعار للشاعر لقمان نورالدين الأويي:
دراسة تحليلية تطبيقية لنماذج مختارة
أبو بكر محمد ياي.....211-195
- 20- دراسة تقابلية للضمائر في اللغتين العربية واليوروبية
البروفيسور: مشهود محمود محمد جمبا وإبراهيم جنيد موديبيو أولاً.....230-212
- 21- جماليات الشاهد الشعري: دراسة في معجم المصطلحات النحوية والصرفية للدكتور محمد سمير
نجيب اللبدي.
شمس أول مصطفى.....247-231
- 22- دور العلوم العربية في استنباط الأحكام الشرعية النحو والصرف والبلاغة نموذجاً
الدكتور حامد أدينوي جمعة.....267-248
- 23- دراسة صرفية إحصائية لاسم الفاعل في الدواوين للشيخ إبراهيم انياس
إبراهيم شعبان ومت طيب بن فا وأحمد عارفين بن صفر.....286-268
- 24- البحور الشعرية في ديوان أمير المؤمنين محمد بلو دراسة عروضية تطبيقية لقصائد مختارة
الدكتور يوسف ليمن والدكتور سراج محمد صكتو.....302-287
- 25- تعدد وجهات نظر البلاغيين في التضمن البديعي
عبد الحكيم عبد الرحمن.....321-303

- 26- دلالات كنائية في صور جناس نماذج من أحاديث نبوية
د. مصباح تجاني رابع.....332-322
- 27- ظاهرة الطباق في سورة غافر: دراسة أسلوبية
الدكتور محمد منصور جبريل.....348-333
- 28- رثاء الزوجة في العصر السلجوقي - الطغرائي نموذجاً: "دراسة أسلوبية"
إبراهيم داود، مالي الجنسية.....363-349
- 29- دراسة أسلوبية لنماذج مختارة من شعر سنوسي بابا بن هارون
محمود دن جمعة موسى.....376-364
- 30- رسالة الإمام المغيلي إلى سلطان كنو في تحقيق الأمن والسلام "دراسة أدبية"
د: شيخ عثمان أحمد.....389-377
- 31- الأمثال الحوسوية القريبة المعنى للأمثال العربية
رضوان بن هارون وإبراهيم آدم سليمان.....397-390
- 32- المذهب الأدبي الكلاسيكي ودوره في حفظ التراث العربي
محمد الجامع يعقوب.....411-398
- 33- المثل العربي وقيمه التعبيرية في اللغة الشعرية: قراءة في مقصورة ابن دريد نموذجاً
يوشع محمد عبد الله.....429-412
- 34- المرأة المسلمة والحفاظ على المنظومة الأخلاقية في شعر عيسى أبي أبوبكر
الدكتور مرتضى الإمام أكبيدي.....445-430
- 35- صور من الصدق الفني في خطب الإمام عثمان عبد الله الزوري
الدكتور عبد الله عمر زور.....456-446
- 36- رائية الشاعر تاج الدين شرا في مدح الدكتور محمد خاله جده: دراسة أدبية تحليلية
منير محمد بكور.....472-457
- 37- تأثير اللغة العربية في الأمثال الحوساوية من "كتاب حوسا أ دُنُقُلي"
رضوان بن هارون وسعاد محمد أبه وصالح محمد كبير.....485-473
- 38- صور من الاشتقاق في ديوان "إكسير السعادات" للشيخ إبراهيم الكولخي: دراسة صرفية

- 501-486.....بشير محمد ومرضى إبراهيم.
- 39- التقديم والتأخير في بناء الجملة عند الشيخ التيجاني بن عثمان من خلال أرجوزته السياحية الكدوية: دراسة في ضوء الأسلوبية.
- 511-502.....الدكتور هارون محمد هطيجا.
- 40- مدارس تحفيظ القرآن الكريم في نيجيريا ودورها في الحفاظ على الثقافة الإسلامية: معهد غوني طن زَزَعًا نموذجًا
- 523-512.....د. عمر ثاني فغى.

كلمة العدد

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

أما بعد:

يسعد مجلة "مالم" للدراسات العربية أن تقدم إلى القراء الأعزاء عددها الثالث من السلسلة الجديدة التي يصدرها قسم اللغة العربية جامعة عثمان بن فودي صكتو، نيجيريا. وتسعى بهذا العدد إلى رفد المجال الأكاديمي العربي بعدد من المقالات القيمة تثير الاهتمام بقضايا جادة ومتنوعة.

يحتوي هذا العدد على أربع وثلاثين مقالة، من الباحثين الكرام، من دولة نيجيريا وغانا ومالي واليمن والسعودية وماليزيا، وقد تناولت قضايا لغوية وفكرية وأدبية ونقدية. وعسى أن يكون العدد في مستوى تطلعات القراء والباحثين. كما نذكر الباحثين الكرام والقراء الأعزاء بأن المجلة متوفرة بجميع أعدادها على الموقع الإلكتروني للمجلة: <http://www.malamjournal.org>.

هذا، ولا أنسى أن أشيد بجهد أسرة المجلة كُتّاباً ومقّومين ومستشارين الذين لولا تحركهم الفائق لما رأى هذا العدد النور، خاصة في هذه السنة التي غشيت الدنيا سحائب الركود والجمود، من جائحة الكورونا وغيرها، كما أبوح بخالص التقدير والامتنان لسكرتير التحرير، الأخ النجيب، الدكتور نور عتيق بلاري الذي سهر الليالي على راحة القراء والباحثين، والله أسأل أن يجزي الجميع جزاء أوفى، ويجعل هذا الجهد إضافة مفيدة في خدمة اللغة العربية وآدابها وثقافتها. وأخيراً، أنوّه بأن كل ما أبدي في المجلة يعبر عن آراء أصحاب المقالات ولا يعكس بالضرورة رأي المجلة.

وشكراً

الأستاذ الدكتور ناصر أحمد صكتو

رئيس التحرير للمجلة، ورئيس قسم اللغة العربية

جامعة عثمان بن فودي صكتو، نيجيريا.

ز

الإبدال وعلاقته بعلم الأصوات

بإعداد:

شريف الدين أبو أبوبكر

جامعة ولاية نصرأوا، كئفئ، قسم الدراسات العربية

ولاية نصرأوا - نئجئريا.^١

الملخص:

عندما ننظر إلى علوم اللغة العربية نجد أن هذه العلوم توسعت بشكل كبير حتى أن الفرع أصبح علما قائما بذاته، وهذا أمر طبيعي بسبب العوامل المتعددة التي تفرض نفسها على العلوم، وإذا رجعنا إلى بداية التأليف وجدنا التأليف كان موسوعيا ثم بعد ذلك أخذت المؤلفات بالتخصص شيئا فشيئا، ولكن من العلوم ما بقي له ارتباطات وتداخلات لا يمكن الفصل بينها ومنه الإبدال وعلاقته بعلم الأصوات، إذ أن الإبدال من الموضوعات الصرفية وعلم الأصوات علم قائم بذاته. فأردت في هذا البحث المتواضع أن أبين العلاقة بين الإبدال وعلم الأصوات، وجاء البحث على النقاط التالية: النقطة الأولى: تعريف الإبدال لغة واصطلاحا. النقطة الثانية: انفراد العربية بالإعلال والإبدال دون غيرها من اللغات. حروف الإبدال. النقطة الثالثة: علاقة الإبدال بعلم الأصوات النقطة الرابعة: أقسام الإبدال. الإبدال المطرد. الإبدال غير المطرد. مسوغات الإبدال. أهم النتائج. والخاتمة، والمصادر والمراجع.

¹ ayo4islam2012@gmail.com phone number 08028436640

Abstract:

When we look to the Arabic language, we find that these sciences have expanded dramatically so that the branch has become noted in itself, and this is normal because of the multiple factors that impose themselves on science, and if we go back to the beginning of writing and found writing was encyclopedic and then after that I took literature specialization gradually, but the science of what is left of his links and overlaps can not be separated from them and the substitution and its relationship to the knowledge of sounds, as the replacement of topics and morphological phonology flag a stand-alone. In this research I wanted to show the relationship modest substitution and phonology, and came on four research points: Section I: Definition of substitution language and idiomatically. Alaalal definition language and idiomatically. The second topic: Arab Balaalal separately and without substitution of other languages. Character replacement. The third topic: the relationship with the knowledge replacement votes. Section IV: replacement parts. Steady replacement. Substitution is steady. Grounds for replacement. Benefits and Alerts. And conclusion, and sources and references. Thus I have shown the relationship between these flags from the Arabic language.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:
إن علم الصرف له أهمية لا تقل شأنًا عن علم النحو ذلك أن علم الصرف يدرس تركيب الكلمة كما إن علم النحو يدرس تركيب الجملة وأواخر الكلمات. والإبدال بوصفه أحد موضوعات علم الصرف له علاقة وطيدة بعلم الأصوات، وهذه العلاقة تتضح من خلال النظر إلى الظاهر الصوتية الناتجة عن إبدال الحروف بعضها ببعض. ففي هذه العجالة أردت أن انقل بعض أقوال العلماء في موضوع (الإعلال والإبدال) غير أنني اكتفيت بموضوع الإبدال وقسمت البحث إلى تعريف الإعلال والإبدال لغة واصطلاحاً ثم بيان أن الإعلال والإبدال من سنن العربية ثم اختصاصها بالعربية ثم بينت علاقة الإبدال بعلم الأصوات، وبعدها انتقلت إلى أقسام الإبدال والمسوغات ثم الخاتمة وبينت ما استطعت تبيانه من هذه القضية، متجاوزا العقبات والتحديات التي تواجه كل باحث اليوم، فأن كان ما قلته صواباً فمن الله وإن كان غير ذلك فمن نفسي والشيطان ونسأل الله التوفيق لنا وللجميع.

الإبدال لغة واصطلاحاً:

الإبدال لغة : (بدل الشيء وبدله وبديله الخلف منه والجمع إبدال وتبدل الشيء وتبدل به واستبدله واستبدل به، كله اتخذ منه بدلاً وإبدال الشيء من الشيء وبدّله اتخذه منه بدلاً، وإبدالت الشيء بغيره وبدله الله من الخوف أمناً، وتبديل الشيء تغييره وإن لم يأت ببدل واستبدل الشيء بغيره وتبديله به إذا اخذ مكانه.

والأصل في الإبدال: جعل الشيء مكان شيء آخر كإبدالك من الواو تاء في تالله) ^١

تعريف الإبدال اصطلاحاً:

قال الجرجاني: (هو أن يجعل حرف موضع حرف آخر لدفع الثقل) ^٢ هو التغيير الحاصل في لفظ من الألفاظ بتطور احد الأصوات فيها إلى صوت آخر مع بقاء المعنى واحداً . نحو رجل مهذب ومهذرم: كثير الكلام. والعنة والعلة: الجنون والبله في الإنسان) ^٣ (والإبدال يخص الأحرف الصحيحة بمعنى أن نضع حرفاً صحيحاً مكان حرف صحيح آخر أو مكان حرف علة) ^٤

انفراد العربية بالإعلال والإبدال دون غيرها من اللغات

يذهب الدارسون إلى أن اللغة العربية لها نظامها الخاص بها وتركيبها الذي من خلاله تعرف أجزاء هذه اللغة فلا بد من وجود تباين بين لغة وأخرى، فالذي يقارن بين اللغة العربية وغيرها لا يجد الإبدال والإعلال موجود في تلك اللغات إذ إن: (تغيير حرف العلة بالقلب أو التسكين أو الحذف قصداً إلى التخفيف) ^٥، فكل إعلال يقال له إبدال ولا عكس ^٦. ومن المعروف أن العربية لها سننها الخاصة بها فهي تسير ضمن هذه السنن ومن هذه السنن سنن إبدال الحروف وإقامة بعضها مكان بعض، ويقولون (مدحه، ومدهه) و(فرس رفل، ورفن) وهو كثير وقد أُلّف فيه العلماء، وأما ما جاء في كتاب الله جل ثناؤه:

﴿فَأَنْفَلَقَ فَمَا كَانَ كُلٌّ فَرَقٍ﴾ ^٧. فاللام والراء يتعاقبان كما تقول العرب (فلق الصبح، وفرقه) وذكر عن

الخليل ولم اسمعه سماعاً أنه قال في قوله جل ثناؤه: (فجاسوا) إنما أراد (فحاسوا) فقامت الجيم مقام الحاء، وما احسب الخليل قال هذا ولا حقه عنه، ^٨ (وإذا تسأل- البعض- ممن يحاولون المقارنة بين قواعد اللغة العربية وقواعد اللغة الأوربية كالانجليزية مثلا، وعن عدم وجود نظير للإعلال في تلك

اللغات، فإننا نقول إن المقارنة بين لغة وأخرى ليست من كل الوجوه لأن لكل لغة نظاما خاصا في قواعدها وبخصوص ما يقابل حروف العلة في الانجليزية نجد إن يمكن (kind) لا تتغير بتغير صيغة الكلمة فمثلا كلمة (vowels) حروف العلة فزيادة حرفين في أولها أو (unkindly) أو (kindly) أو (unkind) أن تكون مع ملاحظة أن (i) آخرها لم تغير من نطق حرف العلة الذي في وسطها وهو هذا لا يستدعي تميزا للغة على أخرى بل هي خصائص يتكون من مجموعها المقومات الهامة للغة).^٩

حروف الإبدال:

بعد عرض تعريفات النحويين واللغويين نستطيع أن ندخل في تفاصيل الإبدال لنرى محتويات هذه اللفظة في الدراسات الصرفية. ومن المعلوم أن كل ظاهرة لغوية لها حروفها أو كلماتها أو جملها التي باستعمالها من قبل المتكلمين تظهر هذه الظاهرة وتبرز ولا سيما ظاهرة الإبدال فلها حروفها التي تتغير وتتبدل في بعض الأحيان ولكن هذه الحروف غير محددة بعدد قطعي لما وقع من خلاف في عددها عند المهتمين بهذه القضية.

(حروف الإبدال ثلاثة عشر ثمانية من حروف الزيادة التي يجمعها قولك اليوم تنسأه تسقط السين واللام من الحروف العشرة وخمسة من غيرهن وهي الطاء والذال والجيم والصاد والزاي ونحن نبين علل هذه الحروف في الإبدال ولم كانت لها أحقية من غيرها من حروف المعجم فنقول إن حروف العلة أحقُّ بالإبدال من كل ما عداها من الحروف لاجتماع ثلاثة أسباب: طلب الخفة، والكثرة، والمناسبة بين بعضها وبعض).^{١٠}

فهذا هو عين الخلاف في عدد حروف الإبدال بل ويذكر أكثر من هذا قولهم قال أبو حيان في شرح التسهيل: قال شيخنا الأستاذ أبو الحسن ابن الضائع: (قلما تجد حرفا إلا وقد جاء فيه البديل ولو نادرا).^{١١} وذكر في التسهيل: (أن حروف البديل الشائع يعني في كلام العرب، اثنتان وعشرون حرفا، وهذه التسعة المذكورة هنا حروف الإبدال الضروري في التصريف).^{١٢} أي "هدأت موطيا".

علاقة الإبدال بعلم الأصوات:

أصبح من المعلوم عند الباحثين في مجال اللغة العربية أن هناك علاقة وثيقة بين علم الأصوات وبين الإبدال الذي يعد من مواضيع علم الصرف، ولا سيما أن الإبدال هو تغيير يحصل في بعض حروف الكلمة وعليه يترتب تغيير في الأصوات. (والتغيرات الصوتية في أبنية الكلم، بين تقريب الصوت من الصوت، أو المجانسة بينهما، أو صيرورته إلى مثله، أو مخالفته لما يحدث من التماثل من ثقل على اللسان في بعض الأبنية والصيغ فيتلخص منه بالتغيير إلى ما يخالفه، وهذا التقريب أو التجانس أو المخالفة يجر إلى ظواهر لغوية متعددة كالقلب والاعلال، والإبدال والإدغام وغيرها مما هو من سنن العربية وقوانينها، ويتدخل في مثل هذه الظواهر قوة صفة الصوت وضعفه).^{١٣}

ويحقق التغيير في الأصوات اقتصارا في الجهد، وخفة في النطق، ويسرا وسهولة في تناغم الأصوات بعضها مع بعض حين إخراجها من مخارجها في الجهاز النطقي، ومع ذلك فإن جميع ما يجري تحت مفهومي:

١-المماثلة: assimilation

٢-المخالفة: dissimilation

أما المماثلة: فتحقق لنا، التقارب بين صوتين، أو التجانس، أو التماثل.

أما المخالفة: فتحقق لنا، التفريق بين الصوتين المتجاورين أو الأصوات المتجاورة فيتيسر للناطق أن يجمع بين صوت وآخر لكونهما متخالفين.

أما المماثلة فتحدث في حالات كثيرة منها:

-التقريب بين صفتي الصوتين: ... ففي نحو (زهر) وصوغ (أفتعل) منه نقول: (ازتهر) فتقع التاء وهي صوت مهموس، بعد الزاي وهي صوت مجهور، فلا بد من أن نرتفع بصوت تاء في الصفة إلى صوت الزاي ليتقاربا، فتحول عندئذ إلى (الدال) فنقول (ازدهر)... ومن المماثلة-أيضا- نحو قولنا: (أريد ألو يقرأ أخوك)، والأصل: (أن لو) فقلبت النون لاما لسكونها... وأمثلة المماثلة كثيرة لانريد أن نورد أكثر مما أوردنا من أمثلتها.^{١٤} والمهم فيها أنك تنظر إلى ما يحصل في الأصوات من تقارب أو تماثل أو تجانس من أجل الخفة على اللسان، جريا وراء تطبيق قانون هيمنة الصوت الأقوى على الأضعف.^{١٥} وأما المخالفة: فأمثلتها كثيرة، ومنها: إبدال الحرف نحو: دينار من دنار وتقصى من تقصص.^{١٦}

وقد انتهت الدراسات اللغوية - قديماً وحديثاً - إلى أنه " من سنن العرب إبدال الحروف وإقامة بعضها مقام بعض"، وأن لهذا الإبدال أسباباً ترجع إلى: اختلاف اللهجات العربية. التطور الصوتي لبعض الأصوات العربية الناتج عن بعض عيوب النطق واختلاف الزمان والمكان والحياة الاجتماعية.

المخالفة الصوتية.

المماثلة الصوتية.

وهذان الأخيران يتم بهما الانسجام الصوتي داخل بنية الكلمة، " فكل لغة ترتبط ارتباطاً وثيقاً لتكون نظاماً متجانساً تنسجم فيه كل أجزائها فيما بينها".

-التصحيح والتحريف، سواء أكان تصحيح الكتابة أم تصحيح السمع.

-صنع الألفاظ واختلافها، وإن كان باهها ضيقاً، فمن الصعب أن تفوت هذه الألفاظ على علماء اللغة دون وقفة فاحصة لها.

-التقليد والمحاكاة والرغبة في مجازاة أهل الحضرة في كلامهم، وإن كان هذا الباب ضيقاً أيضاً، إذ كان من الصعب على البدوي ترك لغته إلى لغة غيره. نص كثير من اللغويين على أنه لا بد من وجود علاقة صوتية بين الصوتين المبدلين، لكننا نجد - من خلال الواقع اللغوي - أصواتاً وقع بينها إبدال وليس بينها علاقة صوتية، كما سيتضح من خلال الدراسة التطبيقية للنقد اللغوي الذي دار حول الإبدال بين الصوامت أو بين الصوائت في معجم تهذيب اللغة للأزهري.^{١٧}

أقسام الإبدال:

ينقسم الإبدال في طبيعة حاله إلى قسمين: (الإبدال الصرفي أو ما يسمى بالإبدال المطرد، والإبدال اللغوي غير المطرد)^{١٨} وهذا البديل ليس ببديل الإدغام الذي تقلب فيه الحروف ما بعدها فمن حروف البديل حروف المد واللين المصوتة، وهي الألف والواو والياء)^{١٩} وهناك من يجعل الإبدال على قسمين أيضاً لكن لازم وغير لازم كما عند ابن يعيش في شرح المفصل^{٢٠}

الإبدال المطرد:

النوع الأول من قسبي الإبدال هو الإبدال المطرد الذي ينضبط بقاعدة معينة وله حروف محددة، ولعلة أيضا (الأحرف التي تُبدل من غيرها إبدالاً شائعاً لغير إدغام تسعة يجمعها "هدأتُ موطياً" وخرج بقولنا "شائعاً" نحو قولهم في "أصيلان" تصغير أصيل على غير قياس وفي "اضطجع" وفي نحو "على" في الوقف: أصيلاً والطَّجَع وعلج) ^{٢١} وإذا وقعت تاء افتعال بعد حرف من حروف الاطباق - وهي: الضاد، والضاد، والطاء، والظاء - وجب إبداله طاء، كقولك: اضطجر، واضطجع، واضطعنوا، واضظلموا. والأصل: اضطجر، واضتجع، واضتعنوا، واضظلموا، فإبدال من تاء الافتعال طاء. وإن وقعت تاء الافتعال بعد الدال والزاي والذال قلبت دالا، نحو: ادان، وازدد، وادكر. والأصل: ادتان، وازتد، واذتكر، فاستثقلت التاء بعد هذه الاحرف، فإبدال دالا ^{٢٢} يحدث هذا الإبدال إذا بني الفعل على صيغة افتعل وكان جذره الثلاثي مبدوءاً بأحد الحروف التالية: (الواو، الياء، الهمزة، الزاي، الدال، الذال، الضاء، الضاد، الطاء). وبعد الإبدال يكون الحرف الثالث في أي كلمة وقع فيها الإبدال إما طاء وإما دالاً وإما تاء.

ولتوضيح الإبدال في أي كلمة اتبع ما يلي:

إذا كان ثالث الكلمة حرف (ط) يكون أصله (ت).

إذا كان ثالث الكلمة حرف (د) يكون أصله (ت).

إذا كان ثاني الكلمة حرف (ط) يكون أصله (ط+ت).

إذا كان ثاني الكلمة حرف (د) يكون أصله (د+ت).

وكل ذلك شريطة أن نتيقن أن في الكلمة إبدال، إذ ليس كل كلمة فيها أحد هذه الحروف يكون فيها إبدال فمثلاً كلمة أتبع لا يوجد فيها إبدال؛ لأن جذرها يبدأ أصلاً بالتاء، وليس بأحد الحروف التي ذكرناها آنفاً الإبدال إما أن يقع في الحرف الثاني أو الثالث فقط ^{٢٣}

يتضح لنا في هذا النوع من الإبدال إن هذا القسم يأتي وفق قاعدة ثابتة مبنية على أسس والذي جعلها هكذا هو كثرت الاستعمال عند العرب لهذا النوع كون اللفظ بهذه الطريقة.

الإبدال غير المطرد:

وأما النوع الآخر، وهو الإبدال اللغوي ...، ومن ذلك قوله: "الهاء من هرقت أصلها همزة، وهي مبدلة منها للتخفيف وكثرة الاستعمال، والأصل أرقت، كما قالوا في القسم: هيم الله وأيم الله، وهياك وإياك"^{٢٤} وهذا النوع لم يتقيد بقاعدة ولم يقف عند حد وإنما جاء وفق ما كان يحكمه السماع حتى ولو مرة واحدة أو كلمة واحدة على العكس من النوع الأول، وقد يكون الإبدال مطردا أو غير ذلك كما جاء في الدراسات اللهجية العربية اعتمادا على الجانب الصوتي على ما وصفه ابن جني:

١. الإبدال بين الحروف المتدانية في المخرج الواحد.
٢. الإبدال بين الحروف المتجاورة في المخرج الواحد.
٣. الإبدال بين الحروف المتقاربة المخارج.
٤. الإبدال بين الحروف المتباعدة المخارج وبينها جامع صوتي.
٥. الإبدال بين الحروف المتباعدة المخارج وليس بينها جامع صوتي^{٢٥}

حالات الإبدال:

التحول في بنية الصوتية للكلمة والتغيير الذي يحصل في بعض حروفها لا بد له من أن يجمع في حالات وقد عمل بعض الباحثين على ذلك فعدها في نقاط:

- ١- تبديل الواو والياء والألف همزة إذا تطرفتا بعد الف زائدة، مثل: دعاء، دعو، وبناء من بني، وحمراء من حمراي، وصفراء من صفراي.
- ٢- ما لحقته ها التأنيث من ذلك وله ثلاث حالات، وهي:
 - أ- وجوب القلب إذا كانت هاء التأنيث للفرق بين المذكر والمؤنث مثل: مشاء، مشاءه. وبناء بناءه.
 - ب- وجوب عدم القلب إذا بنيت الكلمة على الهاء مباشرة لا للفرق بين المذكر والمؤنث، مثل: عداوة ورعاية وسقاية.
 - ج- جواز الأمرين إذا جاءت الهاء عارضة لبيان أن ما لحقته أخص مما لم تلحقه، مثل: عطاء وعطاءة وعطاية، ومثل رداء ورداعة ورداية. مع بقاء الهمزة أحسن^{٢٦}

- ٣- تقلب الواو والياء همزة إذا وقعتا في اسم فاعل وكانتا معتلتين في فعله، مثل: قال قائل، وباع بائع، فإذا لم تعلا في الفعل لم تقلبا في اسم الفاعل مثل: عور عاور.
- ٤- يبدل حرف المد الزائد الذي يقع ثالثا في اسم صحيح الآخر ببدل همزة إذا بني على وزن فعائل، ولا فرق بين أن يكون المد ألفا أو واوا أو ياء، مثل: قلادة قلاند ومثل: عجوز عجائز، صحيفة صحائف وديعة وائع.
- ٥- إذا توسطت ألف ما جمع على مثال (أفاعل) بين حرفي علة في اسم صحيح الآخر إبدال ثانيهما همزة مثل: أول أوائل، إذ الأصل فيها أو أول. ونيف نيبايف.
- ٦- إبدال الواو أو الياء (تاء) في باب (الإفتعال) إذا كان فيه فاء ان مثل: وصل ووقى ويسر، فإذا صغنا هذه الأفعال على افتعل تصير: أوصل، أوتقى، أتيسر، ثم تبدل كل من الواو والياء تاء فينتج عندنا الصورة التالية: اتصل، انتقى، اتيسر.
- ٧- إذا كانت فاء افتعل (تاء) إبدال تاءؤه تاء وادغمتا، مثل آثار. إذ الأصل فيها ثأر ثم أردنا صوغها على افتعل فصارت الصورة على اثأر ثم إبدالنا التاء تاء صارت اثأر ثم ادغما التاءين فصارت (ثأر) وهكذا.

مسوغات الإبدال:

لا بد من وجود مسوغ أو سبب لكل أمر يحدث ولاسيما القضايا التي تتعلق أو يتلق بها تغيير أشياء في داخل هيكلها أو تركيب البنية العامة لها، ومن ذلك الإبدال ما له مسوغات وضعها المختصون في هذا العلم فيبين بعضهم. إن حروف العلة أحق بالإبدال من كل ما عداها من الحروف لاجتماع ثلاثة أسباب:

١- طلب الخفة.

٢- الكثرة.

٣- المناسبة بين بعضها وبعض.

ومن جهة أنه يتمكّن بها أو ببعضها من إخراج الحروف ومن جهة أخرى ما فيها من المد واللين ومن جهة ما تمكّن بها في الشعر من التلحين ومن جهة اتساع مخرجها على اشتراكها في ذلك أجمع وكل واحد من المعاني الثلاثة يطالب بجواز الإبدال أما طلب الخفة فإنه إذا كان قلب الواو إلى الياء في ميقات أخفّ من الأصل الذي هو موقات فهو أولى منه فالخفة تطالب به.^{٢٧} حيث كان البديل يدخل فيما هو أخف منه.^{٢٨} وأما الكثرة فإن ما كثر في الكلام أحقّ بالتخفيف ولها كثرة ليست لغيرها من الحروف لأنه لا تخلو كلمة منهن أو

من بعضهن إذ لو أشبعت الضمة لصارت واواً ولو أشبعت الفتحة لصارت ألفاً ولو أشبعت الكسرة لصارت ياء فالكثرة تطلب التّخفيف على ما بينا وأما المناسبة فتطلب جواز قلب بعض إلى بعض من غير إخلال بالكلمة من قبل أن المقارب للحرف يقوم مقام نفس الحرف فكأنه قد دُكّر بذكره نفس الحرف وليس كذلك المتباعد منه فلهذه العلة من اجتماع الأسباب الثلاثة كانت أحقّ بالإبدال من غيرها.^{٢٩} وهذا يعني أن الحروف الأخرى يكون فيها الإبدال لنفس الأسباب المذكورة آنفاً.

أهم النتائج:

لا بد لنا من الوقوف على بعض النتائج التي وقف عليها بعض المختصين والباحثين بهذا الموضوع وتتلخص بثلاث نقاط:

١. إذا طلب منك استخراج كلمة فيها إبدال، فتذكر دائماً إن الإبدال يحصل في (باب الافتعال) واستخرج كلمة من هذا الباب.

٢. إذا كان ثاني (افتعل ومشتقاتها) تاء مشددة، فتذكر دائماً إن أصل التاء الأولى واوا، وهي تقابل الفاء في الميزان.

٣. إذا طلب منك إن تكتب الوزن الصبر في لكلمة حصل فيها إبدال، فأعدها إلى (أصلها قبل حصول الإبدال فيها، ثم زنها)^{٣٠}

الخاتمة:

الخلاصة في هذا الموضوع هو إن الإبدال من سنن العربية التي تعرف بها اللغة وهذا الإبدال إنما جاء عن حاجة ماسة إليه وتتمثل هذه الحاجة بطلب الخفة والمسوغات الأخرى، والإبدال يقع عند عامة الناس في كلامهم كما يقع عند خاصتهم والإبدال يضم في ثناياه حروف العلة والحروف الصحيحة وهو موجود ضمن شروط أو ضوابط يجب أن تتوفر لحدوثه، وهذا النوع هو القياسي، والأخر الذي لم يتقيد بشروط أو ضوابط فيسمى غير القياسي، وكان بودي إن أكمل موضوع الإعلال معه لتكتمل الصورة إلا إن تشعب موضوع الإعلال كان له الأثر في تركه واكتفيت بالإبدال وأسأل الله السداد في القول والعمل.

الهوامش والمراجع:

- ١- لسان العرب لابن منظور مادة بدل مجلد (١١) ص: ٤٨ دار الفكر.
- ٢- التعريفات علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: ابراهيم الايباري، دار الكتاب العربي - بيروت، ط، ١٤٠٥، ١ م، ص، ٢.
- ٣- دراسات في علم الصرف د.عبد الله درويش ط ٢ مكتبة الشباب المنيرة ص: ٧٢
- ٤- في علم الصرف، حسين مصطفى قطاني، ومصطفى خليل الكسواني، دار جرير للنشر والتوزيع، ط ١٤٣٢، ١ هـ- ٢٠١١ م، عمان- الأردن، ص ١١٥.
- ٥- شرح شافية ابن الحاجب، تأليف الشيخ رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي النحوي ٦٨٦ هـ مع شرح شواهد للعالم الجليل عبد القادر البغدادي صاحب خزنة الادب المتوفي عام ١٠٩٣ من الهجرة حققهما، وضبط غريهما، وشرح مهمهما، الاساتذة محمد نور الحسن محمد الزفزاف محمد يحيى عبد الحميد المدرس في تخصص المدرس في كلية المدرس في تخصص كلية اللغة العربية كلية اللغة العربية القسم الاول الجزء الاول دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ج ٣/ص: ٦٩.
- ٦- شذا العرف في فن الصرف، تاليف: الشيخ الاستاذ أحمد الحملاوي، ضبط وتحقيق محمود شاکر، مؤسسة النبراس للطباعة والنشر، ص: ١٠٩.
- ٧- سورة الشعراء، آية: ٦٣.
- ٨- الصاحبي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامهم تأليف العلامة أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا من لغوي القرن الرابع الهجري، علق عليه ووضع حواشيه أحمد حسن بسج، منشورات محمد علي بيضوت، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ص: ١٤٥.
- ٩- دراسات في علم الصرف د.عبد الله درويش ط ٢، مكتبة الشباب مصر ص: ٧٢.
- ١٠- المخصص لأبي الحسن علي بن إسماعيل اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٧ هـ- ١٩٩٦ م، ط ١ ج ٤/ص: ١٧٩٣٩.
- ١١- المصدر نفسه ص: ٣٨.
- ١٢- حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تحقيق محمود بن الجميل، مكتبة صفا، ط ١٤٢٣، ١ هـ- ٢٠٠٢ م، القاهرة، ج ٤/ص: ٣٩٤.

- ١٣ - مباحث في علم اللغة واللسانيات، د.رشيد عبد الرحمن العبيدي دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية)، الطبعة الأولى- بغداد-٢٠٠٢م، ص: ٩٨.
- ١٤- المصدر نفسه، ص: ١٠٠.
- ١٥- دراسة الصوت اللغوي، د.أحمد مختار عمر، ط ٣، سنة ١٩٨٥، ص: ٣١٩.
- ١٦- العبيدي، د.رشيد عبد الرحمن (٢٠٠٢م) مباحث في علم اللغة واللسانيات، دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية)، الطبعة الأولى، بغداد. ص ١٠١.
- ١٧- النقد اللغوي في تهذيب اللغة، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، إعداد الباحث: حمدي عبد الفتاح السيد بدران، إشراف أ.د:محمد حسن حسن جبل، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية بالمنصورة، (١٤٢٠هـ-١٩٩٩م)، الباب ١/ص: ١٨.
- ١٨- إسفار الفصيح، أبو سهل محمد بن علي بن محمد الهروي النحوي، دراسة وتحقيق: أحمد بن سعيد بن محمد قشاش، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٢٠هـ، المبحث الرابع. ينظر شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة دار التراث، القاهرة ط (١٤١٩ هـ-١٩٩٨م) ٢١١- ج ٤/ص: ٢١٠. ٢٥٨ هـ، تحقيق: محمد عبد الخالق.
- ١٩- المقتضب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، ٢١٠ عضيمة، القاهرة ١٤١٥ هـ-١٩٩٤ م، ج ١/ص ١٩٩:
- ٢٠- دراسات في علم الصرف د.عبد الله درويش ط ٢، مكتبة الشباب مصر ص: ٧٢.
- ٢١- المخصص لأبي الحسن علي بن إسماعيل اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده، تحقيق: خليل ابراهيم جفال، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٧ هـ-١٩٩٦ م، ط ١ ج ٤/ص: ١٧٩.
- ٢٢- المصدر نفسه ص: ٣٨.
- ٢٣ - حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تحقيق محمود بن الجميل، مكتبة صفا، ط ١، ١٤٢٣ هـ-٢٠٠٢ م، القاهرة، ج ٤/ص: ٣٩٤.

- ٢٤- النقد اللغوي في تهذيب اللغة، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، إعداد الباحث: حمدي عبد الفتاح السيد بدران، إشراف أ.د:محمد حسن حسن جبل، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية بالمنصورة، (١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م)، الباب ١/ص: ١٨-١٢٣.
- ٢٥- شرح المفصل لابن يعيش النحوي ٦٤٣ هـ. المطبعة المنيرية ص: ١٢٢.
- ٢٦- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري، دار الجبل-بيروت، ط ١٩٧٩، ٥، ج ٤/ص: ٣٧٠.
- ٢٧- تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، (١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، مكتبة دار التراث، ط ٢، القاهرة. ج ٤/ص: ٢٤٤.
- ٢٨- مقصوصات صرفية ونحوية، ثامر إبراهيم المصاروة، جامعة مؤتة، ٢٠٠٦/٢٠٠٧، ص: ٤٠.
- ٢٩- الهروي النحوي، أبو سهل محمد بن علي بن محمد (١٤٢٠ هـ) إسفار الفصيح، دراسة وتحقيق: أحمد بن سعيد بن محمد قشاش، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط ١، المبحث الرابع، المدينة المنورة.
- ٣٠- الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني د.حسام ألعيمي/منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية ص: ٩٨.

المسائل النحوية والتصريفية في سورتي الفاتحة و البقرة من خلال تفسير تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي دراسة نحوية وصرفية

إعداد:

الدكتور عباس شمس الدين إبراهيم

كلية التربية وعلوم الاتصالات بجامعة التربية. وينيبا فرع كوماسي^١

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى عرض بعض المسائل التصريفية و النحوية من خلال تفسير تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي؛ حيث إن الشيخ يشير في عبارات وجيزة إلى بعض تلك المسائل التي يتبين من خلالها أن الشيخ يختار رأيه التصريفيّ أو النحويّ من بين الآراء التصريفية والنحوية، ويتأكد من ذلك تضلع الشيخ في فنون اللغة وبخاصة في فني التصريف والنحو .

ABSTRACT

The purpose of this research is to present some of the issues of morphology and grammatical through the interpretation of the Noble Qur'an for Shaikh Abdul Rahman bin Nasser Al Saadi. The Shaikh refers in brief terms to some of these issues which indicate that the Sheikh chooses his morphological or grammatical idea between many ideas of grammatical or morphological schoolers, and this is confirmed by the Sheikh's involvement in the arts of language, especially in the art of Arabic morphology and grammar.

¹ - abbasshamsu@gmail.com

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على النبي المصطفى محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه، وبعد، فإن التفسير من العلوم التي تحتاج إلى مجموعة من الآلات التي يشترط أن يكون المفسر ملماً بها، ومن أهم تلك الآلات، علم النحو والصرف، والإمام عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله الذي ولد في عيضة عام ألف وثلاثمائة وسبعة (١٣٠٧هـ) وتوفي عام ألف وثلاثمائة وستة وسبعين (١٣٧٦هـ) علامة في جميع علوم اللغة، وله باع كبير في جميع علوم اللغة التي تساعد على أداء معاني آيات الله بأساليب سلسة وسهلة، وله كتاب في التفسير وهو تفسير تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، وإن كان الكتاب ليس من الكتب التفسيرية التي اعتنت بالمسائل النحوية والتصريفية كثيراً من حيث المناقشة وإطالة النفس فيها، وإنما كان يشير إلى بعض المسائل النحوية والتصريفية عند الحاجة للتمكين من أداء المعنى على النحو المطلوب، كما أن الإمام العلامة كان يتناول مجموعة من علوم اللغة في إشارات خفيفة مع الاعتناء بأداء المعنى في أسلوب سهل ودقيق، فأدرت أن أساهم من خلال هذا المؤتمر الذي عقد لدراسة علوم الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله. شيخ أبرز علماء السنة في المملكة العربية السعودية، الإمام العلامة محمد بن صالح العثيمين المتوفى (١٤٢١هـ) رحمه الله الذي حضرت بعض دروسه في الحرم المكي وفي زيارته للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وكان يلقي على الطلاب بعض المسائل اللغوية في أسلوب حوار مثمر، فلا بد أن يكون الشيخ أخذ هذا العلم من شيخه عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله وقد جمعت مجموعة من مسائل الصرف والنحو في تفسيره من سورتي الفاتحة والبقرة ووسمت البحث بعنوان "المسائل النحوية والتصريفية في سورتي الفاتحة والبقرة من خلال تفسير تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله. دراسة نحوية وتصريفية، وقد وضعت لدراسة تلك المسائل خطة علمية على النحو الآتي: الخطة مكونة من مقدمة وفصلين وخاتمة.

المقدمة فيما بيان أهمية البحث وسبب اختياره، وأهدافه، والدراسات السابقة، ومشكلته وأسئلته ومنهجه.

الفصل الأول: المسائل التصريفية وتحت مبحثان:

المبحث الأول: المسائل التصريفية في الأسماء وتحتة مطلبان :

المطلب الأول: المفرد والجمع .

المطلب الثاني: دلالة اسم الفاعل على الثبوت والاستقرار .

المبحث الثاني: المسائل التصريفية في الأفعال، وتحتة أربعة مطالب :

المطلب الأول: تعديّ فعلٍ (استوى) ش

المطلب الثاني: تعديّ فعل (ظنّ) إذا كان بمعنى اليقين .

المطلب الثالث: دلالة (تفعلّ) على معنى (فعلّ)

المطلب الرابع: المبني للمجهول .

الفصل الثاني: المسائل النحوية وتحتة خمسة مباحث

المبحث الأول: الكلام وما يتألف منه، وتحتة ثلاثة مطالب :

المطلب الأول: مراتب الإشارة. المطلب الثاني: إفادة الإضافة. المطلب الثالث: الاستفهام بمعنى الإنكار .

المبحث الثاني: المرفوعات وتحتة مطلبان

المطلب الأول: ذكر المبتدأ. المطلب الثاني: حذف المبتدأ

المبحث الثالث: المنصوبات : وتحتة ستة مطالب :

المطلب الأول: حذف المفعول. المطلب الثاني: تقديم المعمول .

المطلب الثالث: نفي الجنس. المطلب الرابع: التأكيد بأنّ و اللام .

المطلب الخامس: الاستثناء بإلا. المطلب السادس: الإغراء .

المبحث الرابع: المجرورات وتحتة مطلب واحد :

دلالة (من) على التبويض .

المبحث الخامس: العطف وتحتة مطلبان. المطلب الأول: دلالة (أو) على معنى (بلّ) .

المطلب الثاني: عطف العام على الخاص. والخاتمة تحتوي على أهم ما توصل إليه الباحث من نتائج

وتوصيات . أهداف البحث : يهدف هذا البحث إلى عرض، وذكر بعض علوم الشيخ الإمام عبد الرحمن

ابن ناصر السعديّ في فن النحو والصرف، في كتابه تيسير الكريم الرحمن من تفسير كلام المنان، وهو

تفسير غير مطول، وأسلوبه أسلوب سهل مع اشتماله على جميع الأدوات العلمية التي يحتاج إليها في أداء معنى كلام الله على الوجه المطلوب.

الفصل الأول: المسائل التصريفية وتحتة مبحثان

المبحث الأول: المسائل التصريفية في الأسماء وتحتة مطلبان:

المطلب الأول: المفرد والجمع .

قال تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ}¹

قال الإمام العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي: " يقول تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ} جمع - هلال" قال ابن فارس: " الهاء و اللام أصل صحيح يدل على رفع صوت... وأما الذي يحمل على هذا للقرب و الجوار، فالهلال الذي في السماء، سمي به لإهلال الناس عند نظرهم إليه مكبرين وداعين، ويسمى هلالاً أول ليلة و الثانية و الثالثة، ثم قمر بعد ذلك... و الهلال: ما يضم بين جنوي الرَّحْلِ، و الجمع أهلة" فالهلال على وزن (الفِعَال) فإذا أردنا جمعه جمع قلة فإنه يأتي على وزن (أفعللة) ، وعلى ذلك جاء (هلال) فجمع على (أهلة) على وزن (أفعللة) وعليه يقول سيبويه في الكتاب :

"باب تكسير ما عدّة حروفه أربعة أحرف للجمع أمّا ما كان فعّالاً فإنّك إذا كسرتّه على بناء أدنى العدد كسرتّه على أفعللة، وذلك قولك: حمارٌ وأحمرّة وخمارٌ وأخمرّة، وإزارٌ وأزرّة، ومثالٌ وأمثلة، وفراشٌ وأفرشة، فإذا أردت أكثر العدد بنيتّه على فُعَلٍ وذلك حمارٌ وحمرٌّ، وخمارٌ وخمرٌّ، وإزارٌ وأزْرٌ، وفراشٌ وفرشٌ. وإن شئت خففت جميع هذا في لغة تميم. وربّما عنوا ببناء أكثر العدد أدنى العدد كما فعلوا ذلك بما ذكرنا من بنات الثلاثة، وذلك قولهم: ثلاثةٌ جدرٍ وثلاثةٌ كتبٍ. وأمّا ما كان منه مضاعفاً فإنّهم لم يجاوزوا به أدنى العدد وإن عنوا الكثير تركوا ذلك كراهية التضعيف، إذ كان من كلامهم أن لا يجاوزوا بناء أدنى العدد فيما هو غير معتل. وذلك قولهم: جلالٌ وأجلّة، وعنانٌ وأعتّة، وكنانٌ وأكنّة. و قال سأل الإمام عبد الرحمن بن ناصر السعدي عن فائدة جمع هلال والحكمة من ذلك ° جاء الجواب عنه في قول السمين الحلبي في الدر المصون: " وإنما جمع الهلال وإن كان مفرداً اعتباراً باختلاف أزمانه، قالوا من حيث كونه هلالاً في شهر غير كونه هلالاً في آخر" ٦

فبالخلاصة أن ما كان على وزن (فِعَال) يجمع على وزن (أفعللة) إذا أرادوا جمعها جمع قلة كما في نص سيبويه. وورد في قوله تعالى: {وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا}٧

حيث قال الإمام عبد الرحمن بن ناصر السعدي: " وقوله تعالى: { ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا } السفهاء: جمع "سفيه" وهو: من لا يحسن التصرف في المال، إما لعدم عقله كالمجنون والمعتوه، ونحوهما، وإما لعدم رشده كالصغير وغير الرشيد^٨

ذكر صاحب المخصص كذلك أن سفيه مفرد وجمعه سفهاء.^٩ فذكر الإمام أن (السفهاء) جمع ومفرده (سفيه) على وزن (فَعِيل)، قال ابن فارس: "السين والفاء والهاء أصل واحد يدل على خفة وسخافة، وهو قياس مطرد...^{١٠} فما جاء على وزن (فَعِيل) فقد ورد له أربعة جموع، جمع على أفعله كـرغيف وأرغفة، وعلى (فُعَل) فقيل: رغيف ورغف على وزن (فُعَل)، وعلى فُعلاء مثل سفيه وسفهاء، وهو جمع كثرة. وعلى أفعلاء مثل: نصيب وأنصباء.^{١١}

وقَعِيل بمعنى فاعل إذا كان وصفا لمذكر عاقل، مثل: سفيه فإنه يأتي جمعه على (فعلاء) فيقال: سفيه وسفهاء كما سبق.^{١٢} ورد في قوله تعالى: " { فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ }"^{١٣}

حيث قال الإمام عبد الرحمن بن ناصر السعدي: " { فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ } و " السرر " جمع " سرير " وهي المجالس المرتفعة في ذاتها، وبما عليها من الفرش اللينة الوطنية."^{١٤}

فسُرر جمع سرير، فسرير على وزن (فَعِيل) وهو مما يجمع على (فُعَل) وهو جمع كثرة. ذكر عبد المعنم سيد عبد المتعال أن فُعَل بضم الفاء والعين ينقاس جمعا لوصف على وزن (فُعُول) مثل صبور وصُبُر، واسم رباعي صحيح اللام قبل لامه مدّة سواء أكانت ألفا أم واوا أم ياء، غير أن المدّة إن كانت ألفا وجب أن يكون الاسم غير مضعف مثل: عماد وعُمُد، وإذا كانت المدّة ياء أو واوا، فاللام مضعف يجمع على وزن (فُعَل) مثل: سَرير وسُرُر.^{١٥} والأخير هو الذي ذكره الشيخ الإمام عبد الرحمن بن ناصر السعدي.

المطلب الثاني: دلالة اسم الفاعل على الثبوت والاستقرار.

قال تعالى: {صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ} ^{١٦}

قال الإمام عبد الرحمن بن ناصر السعدي: " وقال: { وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ } فوصفهم باسم الفاعل الدال على الثبوت والاستقرار، ليدل على اتصافهم بذلك وكونه صار صبغة لهم ملازماً" ^{١٧}

فاسم الفاعل هو: "الاسم الذي اشتق من الفعل لذات من فعل، ووزنه القياسي في الثلاثي (فاعل) كضارب، وشاد، وواعد، وقائل، وبائع، ورامٍ وداعٍ وفيما زاد على الثلاثي بوزن مضارعه لا فرق بينهما سوى وضع الميم فيه موضع حرف المضارع في الفعل إلا في (تفعل) و(تفاعل) و(تفعلل) فإن الرابع فيه مكسور، وفي الفعل مفتوح فرقاً بين اسم الفاعل واسم المفعول كمتربص، ومتجانف، ومُتدحرج كقولك: مُعْطٍ ومُربٍ، في (يعطي) و(يربي) على هذا إلى آخر الأوزان" ^{١٨}

وقال الشيخ محمد الطنطاوي من المحدثين: اسم الفاعل هو: " اسم مصوغ لما وقع منه الفعل ككاتب أو قام به كمنكسر دالا على أصل الحدث على وجه الحدوث" ^{١٩}

فالأصل في دلالة اسم الفاعل دلالته على الحدوث كما يظهر من التعريف السابق، وقد يأتي للدلالة على الثبوت والاستقرار إما رأساً كما عند بعض المفسرين أو بقرينة كما عند بعض النحويين، ولعل الإمام في قوله، يشير إلى القول بدلالته على الثبوت والاستقرار وله سلف في ذلك، حيث قال به ابن القيم و
الرازي ^{٢٠}

المبحث الثاني: المسائل التصريفية في الأفعال، وتحتة أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعدي فعل (استوى)

قال الله تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} ^{٢١}

قال السعدي: " وقوله: { ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } . { اسْتَوَى } ترد في القرآن على ثلاثة معاني: فتارة لا تعدى بالحرف، فيكون معناها، الكمال والتمام، كما في قوله عن موسى: { وَكَلَّمَ بَلْعَ أَشَدَّهُ وَاسْتَوَى } وتارة تكون بمعنى "علا" و"ارتفع" وذلك إذا عدت بـ "على" كما في قوله

تعالى: { ثم استوى على العرش } {لَتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ} وتارة تكون بمعنى "قصد" كما إذا عدت بـ "إلى
"كما في هذه الآية، أي: لما خلق تعالى الأرض، قصد إلى خلق السماوات"^{٢٢}

أشار الإمام إلى تعدي فعل (استوى) وأنه يرد على ثلاثة أوجه: عدم التعدي بحرف فيدل على معنى
الكمال و التمام، التعدي بـ (على) فيدل على العلو والارتفاع، و التعدي بـ (إلى) فيدل على القصد.

والفعل المتعدي في الحقيقة هو ما دل على مصدر وفاعل ومفعول به، حيث إن الفعل المتعدي هو الذي
يتعدى إلى المفعول به فقط بينما المفاعيل الأخرى قد يتعدى إليها الفعل اللازم ، فلذا يقيد النحاة
بالمفعول به.وسمي متعديًا، لأنه طلب غير ما هو له أصل هو المفعول به الحقيقي، لأن الأصل الفعل و
الفاعل و المفعول فضلة.ويغلب في كتب النحو الإشارة إلى أن الفعل إما أن يكون متعديا أو لازما و أن
الفعل المتعدي هو الذي يتعدى إلى مفعوله بلا واسطة ، والفعل اللازم هو الذي يتعدى إلى غيره بواسطة
، ف (ضَرَبَ) فعل متعد لأنه يتعدى إلى مفعوله بلا واسطة فيقال :ضرب زيدٌ عمرًا ، و(ذَهَبَ) فعل لازم
حيث إنه يتعدى بالباء أو بـ (إلى) فيقال: ذهب محمد إلى الجامعة حيث تعدى إلى مفعوله بواسطة (إلى) أو
بالباء في صيغ أخرى.

ذكر الصنعاني بأن الفعل المتعدي سبعة أقسام :

- ١- قسم يتعدى إلى مفعوله بحرف جر لا يجوز حذفه مثل مررت بزيد.
- ٢- وقسم يتعدى بحرف جر يجوز حذفه، مثل : كَلْتُ زَيْدًا وَكَلْتُ لَزِيدٍ.
- ٣- وقسم يتعدى إلى مفعول مفرد لا يجوز حذفه، مثل : ضرب زيدٌ عمرًا.
- ٤- وقسم يتعدى إلى مفعولين الثاني منهما بحرف جر يجوز حذفه مثل: اخترت من الرجال قسم
يتعدى إلى مفعولين مفردين يجوز الاختصار لهما جميعا و الاقتصار على أحدهما دون الآخر، مثل :
أعطى زيدٌ عمرًا درهماً.
- ٥- قسم يتعدى إلى مفعولين لا يجوز الاقتصار على أحدهما ، مثل : ظننت وأخواتها. فالصنعاني

ذكر أن أقسام الفعل المتعدي سبعة وقد ذكر ستة.^{٢٣}

وما ذكره الإمام يدعوننا إلى القول بأن الفعل قد يختلف معناه باختلاف تعديده ، كما في كلمة (استوى) فهو فعل يتراوح بين التعدي بدون واسطة، و التعدي بواسطة وإذا تعدى بواسطة حرف الجر(على) دل على معنى العلو والارتفاع و إذا تعدى بحرف الجر(إلى) دل على معنى القصد ، وهذا يدخل بنا إلى التضمين حيث إن الفعل يضمن معنى فيتعدى إلى حرف من حروف الجر، فيظهر له بذلك معنى ويعامل الفعل المضمّن معاملة الفعل المضمّن به وهكذا ، وهذا يدل على وسع أفق الشيخ الإمام في باب اللغة حيث أشار إلى ذلك في عبارة قصيرة مع أداء الغرض. ولعل (استوى) لما ضمن معنى علا وارتفع ار به فعلا لازماً، وكذلك لما ضمن معنى قصد المتعدي بنفسه صار به متعديا، فالفعل المضمن فيه معنى فعل آخر يأخذ حكمه في التعدي و عدمه.فالتضمين هو : إشراب لفظ معنى آخر، بحيث تؤدّي الكلمة مؤدّى كلمتين.^{٢٤}

واستوى معناه في اللغة، استقام واعتدل من استوى العود، وعلى ذلك قال ابن فارس: "السين و الواو والياء أصل يدل على استقامة واعتدال بين شيئين".^{٢٥}

وهذه الكلمة (استوى) تعلق بها مسألة عقديّة مشهورة أجاب عنها الإمام مالك في قوله : (الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة).^{٢٦}

المطلب الثاني: تعدي فعل (ظنّ) إذا كان بمعنى اليقين .

قال تعالى: { الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ }^{٢٧}

قال السعدي: "ولهذا قال: { الَّذِينَ يَظُنُّونَ } أي: يستيقنون"^{٢٨} قال السمين الحلبي: "وأصل الظن: رجحان أحد الطرفين، وأما هذه الآية فيها قولان، أحدهما: وعليه الأكثر أن الظن ههنا بمعنى اليقين... والقول الثاني: أن الظن على بابه..."^{٢٩}

وذكر ابن مالك أنه يستعمل ظن بمعنى المتيقن كثيرا ، وهذا الذي حصل عند الإمام حيث أشار إلى معنى الظن بأنه المتيقن، وقد ذكر ذلك في غير موطن من التفسير، ولعل هذا إشارة إلى أن فعل (ظنّ) الذي يعدّ من الأفعال المتعدية إلى مفعولين أصلهما المبتدأ والخير يتعدى إلى ذلك حتى لو كان معناه اليقين وفي ذلك يذكر كذلك ابن عقيل في شرحه حيث قال: "و " ظننت زيدا صاحبك " وقد تستعمل لليقين كقوله تعالى: (وظنوا ألا ملجأ من الله إلا إليه)"^{٣٠}

فمن أفعال باب ظن وأخواتها أفعال لو ضمن معنى ، رجع من نصب مفعولين إلى نصب مفعول مثل (رأى) لو كان المراد منه رأي البصرية تعدى إلى مفعول واحد، لكن ظن لو كان على معنى الأصل منه الذي هو التردد بن شيئين ترجح فيه أحدهما تعدى إلى اثنين وكذلك لو كان بمعنى اليقين تعدى إلى اثنين^{٣١}

المطلب الثالث: دلالة (تَفَعَّلَ) على معنى (فَعَلَ)

قال تعالى: { إِنَّ الصَّغَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ }^{٣٢}

قال السعدي: "وقوله: { وَمَنْ تَطَوَّعَ } أي: فعل طاعة مخلصا بها لله تعالى { خَيْرًا } من حج وعمرة، وطواف، وصلاة، وصوم وغير ذلك { فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ } فدل هذا، على أنه كلما ازداد العبد من طاعة الله، ازداد خيره وكماله، ودرجته عند الله، لزيادة إيمانه"^{٣٣}. قد جاء في اللغة العربية (تَفَعَّلَ) بمعنى المجرد، كتعدى الشيء وعدها، أي: جاوزه، وتَلَبَّثَ وَلَبِثَ، وكلامنا في هذه الآية على القراءة الواردة في (تطوع) على صيغة الماضي، حيث وردت قراءة أخرى على صيغة المضارع.^{٣٤} وقد وردت بعض الشواهد في القرآن الكريم منها قوله تعالى: { فَتَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ } البقرة: (٣٧). فتلقى على وزن (تفعل) من اللقاء وهو بمعنى المجرد، أي: لقي آدم. وقوله تعالى: { وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ }* (البقرة: ١٣٧) ، فتقبل هنا بمعنى المجرد، وقوله تعالى: { الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ } (البقرة: ١٧٥)

وتخبط على وزن (تفعل) ومعناه يوافق معنى المجرد، أي: خبط، وعلى ذلك جاء قوله تعالى على ذلك : { فَتَبَسَّسَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا } (النمل: ١٩) تبسّم بمعنى بسم المجرد^{٣٥}

نرى أن الإمام أشار إلى كون (تفعل) بمعنى (فعل) في عبارة لطيفة حيث قال : تطوع بمعنى فعل الطاعة . وذكر ابن جني في المحتسب في توجيه هذه الآية أن القراءة الواردة في ضاحكا (ضحكا) منصوب بنفس (تبسم) لأنه بمعنى (ضحك) المجرد.^{٣٦}

المطلب الرابع: المبني للمجهول

قال تعالى: {وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ} (البقرة: ٢٨٢)

قال السعدي: "النهي عن مضارة الكاتب بأن يدعى وقت اشتغال وحصول مشقة عليه، والنهي عن مضارة الشهيد أيضا بأن يدعى إلى تحمل الشهادة أو أدائها في مرض أو شغل يشق عليه، أو غير ذلك هذا على جعل قوله: { ولا يضار كاتب ولا شهيد } مبنيًا للمجهول، وأما على جعلها مبنيًا للفاعل ففيه نبي الشاهد والكاتب أن يضارا صاحب الحق بالامتناع أو طلب أجره شاقة ونحو ذلك"^{٣٧}

ورد في هذه الكلمة عدة قراءات بعضها على البناء للمعلوم وبعضها على البناء للمجهول كما أشار الشيخ إلى الوجهين البناء للمعلوم والبناء للمجهول، فالقراءات التي وردت في هذه الآية على النحو الآتي:

- ١- قرأ أبو جعفر وعمرو بن عبيد (ولا يُضَارُّ) بتشديد الراء ساكنة وصلًا، على البناء للمجهول .
- ٢- قرأ عكرمة (ولا يُضَارُّ) كاتِبًا ولا شهيدًا بالفك وكسر الراء الأولى و الفاعل ضمير صاحب الحق ونصب (كاتبًا) و(شاهدا) على المفعول به. على البناء للمعلوم.
- ٣- قرأ ابن محيصن (ولا يُضَارُّ) برفع الراء وهو نفي فيكون الخبر بمعنى النهي كقوله : (فلا رُفَّتْ ولا فسوق)، على البناء للمجهول .
- ٤- قرأ عكرمة في رواية مُقسَّم: ((ولا يَضَارُّ) بكسر الراء مشددة على أصل التقاء الساكنين. على البناء للمجهول^{٣٨}

والفعل المبني للمجهول يبني لعدة أغراض ومنها للعلم بالفاعل، و لعل حذف الفاعل للعلم به، (إبراهيم، عباس شمس الدين، قراءة عاصم الجحدري، ماجستير، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ٢٠٠٢م) وهو صاحب الحق، وقد أفاد الشيخ على معنى الآية على الوجهين بما فيه غنية .

قال أبوحيان في أرجوزة:

وحذفه للخوف والإيهام والوزن والتحقير والإعظام

والعلم والجهل والاختصار والسجع والوفاق والإيتار^{٣٩}

قال ابن الحاجب: "فعل ما لم يسم فاعله: هو ما حذف فاعله، فإن كان ماضيا ضم أوله وكسر ما قبل آخره، ويضم الثالث مع همزة الوصل، والثاني مع التاء خوف اللبس، ومعتل العين، الأفتح: قيل وبيع، دون استخيار وأقيم وإن كان مضارعا ضم أوله وفتح ما قبل آخره، ومعتل العين ينقلب فيه ألفا، قال الرضي: قولهم: فعل ما لم يسم فاعله، أي فعل المفعول الذي لم يسم فاعله، وإنما أضيف إلى المفعول، لأنه بني له"٤٠.

الفصل الثاني المسائل النحوية وتحتة خمسة مباحث

المبحث الأول: ما يتكون منه الكلام ، وتحتة ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : مراتب الإشارة.

قال تعالى: { ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ } (البقرة:٢)

وقال الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعديّ : " قوله { ذَلِكَ الْكِتَابُ } أي هذا الكتاب العظيم الذي هو الكتاب على الحقيقة، المشتمل على ما لم تشتمل عليه كتب المتقدمين والمتأخرين من العلم العظيم"٤١. أشار الإمام إلى أن ذلك وهو أداة إشارة للبعيد بمعنى الإشارة إلى القريب حيث قال : أي: هذا الكتاب العظيم، وهذا يبيّن لنا أن للإشارة مراتب ثلاثة وهي : القريب مثل: هذا ، و المتوسط، مثل: ذلك و البعيد. مثل: ذلك. وذكر الرضي أنه يجوز الاتيان بلفظ البعيد، مع أن المشار إليه شخص قريب، نظرا إلى عظمة المشير، أو المشار إليه، وذلك يجعل بعد المنزلة بينهما كبُعد المسافة. كقول السلطان لبعض الحاضرين: ((ذلك قال كذا)) وكقول بعضهم ((ذلك السلطان يتقدم بكذا)) ومنه قوله تعالى: { فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ } ويجوز أن يكون قوله تعالى { ذلك الكتاب } : من باب عظمة المشار إليه أو المشير.٤٢

المطلب الثاني: إفادة الإضافة معنى العموم .

قال تعالى : { بسم الله الرحمن الرحيم } (الفاتحة:١)

قال السعدي : " أبتدئ بكل اسم لله تعالى، لأن لفظ { اسم } مفرد مضاف، فيعم جميع الأسماء [الحسن]

"٤٣.

وقال الإمام عبد الرحمن السعدي في موضع آخر فيه إضافة الجمع إلى المفرد في قوله تعالى {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا} (الكهف: ٧١)

"ويحتمل أن يراد بها، جميع منازل الجنان، فيشمل هذا الثواب، جميع طبقات أهل الإيمان، من المقربين، والأبرار، والمقتصدین، كل بحسب حاله، وهذا أولى المعنيين لعمومه، ولذا ذكر الجنة بلفظ الجمع المضاف إلى الفردوس، ولأن الفردوس يطلق على البستان...."٤٤

قال ابن فارس في كتابه مقاييس اللغة: "الضاد و الياء و الفاء أصل واحد صحيح ، يدل على ميل الشيء إلى الشيء، يقال : أضفت الشيء إلى الشيء: أملتة"٤٥ وفي الاصطلاح: "إضافة اسم إلى اسم آخر توجب للثاني الجر دائماً"

والإضافة تنقسم قسمين: إضافة معنوية وإضافة لفظية، فالإضافة المعنوية هي التي يكتسب فيها الاسم الأول من الاسم الثاني التعريف إذا كان الاسم الثاني معرفة، أو يكتسب فيها الاسم الأول من الاسم الثاني التخصيص إذا كان الاسم الثاني نكرة. فإذا رجعنا إلى آية الفاتحة (باسم الله) فإن كلمة (اسم) النكرة اكتسبت التعريف من الاسم الثاني الذي هو لفظ الجلالة، وهذا من باب الإضافة المعنوية، وقد تفيد الإضافة العموم كما نص عليه الإمام عبد الرحمن بن ناصر السعدي، حيث ذكر العلماء بأن من صيغ العموم إفادة الاسم العموم من (أل) الاستغراقية أو من إضافة الاسم إلى معرفة كما في (اسم الله) فإن الإضافة تفيد العموم بالإضافة إلى إفادة التعريف.

ذهب جمهور الأصوليين إلى أن الاسم المفرد أو الجمع المضاف إلى معرفة فإن إضافتها تفيد العموم، وهذا الذي نميل إليه وهو الذي يوافق مذهب الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي كما سبق، وذهب بعضهم إلى عدم إفادة الاسم المضاف إلى المعرفة العموم، كما ذهب القرافي إلى التفصيل بين الاسم الذي يفيد الجنس فأجاز فيه إفادة الإضافة فيه إلى العموم و عدمه في غير اسم الجنس. (الزايدي، عواطف، صيغ العموم وأنواعه دراسة تطبيقية على آيات الأحكام في سورة النساء.

المطلب الثالث: الاستفهام بمعنى الإنكار.

قال تعالى: {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} (البقرة: ٢٨)

قال الإمام عبد الرحمن بن ناصر السعدي: " هذا استفهام بمعنى التعجب والتوبيخ والإنكار، أي: كيف يحصل منكم الكفر بالله؛ الذي خلقكم من العدم وأنعم عليكم بأصناف النعم ثم يميتكم عند استكمال آجالكم ويجازيكم في القبور ثم يحييكم بعد البعث والنشور ثم إليه ترجعون فيجازيكم الجزاء الأوفى، فإذا كنتم في تصرفه وتديبره وبره وتحت أوامره الدينية ومن بعد ذلك تحت دينه الجزائي أفيليق بكم أن تكفروا به وهل هذا إلا جهل عظيم وسفه وحماسة؟ بل الذي يليق بكم أن تؤمنوا به وتتقوه وتشكروه وتخافوا عذابه؛ وترجوا ثوابه"^{٤٦}. أشار الإمام هنا بأن الاستفهام الذي هو طلب الفهم، والذي يقصد به في الأصل أنه أسلوب يطلب به العلم بشيء مجهول، قد يخرج من أصله إلى أغراض أخرى، أشار إلى بعضها وهي: الاستفهام بمعنى التعجب، والاستفهام بمعنى التوبيخ، والاستفهام بمعنى الإنكار، وقد جمعت هذه الأنواع الثلاثة في هذه الآية،^{٤٧} وتتبع تفسير الشيخ تجد مجموعة كبيرة من الاستفهامات التي أشار إليها الشيخ في آيات كثيرة منها ما يأتي: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ} (البقرة: ٢١٤) وقال تعالى: {أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا} (البقرة: ١٠٢) وقال تعالى: {إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ} (آل عمران) وقال تعالى: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ} (فصلت: ٣٣) ومما قاله الإمام السعدي: "قول الله لهم على وجه الاستفهام والإنكار المتقرر بطلانه في العقول: {أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ} أي: لا يكون ذلك ولا يوالي ولي الله معاديا لله أبدا، فإن الأولياء موافقون لله في محبته ورضاه، وسخطه وبغضه، فيكون على هذا المعنى مشاهبا لقوله تعالى {وَيَوْمَ يَخْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهُولَاءُ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ} * قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ"^{٤٨} وهذا يؤكد لنا سعة أفق الشيخ العلامة في جميع أدوات المفسر حيث كان يشير إليها في أسلوب وجيز وكاف.

المبحث الثاني: المرفوعات وتحتها مطلبان :

المطلب الأول: ذكر المبتدأ

قال تعالى : {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتِطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} (البقرة: ١٤٧)

قال الإمام عبد الرحمن بن ناصر السعدي: " وقد رأيت لابن القيم هاهنا كلاما حسنا أحببت إيرادها لشدة الحاجة إليه قال فائدة: { ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا } "حج البيت" مبتدأ وخبره في أحد المجرورين قبله، والذي يقتضيه المعنى أن يكون في قوله: "على الناس" لأنه وجوب، والوجوب يقتضي "على" ويجوز أن يكون في قوله: "ولله" لأنه متضمن الوجوب والاستحقاق، ويرجح هذا التقدير أن الخبر محط الفائدة وموضعها، وتقديمه في هذا الباب في نية التأخير، فكان الأحسن أن يكون "ولله على الناس". ويرجح الوجه الأول بأن يقال قوله: "حج البيت على الناس" أكثر استعمالا في باب الوجوب من أن يقال: "حج البيت لله" أي: حق واجب لله، فتأمل. وعلى هذا ففي تقديم المجرور الأول وليس بخبر فائدتان: إحداها: أنه اسم للموجب للحج، فكان أحق بالتقديم من ذكر الوجوب، فتضمنت الآية ثلاثة أمور مرتبة بحسب الوقائع: أحدها: الموجب لهذا الفرض فبدأ بذكره، والثاني: مؤدي الواجب وهو المفترض عليه وهم الناس، والثالث: النسبة، والحق المتعلق به إيجابا وبهم وجوبا وأداء، وهو الحج.

والفائدة الثانية: أن الاسم المجرور من حيث كان اسما لله سبحانه، وجب الاهتمام بتقديمه تعظيما لحرمة هذا الواجب الذي أوجبه، وتخويفا من تضييعه، إذ ليس ما أوجبه الله سبحانه بمثابة ما يوجبه غيره.^{٤٩}

والمبتدأ في اللغة العربية هو الاسم المرفوع الخالي من العوامل اللفظية، مثل زيدٌ من قولك: زيدٌ قائم، وبما أن اللغة العربية تتميز بين سائر اللغات بالإيجاز، وهنا ذكر الإمام أن (حج البيت) مبتدأ ويحتمل الخبر أن يكون أحد المجرورين إما (على الناس) وإما (لله) إلا أن الإمام اختار أن يكون الخبر (على الناس) على أن يكون تقدير الكلام حج البيت على الناس للدلالة على وجوبه بينما إذا كان الخبر (لله) فإن الوجوب يكون متضمنا، ولا يخفى ما يتمتع به الإمام من تضلع في هذا العلم حيث ذكر الوجهين ووجه كل وجه لما

يترتب عليه من معنى. وذكر المبتدأ يقتضيه المقام لأغراض كثيرة منها التشويق بذكره أو التلذذ بذكره أو لشرفه، ولعل ذكر المبتدأ هنا لشرفه، وهذا جانب من جوانب علم البلاغة.^{٥٠}

المطلب الثاني: حذف المبتدأ

قال تعالى: { الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ } (البقرة: ١٤٧)

قال الإمام السعدي: " { الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ } أي: هذا الحق الذي هو أحق أن يسمى حقاً من كل شيء، لما اشتمل عليه من المطالب العالية، والأوامر الحسنة، وتركية النفوس وحثها على تحصيل مصالحها، ودفع مفسادها، لصدوره من ربك، الذي من جملة تربيته لك أن أنزل عليك هذا القرآن الذي فيه تربية العقول والنفوس، وجميع المصالح"^{٥١}

فقد ورد حذف المبتدأ في اللغة العربية في حال دلالة القرائن على حذفه سواء كانت القرائن حالية أو عقلية أو في غيرها من الأحوال التي ورد فيها حذف المبتدأ أو الخبر، ومن هذه الأحوال ما ورد في قوله تعالى: (الحق من ربك) فعبر الشيخ الإمام عن حذف المبتدأ بذكر التقدير حيث قال: أي: هذا الحق.

وقد ذكر السمين الحلبي الأوجه في توجيه قوله (الحق من ربك) وهي ثلاثة:

الوجه الأول: وهو الأظهر الثلاثة أن (الحق) مبتدأ وخبره هو الجار و المجرور بعده، و (أل) في الحق يحتمل أن تكون للعهد أو للجنس . الوجه الثاني: أن (الحق) خبر عن مبتدأ محذوف، وهو هو الحق من ربك، أو هذا الحق من ربك ، وهذا الذي ذهب إليه الإمام عبد الرحمن بن ناصر السعدي كما سبق و التقدير: هو الحق من ربك و الضمير يرجع إلى الحق المكتوم، أي: ما كتموه هو الحق. الوجه الثالث: أن (الحق) مبتدأ و الخبر محذوف تقديره: الحق من ربك يعرفونه و الجار والمجرور على هذين القولين في محل نصب على الحال من (الحق) ويجوز أن يكون خبراً بعد خبر في الوجه الثاني.

وقرأ علي بن أبي طالب هذه الآية بالنصب (الحق من ربك) وفيه ثلاثة أوجه، أحدها: أنه منصوب على البديل من الحق المكتوم، قاله الزمخشري الثاني: أن يكون منصوباً بإضمار «الزم» ويدل عليه الخطاب بعده [في] قوله: «فلا تكونن» الثالث: أنه يكون منصوباً ب «يَعْلَمُونَ» قبله.^{٥٢}

المبحث الثالث: المنصوبات: وتحته ستة مطالب:

المطلب الأول: حذف المفعول

قال تعالى: {فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ} (البقرة: ٢٣٩)

قال الإمام عبد الرحمن بن ناصر السعدي: "وقوله: {فَإِنْ خِفْتُمْ} حذف المتعلق، ليعم الخوف من العدو، والسبع، وفوات ما يتضرر العبد بفوته فصلوا، {رِجَالًا} ماشين على أرجلكم"^{٥٣}

الحذف في اللغة العربية يعدّ من الظواهر اللغوية التي تدل على سعة اللغة و قابليتها للإيجاز و الاختصار في التعبير مع أداء المعنى المراد من نقص، وحذف المتعلق الذي هو المفعول في هذه الآية، يفيد التعميم في الدلالة و إلحاق ما يمكن إلحاقه في التعبير الذي يؤدي إلى أداء المعنى على أحسن وجه ، فقد تكلم اللغويون و البلاغيون على مسألة حذف المتعلق أو المفعول، أو الفاعل أو المبتدأ و الخبر وهو سائغ في كلام العرب إذا دلّ عليه دليل، ولذا عرّف الحذف في الاصطلاح بأنه: "إسقاط وطرح جزء من الكلام أو الاستغناء عنه؛ لدليل دلّ عليه، أو للعلم به وكونه معروفاً.

ذكر الإمام أن حذف المتعلقات، من مفعولات وغيرها، يدل على تعميم المعنى، لأن هذا من أعظم فوائد الحذف، وأنه لا يجوز حذف ما لا يدل عليه السياق اللفظي، والقرينة الحالية، كما أن الأحكام المقيدة بشروط أو صفات تدل على أن تلك القيود، لا بد منها في ثبوت الحكم.^{٥٤}

وقد ذكر الإمام البيضاوي في تفسيره المتعلق المحذوف للتعميم فقال: "فإن خفتم من عدو أو غيره"^{٥٥}

المطلب الثاني: تقديم المفعول .

قال تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} (البقرة: ٥)

قال الإمام عبد الرحمن بن ناصر السعدي: "قوله {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} أي: نخصك وحدك بالعبادة والاستعانة، لأن تقديم المفعول يفيد الحصر، وهو إثبات الحكم للمذكور، ونفيه عما عداه. فكأنه يقول: نعبدك، ولا نعبد غيرك، ونستعين بك، ولا نستعين بغيرك"^{٥٦}

وقال تعالى: { وَتَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } (البقرة: ١٣٣) قال السعدي: " { وَتَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } أي: خاضعون لعظمته، منقادون لعبادته، بباطننا وظاهرنا، مخلصون له العبادة بدليل تقديم المفعول، وهو { لَهُ } على العامل وهو { مُسْلِمُونَ }^{٥٧}

المفعول إذا قَدِّم على العامل أفاد الحصر عند الزمخشري، ويرى أبوحيان بأن إفادة الحصر ليست بسبب تقديم المفعول حيث بين أنه لا يذهب إلى مذهبه في ذلك، وقال السمين الحلبي: " إياك مفعول مقدم على (نعبد) قَدِّم للاختصاص، وهو واجب الانفصال"^{٥٨}.

المطلب الثالث: نفي الجنس

قال تعالى: { لَا رَبِّبَ فِيهِ } (البقرة: ٢)

قال الإمام عبد الرحمن بن ناصر السعدي: " الحق المبين. ف { لَا رَبِّبَ فِيهِ } ولا شك بوجه من الوجوه، ونفي الرب عنه، يستلزم ضده، إذ ضد الرب والشك اليقين، فهذا الكتاب مشتمل على علم اليقين المزيل للشك والريب، وهذه قاعدة مفيدة، أن النفي المقصود به المدح، لا بد أن يكون متضمنا لضده، وهو الكمال، لأن النفي عدم، والعدم المحض، لا مدح فيه"^{٥٩}

(لا) النافية للجنس من الحروف التي تفيد استغراق الجنس، ذكر ابن عقيل في كتابه شرح ابن عقيل بأن (لا) النافية للجنس تفيد استغراق الجنس، حيث قال: " هذا هو القسم الثالث من الحروف الناسخة للابتداء، وهي " لا " التي لنفي الجنس، والمراد بها " لا " التي قصد بها التنصيص على استغراق النفي للجنس كله"^{٦٠}

وقال الرضي في شرح الكافية: "والحق أن نقول: أنه مبني لتضمنه لمعنى من الاستغراقية، وذلك لأن قولك: لا رجل، نص في نفي الجنس، بمنزلة: لا من رجل، بخلاف: لا رجل في الدار ولا امرأة، فإنه وإن كانت النكرة في سياق النفي تفيد العموم، لكن لا نصا بل هو الظاهر، كما أن: ما جاءني من رجل، نص في الاستغراق، بخلاف: ما جاءني رجل، إذ يجوز أن يقال: لا رجل في الدار، بل رجلان، وما جاءني من رجل بل رجلان للزوم التناقض، فلما أرادوا التنصيص على الاستفراق، ضمنوا النكرة معنى (من) فبنوها، وإنما بنيت على ما تنصب به، ليكون البناء على حركة استحقتها النكرة في الأصل قبل البناء"^{٦١}

قال السمين الحلبي: "و(لا) نافية للجنس محمولة في العمل على نقيضها(إنّ) واسمها معربٌ ومبنيّ، فيبنى إذا كان مفرداً نكرة على ما كان ينصب به، وسبب بنائه تضمنه معنى الحرف، وهو (من) الاستغراقية"^{٦٢}.

المطلب الرابع: التأكيد بأنّ واللام

قال الله تعالى: {وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} (البقرة: ١٤٩)

قال الشيخ الإمام عبد الرحمن بن ناصر السعدي: وقال: {وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ} أكده بـ "إن" واللام، لئلا يقع لأحد فيه أدنى شبهة، ولئلا يظن أنه على سبيل التشبيهي لا الامتثال"^{٦٣}

إنّ المشددة من الحروف الناسخة التي تعمل النصب في الاسم وتفيد التأكيد للمعنى، ويزيد تأكيد المعنى إذا أدخل على خبرها لام التأكيد كما في الآية السابقة، ويجب في حال إلحاق اللام على الخبر كسر همزة (إنّ) حيث ذكر سيبويه: "أقول أشهد إنه لذاهبٌ وإنه لمنطلق، أتبع آخره أوله. وإن قلت: أشهد أنه ذاهبٌ، وإنه لمنطلق، لم يجز إلا الكسر في الثاني، لأن اللام لا تدخل أبداً على أنّ، وأن محمولةً على ما قبلها ولا تكون إلا مبتدأً باللام"^{٦٤}

المطلب الخامس: الاستثناء بالآء.

قال تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ} (البقرة: ٨٣)

قال الإمام عبد الرحمن بن ناصر السعدي: "وقوله: {إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ} هذا استثناء، لئلا يوهم أنهم تولوا كلهم، فأخبر أن قليلاً منهم، عصمهم الله وثبتهم"^{٦٥}. والاستثناء هو: إخراج بعض من كلّ بـ (إلا) أو بكلمة فيها معنى (إلا)، لأن كل حرف من حروف الاستثناء يُقدَّر بالآء"^{٦٦}.

فمعنى الاستثناء في الآية السابقة واضح من توجيه الإمام حيث قال هذا استثناء لئلا يوهم أنهم تولوا كلهم، فأخبر أن قليلاً منهم حفظهم الله وثبتهم على الحق.

قال الله تعالى: {ذَلِكَ الَّذِي يُبَيِّنُ اللَّهُ عِبَادَةَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ} (الشورى: ٢٣)

قال الشيخ الإمام عبد الرحمن بن ناصر السعدي: "يحتمل أن المراد إلا مودة الله تعالى الصادقة، وهي التي يصبحها التقرب إلى الله، والتوسل بطاعته الدالة على صحتها وصدقها، ولهذا قال: {إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ} أي: في التقرب إلى الله، وعلى كلا القولين، فهذا الاستثناء دليل على أنه لا يسألهم عليه أجرا بالكلية، إلا أن يكون شيئا يعود نفعه إليهم، فهذا ليس من الأجر في شيء، بل هو من الأجر منه لهم صلى الله عليه وسلم، كقوله تعالى: {وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} وقولهم: "ما لفلان ذنب عندك، إلا أنه محسن إليك"^{٦٧}

المطلب السادس: الإغراء .

قال تعالى: {صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ} (البقرة: ١٣٨)

قال الإمام عبد الرحمن بن ناصر السعدي: "أي: الزموا صبغة الله، وهو دينه، وقوموا به قياما تاما، بجميع أعماله الظاهرة والباطنة، وجميع عقائده في جميع الأوقات، حتى يكون لكم صبغة، وصفة من صفاتكم، فإذا كان صفة من صفاتكم، أوجب ذلك لكم الانقياد لأوامره، طوعا واختيارا ومحبة، وصار الدين طبيعة لكم بمنزلة الصبغ التام للثوب الذي صار له صفة، فحصلت لكم السعادة الدنيوية والأخروية، لحث الدين على مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، ومعالي الأمور"^{٦٨}

وباب التحذير والإغراء يعبر عنه النحاة بطرق مختلفة، فمن يفرد كل باب منهما ومنهم من يجمعه في باب واحد، فابن عصفور أفردهما في باب الإغراء وكذلك الصنعاني في كتابه تهذيب الوسيط في النحو حيث قال: "أما ما الإغراء؟ فهو النهي، والإغراء. ومعنى ذلك أنك تقول: الليلَ الليلَ، واللصَّ اللصَّ، فتحذره من الخروج في الليل ومن اللص"^{٦٩}

وردت قراءتان في هذه الآية: القراءة الأولى قراءة الجمهور بالنصب وهي _ صِبْغَةَ اللَّهِ. والقراءة الثانية، وهي القراءة بالرفع، وهي قراءة ابن هرمز وابن أبي عبيدة.

وأما قراءة الجمهور بالنصب فقد ورد فيها أربعة أوجه في توجيهها على النحو الآتي:

١-النصب فيها على انتصاب المصدر المؤكد، وهذا اختيار الزمخشري وهو الوجه الذي ذكره سيبويه .
والنصب للمصدر على هذا الوجه يمكن أن يكون قوله: (قولوا آمناً) وقيل قوله: ونحن له مسلمون، وقيل
قوله: (فقد اهتدوا).وعليه قال الرضي في شرح الكافية: "جئ بالمصادر مضافة إلى الفاعل، لأنه حصل
الياس من إظهار فعلها كما تقدم، ففي مثل هذه المصادر ضابطان لوجوب أفعالها، الاضافة المذكورة،
وكونها تأكيداً لانفسها، ولا يمتنع في كل ما هو تأكيد لنفسه من المصادر أن يقال: الجملة المتقدمة عاملة
فيه، لنيابتها عن الأفعال الناصبة، وتأديتها عنها، كما قلنا في نحو: لزيد صوت: صوت حمار، فلا يكون
من المنصوب باللازم إضماره.المصدر المؤكد لغيره حذف عامله وجوبا قال ابن الحاجب: " ومنها ما وقع
مضمون جملة لها محتمل غيره، نحو: زيد قائم حقا، ويسمى توكيدا لغيره"^{٢٠}

٢- أن النصب على الإغراء، أي: الزموا صبغة الله، وقال الشيخ وهذا ينافره آخر الآية: وهو قوله (ونحن له
عابدون) إلا أن يقدّر هنا قول، وهو تقدير لا حاجة إليه ولا دليل من الكلام عليه. وهذا هو رأي الشيخ
الإمام عبد الرحمن بن ناصر السعدي، وهو اختياره من بين الأوجه الأربعة، وهو يدل على قوة الشيخ في
هذا الفن حيث إنه يختار ما يراه مناسباً لأداء المعنى حيث قال: الزموا صبغة الله .

٣- أن (صبغة) بدل من (ملة) وهذا ضعيف، إذ قد وقع الفصل بينهما بجمل كثيرة.

٤- أن (صبغة) منصوب بفعل مضمّر تقديره اتبعوا صبغة الله، ذكره أبوالبقاء مع وجه الإغراء وهو في
الحقيقة ليس زائدا فإن الإغراء كما سبق هو نصب بإضمار فعل إما جائزا أو واجبا.^{٢١}

المبحث الرابع : المجرورات وتحتة مطلب واحد :

دلالة (من) على التبعية . قال تعالى: { الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ }
(البقرة:٢)

قال الإمام عبد الرحمن بن ناصر السعدي : " ثم قال: { وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ } يدخل فيه النفقات
الواجبة كالزكاة، والنفقة على الزوجات والأقارب، والماليك ونحو ذلك. والنفقات المستحبة بجميع طرق
الخير. ولم يذكر المنفق عليهم، لكثرة أسبابه وتنوع أهله، ولأن النفقة من حيث هي، قرينة إلى الله، وأتى بـ

"من" الدالة على التبعية، لينبههم أنه لم يرد منهم إلا جزءا يسيرا من أموالهم، غير ضار لهم ولا مثقل، بل ينتفعون هم بإنفاقه، وينتفع به إخوانهم^{٧٣}.

حروف الجر في النحو العربي مجموعة من الحروف التي تعمل الجر فيما تدخل عليها من الأسماء، ولها معان كثيرة، فكل حرف من حروف الجر له معنى أو أكثر، فمن له من المعاني ما يأتي:

١- ابتداء الغاية في المكان مطلقا مثل قوله تعالى: (سبحان الذي أسرى بعبده من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى) .

٢- التبعية مثل قوله تعالى: (منهم من كلم الله) و الآية التي معنا هنا (ومما رزقناهم ينفقون) .

٣- بيان الجنس مثل قوله تعالى: (فاجتنبوا الرجس من الأوثان) .

٤- الرابع التعليل مثل قوله تعالى: (يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق) . وغيرها من المعاني فقد أوصلها النحويون إلى عشرة، مما يدل على سعة اللغة العربية^{٧٣}. وقد وردت عند الإمام الإشارة إلى حرف (من) بمعنى التبعية في مواضع كثيرة منها ما يأتي:

١- "الثانية: أن { من } تفيد التبعية ليعلم بذلك أن القصر لبعض الصلوات المفروضات لا جميعها، فإن الفجر والمغرب لا يقصران وإنما الذي يقصر الصلاة الرباعية من أربع إلى ركعتين"^{٧٤}.

٢- "وأما البصر فقال: { يَعْضُبُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ } أتى بأداة " من " الدالة على التبعية، فإنه يجوز النظر في بعض الأحوال لحاجة، كنظر الشاهد والعامل والخاطب، ونحو ذلك. ثم ذكرهم بعلمه بأعمالهم، ليجتهدوا في حفظ أنفسهم من المحرمات"^{٧٥}.

المبحث الخامس: العطف وتحتة مطلبان .

المطلب الأول: دلالة (أو) بمعنى للتخيير أو التردد .

قال تعالى: { ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فَيُخْرِجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ } (البقرة: ٧٤)

قال الإمام عبد الرحمن بن ناصر السعدي: " وقوله: { أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً } أي: إنها لا تقصر عن قساوة الأحجار، وليست "أو" بمعنى "بل"^{٧٦}

ذكر المرادي في كتابه معاني (أو) في اللغة العربية وهي ثمان على النحو الآتي:

الأول: الشك. نحو: قام زيد أو عمرو. الثاني: الإيهام. نحو " وإنا أو إياكم لعلى هدى ". الثالث: التخيير. نحو: خذ ديناراً أو ثوباً. الرابع: الإباحة. نحو: جالس الحسن أو ابن سيرين. الخامس: التقسيم. نحو: الكلمة اسم أو فعل أو حرف. السادس: الإضراب. كقوله تعالى " وأرسلناه إلى مئة ألف أو يزيدون ". قال الفراء: أو هنا بمعنى بل. قال ابن عصفور: والإضراب ذكره سيبويه في النفي، والنهي، إذا أعدت العامل. كقولك: لست بشراً أو لست عمرأ، ولا تضرب زيداً أو لا تضرب عمرأ. قال: وزعم بعض النحويين أنها تكون للإضراب، على الإطلاق. واستدلوا بقوله تعالى " وأرسلناه إلى مئة ألف أو يزيدون " ، وبقوله " فبي كالحجارة أو أشد قسوة ". قال: وما ذهبوا إليه فاسد. وقال ابن مالك: أجاز الكوفيون موافقتها بل في الإضراب، ووافقهم أبو علي وابن برهان. قلت: وابن جني، قال في قراءة أبي السمال " أو كلما عاهدوا عهداً " : أو هنا بمعنى بل. السابع: معنى الواو. كقول الشاعر: جاء الخلافة، أو كانت له قدرأ أراد: وكانت. فأوقع أو مكان الواو، لأمن اللبس. وإلى أن أو تأتي بمعنى الواو، ذهب الأخفش والجري، واستدلوا بقوله تعالى " أو يزيدون ". وهو مذهب جماعة من الكوفيين. الثامن: معنى ولا. ذكر بعض النحويين أن (أو) تأتي بمعنى (ولا). وأنشد:

ولا وجد ثكلى كما وجدت، ولا ... وجد عجول، أضلها ربع

أو وجد شيخ، أضل ناقته ... يوم توافى الحجيج، فاندفعوا

أراد: ولا وجد شيخ.^{٧٧}

ذكر الشيخ أن (أو) ليست بمعنى الإضراب، وهو موافق لما ذهب إليه سيبويه بأن دلالة أو على معنى الإضراب يتعلق بسياق النفي أو النهي، لذلك ذكر ابن عصفور بأن القول بأنّ (أو) بمعنى (بل) كما ذهب إليه الفراء ليس بشيء، وهذا هو الموافق لرأي الشيخ. ومعنى الآية: أنها في القسوة مثل الحجارة أو أزيد عليها أو أنها مثلها أو مثل ما هو أشد منها قسوة كالحديد، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه.^{٧٨}

المطلب الثاني: عطف العام على الخاص

قال تعالى: {الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنْ اعتدى عَلَيْكُمْ فاعْتدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ} (البقرة: ١٩٤)

قال الإمام عبد الرحمن بن ناصر السعدي: "يحتمل أن يكون المعنى: إنكم إن قاتلتموهم في الشهر الحرام فقد قاتلوكم فيه، وهم المعتدون، فليس عليكم في ذلك حرج، وعلى هذا فيكون قوله: {وَالْحُرْمَاتُ قِصَاصٌ} من باب عطف العام على الخاص، أي: كل شيء يحترم من شهر حرام، أو بلد حرام، أو إحرام، أو ما هو أعم من ذلك، جميع ما أمر الشرع باحترامه، فمن تجرأ عليها فإنه يقتص منه، فمن قاتل في الشهر الحرام، قوتل، ومن هتك البلد الحرام، أخذ منه الحد، ولم يكن له حرمة، ومن قتل مكافئاً له قتل به، ومن جرحه أو قطع عضواً منه، اقتص منه، ومن أخذ مال غيره المحترم، أخذ منه بدله، ولكن هل لصاحب الحق أن يأخذ من ماله بقدر حقه أم لا؟ خلاف بين العلماء، الراجح من ذلك، أنه إن كان سبب الحق ظاهراً كالضيف، إذا لم يقره غيره، والزوجة، والقريب إذا امتنع من تجب عليه النفقة [من الإنفاق عليه] فإنه يجوز أخذه من ماله"^{٧٩}.

ذكر الإمام عطف العام على الخاص في عدة مواضع من تفسيره، وذكر ابن هشام في مغني اللبيب أمثلة وشواهد على عطف العام على الخاص، أو عطف الخاص على العام، ومن ذلك قوله: "عطف العام على الخاص وبالعكس، فالأول نحو (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ)، والثاني نحو (وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوْحٍ) الآية. ويشاركها في هذا الحكم الأخير حتى كمات الناس حتى الأنبياء، وقدم الحاجُّ حتى المشاة، فإنها عاطفة خاصاً على عام"^{٨٠}.

الخاتمة .

إنَّ الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي عالم كبير في جميع الفنون العلمية كالعقيدة والفقه واللغة، ويظهر تضلعه في اللغة ما ورد في تفسيره تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، حيث إنه حتوى الكتاب على فن النحو والصرف والبلاغة، إلى جانب المسائل العقدية والفقهية وغيرها من فنون العلم التي في هذا الكتاب، وقد حاولت ذكر شيء من المسائل التصريفية والنحوية من خلال كتابه في التفسير المشهور. وفي ختام هذا البحث يظهر لي ما يأتي: ١- أن تراث الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي يحتاج إلى مزيد من الدراسات لكشف النقاب عما للشيخ من التضلع في الفنون العلمية. ٢- التأكيد على أن الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي بحر لا ساحل له في علوم اللغة العربية حيث إنه ينتقي رأيه في المسائل الصرفية والنحوية من بين آراء النحويين ويحتج له كذلك. ٣- أن يشجع الطلاب في الدراسات

العليا في مرحلتي الماجستير والدكتوراه بدراسة تراث الشيخ ونشره للعالم. ٤- أن كتابه تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المثنان يستحق أن يكون كتابا مقرا في المراحل الثانوية أو الجامعية.

الهوامش والمراجع

- ١ (البقرة: ١٨٩)
- ٢ (السعدي عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م ص: ٨٨)
- ٣ (زكريا، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، بيروت، لبنان، ٢٠٠١م، ص: ١٠١٦)
- ٤ (سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ٦٠١/٣)
- ٥ (السعدي المرجع السابق ص: ٨٨)
- ٦ (الجلبي، أحمد بن يوسف، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، دار القلم دمشق، ١٩٨٦م ٣٠٣/٢)
- ٧ (النساء: ٥)
- ٨ (السعدي المرجع السابق ص: ١٦٤)
- ٩ (سيبويه المرجع السابق: ٦٠١/٣)
- ١٠ (المرسّي، علي بن إسماعيل بن سيده، المخصص، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٦م، ٢٧٢/١)
- ١١ (سيبويه المرجع السابق ٦٠١/٣)
- ١٢ (عبد العال، عبد المنعم سيد، الشامل لجموع التصحيح و التفسير في اللغة العربية، الفجالة، ١٩٨١م، ٣٨/١)
- ١٣ (الغاشية: ١٢)
- ١٤ (السعدي المرجع السابق ص: ٩٢١)
- ١٥ (عبد العال المرجع السابق: ٣٢/١)
- ١٦ (البقرة: ١٣٨)
- ١٧ (السعدي المرجع السابق ص: ٥٠)
- ١٨ (الخوارزمي، القاسم بن الحسين، ترشيح العلل في شرح الحمل، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، ١٩٩٨م، ص: ٢٢١)
- ١٩ (الطنطاوي، محمد، تصريف الأسماء، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٠٨م، ص: ٨٤)
- ٢٠ (عبد السادة، رغد علي، اسم الفاعل دراسة دلالية، رسالة ماجستير، جامعة القادسية، العراق، ٢٠١٨م، ص: ٥)
- ٢١ (البقرة: ٢٩)
- ٢٢ (السعدي المرجع السابق ص: ٤٨)
- ٢٣ (الصنعاني، محمد بن علي، كتاب التهذيب الوسيط في النحو، تحقيق الدكتور فخر صالح سليمان قدارة، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١م، ص: ٤٢)
- ٢٤ (حامد، أحمد حسن، التضمن في العربية بحث في البلاغة و النحو، الأردن، ٢٠٠١م، ٤١-٥٣)
- ٢٥ (زكريا، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، بيروت، لبنان، ٢٠٠١م، ص: ٤٧٤)

- ٢٦ (الدمشقي، علي بن علي، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي وشعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٨م ٧١/١)
- ٢٧ (البقرة:٤٦)
- ٢٨ (السعدي المرجع السابق: ص:٤٨)
- ٢٩ (الحلي، أحمد بن يوسف، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، دار القلم دمشق، ١٩٨٦م 332/1)
- ٣٠ (العقيلي، بهاء الدين بن عبد الله، شرح ابن عقيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١/٤٢٢)
- ٣١ (المصدر السابق، ١/٤٢٢)
- ٣٢ البقرة: ١٥٨
- ٣٣ (العقيلي، بهاء الدين بن عبد الله، شرح ابن عقيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١/٤٢٢)
- ٣٤ (العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين، إملأ ما منَّ به الرحمن من وجوه الإعراب و القراءات في جميع القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٩م ص:٧٠)
- ٣٥ (عضيمة، محمد عبد الخالق، المغني في تصريف الأفعال، مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٠٨هـ)
- ٣٦ (ابن جني، أبو الفتح عثمان، المحتسب في تعيين وجوه شواذ القراءات و الإيضاح عنها، دار الكتب، بيروت، ١٩٩٨م ١٨٣/٢)
- ٣٧ (السعدي المرجع ص:١١٨).
- ٣٨ (الحلي، أحمد بن يوسف، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، دار القلم دمشق، ١٩٨٦م ٦٧٦/٢، و المجاشعي سعيد بن مسعدة، معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٥م، ١/٣٩١)
- ٣٩ (الأندلسي، أبوحيان، ارتشاف الضرب من لسان العرب، مكتبة الخانجي القاهرة، ١٩٩٨م ١/٠)
- ٤٠ (الاستراباذي رضي الدين محمد بن الحسن، شرح كافية ابن الحاجب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م ١٣٢/٤، والعيبي، محمد بن أحمد، شرح المراح في التصريف، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص:١١٦)
- ٤١ (السعدي المرجع السابق ص:٤٠)
- ٤٢ (الاستراباذي رضي الدين محمد بن الحسن، شرح كافية ابن الحاجب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م ٨١/٣)
- ٤٣ (السعدي المرجع السابق ص:٤٠)
- ٤٤ (السعدي المرجع السابق ص:٤٠)
- ٤٥ (زكريا، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، بيروت لبنان، ٢٠٠١م، ص:٥٨٢)
- ٤٦ (السعدي المرجع السابق ص:٤٨)
- ٤٧ (يوسف، عبد الكريم محمود، أسلوب القرآن الكريم، عرضه وإعرابه، الشام، ٢٠٠٠م، ص:١٧)
- ٤٨ (السعدي المرجع السابق ص:٩٥١)
- ٤٩ (السعدي المرجع ص:١٣٨)
- ٥٠ (السكاكي، يوسف بن أبي بكر، مفتاح العلوم، موقع الوراق ١/٧٨)
- ٥١ (السعدي المرجع السابق: ص:٧٢)

- ٥٢ (الحلي، المرجع السابق ١٧٠/٢)
- ٥٣ (السعدي المرجع السابق ص: 487)
- ٥٤ (السعدي المرجع السابق ص: ٩٤٢)
- ٥٥ (الحنفي، محمد بن مصلح الدين، حاشية معي الدين شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م، ٥٨٩/٢).
- ٥٦ (السعدي المرجع السابق ص: ٣٩)
- ٥٧ (السعدي المرجع السابق ص: ٦٧)
- ٥٨ (الحلي المرجع السابق ٥٥/١)
- ٥٩ (السعدي المرجع السابق ص: ٤٠)
- ٦٠ (العقيلي، المرجع السابق، ٣٩٣/١)
- ٦١ (الاسترابادي، المرجع السابق، ١٨٦/٢)
- ٦٢ (الحلي المرجع السابق ٨٢/١)
- ٦٣ (السعدي المرجع السابق ص: ٧٣)
- ٦٤ (سيبويه، المرجع السابق، ١٣٤/٣)
- ٦٥ (السعدي المرجع السابق ص: ٥٧)
- ٦٦ (الصنعاني، ص: ٢٠٠)
- ٦٧ (السعدي المرجع السابق ص: ٧٥٧)
- ٦٨ (السعدي المرجع السابق ص: ٥٨)
- ٦٩ (الصنعاني المرجع السابق، ص: 234)
- ٧٠ (الاسترابادي المرجع السابق ٢٨٨/١)
- ٧١ (الحلي المرجع السابق 142/١ الحنفي، محمد بن مصلح، حاشية معي الدين شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م ٣٣٥/٢)
- ٧٢ (السعدي المرجع السابق ص: ٤٠)
- ٧٣ (المرادي، ابن أم قاسم، الجني الداني في حروف المعاني، ص: ٥٢)
- ٧٤ (السعدي المرجع السابق ص: 197)
- ٧٥ (السعدي المرجع السابق ص: 566)
- ٧٦ (السعدي المرجع السابق ص: ٥٥)
- ٧٧ (المرادي، المرجع السابق ص: ٥٢ و الحلي المرجع السابق ١٦٧/١)
- ٧٨ (الحنفي، المرجع السابق ١١٢/٢)
- ٧٩ (السعدي ص: ٨٩)
- ٨٠ (الأنصاري، ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٢م ١)

صور من الإبدال في همزية الشيخ محمد النظيفي دراسة تحليلية

إعداد:

عثمان إدريس موسى

معهد فاطمة لامي أبي بكر لدراسات الشريعة والشؤون الإدارية، منا، ولاية نيجار، نيجيريا

ملخص البحث

هذا البحث يتناول دراسة صور من الإبدال في قصيدة "الهمزية" الهبة الإلهية للشيخ محمد النظيفي، وأن الباحث عرف الإبدال، وعرض نبذة عن الشاعر وقصيدته، وحلل بعض الكلمات التي وقعت فيها الإبدال، ومما درسه الباحث في هذا البحث مايتعلق بجانب من ظواهر الإبدال من إبدال حروف العلة همزة، وإبدال حروف العلة بعضها من بعض.

ABSTRACT

This research deals with the study of phenomena of (AL IBDAL) the substitution in poetic veins in the Hamziyya (ALHIBATUL ILAHIYYA) of Sheikh Muhammad Nazifi. And the researcher also defines the substitution of alphabets with a shot biography of the author and his poem. This analyzed some of the words in which the substitution (AL IBDAL) occurred. The researcher examine some of the related aspect of AL IBDAL where Huruful-illa are substituted with hamzat and interchange some Huruful-illa with each other.

المقدمة

الحمد لله مصرف القلوب والأبصار، الذي تنزهت أفعاله وأقواله عن النقص والإبدال، والصلاة والسلام على أفصح العرب سيد كل ناطق بالضاد، القائل: "أنا سيد ولد آدم ولا فخر¹ وآله وصحبه أجمعين. وبعد:

إن هذا البحث يشتمل على دراسة صور الإبدال في بعض أبيات المحترات في قصيدة الهزبية "الهبة الإلهية" للشيخ مجدم النظيفي دراسة تحليلية، وسيحاول الباحث في إخراج كل كلمة فيها قضية الإبدال، ثم يحللها تحليلًا صرفيًا مستعينًا بالمصادر والمراجع الصرفية. ويحتوي البحث على النقاط التالية:

- نبذة عن الشاعر وهمزيته "الهبة الإلهية".
- تعريف الإبدال لغة واصطلاحًا.
- ظواهر الإبدال عند اللغويين.
- الإبدال عند علماء التجويد.
- الإبدال عند الصرفيين.
- صور من الإبدال في قصيدة الهزبية "الهبة الإلهية"
- الخاتمة.

نبذة عن الشاعر والقصيدة.

هو الشيخ الإمام عبد الواحد محمد النظيفي بن المرحوم الشيخ العالم محمد الأول الشهير (بمالم قَرَمِي) ابن العالم الحضري الشيخ الحاج أبي بكر ابن الصوفي موسى المعروف بصاحب الرسالة الكشني أصلاً، الكنوي مولداً المالكي مذهباً، الأشعري عقيدة، التجاني طريقة.²

ينتمي إلى قبيلة هوسا حيث إن الشيخ موسى ذلك الصوفي الذي عرف "بِحَيِّ رِسَالَةٍ"³ هو الكشناوي أصلاً، هاجر من كشنا إلى مدينة كانو، حين قام الشيخ عثمان بن محمد بن فودي بحملاته التجديدية في بلاد هوسا ومكث في كانو حتى توفرت له أسرة عظيمة.

- أبيات القصيدة.

أبيات هذه القصيدة تبلغ عددها ألف بيت حيث سماها الشاعر بألفية النظيفية، المسماة بالهبة الإلهية، والغرض منها مدح النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم، إذ كان يسرد جل قصائده في المديح.

- قافيتها: قافية القصيدة

قافية هذه القصيدة هي الهمزة، أي أن الروي التي بنيت عليه هذه القصيدة هي الهمزة، والروي: هو اسم للحرف الذي بنيت عليه القصيدة⁴. ويقول الشاعر عن هذه الهمزية، بأنها تحاكي همزية للإمام البوصيري في المديح، إلا أن هذه الهمزية جمع ما حوته همزية البوصيري وزيادة ما لم يعرض بها البوصيري في همزيته، من المعلومات التي لم يأتي فيما يمس بسيرة النبي المصطفى، وذكر أسماء الذين شهدوا غزوة بدر مع الرسول صلى الله عليه وسلم.

تعريف الإبدال لغة واصطلاحاً:

الإبدال معناه اللغوي والاصطلاحي: الإبدال بكسر الهمزة مصدر أُبْدِلَ، وأُبْدِلَ مزيد الثلاثي بالهمزة إذ أصله من بَدَلْ يَبْدُلُ بَدْلًا على وزن فَعَلَ يَفْعَلُ فَعْلًا ولما زيد عليه الهمزة صار أُبْدِلَ يُبْدِلُ إِبْدَالًا. وأُبْدِلَ الشيء من الشيء، بمعنى غيَّره بغيره، وبَدَّلَهُ: اتخذ منه بَدْلًا، وأبدلت كذا إذا أقمته مقامه، واستبدل الشيء بغيره وتبدله به إذا أخذ مكانه، والمبادلة: التبادل. والأصل في الإبدال جعل شيء مكان شيء آخر.⁵

وأما معنى الإبدال الإصطلاحي.

فهو جعل حرف مكان حرف آخر مطلقاً، فخرج بقيد المكان العوض، فإنه قد يكون في غير مكان المعوض عنه كثناء عدة، وهي عوض عن فاء الكلمة، فالعوض أعم من الإبدال.

وخرج بقيد إطلاق القلب، فإنه مختص بحروف العلة، فهو أخص مطلقاً من الإبدال والعوض، فكل قلب إبدال، والعكس غير صحيح⁶.

ظواهر الإبدال عند اللغويين.

الإبدال عند علماء التجويد المجودين:

عرف علماء التجويد الإبدال بأنه. "جعل حرف مكان حرف آخر مع مراعاة الغنة."⁷

وسمي علماء التجويد الإبدال بـ "الإقلاب". أي قلب النون الساكنة والتنوين ميماً، ثم إخفاء هذه الميم فيما بعدها مع بقاء الغنة، ويكون ذلك عند حرف واحد هو "الباء"⁸.

فالإبدال عند علماء الصرف بمثابة الإقلاب عند علماء التجويد، فإن علماء التجويد يبدلون حرف موضع حرف آخر، ولهذا القلب حرف واحد وهو "الباء" حيث يبدلون النون الساكنة والتنوين الواقعتين بعد الباء ميما، ويكون ذلك في كلمة وكلمتين،⁹ قال ابن الجمزوري في التحفة:

والثالث الإقلاب عند الباء ميما بغنة مع الإخفاء¹⁰

والشرط في ذلك أن يتابع النون الساكنة أو التنوين باء، فإذا وقعت النون الساكنة أو التنوين حرف غير الباء فليس بإبدال عند علماء التجويد. ومن أمثله في كلمة أو في كلمتين للنون الساكنة والتنوين:

"أَنْبِيَهُمْ" فإذا قلبت نطقت بها هكذا = كَأَمْبِيَهُمْ

"مَنْ بَخَلَ" فإذا قلبت تنطق بها هكذا = مَمَّ بَخَلَ

"أَنْبَأَكَ" فإذا قلبت تنطق بها هكذا = أَمْبَأَكَ

"سَمِيعٌ بَصِيرٌ" فإذا قلبت تنطق بها هكذا = سَمِيعٌ بَصِيرٌ¹¹

فإذا نظرنا إلى جميع هذه الأمثلة نجد أن قاعدة التي قررها علماء التجويد في القلب ثابتة حيث جاء حرف "الباء" بعد النون الساكنة أو التنوين مباشرة.

الإبدال عند الصرفيين:

لعل أجمع التعريفات وأشملها ذلك الذي أورده الصبان في حاشيته على الأشموني حيث عرف الإبدال في الاصطلاح بأنه "جعل حرف مكان حرف آخر مطلقاً" ومقتضاه أنه يجري في جميع الحروف، ويشمل الإبدال الشائع وغير الشائع، وما كان للإدغام أو لغيره.¹²

الإبدال عند الصوتيين:

وأما الإبدال اللغوي المسمى بالاشتقاق الأكبر فهو "أن يكون بين الكلمتين تناسب في المعنى، واتفاق في الأحرف الثابتة، وتناسب في مخرج الأحرف المغيرة، مثل: نَهَقَ وَنَعَقَ، وَعُنُوَانٌ وَعُلُوَانٌ".¹³

فمن الملاحظة تفريقا بين الإشتقاق الكبير عند العلماء الصوتيين والإشتقاق الأكبر، وأن الأول قائم على القلب، في حين أن الثاني قائم على الإبدال عند علماء الصرف.¹⁴

صور من الإبدال في قصيدة "الهبية الإلهية"

إبدال الواو والياء والألف همزة.

قال الشاعر:

أَصَلِّي عَلَى الْمُصْطَفَى وَأَسَلِّمُ *** صَلَاتِي يَدُومُ بِدُونِ انْتِهَاءِ
وَأَلٍ وَصَحْبٍ وَأَزْوَاجٍ طُرًّا *** وَأَتَّبَاعِهِمْ بَلْ لِيَوْمِ الْإِلْقَاءِ¹⁵

ورد في البيتين كلمات "انتهاء، وآل، واللقاء، حيث وقعت الإبدال في كل منها.

فكلمة "انتهاء" من مادة "ن هي" يقال: نَهَى يَنْهَى تَنْهَاهُ وَنَهَايَةٌ وَانْتِهَاءٌ، على وزن فَعَلَ يَفْعَلُ تَفَاعَلُ وَفِعَالَةٌ وَافْتِعَالٌ. وانتهى الشيء: أي بلغ نهايته، وانتهى العاصي: كف عن العصيان.¹⁶ ومنه قوله تعالى في التنزيل: {قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ} سورة الأنفال: 38 أي إن يكفوا عن العصيان.

وَإِنْتِهَاءٌ عَلَى وَزْنِ إِفْتِعَالٍ ، وَالْأَصْلُ انْتِهَائِي، فقلبت الياء همزة لوقوعها متطرفة بعد ألف زائد في الوزن فصار انْتِهَاءٌ.

وكلمة الآل: لا يستعمل إلا ما أسند إلى المعرفة وفيه شرف غالبا، يقال آل فلان، ولا يقال آل رجل، ولا آل زمان كذا، ولا آل موضع كذا ولكنه يجوز أن يسند إلى نكرة إن لم يقع فيه إبدال الهاء همزة مثل: أهل بلد كذا بمعنى موضع كذا، وأصل آل: أهل: وأهل الرجل عشيرته، وذو قرياه، وجمعه أهلون.¹⁷ فأبدلت الهاء همزة، فصارت: أَلُّ فتوالت همزتان فأبدلت الثانية ألفا فصارت: آل. إذا اجتمع في كلمة همزتان وجب التخفيف، والذي يبدل منهما هو الثانية، لأن الثقل حصل بها.¹⁸

واللقاء، من لَقِيَ يَلْقَى لِقَاءً وَالتَّقَاءُ عَلَى وَزْنِ فَعَلَ يَفْعَلُ فِعَالٌ وَافْتِعَالٌ وَأَصْلُهُ مِنْ مَادَّةِ "ل ق ي" فزيد فيه حرف مد لبناء مصدر منه فصارت: لِقَائِي، فوقعت الياء متطرفة بعد الف زائدة فقلبت همزة فصارت: لِقَاءً. ومعنى اللقاء: الملاقى في الخير والشر وفي الشر أكثره، يوم التلاقي: القيامة.¹⁹

ويعني الشاعر في البيتين: بأنه يصلي ويسلم على النبي المصطفى وصلاته تدوم باستمرار بدون بلوغ نهاية، وتشمل صلته على آله وصحابه وأزواجه وأتباعه جميعاً إلى يوم اللقاء وهو يوم القيامة.

أتى الشاعر بهذه الكلمات في نظم أبيات القصيدة لسهولة نطقها على القارئ عامة وقارئ القصيدة خاصة، لأن إبدال حرف بحرف في الكلمات يؤدي إلى الخفة ويزيل الثقل على اللسان. وقال الشاعر أيضاً:

وَبَعْدَ اسْتِخَارَةِ رُمْتُ نِظَامًا *** نَظِيْفًا مُفِيدًا لِأَهْلِ الدَّكَاءِ
 أَيَا قَلْبِي حَيِّ حَيِّ حَقًّا *** فَهَمَّ مَا دِحُونٌ لَدَيْهِمْ هِنَاءِ
 كَحَسَانِ كَعْبٍ وَعَوْتُ الْبَرَايَا *** فَبَرَهَامَ كَوَلِّخِ أَهْلُ الصَّفَاءِ
 وَبُوصَيْرٍ يُوسُفُ خَيْرُ حَدِيدٍ *** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الْكُرَمَاءِ²⁰

ورد في الأبيات السابقة كلمات: الدَّكَاءُ وَهِنَاءُ، وَالصَّفَاءُ وَالْكُرَمَاءُ، حيث وقع الإبدال في كل منها.

كلمة "الدَّكَاءُ" من مادة "ذك ي" ذَكَى يَذْكِي ذَكَاءً على وزن فَعَلَ يَفْعَلُ فَعَالٌ وهو من الثلاثي ثم زيد فيه ألف لبناء مصدر منه فصار ذكاي، فتطرفت الياء بعد ألف زائدة فقلبت همزة لتطرفها بعد ألف فصارت ذَكَاءً. تقول: ذكي فلان فهو ذكيٌّ، وجمعه أذكياءٌ.

هِنَاءُ: من مادة "ه ن ي" هَنَى يَهْنِي هِنَاءً على وزن فَعَلَ يَفْعَلُ فَعَالٌ زيد فيها ألف لبناء مصدر منه فصارت: هِنَايٌ، فتطرفت الياء بعد ألف زائدة فقلبت همزة فصارت هِنَاءُ. والهِنَاءُ الموهبة.

الصَّفَاءُ: من مادة "ص ف و" صَفَى يَصْفُو صَفَاءً على وزن فَعَلَ يَفْعَلُ فَعَالٌ، وزيد فيه ألف لبناء مصدر منه فصار: صَفَاؤٌ. فتطرفت الواو بعد ألف زائدة فقلبت همزة لتطرفها بعد ألف، فصارت: صَفَاءٌ. وَصَفَاءٌ: ما خلص من الكدر يقال: صفا الماء ونحوه: أي راق وصفا الجو واليوم لم يكن فيه غيم، وصفا اليوم، خلا من الكدر فهو صاف وصفوان.²¹ وفي التنزيل قوله تعالى: ".... {وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى} [محمد :15] أي خلص من الكدر²² .

الكرماء: من مادة "ك ر م" كَرُمَ يَكْرُمُ كَرَمًا عَلَى وزن فَعَلَ يَفْعُلُ وَفَعْلًا، وَأصل كرماء في الجمع كرماءو بتطرف الواو بعد ألف زائدة فقلبت الواو همزة لتطرفها بعد ألف زائدة فصارت: كَرَمَاءٌ. وَكَرَمَاءٌ : ضد لؤم²³.

اختار الشاعر الكلمات التي أبدلت في كل منها من الألف والواو والياء همزة لسهولة نطق الهمزة على اللسان من حروف العلة، لأن أحرف العلة الثلاثة في موضع الهمزة يسبب الثقل، ويضعف القارئ، وينقطع عزمه، لذلك اختار الشاعر إبدال الهمزة بدلا من حروف العلة.

وقال الشاعر أيضا:

وَقَدْ عَرَّ شَوْقِي وَشَدَّ غَرَامِي * فَدَائِي يَزِيدُ بِدُونِ دَوَاءِ
دَوَائِي لِدَا الدَّاءِ حَقًّا حَرَامًا * تَرَكْتُ الدَّوَاءَ أُحِبُّ لِدَاءِ²⁴

ورد الإبدال في البيتين السابقتين وهي كلمة "دَائِي وَدَوَائِي" وأصل "داء" من دَوِيَ يَدْوِي عَلَى وزن فَعَلَ يَفْعُلُ ثم بني منه اسم الفاعل فصار: داوي على وزن فاعل، ثم حذف الياء لتطرفها بعد الواو المتحركة فصار: داؤ، ثم أبدلت الواو همزة لتطرفها بعد ألف زائدة فصارت "داء" وكذلك كلمة "دَوَاءٌ" أصله من "د و ي" كذلك من دَوِيَ يَدْوِي دَوَائًا عَلَى وزن فَعَلَ يَفْعُلُ فِعَالًا، فتطرفت الياء بعد ألف زائدة في المصدر فأبدلت همزة فصارت "دواء". الدواء: مَا دَاوَيْتَ بِهِ، و-بالقصر: المرض²⁵.

وأصل كلمة دَوِيَ فعل معتل لفيف المقرون، يقال دَوِيَ دُوِيٌّ دُوِيٌّ بِالضَّم والكسر أي قشر الحنظلة والعنبة والبطيخة، والدُّوَايَةُ، بضمه الدال كالثمامة،²⁶ يكسر ويقال: الدُّوَايَةُ وهو ما يعلو الهريسة²⁷ واللبن ونحوه إذا ضربتها كغرقى البيض، وداويته أي عالجه وعانيته، وأدويته أي أَمْرَضَتْهُ.²⁸

يقول الشاعر بأنه في غاية المرض ويحب الدواء ولكن الدواء حرام عليه لأن المرض هو شدة حبه وشرفه وشغفه وغرامه لرسول صلى الله عليه وسلم، ودوائه لهذا المرض هو إزالة هذا الداء وإزالة هذا عنه حرام، لذلك فإن دوائه حرام عليه فترك الدواء الذي يشفيه من دائه حبا لدائه.

وقال الشاعر أيضا:

مُحَمَّدٌ مَصْدَرٌ نُورُ الْإِلَهِ * * وَلَا قَلَمٌ كَاتِبٌ لَا سَمَاءِ

اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً [غافر: 64]

وَلَا لَوْحٌ مَحْفُوظٌ إِذْ ذَاكَ حَقًّا * * مَلَائِكَةُ اللَّهِ فِي عَدَمَاءِ²⁹

ورد كلمة "سَمَاءٌ وَمَلَائِكَةٌ" في البيتين .

كلمة "سَمَاءٌ" من مادة "س م و" من سَمَا يَسْمُو سَمَاءً عَلَى وزن فَعَلَ يَفْعُلُ فَعَالٌ، وَسَمَاءٌ أَصْلُهُ سَمَاوُ بِتَطْرَفِ الْوَاوِ، فَقَلِبْتَ الْوَاوِ هَمْزَةً لِتَطْرَفِهَا بَعْدَ الْفِ زَائِدَةً لِبِنَاءِ مَصْدَرِ مِنْهُ فَصَارَ: سَمَاءٌ.³⁰ وفي التنزيل العزيز: {اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً} [غافر: 64] والسماء: ما يقابل الأرض، وكل شيء أعلاه، وكل ما علاك فأظلك³¹

وكلمة "مَلَائِكَةٌ" جمع ملك، وهم جنود الله قال تعالى حكاية عنهم {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [التحريم: 6]

وَمَلَائِكَةٌ عَلَى وزن فَعَائِلٌ، وثالث أحرفها مد زائدة وهي الياء، والكلمة من مادة "م ل ك" فزيد فيه حرف مد عند إرادة جمعه على صيغة فعائل فلما جمع على هذه الصيغة صار على نحو: مَلَكٌ مَلَائِكٌ، فتبدل حرف المد فيها همزة لوقوعها بعد ألف فَعَائِلٌ فصارت "مَلَائِكٌ وَمَلَائِكَةٌ".

استعمل الشاعر هذه الكلمات في البيتين لإدراك سهولة نطقها على اللسان فاستعملها تسهيلا للنطق بها، لو لا استعمال إبدال حرف بآخر في مثل هذه الكلمات لصعب قرائتها على اللسان، ولصار على نحو: سَمَاوُ، مَلَائِكَةٌ، فاختر الشاعر إبدال الهمزة بدلا من حروف العلة.

إبدال الهمزة واوا أو ياء أو ألفا في الديوان.

هذه الدراسة بعكس ما مضى، فهي عبارة عن تحليل الكلمات المقلوّبة الواردة في القصيدة التي فيها إبدال الهمزة من حروف العلة.

ومنه قول الشاعر:

كَخَسَّانٍ كَعْبٍ وَغَوْتُ الْبَرَائِيَا * فَبَرَهَامَ كَوَلِّخِ أَهْلُ الصَّفَاءِ³²

الْبَرَائِيَا: جمع بَرَيْتُهُ، من بَرَأَ يَبْرَأُ بَرَاءً وَبُرُوءًا على وزن فَعَلَ يَفْعَلُ فَعْلًا وَفَعُولًا فهو ميعدي، من باب قطع، وبرأ الله الخلق - براء وبروء: أي خلقهم فهو باري³³ والبرية "الخلق"². قلبت الهمزة ياء في البرايا، لأن الهمزة وقعت في الجمع الذي على وزن فعائل، الذي يسمى جمع الأقصى، وهي لام للكلمة، إذ أصل البرايا: بَرَائِي بيائين، الأولى ياء المد الزائدة في المفرد، والثانية ياء مبدلة من الهمزة، وهي لام للكلمة، فقلبت الياء الأولى همزة لوقوعها بعد ألف الجمع الأقصى، فصارت: بَرَائِي بكسر الهمزة، ثم أبدلت كسرة الهمزة فتحة تحفيضا فصار: بَرَائِي بفتح الهمزة، ثم قلبت الياء الثانية ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها - فصار: بَرَاءًا بألفين بينهما همزة، والهمزة تشبه الألف، فاجتمع شبه ثلاث ألفات فأبدلت الهمزة ياء تحفيضا، فصار: بَرَائِيَا، بعد خمسة أعمال³⁴: وهي: بَرَائِي - بَرَائِي بكسر الهمزة - بَرَائِي بفتح الهمزة - بَرَاءًا - وبَرَائِيَا.

وقال الشاعر أيضا:

فَكَرَّرَ جِرِيْلَ لِبَاهِ تَلَاتَا * فَجِرِيْلَ يُعْطِي النَّبِيَّ بِعِطَاءِ³⁵

النبي: مشتق من نَبَأٌ يَنْبَأُ نَبَأً³⁶ على فَعَلَ يَفْعَلُ فَعْلًا، وأنبأ، أي أخبر، والنبأ الخبر، والنبي صفة المشبهة باسم الفاعل وهو المخبر عن الله عز وجل، ولما صيغ منه صفة المشبهة باسم الفاعل صار نبيء، ثم أبدل الهمزة ياء في نبيئ فيصير نَبِيئِي وتدغم الياء في الياء فيقال: النبي³⁷ وهو فَعِيْلٌ بمعنى فاعل، قلبت الهمزة ياء لوقوعها بعد كسرة، والأصل نبيء، والهمزة في النبيء لغة رديئة، لقلتها استعمالها وقد قيل: يانبئ الله بالهمزة، فقال عليه السلام: لست بنبيء الله، ولكني نبي الله بالياء، وذلك أنه عليه السلام أنكر الهمزة في اسمه فردده على قائله، لأنه لم يدر بما سماه.

وقال الشاعر أيضاً:

فَلِلَّهِ عِزَّةٌ بَلَّ لِلرَّسُولِ * وَبَعْدُ فَلِلْمُؤْمِنِينَ صَفَاءٌ³⁸

كلمة "مؤمنين" جمع مؤمنين: اسم فاعل من غير الثلاثي وهو آمن وأصل آمن مزيد بالهمزة، فقلبت الهمزة الثانية من جنس حركة الهمزة الأولى، وهي الألف فصار: آمن يؤمن إيمانياً، على وزن فَعَلَ يُفْعِلُ إفعالاً، ثم بني منه اسم الفاعل بإبدال حرف المضارع ميما فصار: مؤمن، وآمن: له ثلاثة معان: إن تعدى بالياء، فهو بمعنى التصديق، نحو {فَأْمِنُوا بِاللَّهِ} [آل عمران: 179] أي صدقوه، قال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} [الحجرات: 15] أي صدقوا بالله ورسوله. وإن تعدى باللام، فهو بمعنى الطاعة، قال تعالى: {فَأْمَنَ لَهُ لُوطٌ} [العنكبوت: 26] أي أطاعه، وإن تعدى بدون حرف، فهو بمعنى الأمن قال تعالى: {وَأَمَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ} [قريش: 4] الأمن ضد الخوف.³⁹ قلبت الهمزة واوا في مؤمن لوقوع الهمزة ساكنة، وهي فاء الكلمة، نحو: يؤمنون- المؤمنون- مأمون- يأمون- فأتوا- وأمر.⁴⁰

إبدال الواو ياء. ومنه قول الشاعر:

وَجَبْرِيْلُ جَاءَ فَجِئِنِ إِلَيْهِ * بِنِيَّةِ إِهْلَاكِ أَهْلِ الْجَفَاءِ
مُحَمَّدٌ نِعْمَةٌ رَبِّ الْأَنْبِيَاءِ * هَدِيَّتُهُ سَيِّدُ الْفَضْلَاءِ⁴¹

في البيتين كلمة "نِيَّةٌ" و"هَدِيَّةٌ" و"سَيِّدٌ" وفي كل منها إبدال حرف بآخر.

أشار ابن مالك في مثل هذه الكلمات في قوله:

إن يسكن السابق من واو ويا ** واتصلا ومن عروض عريا
فياء الواو اقلبن مدغما ** وشذ معطي غير ما قد رسما⁴²

أنه إذا اجتمعت الواو والياء في كلمة، وسبقت إحداهما بالسكون، وكان سكونها أصلياً، أبدلت الواو ياء، وأدغمت الياء في الياء.⁴³

كلمة "نِيَّةٌ" من نَوَى يَنْوِي نِيَّةً على وزن فَعَلَ يَفْعُلُ فِعْلَةً، والأصل نَوِيَّةٌ، فاجتمعت الواو والياء فيها، وسكنت السابقة منهما وهي الواو، فقلبت ياء، فصارت نِيَّةً وأدغمت الياء في الياء الثانية. وكان اجتماعهما في كلمة واحدة، فصارت: "نِيَّةٌ". والنية بمعنى القصد، وتوجه النفس نحو العمل⁴⁴.

كلمة "هَدِيَّةٌ" من مادة "ه د ي" هَدَى يَهْدِي هَدِيَّةً على وزن فَعَلَ يَفْعُلُ فَعِيْلَةً، أصلها "هَدَوِيَّةٌ" باجتماع الواو والياء، اجتمعت الواو والياء فيها، وكانت أولى منهما ساكنة وهي الواو فقلبت ياء، فصارت: هَدِيَّةٌ، وأدغمت الياء في الياء الثانية، وكان اجتماعهما في كلمة واحدة، فصارت: هَدِيَّةٌ.

أما كلمة "سَيِّدٌ" مقلوبة أصلها من "س و د" فهي من سَادَ يَسُوْدُ سِيَادَةً على وزن فَعَلَ يَفْعُلُ فِعَالَةً، وسَيِّدُوْدَةٌ، وجمع سَيِّدٌ سَادَةٌ، والكلمة مشتملة على واو، لكنك إذا نظرت إلى كلمة السيد لا تجد هذه الواو، مع أنها من مادة الكلمة، فلا بد أن يكون السيد أصله "سَيُّوْدٌ" على وزن فَيْعِلُ،⁴⁵ وتكون أصل هذه الكلمة قد اجتمع فيها الياء والواو، والأولى منهما ساكنة، فقلبت الواو ياء، وأدغمت الياء في الياء، وإنما قلبت الواو دون الياء، لأن القصد هو تخفيف الكلمة، والياء المشددة أخف في النطق من الواو المشددة فصارت "سَيِّدٌ"⁴⁶.

اختار الشاعر هذه الكلمات التي اجتمعت فيها الواو والياء وأبدلت الأولى منهما مثل الآخر لسببهما ساكنة والثانيهما متحرك وأدغمت في الثانية تسهيلا بهما، إذ استعمال الأصل منها يؤدي إلى وقوع في الخطأ، ويحدث الثقل، فاختر الأسهل منها في: "نِيَّةٌ وَهَدِيَّةٌ وَسَيِّدٌ" دون الأصل منها: نَوِيَّةٌ وَهَدَوِيَّةٌ وَسَيُّوْدٌ".

الخاتمة

إن الباحث حاول في هذه الدراسة الصرفية في موضوع الإبدال في قصيدة "الهيئة الإلهية" لشيخ محمد النظيفي، حيث أتى بنبذة عن الشاعر وهمزته، وعرف الإبدال بتعريفه اللغوي والإصطلاحي، وتحدث عن ظواهر الإبدال عند اللغويين المحدثين بأرائهم المختلفة في الموضوع، ثم ودرس بعض الكلمات التي وقعت فيها الإبدال في الأبيات الشعرية في المدح، وأخيرا:، خاتمة البحث، والهوامش، والمراجع.

ويمكن تلخيص ما وصل إليه الباحث من النتائج فيما يلي:

- إبراز القدرة الشاعر في استخدام الكلمات العربية وخاصة في الإبدال، وتطبيق كل القوائد اللغوية مع أنه مستعرب.
- أن معرفة الإبدال مما يصون طالب اللغة العربية ودارسها من الوقوع في الخطأ، والدارسين عن عدم وقوعهم في الخطأ اللغوي عند نطق بالكلمات العربية الفصحى وصياغتها.
- أن معرفة الإبدال تزود الدارسين على معرفة الكلمات العربية التي هي وسيلة إلى فهم كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

الهوامش والمراجع

- ¹ أبويعلى، أحمد بن علي بن المثنى: مسنده، الطبعة الأولى، دار المأمون للتراث-دمشق-سوريا، 1984م. ج / 4 / ص 213.
- ² عبد الواحد محمد النظيفي، ترجمتي، ص. 1
- ³ مي رسالة، لقب لشيخ موسى الكثناوي، وهو عالم مشهور، لذلك لقب بى رسالة.
- ⁴ عبد الله موسى دتسو الشيخ، التوضيح في مبادئ علي العروض والقافية. ص: 126
- ⁵ ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم المصري الإفريقي، لسان العرب الطبعة الجديدة بدار المعارف المصرية، ج 11 ص: 48
- ⁶ خالد بن عبد الله زين الدين الأزهري، التصريح بمضمون التصريح للأزهري، المطبعة الأزهرية، 1344هـ، ج 5. ص 361
- ⁷ محمد عمر محمد، المنهج الجديد في علم التجويد لمعرفة قراءة القرآن بالتجويد، 1409/1989هـ مكتبة البحوث النيجيريا، مدينة كنو. ص: 14
- ⁸ نفس المرجع والصفحة، ص: 14
- ⁹ نفس المرجع والصفحة، ص: 14
- ¹⁰ نفس المرجع والصفحة، ص: 14.
- ¹¹ أبي عاصم عبد العزيز عبد الفتاح الدكتور، التجويد الميسر، ط/الأولى، 1422هـ/2002م مكتبة الأياب 93 شارع فغي كنو - نيجيريا. ص. 43
- ¹² محمد بن علي الصبان، حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، الطبعة الثانية 2008م دار الكتب العلمية - بيروت لبنان. ج 4/ص 461

- ¹³ سعيد الأفغاني، الموجز في قواعد اللغة العربية وشواهدا. ط/ الثالثة، 1401هـ - 1981م دار الفكر. ص 131
- ¹⁴ محمد أسعد النادري الدكتور، فقه اللغة مناهله ومسائله، شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان 2009م/1430هـ، ص. 271
- ¹⁵ عبد الواحد محمد النظيفي، الهبة الإلهية، ص:1.
- ¹⁶ إبراهيم أنيس ورفقاه، المعجم الوسيط، ط/ الثانية، سنة 1392 هـ - 1972م القاهرة. ص: 1000
- ¹⁷ محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الفيروز آبادي، القاموس المحيط، الطبعة الأولى، 1430هـ 2009م شركة القدس. ص: 767
- ¹⁸ محمد عبد العزيز النجار، التوضيح والتكميل لشرح ابن عقيل، ص: 556.
- ¹⁹ المنجد في اللغة الأعلام، ص: 731.
- ²⁰ عبد الواحد محمد النظيفي، الهبة الإلهية، ص: 2.
- ²¹ نفس المرجع السابق، ص: 1335
- ²² إبراهيم أنيس، المعجم الوسيط، ص: 542.
- ²³ نفس المرجع، ص: 819.
- ²⁴ عبد الواحد محمد النظيفي، الهبة الإلهية، ص: 4.
- ²⁵ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص: 1335.
- ²⁶ ثمامة، الثمامة واحدة، وهو نبت ضعيف لا يطول.
- ²⁷ الهريسة: المدقوق عنيفا، والهريسة طعام يعمل من الحب المدقوق واللحم.
- ²⁸ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص: 1335
- ²⁹ عبد الواحد، المرجع السابق، ص: 6.
- ³⁰ عبد الله محمد الأسطى، الطريف في علم التصريف دراسة صرفية تطبيقية، 1400 هـ - 1990م طرابلس. ص: 133
- ط ابن سينا طرابلس 1401هـ
- ³¹ إبراهيم أنيس ورفقاه، المعجم الوسيط، ج 478 ط2/ القامة سنة 1972م.
- ³² عبد الواحد، المرجع السابق، ص: 1.
- ³³ نفس المرجع، ص: 66.
- ¹⁹ أحمد محمد هريري وأبو بكر علي عبد العليم، معجم مصادر الأفعال الثلاثية في اللغة العربية، بلا تاريخ، مكتبة ابن سينا القاهرة. ص: 27.

- ³⁴ جمال الدين عبد الله بن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ص: 405.
- ³⁵ المرجع السابق، ص: 12.
- ³⁶ نفس المرجع السابق، ص: 243.
- ³⁷ إبراهيم أنيس، المعجم الوسيط، ص: 935.
- ³⁸ نفس المرجع، ص: 18.
- ³⁹ ابن منظور، ج 13، ص: 21-23.
- ⁴⁰ محمد خليل الخصيري، رواية ورش عن الإمام نافع المدني، ص: 7.
- ⁴¹ عبد الواحد محمد النظيفي، المرجع السابق، ص: 23.
- ⁴² جلال الدين بن مالك، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ص: 591.
- ⁴³ محمد عبد العزيز النجار، التوضيح والتكميل، لشرح ابن عقيل، ص: 570.
- ⁴⁴ إبراهيم أنيس، المعجم الوسيط، ص: 1007.
- ⁴⁵ ابن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ج 4/ص: 417،
- ⁴⁶ المرجع السابق، ص: 571.

تعدد الآراء في اشتقاق الأسماء الجامدة من خلال

(كتاب معاني القرآن وإعرابه للزجاج)

إعداد:

د. خالد صالح محمد العزاني

كلية الآداب، جامعة عدن، عدن، اليمن¹

الملخص:

تتناول هذه الدراسة تعدد الآراء وتنوعها في اشتقاق الأسماء الجامدة من خلال كتاب معاني القرآن وإعرابه للزجاج (311هـ)؛ فقد عني الزجاج بإيراد الآراء ومناقشتها عند ذكره الأسماء التي أطلق عليها حكم الجمود. وجمعت الكلمات محط الدراسة من كتاب معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ووُؤزنتُ بأقوال علماء كتب معاني القرآن الآخرين ممن ذكر الكلمة وقال فيها رأيه. وتظهر أهمية هذا البحث في إبراز اهتمام الزجاج بهذه الظاهرة من خلال استخراج الأسماء الجامدة في كتابه (معاني القرآن وإعرابه)؛ فضلاً عن تحقيق الفائدة من خلال معرفة دلالة تلك الأسماء عند اللغويين والمفسرين وعلماء المعاني. ولم تزعم الدراسة أنها أحصت كل الكلمات في القرآن الكريم، وإنما ذكرت الكلمات التي أوردها الزجاج في كتابه، واتخذت المنهج الوصفي مسلكاً لذلك.

كلمات مفتاحية: (تعدد، آراء، أسماء، جامدة، اشتقاق، زجاج).

¹ Alazzani71@hotmail.com phone number: 00967777181196 / 00967733580896

Abstract:

This study deals with the multiplicity of opinions and their diversity in deriving rigid nouns through the Book of the Meanings of the Qur'an and its syntax of Zaggag (311 AH); Zaggag meant referring to opinions and discussing them when mentioning the nouns that were called the rule of inertia. The words studied were collected from the Book meanings of the Qur'an and its syntax of Zaggag, and balanced by the words of other scholars, who wrote the meanings of the Qur'an, who mentioned the word and said its opinion. The importance of this research is demonstrated in highlighting the interest of Zaggag in this phenomenon by extracting rigid nouns in his book (The Meanings of the Qur'an and its syntax); As well as achieving benefit by knowing the significance of those nouns for linguists, commentators, and scholars of meanings. The study did not claim that it counted all the words in the Holy Quran, but rather mentioned the words mentioned by the Zaggag in his book, and it took the descriptive approach as a path.

Key words: (plurality, opinions, nouns, rigid, derivation, Zaggag).

مقدمة:

الحمدُ لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه، وأفضل رسله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أمَّا بعدُ:

فإن الجمود والاشتقاق في الأسماء أخذ حيزاً في فضاء الدرس الصرفي، ورفد الدرس الدلالي بكم وفير من المفردات والمعاني، وفتق أذهان علماء العربية لمعرفة كُنْه البُنى اللغوية في تعدد تصريفاتها وتنوع دلالاتها في السياقات المتعددة. ووقف علماء كتب معاني القرآن ومجازه، وعلماء التفسير وبيانه، وعلماء النحو وصرفه؛ إزاء بعض البُنى اللغوية موقف الحيران في تصنيفها من حيث الجمود أو الاشتقاق، والبحث عن قرائن في أصلها لتحديد انتمائها.

ولما كان علماء كتب معاني القرآن معنيون بتوضيح المعاني في المفردات التي وردت في سياق الذكر الحكيم، واجهتهم كلمات جعلت رحاب النقاش مفتوحاً للوصول إلى تصنيف هذه الكلمات، ولا سيما أن

تلك الكلمات كانت مصنفة على أنها جامدة، وبعد تأملات وإعادة النظر في الحكم الأول اتضح إلى بعضهم أنها مشتقة، والبعض الآخر ذهب إلى عجمتها، في حين اكتفى قوم آخرون بالحكم الأول. وقد اعتنى الزجاج في كتابه معاني القرآن وإعرابه بهذا النوع من التفتيش والميل إلى التصنيف؛ لأن له ارتباطاً في توضيح المعنى الوارد في سياقات القرآن الكريم؛ لذا تتبعت الكلمات التي ذكرت بالجمود وما دار فيها من أقوال وخلاف في هذا الصدد، والتزمت المنهج الوصفي في عرض هذه الدراسة.

توطئة:

الاسم الجامد في اللغة: مأخوذاً من جذر الكلمة (ج م د)، فالجيم والميم والذال أصل واحد، وهو جُمُودُ النَّبِيِّ المَائِعِ بَرْدٍ أو غيره. يُقَالُ: جَمَدَ المَاءُ يَجْمُدُ¹.

أمّا في الاصطلاح، فقد ذكره الكفوي مستطرذاً، فقال: "هو الذي لا ينمو كالحجر. والنامي: ما يزيد كالشجر، ويدخل فيه الهائم والهوام كالبرغوث والقمل ونحوهما. والاسم الجامد عند الأشعري وغيره هو المسعى، فلا يفهم من اسم الله مثلاً سواه"².

فالاسم الجامد ما لم يؤخذ من غيره؛ ليدلّ على ذاتٍ وحدثٍ بينهما ارتباط³، وقد وضع على صورته الحالية منذ البدء وليس له أصل يرجع إليه، وهو نوعان: اسم ذات واسم معنى.

ويُعدُّ اشتقاق الأسماء الجامدة من أصعب الاشتقاقات وأدقها، ويكون في أسماء الأجناس؛ لأنّها أسماءٌ أوّلٌ أُوقِعَت على مسمياتها، من غير أن تكون منقولة من شيء، فإن وجد منها ما يمكن اشتقاقه حمل على أنّه مشتق، إلّا أنّ ذلك قليلٌ فيها جدّاً، بل الأكثر فيها أن تكون غير مشتقة، نحو تراب وحجر وماء، وغير ذلك من أسماء الأجناس، وممّا يمكن أن يكون مشتقاً منها غراب، فإنه يمكن أن يكون مأخوذاً من الاغتراب؛ فإن العرب تتشاءم به، وتزعم أنه دال على الفراق⁴.

الدراسة:

وفي كتاب معاني القرآن وإعرابه للزجاج أوضح كثيراً من الأسماء الجامدة وبين رأيه فيها، وأورد أقوالاً تقول باشتقاقها، وأقوالاً تقول بعجميتها، ومن هذه الأسماء:

1- آدم:

ذكر الزجاج أن (آدم) في قوله عز وجل: [وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ]⁵، في موضع جرٍ إلا أنه لا يُنصرف؛ "لأنه على وزن أفعل: يقول أهل اللغة إن اشتقاقه من أديم الأرض؛ لأنه خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ. وكذلك الأدمة إنما هي مشبهة بلون التراب. فإذا قلت مررتُ بآدم وآدمٍ آخر، فإن النحويين يختلفون في (أفعل) الذي يسمى به وأصله الصفة. فالخليل وسيبويه ومن قال بقولهما يرون أنه يُنصرف في النكرة؛ لأنك إذا نكرته رددته إلى حال قد كان فيها يُنصرف، وقال أبو الحسن الأخفش: إذا سَمَّيْتَ به رجلاً، فقد أخرجته من باب الصفة، فيجب إذا نكرته أن تصرفه فتقول: مررت بآدمٍ وآدمٍ آخر"⁶.

وفي لفظ (آدم) اختلف العلماء هل هو عربي مشتق أم اسم جامد أعجمي لا اشتقاق له؟ فظهرت في لفظ (آدم) ستة آراء⁷، منهم من يرى أن وزنه (فَاعِل) واشتقاقه من أديم الأرض⁸، وأديمها هو وجهها الظاهر⁹، وهو رأي الخليل¹⁰. ووافقه من أصحاب اللغة الأزهري¹¹. واختار هذا الرأي من المفسرين الطبري، والثعلبي، والقرطبي¹².

ويرى آخرون أنه على وزن (أفعل) مُشتق من الأُدْمَة، وهي السمرة¹³، وفسرها قوم بالبياض¹⁴، وهذا رأي ثعلب¹⁵، ووافقه الزجاج، وابن دريد، والعكبري، والرازي، وابن منظور¹⁶. واختاره من المفسرين ابن عطية¹⁷، وخالفه في ذلك ابن عاشور؛ إذ ذهب إلى قول مغاير، فقال: "ولعلَّ اشتقاقَ لون الأُدْمَة من اسم آدم أقرب من العكس"¹⁸.

وذهب الزمخشري إلى أن آدَمَ اسم أعجمي، ووزنه فاعل كآزر، وشالح، ممنوع من الصرف للعلمية والعُجْمَة¹⁹، ووافقه بعض من المفسرين، منهم: البيضاوي، وأبو حيان، والسمين الحلي، والألوسي، وابن عاشور²⁰. واستشهدوا على ذلك بأن جمعه على (أوادم) بالواو، لا (آدم) بالهمزة، وكذا تصغيره على (أؤيدم) لا (أؤيدم)²¹.

وأشار الثعلبي إلى أن بعضهم يرى أنه عبريٌّ من الإِدَام، وهو التراب؛ فقال: "منهم من قال: إنما سَمِّيَ آدم؛ لأنه خلق من التراب، والتراب بلسان العبرانية آدم"²².

وذكر القرطبي أنّ الأدمة البيضاء، وأنّ آدم عليه السلام كان أبيض مأخوذ من قولهم: نَاقَةٌ أَدْمَاءٌ، إذا كانت بيضاء.²³

وأكدّ السمين الحلبي أنّه في الأصل فعلٌ رباعيٌّ مثل: أكرم، وسمي به لغرض إظهار الشيء حتى تعرف جهته.²⁴

2- إنجيل:

تعدّ هذه اللفظة من الألفاظ التي تفرّد الرّجّاج بالحديث عنها من دون أصحاب كتب معاني القرآن: فقال: " في قوله عزّ وجلّ: [وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلِ هُدَى لِلنَّاسِ]²⁵، إنجيل: إفعال من النجل وهو الأصل: هكذا يقول جميع أهل اللغة في إنجيل"²⁶.

وقد تباينت آراء أهل العربية في لفظ (إنجيل)، بين العربية المشتقة وبين العلم الأعجمي، فكان هناك رأيان، الأول: يرى أنّ (إنجيل) اسم عربي مشتق، وفي اشتقاقه أقوال، فالخليل²⁷ والرّجّاج²⁸ يذهبان إلى أنّ (إنجيل) إفعال مشتق من النّجل، وهو الماء الذي ينزل إلى الأرض ويخرج منها، ومنه: النجل للولد. ويطلق على الوالد والولد وهو من الأضداد. وسمي الإنجيل به: لأنّ الله تعالى أخرج به دارساً من الحق عافياً²⁹.

قال الأعشى: [من المنسرح]

أَنْجَبَ أَيَّامٌ وَالِدِيهِ بِهِ إِذْ نَجَلَهُ فَنِعْمَ مَا نَجَلَا³⁰

وهناك قولٌ آخر للخليل يرى فيه أنّه من النّجل وهو التوسعة، ومنه: العين النجلاء لسعتها، وسمي الإنجيل بذلك؛ لأنّ فيه توسعة لم تكن في التوراة؛ إذ حلل فيه أشياء كانت محرمة³¹. ووافق ابن كيسان، والشعبي، والبعوي³²، وآخرون³³.

وذكر النّحاس أنّه من نَجَلْتُ الشيء؛ أي: أخرجته، فإنجيل خرج به دارس من الحق، ومنه قيل لواحد الرجل: نَجَلُهُ، فهو إمّا مستخرج من اللوح المحفوظ، وإمّا من التوراة³⁴. وهذا المعنى أكثر توسعاً في توضيح اشتقاق إنجيل ومعانيه، وتابعه في ذلك ابن جني³⁵، وابن فارس³⁶.

وقال بعض المتأخرين أنه مشتق من التناجل، وهو التنازع، يقال: تناجل الناس؛ أي: تنازعوا، وسي الإنجيل بذلك؛ لاختلاف الناس فيه³⁷.

أمَّا الرأي الثاني فكان للثعلبي؛ إذ يرى أنَّ (إنجيل) اسمٌ أعجميٌّ³⁸ عرَّب، فقيل: إن (إنجيل) تعريب (أيكليون)، أو (أنقليون) بالسريانية، ومعناه الإكليل³⁹، وتابعه الزمخشري⁴⁰، وابن عطية⁴¹، وأبو حيان⁴²، والسمين الحلبي⁴³، والألوسي⁴⁴، وابن عاشور⁴⁵.

واستدل أصحاب هذا الرأي بأنَّ: الحسن قرأ (الإنجيل)، بفتح الهمزة، وهو دليل على العجمة؛ لأنَّ أفعال بفتح الهمزة عديم في أوزان العرب⁴⁶، بخلاف (إفعليل) بكسرهما فإنه موجود، نحو: إجفيل وإخريط وإصليت⁴⁷.

3- التَّوْرَاة:

تحدَّث الزَّجَّاج عن لفظ (التَّوْرَاة) في قوله عزَّ وجلَّ: [وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ]⁴⁸، فقال: "اختلف النحويون في (توراة)، فقال الكوفيون توراة يصلح أن يكون (تفعلة) من ورئت بك زنادي، فالأصل عندهم تورية إلا أن الياء قلبت ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها. (وتفعلة) لا تكاد تُوجد في الكلام، إنما قالوا في (تتفلة) (تتفلة). وقال بعضهم: يصلح أن يكون (تفعلة) مثل توصية، ولكن قلبت من تفعلة إلى تفعلة. وكأنه يجيز في توصية توصاة، وهذا رديء ولم يثبت في توفية توفاة، ولا في توفية توفاه.

وقال البصريون: أصلها فوعلة، وفوعلة كثير في الكلام مثل الحوقلة، ودوخله وما أشبه ذلك. وكل ما قلت فيه فوعلت فمصدره فوعلة، فأصلها عندهم (وورية)، ولكن الواو الأولى قلبت تاء كما في (تولج)، وإنما هو فوعل من ولجت، وكما قلبت في تراث. الياء الأخيرة، قلبت أيضاً لتحركها وانفتاح ما قبلها بإجماع"⁴⁹.

وعلى ما ذكره الزَّجَّاج في (التوراة)، كان للعلماء فيها مذهبان، فمنهم من قال: إنها علمٌ عربيٌّ مشتقٌّ، إلا أنَّ في اشتقاقه أقوالاً، فأهل البصرة يرون أنَّ (التوراة) مشتقةٌ من (وري الزند) أو (وريت في كلامي) من التورية، وهي التعريض إذا قدح في كلام؛ لأنَّ فيها رموزاً كثيرة وتلويحات جليلة، وأصلها (وورية) على وزن

(فَوَعَلَةٌ)، وفوعلة كثير في الكلام مثل الحوقلة، وَدَوَّخَلَةٌ وما أشبه ذلك. وكل ما قلت فيه (فَوَعَلْتُ)، فمصدَّرُهُ (فَوَعَلَةٌ)، والواو الأولى فيها قلبت تاء كما في (تَوَلَّجَ)، وإنما هو فَوَعَلَ من ولجت، وكما قلبت في تراث اليباء الأخيرة، قلبت أيضًا لتحركها وانفتاح ما قبلها بإجماع⁵⁰.

ومهم من يرى أنَّ (التوراة) مشتقة من قولهم: (وَزِي الزند) إذا قدح فظهر منه نار. يقال «وُزِيَ الزند» و«أوريته أنا». قال تعالى: [أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ]⁵¹، فثلاثيه قاصر ورباعيه متعدٍ. وقال تعالى: [فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا]⁵²، ويقال أيضًا: (وريت بكم زنادي)، فاستعمل الثلاثي متعديًا، إلا أنَّ المازني يزعم أنه لا يتجاوز به هذا اللفظ، يعني فلا يقاس عليه، فيقال: (وريت النار) مثلًا إذا تقرر ذلك، فلما كانت التوراة فيها ضياء ونور يخرج به من الضلال إلى الهدى، كما يخرج من الظلام إلى النور سمي هذا الكتاب بالتوراة، وهو مذهب جمهور الناس. ووزنها (تَفَعَّلَةٌ)، فالأصل عندهم (تَوَزَيْتَ) إلا أنَّ اليباء قُلبت أَلْفًا؛ لتحركها وانفتاح ما قبلها وهو مذهب الكوفيين⁵³. واختار هذا القول الفيروزآبادي⁵⁴، واعترض على هذا القول الرَّجَّاج، فقال: "(وتَفَعَّلَةٌ) لا تكاد تُوجد في الكلام، إنما قالوا في (تُتَفَعَّلَةٌ) (تَتَفَعَّلَةٌ)"⁵⁵.

وذكر بعض الكوفيين أنَّه يصلح أن تكون (التوراة) على وزن (تَفَعَّلَةٌ) مثل تَوَصَّيْتَهُ، ولكن قلبت من تَفَعَّلَةٌ إلى تَفَعَّلَةٌ. وكأنهم يجيزون في تَوَصَّيْتَهُ تَوَصَّاةً. وهذه لغة طيِّء؛ لأنهم يقولون في التوصية توصاة، وللجارية جارة، وللناصية ناصاة⁵⁶.

وقد اعترض الرَّجَّاج -أيضًا- على هذا القول، ووصفه بأنَّه زديٌّ، بدليل أنَّه لم يثبت في (تَوَفَيْتَ) توفاة، ولا في (تَوَقَيْتَ) توقاة⁵⁷. وكذلك اعترض البصريون بأنَّ هذا البناء قليلٌ، وبأنَّه يلزم منه زيادة التاء أولًا، وهي لا تزداد كذلك إلا في مواضع ليس هذا منها⁵⁸.

وهناك من يرى أنَّ (التوراة)⁵⁹ علمٌ أعجميٌّ⁶⁰ عَرَّبَ، فقيل: إنَّ (التوراة) تعريب (نوروثو)، أو (تورا) العبرية، ومعناه الشريعة⁶¹. وقيل: هي معرَّبة من السريانية وتنطق (توري)⁶². واختار هذا المذهب الزمخشري، وابن عطية، وأبو حيان، والسمين الحلبي، والألومي، وابن عاشور⁶³.

ومن قال إنَّ (التوراة) اسمٌ أعجميٌّ، هو الأقرب إلى الصواب؛ لأن التوراة جاء وزنها موافقًا في العربية لوزن (فَوْعَلَة) وهو أكثر استعمالًا؛ لذلك تكلف الرُّجَّاج وغيره من النحويين في اشتقاقها، وفي وزنها على نحو ما ذكرنا في الرأي الأول.

4- عيسى:

ومن الأسماء التي تحدّث عنها الرُّجَّاج اسم (عَيْسَى)، قائلًا: "هو اسمٌ أعجميٌّ عُدل عن لفظ الأعجمية إلى هذا البناء، وهو غير مصروف في المعرفة لاجتماع العجمية والتعريف فيه. ومثال اشتقاقه من كلام العرب أنَّ عيسى: (فِعْلَى)، فالألف يصلح أن تكون للتأنيث، فلا تتصرف في معرفة ولا نكرة، ويكون اشتقاقه من شيتين، أحدهما العَيْس، وهو بياض الإبل، والآخر: من العَوْس والعِيَّاسَة إلاَّ أنَّه قلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها. فأما عيسى عليه السلام فَمَعْدُول من يَشُوع كذا يقول أهل السريانية"⁶⁴.

وقد اختلف العلماء في لفظ (عَيْسَى)، وظهرت آراء متباينة فيه بين الاشتقاق والجمود، فالرأي الأول يرى أنَّه مشتق، ولكن اختلف في نوعية الاشتقاق، فممنهم من يجوز اشتقاقه في العربية، فيكون مشتق من العَيْس، وهو بياض الإبل، وهو أحد قولي الخليل⁶⁵. وقد أوضح معنى العَيْس بقوله: "هو: لونٌ أبيضٌ مشرب صفاءً في ظُلْمَة حَفِيَّة... والعَرَبُ خصّت بالعيس عراب الإبل البيض خاصة"⁶⁶. ووافقه ابن فارس، والأصفهاني⁶⁷.

ورأي يرى أنَّه من العَوْس وهي الساسة، والعِيَّاسَة: هي الطوفان، إلاَّ أنَّه قلبت (الواو) (ياء) لانكسار ما قبلها، ويقصد بالعَوْس والعَوْسان: الطَّوْفان بالليل، والدَّثْبُ يَعْوَسُ: يَطْلُبُ شيئًا يأكله. والأعوس الصبقل، ويقال: لكلِّ وصافٍ للشيء: هو أَعْوَسُ وصَافٌ. وهو قول الخليل الآخر⁶⁸. وعلى هذا القول يكون (عيسى) معدول من (يسوع) في السريانية. ووافقه في ذلك ابن منظور؛ إذ يرى أنَّ مادة (س و ع) في العربية من معانيها الضياع والإهمال؛ قالوا: "وساع الشيء سوعًا: ضاع، وهو ضائع سائع، وأساعه أضاعه"⁶⁹.

أمَّا الرأي الثاني فيرى أنَّه أعجميٌّ جامدٌ غير متصرفٍ، وهو قول سيبويه؛ إذ ذكر أنَّ (عيسى)، فِعْلَى، وليست ألفه للتأنيث، إنَّما هو أعجميٌّ. ولو كانت للتأنيث، لم ينصرف في النكرة، وهو ينصرف فيها، والياء

فيه ملحقة ببنات الأربعة بمنزلة ياء معزى⁷⁰. واختار هذا الراي ابن عطية⁷¹. ومن المتأخرين الشوكاني، والألوسي⁷².

إنَّ القولَ بِاشتقاقِ (عيسى)، اجتهاد من بعض العلماء؛ لوجود مادة اشتقاقية لهذا الاسم، وأنَّ الربطَ بين لفظ (عيسى)، والمادة الاشتقاقية للفظ (العيس)، وهو البياض تطابق مع معنى الاسم؛ لأنَّ (عيسى) عليه السلام كان في لونه بياض.

5- قَرْن:

تحدَّثَ الرَّجَاجُ عَنِ اشْتِقَاقِ (قَرْن) فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: [أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ]؛ فقال: "قِيلَ الْقَرْنُ ثَمَانُونَ سَنَةً، وَقِيلَ سَبْعُونَ، وَالَّذِي يَقَعُ عِنْدِي - وَاللَّهِ أَعْلَمُ - أَنَّ الْقَرْنَ أَهْلُ مُدَّةٍ كَانَتْ فِيهَا نَبِيٌّ، أَوْ كَانَتْ فِيهَا طَبَقَةٌ مِنَ أَهْلِ الْعِلْمِ، قَلَّتِ السَّنُونَ أَوْ كَثُرَتْ.

والدليل على هذا قول النبي - صلى الله عليه وسلم - خَيْرِكُمْ قَرْنِي؛ أي أصحابي، رحمة الله عليهم، ثم الذين يَلُوبَهُمْ يَعْنِي التَّابِعِينَ، ثم الذين يلونهم يعني الذين أخذوا عن التابعين⁷⁴. وجائز أن يكون القرن لجملة الأمة وهؤلاء قرون فيها. وإنما اشتقاق القرن من الاقتران، فتأويله أن القرن الذين كانوا مقترنين في ذلك الوقت، والذين يأتون بعدهم ذوو اقتران آخر⁷⁵. ووافق النحَّاسُ الرَّجَاجُ فِي كُلِّ مَا ذَكَرَهُ، بَلْ إِنَّهُ نَقَلَ كُلَّ مَا قَالَهُ فِي كِتَابِهِ مَعَانِي الْقُرْآنِ، وَاسْتَشْهَدَ بِالْحَدِيثِ ذَاتَهُ⁷⁶.

وأكثر أصحاب الحديث أكدوا على أن القَرْنَ مائة سنة، واحتجوا بأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد الله بن بسر: (تعيش قرناً)، فعاش مائة سنة⁷⁷.

ولم يختلف كلام الرَّجَاجِ عَمَّا ذَكَرَهُ الْخَلِيلُ، فَهَمَا يَتَّفِقَانِ فِي الْمَعْنَى ذَاتَهُ، فَالْخَلِيلُ قَالَ: "قَرْنٌ: قَرْنُ الثَّوْرِ مَعْرُوفٌ، وَمَوْضِعُهُ مِنْ رَأْسِ الْإِنْسَانِ قَرْنٌ أَيْضًا، وَلِكُلِّ رَأْسٍ قَرْنَانِ، وَقَرْنٌ بَعْدَ قَرْنٍ، وَيُقَالُ: عَمَرَ كُلُّ قَرْنٍ سِتُونَ سَنَةً"⁷⁸. ووافقهما الفارابي، والأزهري، والجوهري، وابن فارس، والرازي⁷⁹.

أمّا الثعلبي، فقد رأى أنّ هناك دلالاتٍ أخرى للفظة القرن؛ منها أنّ: "القرن: يعني الأمم الماضية، والقرن الجماعة من الناس وجمعه قرون، وقيل: القرن مدة من الزمان، يقال ثمانون سنة، ويقال: مائة سنة، ويكون معناه على هذا القول من أهل قرن مَكَّنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمْكِّنْ لَكُمْ يعني أعطيناهم ما لم نعطيكم"⁸⁰.

وزاد ابن منظور بعض المعاني والدلالات الأخرى للفظة القرن؛ منها أنّ: "الأمّة تأتي بعد الأمة، واختلف في مدته، فقيل: عشر سنين، وقيل: عشرون سنة، وقيل: ثلاثون، وقيل: ستون، وقيل: سبعون، وقيل: ثمانون، وهو مقدار التوسط في أعمار أهل الزمان، وفي النهاية: أهل كل زمان، مأخوذ من الاقتران، فكأنّه المقدار الذي يقترن فيه أهل ذلك الزمان في أعمارهم وأحوالهم"⁸¹.

ويبدو أنّ (قرن) اسمٌ له دلالاتٌ مختلفة في كلام العرب منها: أن القرن قرن الثور، والقرن مائة عام في أصحّ الأقوال، والقرن الأمم الماضية، والقرن الجماعة من الناس، وقد ربط المفسرون بين دلالات هذا اللفظ من خلال اشتقاقه في العربية من الاقتران، فكل قرن أو جيل مقترن بالجيل السابق، أو كل أمة مرتبطة بالأخرى، فهنا توافق اللفظ والمعنى، إذا وجد للاسم الجامد اشتقاقٌ في العربية يتفق ودلالاته التي وضع لها، أي كانت هذه الدلالة.

6- القِنْطَار:

القِنْطَار من الأسماء التي تفرّد الزّجاج بالحديث عنها؛ فقال: "إنّه لفظ مشتق في قوله عزّ وجلّ: [زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ]⁸²، ومعنى (القناطر) عند العرب الشيء الكثير من المال وهو جمع قنطار"⁸³.

ثمّ ذكر الزّجاج أنّ هناك أقوالاً أخرى عند أهل التفسير تبين معنى القنطار، ولكنها تباينت في تحديد مقداره، ومع ذلك لم تخرج عمّا ذهب إليه العرب؛ فقال: "قال بعضهم: القنطار ملء مسكٍ ثورٍ ذهباً، أو فضة، وقال بعضهم: القنطار ثمانون ألف درهم، وقال بعضهم: القنطار ألف دينار، وقال بعضهم ألف

رطل ذهبًا أو فضةً، فهذه جملة ما قال الناس في القنطار. والذي يخرج في اللغة أنّ القنطار مأخوذ من عقد الشيء وإحكامه والقنطرة مأخوذة من ذلك، فكأن القنطار هو الجملة من المال التي تكون عقدة وثيقة منه⁸⁴.

وبعد ذكر الزجاج أقوال أهل التفسير في معنى القنطار، والمفاضلة بينها؛ صرح بأن أقوى الأقوال عنده ما كان "من الذهب والفضة؛ لأنّ الله - جلّ وعزّ - ذكر القناطر فيهما، فلا يستقيم أن يكون القنطار في إحداهما دون الأخرى"⁸⁵.

وظهر خلاف بين علماء اللغة في اشتقاق (القنطار)، فأبو عبيدة يرى أنّ القنطار مأخوذ من عقد الشيء وإحكامه، والقنطرة مأخوذة من ذلك⁸⁶، ووافقه الزجاج⁸⁷، وتابعهما النحاس، والتعلبي، والبغوي⁸⁸، أمّا ابن منظور، فيتفق مع الزجاج عمومًا في اشتقاق (القنطار)، وإن لم يصرح بذلك، فقال: "إنّ للقنطار معاني أخرى، ومنها: أنّه العقدة المحكمة من المال"⁸⁹.

وحدد أبو حيان (القنطار) من قنطرتُهُ؛ أي: عَبَيْتُهُ شَيْئًا عَلَى شَيْءٍ، ومنه سميت القنطرة، فشبه المال الكثير الذي يُعَبَى بعضه بالقنطرة⁹⁰.

أمّا ابن عاشور فيرى أنّ (القنطار) لفظٌ مُعَرَّبٌ عن الرومية اللاتينية الشرقية، وذكر أنّ هذا القول نقله النقّاش عن الكلبي، ويرى أنّه قولٌ صحيحٌ؛ لأنّ أصله في اللاتينية (كِنْتال)، وهو مائة رطلٍ⁹¹.

وهناك خلاف آخر في لفظ (القنطار) من حيث مقداره، قال الخليل: "القنطار، يقال: أربعون أوقية من ذهب أو فضة، ويقال: ثمانون ألف درهم عن ابن عباس، وعن السدي رطل من ذهب أو فضة، ويقال: هو بالسريانية مثل ملء جلد ثور ذهبًا أو فضة. وبالبربرية: ألف مثقال من ذهب أو فضة، وفي التصريف مخرجه على قول العرب؛ لأنّ الرجل يُقنطر قنطارًا، كل قطعة أربعون أوقية، كل أوقية وزن سبعة مثاقيل"⁹².

وقال الفارابي: "القِنْطَارُ: ملءُ مسكٍ ثورٍ ذَهَبًا أو فضةً، ويُقالُ: هو سبعون ألفَ دينارٍ، ويُقالُ: ألفٌ ومئتا أوقيةً، (كل أوقية أربعون)"⁹³. ووافقهما من أصحاب اللغة الفيروز آبادي⁹⁴، والزبيدي⁹⁵.

وما ذكره الزجاج يوافق ما قاله أهل اللغة والمعاجم والتفسير في اختلافهم في تحديد معنى (القنطار) ومقداره على أقوال⁹⁶ منها:

1. أنه أربعون أوقيةً من ذهب أو فضة.
2. أنه ملء مسكٍ ثورٍ ذَهَبًا أو فضةً.
3. أنه سبعون ألفَ دينار.
4. أنه ألفٌ ومئتا دينار.
5. أنه ألفٌ ومئتا أوقية.
6. أنه ثمانون ألفَ درهم.
7. أنه مئة رطلٍ من ذهب أو فضة.
8. أنه المال الكثير، بعضه على بعض.
9. هو قَدْرٌ وزن.
10. أنه مائة مثقال، والمثقالُ عشرون قيراطًا.

ورغم اختلاف العلماء في مقدار (القِنْطَارِ)، فإن معناه يدلُّ على أنه مقدارٌ من المال ذهبًا كان أو فضةً، درهمًا أو دينارًا. وهو بهذا المعنى اسم عين، ومن المعلوم أن أسماء الأعيان جامدة.

وقد وقع خلافٌ أيضًا في وزن (القِنْطَارِ)، فقليل: هو على وزن (فِعْلال)، وقيل: فعنلان، فعلى الأول فالنون أصلية وعلى الثاني زائدة⁹⁷.

والصحيح أن النون أصلية في (القِنْطَارِ) أو (القِنْطَرَة)؛ لأنها اسمُ عينٍ، ووزنها (فِعْلال)، وقد ورد عند العرب في المعاجم وكتب التفاسير في مادة (قنطر)، فالنون أصلية بدليل ثبوته في مفردده، وجمعه، ومصدره، وفعله.

ومعنى اللفظ يتفق واشتقاقه في العربية من عقد الشيء وإحكامه، أو من قَنَطَرْتُهُ؛ أي: عيبته شيئاً على شيء، فشبه المال الكثير الذي يُعَبَّى بعضه بِالْقَنْطَرَةِ⁹⁸.

7- الكُوْثَرُ:

تفرَّدَ الرَّجَّاجُ في الحديث عن لفظ (الكُوْثَرُ) من دون أصحاب كتب معاني القرآن؛ فقال: "قوله عزَّ وجلَّ: [إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوْثَرَ]⁹⁹، الكُوْثَرُ: مشتق من الكثرة. جاء في التفسير أَنَّ الكُوْثَرَ نَهْرٌ في الجنة أشدَّ بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، حَافَّتَاهُ قباب الدر، مجوف، وجاء في التفسير - أيضاً - أَنَّ الكُوْثَرَ الإسلام والنبوة. وقال أهل اللغة: الكُوْثَرُ فَوَعَلَ من الكثرة، ومعناه الخير الكثير. وجميع ما جاء في تفسير هذا قد أعطيه النبي صلى الله عليه وسلم. قد أعطى الإسلام والنبوة وإظهار الدين الذي أتى به على كل دين والنصر على عدوه والشفاعة، وما لا يحصى مما أعطيه، وقد أعطى من الجنة على قدر فضله على أهل الجنة"¹⁰⁰.

ولم يتفق علماء العربية في لفظ (الكُوْثَرُ)، فمنهم من يراه عربياً مشتقاً، ومنهم من يراه جامداً، فأصحاب الاشتقاق يرون أَنَّ (الكُوْثَرَ) على وزن (فَوَعَلَ) لفظٌ مشتقٌ من الكثرة¹⁰¹. والواو زائدة؛ لأنه مما زيد على الثلاثة؛ ليلحقها ببناء الأربعة من الأسماء، وهو قول المبرد، والرَّجَّاج¹⁰²، وتابعهما ابن دريد، والأزهري، وابن جني وابن فارس، والثعلبي، والزمخشري، وابن منظور، وأبو حيان، والسمين الحلبي، وابن كثير¹⁰³.

ويرى أبو حيان أَنَّهُ ذُكِرَ في الكُوْثَرِ ستُّ وعشرون قولاً، والصحيح ما فسره به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «هو نَهْرٌ في الجنة، حَافَّتَاهُ من ذهبٍ، وَمَجْرَاهُ عَلَى الدَّرِّ وَالْيَأْفُوتِ، تربته أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَمَاؤُهُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ وَأَبْيَضُ مِنَ التَّلْجِ»¹⁰⁴.

ويرى ابن عاشور أَنَّ الكُوْثَرَ اسمٌ جامدٌ، فهو عنده "اسمٌ في اللغة للخير الكثير صيغ على زنة (فَوَعَلَ)، وهي من صيغ الأسماء الجامدة غالباً، نحو: الكوكب، والجورب، ولا تدل على غير مسماها، ولما وقع هنا فيها مادة الكثر كانت صيغته مفيدة شدة ما اشتقت منه بناء على أن زيادة المبنى تؤدي إلى زيادة المعنى، ولذلك فسره الزمخشري بالمفرط في الكثرة"¹⁰⁵.

ويبدو أنّ القول باشتقاق الكوثر هو الأرجح على قول معظم العلماء، فالكوثر، وإن كان من صيغ الأسماء الجامدة (فوع)، فقد جاء مشتقاً في العربية من مادة الكثر، والواو فيه زائدة؛ لأنّه مما زيد على الثلاثة؛ ليلحقها ببناء الأربعة من الأسماء¹⁰⁶.

واشتقاق اللفظ من أصل مادة (الكاف، والثاء، والراء) يدلُّ على الكثرة، وجميع المعاني لهذه الكلمة تتفق معها، وأياً كان تفسير معنى الكوثر الذي يدل في مجمل تفسيره على الخير الكثير، سواء أكان اسماً لنهر، أم خيراً كثيراً، أم الإسلام والنبوة اللذين هما خير كثير أيضاً؛ فهي مشتقة من الكثرة، ولعلَّ أنسب ما يقال في الاشتقاق لهذا اللفظ الجامد ما ذكره ابن عاشور من أن الأسماء الجامدة، وإن كانت لا تدل على غير مسماها، فإنّه لما وقع هنا فيها مادة الكثر كانت صيغته مفيدة شدة ما اشتقت منه بناء على أن زيادة المبنى تؤدي إلى زيادة المعنى، ولذلك فسِرَ بالمفرد في الكثرة¹⁰⁷.

8- لوط:

يُعدُّ الزجاج الوحيد من أصحاب كتب المعاني الذي تحدث عن لفظ (لوط)، فقال: "في قوله تعالى: [وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ]"¹⁰⁸، قال بعض أهل اللغة: لوط مشتق من (لطت الحوض إذا ملسته بالطين)، وهذا غلط؛ لأنَّ لوطاً من الأسماء الأعجمية ليس من العربية، فأما لطف الحوض، وهذا ألوط بقلبي من هذا، فمعناه ألصق بقلبي. والليط القشر، وهذا صحيح في اللغة¹⁰⁹. وبذلك فإنَّ الزَّجاج يختار أنَّ (لوط) اسمٌ جامدٌ أعجميٌّ لا اشتقاق له.

وهناك خلاف بين علماء العربية في لفظ (لوط) أهو عربيٌّ مشتقٌّ أم اسمٌ جامدٌ أعجميٌّ لا اشتقاق فيه؟ فكانوا على قولين: أحدهما: يرى أنّه يجوز الاشتقاق منه، وهو مذهب الخليل، فقد ذكر أنّ معنى "لوط: لاط فلان في هذا الأمر لوطاً شديداً؛ أي: ألح... ولوطاً: اسمٌ نبويٌّ، كان ذا قرابةٍ لإبراهيم عليه السلام، بعثه الله إلى قومه فكذبوه (وأحدثوا ما أحدثوا)، فاشتقَّ النَّاسُ من اسمه فعلاً لمن فعل فعل قومه"¹¹⁰. واختار هذا القول الأصفهاني¹¹¹، واعتُرض على هذا القول، واخْتِجَّ بأنّه من الأسماء الأعجمية لا اشتقاق فيها¹¹².

والآخر يرى أنه اسمٌ أعجميٌّ جامدٌ، وهو قول المبرد؛ إذ قال: "لوطٌ اسمٌ أعجميٌّ، وهو مصروفٌ في كتاب الله عزَّ وجلَّ"¹¹³. ووافقهُ الزَّجاج، والجواليقي، والشُّوكاني، والألوسي¹¹⁴.

ومن المفسرين الذين وافقوا الزَّجاج فيما ذكره القرطبي؛ إذ أشار إلى ما جاء في كتاب معاني القرآن للزَّجاج، بل إنَّه أضاف إلى أن "لوطاً من الأسماء الأعجمية وليس من العربية. فأما لُطْتُ الحَوْض، وهذا أَلَيْطُ بَقْلِي من هذا فصحيح، ولكن الاسم أعجمي كَأَبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ"¹¹⁵.

وتابعه القاسمي الذي صرَّح بأعجميته، وأنَّ معناه في العربية (ملفوف) أو (مُر)، كما في تأويل أسماء التوراة والإنجيل¹¹⁶.

9- يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ:

قال الزَّجاج عنهم: "نقرأ بالهمز في (يأجوج ومأجوج)، ويقراً بغير همز، وهما اسمان أعجميان لا ينصرفان؛ لأنَّهما معرفة. وقال بعض أهل اللغة: من همَرَ كأنَّه يجعله من أجة الحرِّ، ومن قوله مَلِحُ أَجَاجُ، وأجة الحرِّ شدته وتوقُّده، ومن هذا قولهم: (أَجَّجْتُ النَّارَ)، ويكون التقدير في يَأْجُوجُ (يفعول)، وفي مَأْجُوجُ (مفعول)، وجائز أن يكون ترك الهمز على هذا المعنى، ويجوز أن يكون (مأجوج) فاعول، وكذلك ياجوج، وهذا لو كان الاسمان عربيين لكان هذا اشتقاقهما، فأما الأعجمية فلا تشتق من العربية"¹¹⁷.

وللنحويين خلافٌ في لفظي (يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ)، هل هما عربيان مشتقان، أم علمان أعجميان؟ فظهرت ثلاثة آراء في ذلك:

القول بالاشتقاق:

رأى الكسائي أنَّهما مشتقان من أجيح النار¹¹⁸، ووافقهُ من المفسرين الطبري، ومن اللغويين ابن منظور¹¹⁹.

وحجتهم في ذلك التأنيث والعلمية؛ لأنَّهما اسما قبيلتين، كما أنَّهما مشتقان من أجة الحر: شدته، أو من أَجَّجْتُ النَّارَ¹²⁰.

القول بالعجمة:

رأى الزَّجَاج أنَّهما اسْمَانِ أَعْجَمِيَانِ مَمْنُوعَانِ مِنَ الصَّرْفِ، وَعَلْتَاهُمَا فِي مَنَعِ الصَّرْفِ الْعُجْمَةَ وَالتَّعْرِيفَ وَالتَّأْنِيثَ¹²¹، وَوَأَفَقَهُ الزَّمْخَشَرِيُّ، وَالْجَوَالِيقِيُّ، وَابْنُ مَنْظُورٍ، وَالشُّوْكَانِيُّ، وَالْأَلُوسِيُّ¹²². وَحُجَّتُهُمْ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْأَسْمَاءَ الْأَعْجَمِيَّةَ لَا يَشْتَقُّ مِنْهَا فِي الْعَرَبِيَّةِ.

الجمع بين الاشتقاق والعجمة:

وَجَمَعَ الْقُرْطُبِيُّ بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ، فَجَوَّزَ أَنْ يَكُونَا مَشْتَقَيْنِ، وَأَنْ يَكُونَا أَعْجَمِيَيْنِ؛ فَقَالَ: "هُوَ مُعَرَّبٌ مِنْ (أَجَّ وَأَجَّجَ) عَلْتَاهُ فِي مَنَعِ الصَّرْفِ التَّعْرِيفِ وَالتَّأْنِيثِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَا عَرَبِيَيْنِ، فَمَنْ هَمَزَ (يَأْجُوجُ) فَهُوَ عَلَى وَزْنِ (يَفْعُولُ)، مِثْلَ: (يَرْبُوعُ)، مِنْ قَوْلِكَ (أَجَّتِ النَّارُ) أَي ضَوِيَتْ، وَمِنْهُ الْأَجِيجُ، وَمِنْهُ مِلْحُ أَجَاجٍ، وَمَنْ لَمْ يَهْمِزْ أَمَكْنَ أَنْ يَكُونَ خَفَّفَ الْهَمْزَةِ، فَقَلِبْهُمَا أَلْفًا مِثْلَ رَأْسٍ، وَأَمَّا (مَأْجُوجُ)، فَهُوَ مَفْعُولٌ مِنْ (أَجَّ)، وَالكَلِمَتَانِ مِنْ أَصْلٍ وَاحِدٍ فِي الْاِشْتِقَاقِ، وَهَذَا الْأَصْلُ هُوَ أَجَّ، وَمَنْ لَمْ يَهْمِزْ فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ خَفَّفَ الْهَمْزَةِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ (فَاعُولًا) مِنْ (مَجَّ)، وَتَرَكَ الصَّرْفَ فِيهِمَا لِلتَّأْنِيثِ وَالتَّعْرِيفِ كَأَنَّهُ اسْمٌ لِلْقَبِيلَةِ"¹²³.

وَقَوْلِ الزَّجَاجِ وَغَيْرِهِ، أَقْرَبُ؛ فَهِيَمَا عِلْمَانِ أَعْجَمِيَانِ مَمْنُوعَانِ مِنَ الصَّرْفِ كَهَارُوتَ وَمَارُوتَ، عَرَّبَهُمَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، فَجَاءَ عَلَى أَوْزَانِ الْعَرَبِيَّةِ، وَهُوَ مَا دَفَعَ الْعُلَمَاءُ إِلَى الْقَوْلِ بِاِشْتِقَاقِهِمَا، وَالاخْتِلَافِ فِيهِ.

وَكَلَّ قَوْلٌ لَهُ وَجْهٌ فِي الْمَعْنَى بِحَسَبِ الْاِشْتِقَاقِ، وَالْأَرْجَحُ أَنََّّهُمَا مِنْ أَجَةِ الْحَرِّ: شِدَّتُهُ، أَوْ مِنْ أَجَّتِ النَّارُ. كَذَلِكَ مَا دَفَعَ الْعُلَمَاءُ لِاِشْتِقَاقِهِمَا التَّأْنِيثَ وَالْعِلْمِيَّةَ؛ لِأَنََّّهُمَا اسْمَا قَبِيلَتَيْنِ، إِلَّا أَنََّّهُمَا عِلْمَانِ أَعْجَمِيَانِ بِدَلِيلِ قِرَاءَتِهِمَا بِغَيْرِ هَمْزٍ، وَاخْتِلَافِ الْعَرَبِ فِي قِرَاءَتِهِمَا دَلِيلٌ عَلَى عَجْمَتِهِمَا.

الخاتمة:

تَعَدَّدَتْ آرَاءُ الْعُلَمَاءِ فِي كَلِمَاتٍ وَرَدَتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ الْعَزِيزِ بَيْنَ الْقَوْلِ بِاِشْتِقَاقِهَا أَوْ الْقَوْلِ بِجَمُودِهَا وَتَعْلِيلِ كُلِّ قَوْلٍ. وَقَدْ كَانَ حِظُّ الزَّجَاجِ فِي ذِكْرِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ مِنْ أَصْحَابِ كِتَابِ مَعَانِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَعِنْدَ مَوَازَنَةِ الْآرَاءِ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ اتَّضَحَ لَنَا الْآتِي:

- 1) أن الكلمات الأعجمية جامدة إلا ما وافق وزنها أوزان العربية قيل باشتقاقها، ك (توراة)، و(أجوج)، و(مأجوج).
- 2) أن الكلمات الأعجمية جامدة فإذا وافق معناها معنى لفظ عربي قيل باشتقاقها ك(لوط).
- 3) أن القول باشتقاق الأسماء الجامدة اجتهاد قد يوافق الصواب.
- 4) أن الاختلاف في اشتقاق كلمة ما أو جمودها يدل على سعة أفق علماء العربية؛ بدليل ما يوردونه من تدليل لكل قول. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش والمراجع:

- (1) ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة (مادة: ج م د): 477/1.
 - (2) الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى، *الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية*، مؤسسة الرسالة، (د.ت)، 353/1.
 - (3) ينظر: كحيل، أحمد، *التبيان في تصريف الأسماء*، دار الكتب العلمية، 1425هـ، ص: 29-30.
 - (4) ينظر: ابن عصفور، أبو الحسن علي بن مؤمن، *المتنع الكبير في التصريف*، مكتبة لبنان، 1399هـ: 44/1.
 - (5) سورة البقرة، آية 34.
 - (6) الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري، *معاني القرآن وإعرابه*، طبعة عالم الكتب، 1408هـ.
- 113-112/1:
- (7) ينظر: ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم: (مادة: أ د م): 390 /9، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 279 /1، و الأندلسي، أبو حيان أثير الدين محمد بن يوسف، *البحر المحيط في التفسير*، دار الفكر، 1420هـ: 223/1، والسمين الحلبي، الدر المصون: 262 /1، والزبيدي، تاج العروس: 179 /31، و الألويسي، شهاب الدين محمود بن عبدالله، *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*، دار إحياء التراث العربي، 1415هـ: 225/1.
 - (8) روى أبو موسى الأشعري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبِيضَةٍ قَبِيضُهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ، فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدَرِ الْأَرْضِ، جَاءَ مِنْهُمْ الْأَحْمَرُ وَالْأَسْوَدُ وَالْأَبْيَضُ وَبَيْنَ ذَلِكَ، وَالسَّهْلُ وَالْحَزْنُ، وَالخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ" الحديث صحيح رواه أبو داود برقم (4693)، والترمذي: 4: 67-68، وينظر: الطبري، جامع البيان: 482-481/1.
 - (9) ينظر: الخليل، العين (مادة: أ د م): 88 /8، والطبري، جامع البيان: 480/1، والزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 112/1، والأزهري، تهذيب اللغة (مادة: أ د م): 151/14.
 - (10) يقول الخليل: "أَدِيمٌ كُلُّ شَيْءٍ ظَاهِرٌ جَلِيدٌ، وَأَدَمَةُ الْأَرْضِ: وَجْهٌهَا، وَسُمِّيَ آدَمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - بِهَذَا الْاسْمِ؛ لِأَنَّهُ خُلِقَ مِنْ أَدَمَةِ الْأَرْضِ". الخليل، العين (مادة: أ د م): 88 /8.
 - (11) ينظر: الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، *تهذيب اللغة*، دار إحياء التراث العربي، 2001م.
- 151/14: (مادة: أ د م): 151/14.

- (12) ينظر: الطبري، جامع البيان: 480/1، والثعلبي، الكشف والبيان: 180-181/1، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 1/279.
- (13) قال الجوهري: "الأدَمُّ من الناس: الأسمر، والجمع أَدَمَانٌ. وأدَمٌ عليه السلام: أبو البشر، وأصله بهمزتين؛ لأنَّه أفْعَلٌ، إلا أنَّهم لينوا الثانية، فإذا احتجت إلى تحريكها جعلتها واوًا، وقلت: أودم في الجمع؛ لأنَّه ليس لها أصل في الياء معروف، فجعلت الغالب عليها الواو". الجوهري، الصحاح (مادة: أ د م): 5/1859.
- (14) ينظر: ثعلب، معاني القرآن: 26، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 279/1، والألوسي، روح المعاني: 1/225.
- (15) ينظر: ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى، معاني القرآن، مطبعة الناصرية التجارية، 1430هـ ص: 26.
- (16) ينظر: الزَّجَّاج، معاني القرآن وإعرابه: 112/1، وابن دريد، الاشتقاق: 71، والعكبري، التبيان: 48/1، والرازي، مختار الصحاح (مادة: أ د م) 15/1، وابن منظور، لسان العرب (مادة: أ د م): 11/12.
- (17) يرى ابن عطية أنَّ أَدَمَ (أفْعَلٌ) مشتق من الأدمة، وهي حمرة تميل إلى السواد، وجمعه أَدَمٌ وأوديم (كحُمْر)، و(أحامير)، ولا ينصرف بوجه. وقيل أَدَمٌ وزنه (فاعل) مشتق من أديم الأرض، كأن الملك آدمها، وجمعه آدمون وأوديم، ويلزم قائل هذه المقالة صرفه. ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز: 1/119.
- (18) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ، 1420هـ: 1/408.
- (19) قال الزمخشري: "اشتقاقهم (آدم) من الأدمة، ومن أديم الأرض. نحو اشتقاقهم (يعقوب) من العقب، و(إدريس) من الدرس، و(إبليس) من الإبلاس، وما آدم إلا اسم أعجمي، وأقرب أمره أن يكون على فاعل، كآزر، وعازر، وعابر". الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكتاب العربي، 1407هـ: 1/125.
- (20) ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل: 1/69، وأبو حيان، البحر المحيط: 1/223، والسمين الحلبي، الدر المصون: 1/262، والألوسي، روح المعاني: 1/223، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/408.
- (21) ينظر: الألوسي، روح المعاني: 1/223.
- (22) الثعلبي، الكشف والبيان: 180-181/1، وينظر: وأبو حيان، البحر المحيط: 1/223، والسمين الحلبي، الدر المصون: 1/262، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/408.
- (23) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 1/279.
- (24) ينظر: الطبري، جامع البيان: 482/1، والسمين الحلبي، الدر المصون: 1/262.
- (25) سورة آل عمران، آية 4، 3.
- (26) الزَّجَّاج، معاني القرآن وإعرابه: 1/374-375، وينظر: 2/180.
- (27) قَالَ الخَلِيلُ: "اسْتَنْجَلَتِ الأَرْضُ نِجَالًا، وبها نِجَالٌ، إِذَا حَرَخَ مِنْهَا المَاءُ. وَالنَّجْلُ أَيضًا: الأَوْلَادُ والنَّسْلُ". الخليل، العين (مادة: ن ج ل): 6/124.
- (28) الزَّجَّاج، معاني القرآن وإعرابه: 1/375، وينظر: 2/180.

- ²⁹ ينظر: الرَّجَاج، معاني القرآن وإعرابه: 375/1، والنحاس، معاني القرآن: 342 /1، وابن جني، المحتسب: 152/1، والثعلبي، الكشف والبيان: 8/3،، والبغوي، معالم التنزيل: 6/2، وابن عطية، المحرر الوجيز: 398/1، وابن منظور، لسان العرب (مادة: و ر ي): 389/15، وأبو حيان، البحر المحيط: 6/3، والسمين الحلبي، الدر المصون: 18/3.
- ³⁰ ينظر: الأعشى، ديوانه: 253.
- ³¹ ينظر: الخليل، العين (مادة: ن ج ل): 124 /6.
- ³² ينظر: ابن كيسان، معاني القرآن: 368، والثعلبي، الكشف والبيان عن معاني القرآن: 8/3، والبغوي، معالم التنزيل: 6/2.
- ³³ ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز: 398/1، وابن منظور، لسان العرب (مادة: و ر ي): 389/15، وأبو حيان، البحر المحيط: 6/3، والسمين الحلبي، الدر المصون: 18/3، والألوسي، روح المعاني: 77/3.
- ³⁴ ينظر: النحاس، معاني القرآن: 343 /1.
- ³⁵ ينظر: ابن جني، المحتسب: 152/1.
- ³⁶ ينظر: ابن فارس، مجمل اللغة (مادة: ن ج ل): 875/1.
- ³⁷ ينظر: أبو حيان، البحر المحيط: 6/3، والسمين الحلبي، الدر المصون: 18/3، والألوسي، روح المعاني: 77/3.
- ³⁸ يرى ابن عاشور أنَّ الثعلبي اشتبه عليه الرومية بالسريانية؛ لأن (إنجيل) ليست سريانية، وإنما لما نطق بها نصارى العراق ظنها سريانية، أو لعل العبارة تحريفًا وصوابها في اليونانية (أَوْأَاتِيلْيُونُ)؛ أي اللفظ الفصحح. ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير: 149/3.
- ³⁹ ينظر: الثعلبي، الكشف والبيان: 8/3، والبغوي، معالم التنزيل: 6/2.
- ⁴⁰ ينظر: الزمخشري، الكشاف: 335/1.
- ⁴¹ ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز: 398/1.
- ⁴² ينظر: أبو حيان، البحر المحيط: 5/3.
- ⁴³ ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون: 16/3.
- ⁴⁴ ينظر: الألوسي، روح المعاني: 77/3.
- ⁴⁵ ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير: 149 /3.
- ⁴⁶ ينظر: البغوي، معالم التنزيل: 6/2، والزمخشري، الكشاف: 335/1، وابن عطية، المحرر الوجيز: 398-399، وأبو حيان، البحر المحيط: 6/3، والسمين الحلبي، الدر المصون: 20/3، والألوسي، روح المعاني: 77/3.
- ⁴⁷ ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون: 20/3.
- ⁴⁸ سورة آل عمران، آية: 3، 4.
- ⁴⁹ معاني القرآن وإعرابه، للزجاج: 375-374 /1، وينظر: 180/2.
- ⁵⁰ ينظر: الرَّجَاج، معاني القرآن وإعرابه: 374/1، والنحاس، معاني القرآن: 180/2، وابن جني، المحتسب: 152/1، والثعلبي، الكشف والبيان: 8/3، والأصفهاني، المفردات في غريب القرآن: 168/1، والبغوي، معالم التنزيل: 6/2، وابن

- عطية، المحرر الوجيز: 398/1، وابن منظور، لسان العرب (مادة: و ر ي): 389/15، وأبو حيان، البحر المحيط: 6-5/3، والسمين الحلبي، الدر المصون: 19-16/3.
- ⁽⁵¹⁾ سورة الواقعة، آية: 71.
- ⁽⁵²⁾ سورة العاديات، آية: 2.
- ⁽⁵³⁾ ينظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 374/1، والنحاس، معاني القرآن: 180/2، والثعلبي، الكشف والبيان: 8/3، والأصفهاني، المفردات في غريب القرآن: 168/1، والبغوي، معالم التنزيل: 6/2، وابن عطية، المحرر الوجيز: 398/1، وابن منظور، لسان العرب (مادة: و ر ي): 389/15، وأبو حيان، البحر المحيط: 6-5/3، والسمين الحلبي، الدر المصون: 16/3-19.
- ⁽⁵⁴⁾ ينظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط (مادة: و ر ي): 1342/1.
- ⁽⁵⁵⁾ الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 374/1.
- ⁽⁵⁶⁾ ينظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 374/1، وابن عطية، المحرر الوجيز: 398/1، والبغوي، معالم التنزيل: 6/2، وابن منظور، لسان العرب (مادة: و ر ي): 389/15.
- ⁽⁵⁷⁾ ينظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 374/1.
- ⁽⁵⁸⁾ ينظر: الألوسي، روح المعاني: 76/3.
- ⁽⁵⁹⁾ قال ابن عاشور: "التوراة اسم عبراني أصله (طُورًا) بمعنى الهدى، والظاهر أنه اسم للألواح التي فيها الكلمات العشر التي نزلت على موسى عليه السلام في جبل الطور؛ لأنها أصل الشريعة التي جاءت في كتب موسى، فأطلق ذلك على جميع كتب موسى، واليهود يقولون (سفر طُورا)، فلما دخل هذا الاسم إلى العربية أدخلوا عليه لام التعريف التي تدخل على الأوصاف والنكرات؛ لتصير أعلامًا بالغلبة، مثل: العقبة". ابن عاشور، التحرير والتنوير: 149/3.
- ⁽⁶⁰⁾ ينظر: الزمخشري، الكشاف: 335/1.
- ⁽⁶¹⁾ ينظر: الثعلبي، الكشف والبيان: 8/3، والبغوي، معالم التنزيل: 6/2.
- ⁽⁶²⁾ ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون: 18/3.
- ⁽⁶³⁾ ينظر: الزمخشري، الكشاف: 335/1، وابن عطية، المحرر الوجيز: 398/1، وأبو حيان، البحر المحيط: 5/3، والسمين الحلبي، الدر المصون: 16/3، والألوسي، روح المعاني: 77/3، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 149/3.
- ⁽⁶⁴⁾ الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 420-419/1.
- ⁽⁶⁵⁾ قال الخليل: "وعيسى: اسم نبي الله صلوات الله عليه، يجمع: عيسونَ بضم السين، والياء ساقطة، وهي زائدة، وكذلك كل ياء زائدة في آخر الاسم تسقط عند واو الجمع، ولم تعقب فتحة. فإن قلت: ما الدليل على أن ياء عيسى زائدة؟ قلت: هو من العيس، وعيسى شبه فُعلَى، وعلى هذا القياس: مُوسَى". الخليل، العين (مادة: ع ي س): 201-202/2.
- ⁽⁶⁶⁾ الخليل، العين (مادة: ع ي س): 201/2، وابن منظور، لسان العرب (مادة: ع ي س): 152/6.
- ⁽⁶⁷⁾ ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة (مادة: ع ي س): 192/4، والأصفهاني، المفردات في غريب القرآن: 596/1.
- ⁽⁶⁸⁾ ينظر: الخليل، العين (مادة: ع ي س): 201/2.
- ⁽⁶⁹⁾ ابن منظور، لسان العرب (مادة: س و ع): 170/8،

- (70) ينظر: سيبويه، الكتاب: 213/3.
- (71) قال ابن عطية: " (عيسى) اسمٌ أعجميٌّ معرب؛ فلذلك لا ينصرف وهو بالسريانية (أيسوع) عدلته العرب إلى (عيسى)". ابن عطية، المحرر الوجيز: 444/1.
- (72) ينظر: الشوكاني، فتح القدير: 391/1، الألوسي، روح المعاني: 161/3.
- (73) سورة الأنعام، آية: 6.
- (74) ينظر: البخاري، الصحيح المسند، باب لا يشهد على شهادة جور إذا شهد برقم (2508)، 938/2. وهو فيه، في كتاب فضائل أصحاب النبي برقم: (3650)، (3651): 2/5.
- (75) الزَّجَّاج، معاني القرآن وإعرابه: 229/2.
- (76) ينظر: النَّحَّاس، معاني القرآن: 401-400/2.
- (77) ينظر: الهيثمي، نور الدين، بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، برقم (1032): 459/1.
- (78) الخليل، العين: (مادة: ق ر ن).
- (79) ينظر: الفارابي، معجم ديوان الأدب: 133/1، والأزهري، تهذيب اللغة (مادة: ق ر ن): 84/9، والجوهري، الصحاح (مادة: ق ر ن): 2180-2181، وابن فارس، مقاييس اللغة (مادة: ق ر ن): 77/5، والرازي، مختار الصحاح (مادة: ق ر ن): 1/252.
- (80) الثعلبي، الكشف والبيان، 135/4، وينظر: البغوي، معالم التنزيل: 128/3.
- (81) ينظر: ابن منظور، لسان العرب (مادة: ق ر ن): 333/13.
- (82) سورة آل عمران، آية: 14.
- (83) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 383/1.
- (84) المصدر نفسه: 383/1.
- (85) المصدر نفسه: 383/1.
- (86) ينظر: أبو عبيدة، مجاز القرآن: 88/1.
- (87) ينظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 383/1.
- (88) ينظر: النَّحَّاس، معاني القرآن: 367/1، والثعلبي، الكشف والبيان: 24/3، والبغوي، معالم التنزيل: 417/1.
- (89) ابن منظور، لسان العرب (مادة: ق ن ط ر): 118-119/5.
- (90) ينظر: أبو حيان، البحر المحيط: 42/3، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 40/4.
- (91) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير: 231/12.
- (92) الخليل، العين (مادة: ق ن ط ر): 256/5.
- (93) الفارابي، معجم ديوان الأدب: 70/2، وينظر: الجوهري، الصحاح (مادة: ق ن ط ر): 796/2.
- (94) ينظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط (مادة: ق ن ط ر): 466/1.
- (95) ينظر: الزبيدي، تاج العروس (مادة: ق ن ط ر): 485/13.

⁹⁶ ينظر: الخليل، العين (مادة: ق ن ط ر): 256/5، الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 383/1، وابن كيسان، معاني القرآن: 375، والنَّحَّاس، معاني القرآن: 367/1، والفارابي، معجم ديوان الأدب: 70/2، والطبري، جامع البيان: 244-250، وابن عطية، المحرر الوجيز: 268/2، والثعلبي، الكشف والبيان: 24/3، والبغوي، معالم التنزيل: 417/1، وابن منظور، لسان العرب (مادة: ق ن ط ر): 118-119/5، وأبو حيان، البحر المحيط: 42/3، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 40/4، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 231/12.

⁹⁷ ينظر: أبو حيان، البحر المحيط: 42/3، ولألوسي، روح المعاني: 97/2.

⁹⁸ ينظر: أبو حيان، البحر المحيط: 42/3، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 40/4.

⁹⁹ سورة الكوثر: آية 1.

¹⁰⁰ الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 369/5.

¹⁰¹ قال الخليل: "كثر: الكثرة؛ نماء العدد، كثر الشيء كثرة، فهو كثير... والكثرة: نهر في الجنة يتشعب منه أكثر أنهار الجنة، وقيل الخير الكثير الذي أعطاه النبي صلى الله عليه وسلم". الخليل، العين (مادة: ك ث ر): 348/5.

¹⁰² ينظر: المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، المقتضب، وزارة الأوقاف، لجنة إحياء التراث الإسلامي، 1417هـ: 105/2، والزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 369/5.

¹⁰³ ينظر: ابن دريد، الاشتقاق: 65، والأزهري، تهذيب اللغة: (مادة: ك ث ر): 102/10، وابن جني، المنصف: 46/1، وابن فارس، مقاييس اللغة: (مادة: ك ث ر): 160/5، 161، والثعلبي، الكشف والبيان: 309/10، والزمخشري، الكشاف: 4/806، وابن منظور، لسان العرب: (مادة: ك ث ر): 133/5، وأبو حيان، البحر المحيط: 556/10، والحلي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف السمين، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، دار القلم، (د.ت.): 126/11، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 501/8.

¹⁰⁴ أخرجه البخاري: في صحيحه في كتاب التفسير ص 1268، برقم (4964)، و(4965)، و(4966)، وينظر: أبو حيان، البحر المحيط 556/10.

¹⁰⁵ ابن عاشور، التحرير والتنوير: 573/30.

¹⁰⁶ ينظر: ابن جني، المنصف: 34/1، 35.

¹⁰⁷ ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير: 573/30.

¹⁰⁸ سورة الأعراف: آية 80.

¹⁰⁹ الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 352-351/2.

¹¹⁰ الخليل، العين: مادة (ل و ط): 451/7.

¹¹¹ ذكر الأصفهاني أنه قيل هو: "من لَاطَ الشيء بقلبي يَلُوطُ لُوطاً وَلِيطاً: أي لصق... وقولهم: لُوطَ فلان: إذا تعاطى فعل قوم لوط، فمن طريق الاشتقاق، فإنه اشتق من لفظ لوط الناهي عن ذلك لا من لفظ المتعاطين له". الأصفهاني، المفردات: 750/1.

¹¹² ينظر: الشوكاني، فتح القدير: 485.

¹¹³ المبرد، المقتضب: 351/3.

- ¹¹⁴ ينظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 351/2، والجواليقي، المعرب: 563، والشوكاني، فتح القدير: 485، والألوسي، روح المعاني: 406/4.
- ¹¹⁵ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 374/7.
- ¹¹⁶ القاسمي، محاسن التأويل: 2799.
- ¹¹⁷ الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 310/3، 405/3، وينظر: ابن خالويه، الحجة في القراءات: 137.
- ¹¹⁸ ينظر: الكسائي، معاني القرآن: 189.
- ¹¹⁹ ينظر: الطبري، جامع البيان: 103/18، وابن منظور، لسان العرب (مادة: أ ج ح): 207/2.
- ¹²⁰ ينظر: الكسائي، معاني القرآن: 189، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 56/11، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/34.
- ¹²¹ ينظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 310/3.
- ¹²² ينظر: الزمخشري، الكشاف: 746/2، والجواليقي، المعرب: 647-648، وابن منظور، لسان العرب، (مادة: أ ج ح) 207/2، والشوكاني، فتح القدير، 875، والألوسي، روح المعاني، 36/16.
- ¹²³ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 56/11.

ميزان الصرف العربي بين أبعاده الصوتية والدلالية نظرة نقدية

إعداد:

د.عبد الوهاب صلاح الدين

محاضر بقسم العربية في جامعة ولاية يوبي.¹

ملخص البحث

يتناول هذا البحث ميزان الصرف العربي من ناحيتين: تتمثل إحداهما في أبعاده الصوتية، وتتعلق الأخرى بأبعاده الدلالية، علماً بأن الصرفيين القدامى وقعوا في الخلط في كلتا الناحيتين، الأمر الذي أدى بهم إلى مقابلة بعض كلمات بموازن تصويرية لا تكاد تعكس صور موزوناتها الحقيقية نتيجة عدم مراعاة ما يطرأ على صوامتها وصوائتها من تغيير من جانب، والتركيز على أبعادهما الدلالية على حساب أبعادهما الصوتية من جانب آخر. يتبع الباحث المنهج الوصفي لوصف الكلمات المتعلقة بهذا البحث. وتوصل هذا البحث إلى نتائج أهمها: أن يكون الميزان مرآة تعكس موزونه بما يطرأ على صوامته وصوائته من التعيير.

Abstract

This research critically sheds light on Arabic morphological scales in two aspects: the first aspect deals with its phonetic dimensions while the other aspect deals with its semantic dimensions. This research gives general view of mix up of some Arabic morphology scholars in treating both aspects, which led them to measure some words with scales that did not reflect the images of their real scales due to lack of considering the change in its phonetic aspect on expense of its semantic aspect. The researcher adopts descriptive method to describe the words related to this research. The research findings include: It is necessary to

¹ wahabsalau1976@gmail.com 08038413013

consider any change that affects both vowel and consonant while scaling any Arabic word morphologically.

مقدمة

النجاح في تعليم اللغة مرهون بالنجاح في وصفها وصفا دقيقا، ولا شك في أن الخلل في وصفها يؤدي إلى تعقيدها عند دارسها، فإذا اكتشف أي باحث لغوي خللا في وصف مستوى من مستوياتها نبّه عليه ودعا إلى إعادة النظر فيه، بناء على هذا، يحاول الباحث إبراز الخلل الذي اكتشفه في ميزان الصرف العربي والدعوة إلى إعادة النظر فيه، من خلال النقاط الآتية:

☞ مفهوم ميزان الصرف العربي عند الصرفيين القدامى

☞ اختلاف القدامى في مقابلة بعض موزونات بموازيتها

☞ خلط القدامى في الميزان الصرفي من خلال أبعاده الصوتية

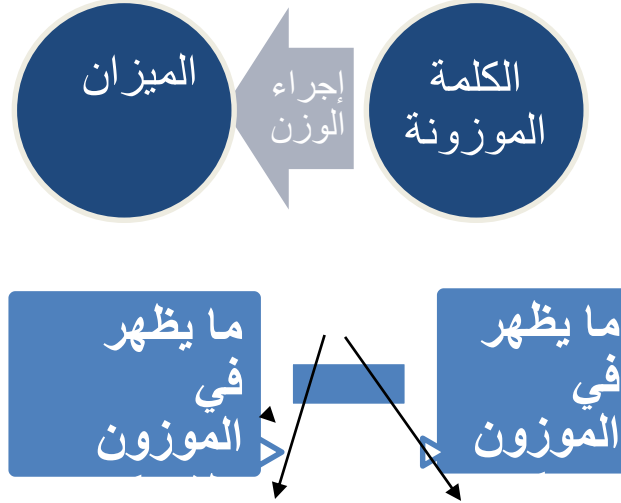
☞ خلط القدامى في الميزان الصرفي من خلال أبعاده الدلالية

☞ اقتراح حلول. والله نسأل أن يلمنا الصواب (أمين).

☞ مفهوم ميزان الصرف العربي عند القدامى

الميزان اسم آلة مولد من الوزن يطلق في الصرف العربي على المقياس الذي وضعه اللغويون القدامى لمعرفة أحوال بنية الكلمة: صوامتها وصوائتها، من حيث الأصالة والزيادة والترتيب والحذف¹. فيمكنهم المقياس من صياغة القواعد العامة، علما بأنهم كانوا قبل وضعه يقيسون كلمة بشبهتها في حركات وسكنات، مثل: بلغم على وزن جعفر. اختار القدامى (ف ع ل) لهذه المهمة لأنها تمثل بقية الحروف في مخارجها، ذلك أن الفاء تخرج من الشفتين والعين تخرج من الحلق واللام من اللسان، فالمعروف أن المخارج الثلاثة المذكورة هي المخارج المركزية التي تخرج منها الحروف العربية، وأضاف سعد كريم الفقي سببا آخر، وهو أن لفظ (فعل) يعم جميع الأفعال ويشمل كل حدث فيقال لأي عمل فعل،² ولا أرى لما أضافه مسوغا نظرا لكون الميزان مستعملا للأفعال والأسماء فلو انحصر استعماله في الأفعال لكان مسوغا.

تم وضع الميزان الصرفي (فعل) على ثلاثة أحرف لكون الكلمات التي تكونت من ثلاثة أحرف أكثر استعمالاً في اللغة العربية من غيرها ، فالميزان يقابل موزنه في حركات وسكنات، مثل: جِسْم على وزن فِعْل، وتبنوا زيادة لام أخرى في آخره ليقابل الرباعي المجرد، مثل: جعفر على وزن فعلل، وزيادة اللام الأخرى على الأخير ليقابل الخماسي المجرد، مثل: جحمرش على وزن فعللل، فمقابلة الميزان بموزونه يستلزم اعتبار الضوابط الآتية:



يتضح ما يظهر في الموزون ويعكس في الميزان قيما يأتي:

- 1- الزيادة على أحرف الكلمة الأصلية توجب زيادة نفس شئ في نفس موضع في ميزانه، مثل: "اجتمع" يوزن ب "افتعل"
- 2- تكرار بعض أحرف الكلمة يوجب تكرار ما يقابله في الميزان، مثل: "اعشوشب" على وزن "افعول" بتكرار عين الكلمة و"بهلول" على وزن "فعلول"³ بتكرار لام الكلمة
- 3- حذف بعض أحرف الكلمة يوجب حذف ما يقابله في الميزان، مثل: "مِل" من (م ي ل) على وزن "فل"، و"صِف" من "وص ف" على وزن "عل"

4- التقديم والتأخير في بعض أحرف الكلمة يوجب التقديم والتأخير فيما يقابله في الميزان، مثل:

"الحادي" يوزن بـ "العالف" بينما يوزن "الواحد" بـ "الفاعل".

يتبلور ما يظهر في الموزون ولا ينعكس في الميزان من خلال النقاط الآتية:

1- إبدال حرف بحرف، يكون "ازدهر" - مثلا- على وزن "افتعل" بدلا من "افدعل"

2- إدغام حرف في حرف، يكون "مدّ" -مثلا- على وزن "فعل"

3- الإعلال بالقلب، يكون "سار" - مثلا- على وزن "فعل"

4- الإعلال بالنقل، يكون "يقول" - مثلا- على وزن "يفعل"

اختلاف القدامى في مقابلة بعض موزونات بموازينها

اختلاف القدامى في وصف بنية بعض كلمات أدى إلى اختلافهم في موازينها، وإذا اختلف اثنان من الناس في مسألة ما فلا يخلو الأمر من أن يكون الصواب في أحدهما أو في غيرهما، والمهم في المسائل المختلف فيها التمييز بين صوابها وخطئها، وسيكتفي الباحث بذكر نموذجين منه على النحو الآتي:

1- اختلاف البصريين والكوفيين في ميزان "اسم"

اختلف البصريون والكوفيون في ميزان "اسم"، ذهب الكوفيون إلى أنه على وزن "اعل" بناء على أنه مشتق من "الوسم" فحذفت منه الفاء التي هي الواو في وسم وزيدت الهمزة في أوله عوضا عن المحذوف،⁴ وذهب البصريون إلى أنه على وزن "افع" بناء على أنه مشتق من "السمو" فحذفت اللام التي هي الواو وجعلت الهمزة عوضا عنها.

إن المتأمل في جمع "اسم" على "أسماء" يتوصل إلى أن مذهب البصريين هو الراجح، فلو كان أصله "وسم" لكان جمعه "أوسام"، ولا شك في أن كلمة "ابن" التي تجمع على "الأبناء" شبيهته تماما

2- اختلاف البصريين والكوفيين في ميزان "إنسان"

ذهب الكوفيون إلى أن "إنسان" على وزن "إفعان" بناء على أنه مولد من النسيان إلا أنه لما كثُر في كلام العرب وجرى على ألسنتهم حذفوا منه الياء التي هي اللام تخفيفا، محتجين أنهم قالوا في تصغيره

"أنيسيان" فردوا الياء في حال التصغير لأن الاسم لا يكثر استعماله مصغرا كثرة استعماله مكبرا والتصغير يرد الأشياء إلى أصولها.

وذهب البصريون و بعض الكوفيين إلى أنه على وزن "فعالن" بناء على أنه مولد من الإنس وسى الإنس إنسا لظهورهم كما سى الجن جنا لاستتارهم.⁵

من دقق النظر في هذا الاختلاف يدرك أن مذهب البصريين راجح نظرا لورود الهمزة في جميع تقلبات الكلمة وعدم ورود الياء في معظمها:(إنس أناس إنسان أناسي أنيسيان)

كخلط القدامى في الميزان الصرفي من خلال أبعاده الصوتية

وقع الصرفيون القدامى في خلط غير متوقع في استعمال الميزان لموزونه من خلال أبعاده الصوتية على نحو ما يتضح في النقاط الآتية:

1- عدم إعطاء بعض الصوائت حقه

أعطى القدامى الصوائت القصيرة حقه في مقابلة موزون بميزانه، ف "جمع" – مثلا- على وزن "فعل" بفتح جميع أحرف الكلمة، و"حسُن" على وزن "فعل" بضم ما بين الفتحين، ولكنهم لم يعطوا الصوائت الطويلة المسماة بحروف المد عند القدامى حقه، فبدلا من أن يكون مثل "باع" و "دعا" على وزن "فال" و"فعا" قابلوهما ب"فعل" مراعاة لأصلهما: "ب ي ع" و "دع و"، وإذا قارنا بين الاثنين أدركنا أن الأول أحسن لكونه معطيا الصائت الطويل حقه كما أعطي الصائت القصير، هذا من جانب، ومن جانب آخر أنه ينم عن اعتلال آخر الكلمة. وقال عبد القاهر في المبدل عن الحرف الأصلي: "يجوز أن يعبر عنه بالمبدل، فيقال في قال: إنه على وزن قال"⁶

2- عدم اعتبار بعض تغييرات صوتية

يكفي أن أضرب مثلا بصيغة "افتعل" بحيث قابل بعض القدامى كل ثلاثي زيد فيه الهمزة والتاء، مثل: اجتمع، أو الهمزة والطاء مثل: اضطرب، أو الهمزة والذال، مثل: ازدحم ب"افتعل"، ذلك أنهم يزعمون أن أصل الطاء والذال في هذا الباب تاء على نحو ما تجلى في مضمون قول سيبيويه: "وأما الذال فتبدل من التاء في افتعل إذا كانت بعد الزاي في ازدجر ونحوها والطاء منها في افتعل إذا كانت بعد الضاد في افتعل

نحو اضطهد وكذلك إذا كانت بعد الصاد في مثل اضطهر⁷ و ابن جني حيث قال: "وأما "اضطرب" فأصله: "اضطرب"، فقربوا التاء من الضاد، بأن قلبوها طاء لتوافقها في الاستعلاء، فقالوا: "اضطرب" و صرفوه على ذلك، فقالوا: "يضطرب ومضطرب"⁸ إن المتأمل في القضية يدرك أن هذا الزعم بعيد عن الواقع، إذ لا تجد التاء تظهر في واحد من تصريفات تلكم الكلمات، فالأفضل أن يكون الميزان مرآة موزونه فيكون "ازدهر" على وزن "افدعل" ويكون "اضطرب" على وزن "افطعل". وقد تنبه إلى ذلك الرضي الإستراياذي حيث فضل أن يعبر عن كل الزائد المبدل (منه) بالبدل، لا بالمبدل منه⁹

3- عدم مراعاة ترتيب الصوائت فيما تعرض للإعلال

أنصف القدامى في مراعاة ترتيب الصوائت عند مقابلة ميزان بموزونه، فإذا تم التقديم والتأخير في ترتيب صوائت الموزون انعكس ذلك في ميزانه، مثل: "رأى" على وزن "فعل" وهو يجمع على "آراء" على وزن "أفعال" حيث تم تقديم عين الكلمة على فائها ولكنهم قصروا في مراعاة ترتيب الصوائت عند مقابلة بعض الكلمات المعتلة التي تتعرض صوائتها للتقديم والتأخير خلال تصريفها من صيغة إلى أخرى بينما تبقى صوائتها على ترتيبها الأصلي، ولا ينعكس ذلك في ميزانها على نحو ما يحدث في مضارع الأجوف واسم مكان وزمان منه، مثل: "يبيع" صيغة الفعل المضارع و"مبيع" صيغة اسم مكان وزمان من (ب ي ع) قابلوهما ب "يُفعل" و "مَفعل" بسكون الفاء فهما بدلا من أن يكونا على وزن "يفيل" و "مفيل" بكسر الفاء طبقا لما ظهر في الموزون.

كخلط القدامى في الميزان الصرفي من خلال أبعاده الدلالية

راعى الصرفيون أبعادا دلالية في مقابلة بعض موازين بموزوناتها على حساب أبعادها الصوتية، فأصبحت تلكم الموازين لا تصور حقيقة موزوناتها صوتيا، وسيكتفي الباحث بذكر نموذجين منها على النحو التالي:

1- أمر الفعل الثلاثي المضاعف المدغم

ركز الصرفيون على أبعاد دلالية في مقابلة أمر الفعل الثلاثي المضاعف المدغم بميزانه، مثل: "مسّ" على وزن "فعل" إذا استعمل للماضي وعلى وزن "افعل" إذا استعمل للأمر فلا تكاد تجد التطابق بين "مسّ" و "افعل" من منطلق الضوابط الموضوعية للميزان ما عدا أنه يسوقك إلى دلالته على الأمر.

2- اسم مفعول من الفعل الثلاثي الأجوف

تبينت مراعاة الأبعاد الدلالية بين موزون وميزانه في اسم مفعول من الفعل الأجوف، فتراهم يقابلون مثل: "مبيع" بـ "مفعول" لإبراز دلالاته المفعولية لكي لا تلتبس بدلالاته المكانية الزمانية.

خاتمة البحث واقتراح حلول

توصل الباحث إلى أن الميزان الصرفي آلة واصفة يصف هيئة الكلمة اللفظية، ثم توظيف هذا الإجراء على تحديد ما يشترك في معنى من كلمات، فإذا أردنا تحقيق النجاح في وصف هيئة الكلمة اللفظية فلا بد من أن ينطبق الوصف على الموصوف المستهدف، ويكون الميزان مرآة تعكس موزونه بما يطرأ على صوامته وصوائته من تغيير هذا من جانب، وإذا أردنا تحقيق النجاح في إجراء هذا الوصف على تحديد ما يشترك في معنى من كلمات من جانب آخر، فلا بد من تحديدها مع مراعاة اختلافها في طبيعتها اللفظية بدقة على نحو ما يتضح اسم مكان وزمان في الجدول التالي:

| اسم مكان وزمان | | | |
|----------------|---------|-------|------|
| السالم | وزنه | مثاله | |
| | مفعّل / | مدخل | مخرج |
| | مفعّل | مجلس | منزل |
| المضاعف | مفعّل | ممرّ | مقر |
| الأجوف | مفال | مثار | مجال |
| | مفيل | مبيع | مسير |
| الناقص | مفعي | مسعى | مأوى |

انطلاقاً مما أسلف الباحث بيانه يقترح ما يلي:

- 1- أن يعكس الميزان البدل الوارد في الموزون، فيكون "اضطرب" - مثلاً - على وزن "افطعل"
- 2- أن يعكس الميزان الإدغام الوارد في الموزون، فيكون "سدّ" - مثلاً - على وزن "فعل"

- 3- أن يعكس الميزان الصائت الطويل الوارد في الموزون نتيجة الإعلال بالقلب، فيكون "مال" -
مثلا- على وزن "قال"
- 4- أن يعكس الميزان التغيير الذي يطرأ على الموزون نتيجة الإعلال بالنقل، فيكون "يقول" -
مثلا- على وزن "يفول"

قائمة الهوامش المراجع

- ¹ عبد الله بن صالح الفوزان، دليل السالك إلى ألفية ابن مالك، www.alfuzan.islamlight.net، 26-11-2019 ج2/ص210
- ² سعد كريم القفي، (د.ت) 400 سؤال وجواب في قواعد الصرف العربي، الدار العالمية الإسكندرية، مصر، ص11
- ³ سيويوه، عمرو بن عثمان بن قنبر، (د.ت) الكتاب تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت ج4/ص275
- ⁴ الأنباري، أبي البركات عبد الرحمن، الإنصاف في مسائل الخلاف لإنصاف في مسائل الخلاف، دار الفكر، دمشق ج1/ص6
- ⁵ نفس المصدر ج2/ص809
- ⁶ الرضي الإستراباذي، (1975) شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق: محمد نور الحسن وآخرين، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان ص18
- ⁷ سيويوه، المصدر السابق ج4/ص239
- ⁸ ابن جني، المنصف <https://shamela.ws/index.php/book/10545> 2019-12-12 م
- ⁹ الرضي الإستراباذي، (1975) شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق: محمد نور الحسن وآخرين، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان ص18

صور اسم المفعول ودلالاتها في ديوان الحاج محمد بن أبي بكر أغبي "دراسة صرفية"

إعداد:

محمد يونس والأستاذ الدكتور: ثالث عبد الكرم

و الدكتور آدم أيوب بنثي

معهد فاطمة لامي أبي بكر للشريعة والشؤون الإدارية

منا ولاية نيجا:

الملخص:

هذه المقالة بعنوان " اسم المفعول، ودلالاتها في ديوان الحاج محمد بن أبي بكر أغبي "دراسة صرفية"، اشتملت المقالة على نبذة تاريخية عن الشاعر، وتعريف اسم المفعول، وصيغته في الديوان ودراساتها دراسة صرفية تحليلية، لغرض إبراز اسم المفعول في الديوان ودلالاته. وأن ديوان الشاعر يظهر عبقريته اللغوية وخاصة الصرفية حيث استخدم الأسماء المشتقة في الديوان لمعان متباينة.

ABSTRACT

This paper (is) entitled: past participle and its implications in Sheikh Al-Haj Mohammed bin Abi Bakr Agaei's collections is an analytical study of Arabic morphology. This paper is divided into two parts and a conclusion. The first part is a historical background of the poet; Sheikh Muhammad ibn Abi Bakr Agaei, while the second part is an analytical study on Arabic past participle in the Diwan.

المقدمة

الحمد لمن فتح العقول بمعرفته، وأطلق الألسن بحمده، وجعل ما امتن به من ذلك على خلقه وكفاء لتأدية حقه، وأشهد له بالإخلاص أنه لا إله غيره، وأن محمد عبده ورسوله وصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه إلى يوم الدين. وبعد

إن الناظر في ديوان الشيخ الحاج محمد بن أبي بكر أمير الواعظين إمارات أغني، يجد القصائد منها طويلة قد "تبلغ أحيانا أكثر من مئتي بيت، ومنها مائة ومنها خمسين بيتا ومنها ثمانين. وقد بلغ الأبيات ألف بيتاً في الديوان ثم اختار الباحثون ست أبيات من الديوان.

ولذلك سعى الباحثون إلى كشف ما فيها من أسرار اسم المفعول في هذه المقالة وتشتمل هذه المقالة على النقاط التالية نبذة عن حياة الشاعر، مفهوم اسم المفعول وصيغته، دراسة اسم المفعول في الديوان، ثم الخاتمة، والهوامش والمراجع.

نبذة تاريخية عن الشاعر.

نسبه:

هو الشيخ محمد الملقب بـ (مَنْبَأْغِي).¹ والده هو المرحوم الشيخ أبوبكر المعروف بـ (بَأْمَنْ) ابن أحمد المعروف بـ (بَأْفَا) ابن مَنَّادُوكُوبُو (Man Tsado Kobo)،² وأما أمّه فهي السيدة مريم بنت الشيخ آدم بن سليمان بن عبد الله، وينتهي نسبه من جهة أمّه إلى أسرة إَنَّ فَنَّا (Nnafyanya)، وهي إحدى الأسر التأميرية (Kingmakers) في إمارة أغني.³

مولده ونشأته:

ولد الشاعر مَنْبَأْغِي يوم الاثنين في سنة (1963) لأسرة مَنَّادُوكُوبُو في مدينة أغني، ونشأ في بيت علم وشرف ودين وصلاح تحت رعاية أبويه الكريمين، نشأة عجيبة⁴ تفصح عن مستقبل حياته الياسمة، وامتاز منذ نعومة أظفاره بذكاء، وعبقريّة وقادة.⁵ وانتقل والده إلى جوار ربه، عام ألف وتسعمائة وستة وثمانين (1986م)، وهو آخر أولاد أبيه.⁶

تعلّمه:

أخذ مبادئ العلوم الإسلامية واللغوية من بيت أبيه، إذ ختم القرآن الكريم وهو في الثالث عشر من عمره، تلاوةً على أخيه الأكبر الذي كان يكفله بعد وفاة والده، ومن أخيه هذا أخذ قسطاً كبيراً من الدروس الأولية من الدينية واللغوية على المنهج الدهليزي، ومن الجدير بالذكر في هذا الصدد أن كل حياته العلمية لم تتعدّ بيئته أغني، إلا أنه كان في طوره الأخير من التحصيل، يقوم بالرحلة العلمية إلى

مدينتي بدأ وكثرتا يوميا خلال سنة كاملة، حيث تتلمذ على الشيخ أحمد الصوفي بدأ، والأستاذ الحسن بكتا كتتا، (kpatakatcha) وقد احتسى من حوضهما المألن مشربا من العلوم الصرفية، واستفاد من كنوز حكيمهما دررا نفيسة، ومن مشاهير العلماء الذين نهل الشاعر من ينابيع علومهم الدفاعة الشيخ أحمد طرؤ وهو أخوه السابق الذكر، والذي تلقى منه القرآن الكريم ومبادئ علوم الدين واللغة، ومنهم: الحاج الشيخ زيكو (Zhiko)، والأستاذ إبراهيم خليل وهما من أسرة أبيه، والأستاذ عثمان مساك ووأغي، (Masakawawagi) والشيخ القاضي الإمام يونس كيني، والشيخ محمد يوا (Yewa) من بيت غلوثي، (Emi Guluchi) وهو الأخ الأكبر لأم الشاعر وصهره.⁷

علماءه:

ومن مشائخه وعلمائه الذين تأثر بهم وأخذ منهم علوم الإسلامية والثقافة العربية، كثير منهم:

- 1- الشيخ أحمد طرؤ وهو أخوه والذي تلقى منه القرآن الكريم ومبادئ علوم الدين واللغة.
- 2- الشيخ الحاج زيكو (Zhiko)، من أسرة أبيه
- 3- والأستاذ إبراهيم خليل من أسرة أبيه أيضا.
- 4- الشيخ المرحوم عثمان مساك ووأغي، (Masakawawagi)
- 5- الشيخ المرحوم القاضي الإمام أغني يونس كيني.
- 6- الشيخ المرحوم محمد يوا (Yewa) من بيت غلوثي، (Emi Guluchi) وهو الأخ الأكبر لأم الشاعر وصهره.⁸

إنتاجاته:

أجادت قريحة الشيخ محمد منباغي وما زالت تجيد-من إنتاجات أدبية قيمة، كما قيّدت أفكارا علمية مفيدة، تطويرا للغة العربية وأدائها، وخدمة للدين الحنيف والأمة الإسلامية، والباحث يسعى في السطور التالية إلى ذكر هذه الأعمال التي قام بها هذه الشخصية. ويرى الباحث من الجدير-قبل الخوض في صميم الموضوع-أن يذكر مناسبة عامة لتلك الإنتاجات.

ومن إنتاجاته:

1- نزهة العشاق في مدح خير الخلاق: قال هذه القصيدة في مدح خير العالمين محمد صلى الله عليه وسلم، عام 1428هـ / 2007م، وهي في البحر الطويل، وتقع في مائة وستة وعشرين بيتا (126)، افتتحها بقوله:

بدأت بمدح الهاشمي محمد ** إمام عباد الله سرّاً وجهريا

واختتمها بقوله:

عليه صلاة الله ثم سلامه ** مع الآل والأصحاب فالكل خَلِيّا

2- تذكر الإخوان: أخرج هذا النظم في الوعظ والإرشاد عام 1429هـ / 2008م، وهو في البحر الرجز، مشتملا على مائة وثمانية (108) أبيات، ومطلع القصيدة:

الحمد لله الذي هداني ** لهذه نصيحة الإخوان

وأما مقطعا فهو قوله:

محمد صلى عليه الله ** عديد ما أرجوه أو أخشاه

وآله وصحبه الأخيار ** صاروا لهذا الدين كالأقمار

3- نيل المراد في مدح خير العباد: كتب هذه القصيدة مدحا لجناب الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم، عام 1430هـ / 2009م، وهي في البحر المتقارب المربع⁹، ويحتوي على تسعة وسبعين (97) بيتا، ومطلع القصيدة هو قوله:

فصلّ إلهي على المصطفى ** محمد خير الورى من صفى **

على كل حال غدا منصفا صلاتي عليه ليوم اللقى

وخاتمة القصيدة هي قوله:

فصل إلهي على المجتبى ** وآلٍ وصحب علّوا منصبا **

فكل أعادي النبي حاربا صلاتي عليه ليوم اللقي

وما زال الشاعر على قيد الحياة، عاكفا على التدريس والتأليف، إضافةً إلى ما يقوم به من الدعوة الإسلامية، حتى كُئِل بتاج أمير الدعاة في إمارة أغني، مرزوقا بثلاث زوجات وست عشرة ذرية ما بين الذكران والإناث. أطل الله بقائه معافا سليما سعيدا.

اسم المفعول وصيغته.

هو ما اشتق من المصدر المبني للمجهول، لمن وقع عليه الفعل.¹⁰ وعرفه ابن الحاجب هو "ما اشتق من فعل لمن وقع عليه"¹¹ ورأي الشيخ الغلايني بأنه: "صفة تؤخذ من الفعل المجهول للدلالة على حدث وقع على الموصوف بها على وجه الحدوث والتجدد، لا الثبوت والدوام"¹²

صيغته: أولاً: يصاغ من الفعل الثلاثي المجرد على وزن "مَفْعُول" نحو:

الصحيح: كُتِبَ - مَكْتُوب، دُرِسَ - مَدْرُوس

المضعف: مُدَّ-ممدود، دُقَّ-مدقوق بفك التضعيف.

المهموز: أخذ-مأخوذ، أكل-مأكول، سُئِلَ-مَسْئُولُ.

ثانياً: يصاغ اسم المفعول من غير الثلاثي على وزن مضارعه مع إبدال حرف المضارعة ميما مضمومة وفتح ما قبل الآخر. نحو: تُعَلِّم-مُتَعَلِّم، نُوقِش-مُنَاقِش. يصاغ اسم المفعول من الأفعال المتعدية ويصاغ من الأفعال اللازمة مع الظرف، والمصدر والجار والمجرور.

ثالثاً: يصاغ اسم المفعول إذا كان الثلاثي المجرد معتل اللام بياء أو ألف أصلها ياء.

مثل: رَمَى، رَضِيَ، قلبت واو "مفعول" ياء وكسر ما قبلها وأدغمت الياءان، فتقول: مرضي. ومثل الناقص واللفيف المفروق نحو: وَلِيَ فتقول مَوْلِيٌّ، ومثله المقرون في: رَوَى تقول: فهو مَرْوِيٌّ.¹³

رابعاً: إذا كان الثلاثي المجرد معتل اللام بألف أصلها واو. نحو:

دنا-مدنُو، وَسَمَا-مَسْمُوءُ، طَفَا-مَطْفُوءُ.¹⁴

خامسا: قد يستعمل المصدر المراد به اسم المفعول، ومن ذلك: حَلَبٌ-بمعنى محلوب. كقول حسان بن ثابت:

تتناها حَلَبُ العسيرِ فعاطني * بزجاجة أرخاهما للمفصل

خلق - بني مَخْلُوق، ضَرَبُ - مضروب يأتي اسم المفعول مراداً به المصدر، نحو: مَعْقُولٌ-عقل، مُعَلَّم - علم، معسور-عسر، ميسور يسر.

سادسا: وورد في كلام العرب بعض الصيغ السماعية تؤدي ما يؤديه اسم المفعول المصوغ من الثلاثي وليس على وزن منها:

1- وزن (فَعِيل) مثل: صَرِيح -بمعنى مصروع، وقتيل-بمعنى مقتول، وكحيل -بمعنى محكول وْحَيْبٌ -بمعنى مَحْبُوب، وهذه الصيغة مما يستوي فيه المذكر والمؤنث فنقول: رجل صريع وامرأة صريع، وهو سماعي لا يقاس عليه، وقيل إنه قياسي في الأفعال التي ليست لها، "فعل" بمعنى فاعل ولا ينقاس في غير ذلك مثل: "رَجِم" و"عَلِم" و"شَهِد" نحو: و"رَجِيمٌ، وَعَلِيمٌ، وشَهِيد" بمعنى "راحم" و"عالم" و"شاهد".

2- وزن "فَعْل" بكسر الفاء وسكون العين مثل:

قِطْف - مَقْطُوف، ذَبْح - مذبوح، جِمْل - محمول

3- وزن "فَعْل" بفتح الفاء والعين، مثل:

عَدَد - معدود، وِجَى -مجني، وِسَلَب - مسلوب، وِجَلَب - مجلوب.

4- وزن "فُعْلَة"، بضم الفاء وسكون العين، مثل:

غُرْفَة - مغروف، وطُعْمَة - مطعوم، وأكْلَة - مأكول، ومُضْغَة - ممضوغ.¹⁵

نماذج: اسم المفعول على صيغة مفعول:(بفتح الميم وضم العين وسكون ما بينهما)

اسم المفعول هي صفة تؤخذ من الفعل المجهول للدلالة على حدث وقع على الموصوف بها على وجه الحدوث والتجدد، لا الثبوت والدوام

قال الشاعر:

محمد وحامد محمود # دنيا وأخرى دائما مصمود

ورد اسما المفعول في البيت هما "محمود ومصمود" و"المحمود" مشتق من حَمِدَ، يَحْمَدُ، حَمْدًا، محمودا من فَعَلَ يَفْعَلُ، فَعْلًا ومفعولا¹⁶ على وزن " مَفْعُولٌ" وهو من الفعل المتعدي الثلاثي المجرد الصحيح، "حمد" على وزن مع مضارعه مع إبدال حرف المضارعه ميما مفتوحا وبضم العين، وهو من باب ضرب يضرب¹⁷ وهو مشتق للدلالة على من وقع منه الفعل.¹⁸ ويقال: "حَمِدَهُ حَمْدًا أي أثنى عليه، وحمد فلانا جزاه وقضى حقه، ومحمود شيء رضي عنه وارتاح النفس إليه، ويقال: أحمدك الله وأحمدته أي أثنى على الله عليك."¹⁹ ويقال: "حمدته" على شجاعة وإحسانه حمداً أي أثنيت عليه. لقوله تعالى في محكم تنزيله: {عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا} [الإسراء: 79] ومن هنا اختلف الحمد عن الشكر، لأنه يستعمل لصفة في الشخص مثل محمد الحامد، وفيه معنى التعجب مثل: أحمد يزيد. ويكون فيه معنى التعظيم للممدوح وخضوع المادح كقول المتنبي: "الحمد لله إذ ليس هنا شيء من نعم الدنيا". ويكون في مقابلة إحسان يصل إلى الحامد وأما الشكر فلا يكون إلا في مقابلة الصنيع. فلا يقال شكرته على شجاعته وقيل غير ذلك وأحمدته بالألف وجدته محموداً²⁰

"مصمود" مشتق مصمَدَ يَصْمُدُ، صَمْدًا وصُمُودًا، "مصمود" هو اسم المفعول على وزن " مَفْعُولٌ" وهو من الفعل الثلاثي المتعدي المجرد الصحيح، "صمد" على وزن مضارعه مع بإبدال حرف المضارعة ميما مفتوحة وبضم العين، وهو من باب نصر ينصر²¹ وهو مشتق للدلالة على من وقع منه الفعل.²² بمعنى: فلانٌ مَصْمُودٌ: أي مقصودٌ بالحوادث²³.

استخدم الشاعر هاتين الصيغتين في البيت "محمود ومصمود" يصف ممدوحه صلى الله عليه وسلم بأنه محمود ومصمود في الدنيا وفي الآخرة.

قال الشاعر:

مُحَمَّدٌ مَحْمُودٌ الْمَقَامِ وَإِنَّهُ * شَفِيعُ الْوَرَى الْمُقْبُولِ سِرًّا وَجَهْرِيًّا

يبين الشاعر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان حامداً ومحموداً وله مقام عند الله سبحانه وتعالى، الذي لا يوجد من يقوم مقامه أحداً، ولذلك أنه شفيح لجميع الأمة من آمن به من الأمة، وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَا أَوْلُ شَفِيعٍ فِي الْجَنَّةِ، وَأَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِنْ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ لِمَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا مَعَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ، يَعْنِي رَجُلًا وَاحِدًا.²⁴

استخدم الشاعر في البيت صيغة اسم المفعول "المقبول" مشتق من قَبِلَ يَقْبِلُ قَبْلاً²⁵ من باب فرح يفرح و"المقبول" من الفعل اللازم الثلاثي المجرد الصحيح، على وزن "مَفْعُولُ"، و"مقبول" على وزن مضارعه مع إبدال حرف المضارع ميما مفتوحا وبضم العين، وهو من باب فرح يفرح²⁶ وهو مشتق للدلالة على من وقع منه الفعل.²⁷

قال الشاعر:

مرادي وصال النبي دائماً * مشوق له هانما * فليتي مدارس له قائما

صلاتي عليه ليوم اللقي

ومن مراد الشاعر أن يكون دائماً في والوصول بالنبي صلى الله عليه وسلم، أي أن يكون مع النبي صلى الله عليه وسلم جسمياً وروحياً ليثبت شوقه إليه.

استخدم الشاعر بصيغة اسم المفعول في البيت السابق: "مشوق" مشتق من فعل ثلاثي أجوف واوي "شَوَّقَ" فتحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً فصارت "شاق" ويقال شاق صيغة ماضي ومضارعه "يشوق" ومصدره "شوق" على وزن فعل يَفْعُلُ فعلاً. فلما أراد صياغة اسم المفعول منه قيل "مشوق" تحركت الواو بالضممة إثر سكون، فنقلت حركة الواو إلى حرف الصحيح الساكن قبلها أي الشين فصارت "مشوقاً"

فالشَّوْقُ: حَرَكََةُ الْهَوَى، وَأَشْوَاقُ أَي: بَلَغَتْ مِنِّي، شَاقِي: حَيْهًا²⁸

شوق: الشَّوْقُ: نَزَاعُ النَّفْسِ، وَشَاقِي حَيْهًا، وَذَكَرَهَا يَشْوِقُنِي، أَي يَهِيحُ شَوْقِي، فَاشْتَقْتُ. وَشَوَّقْتُ فَلَانًا: أَي ذَكَرْتَهُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ فَاشْتَاقَ.²⁹

قال الشاعر:

ألا يارسول الله ياخير مرسل * ويا منقذ الأحياب من كل فتنة

وفي هذا البيت مشيراً الشاعر إلى أن ممدوحه صلى الله عليه وسلم، هو خير الرسل وهو منقذ الأمة من الضلالة إلى هداية، ودل أن النبي صلى الله عليه وسلم هو منقذ العباد من الظلمات إلى النور.

استخدم الشاعر هذه صيغة اسم المفعول في البيت السابق: "مرسل"

"فمرسل" مشتق من أرسل يرسل إرسالاً "فمرسل" على وزن مفعول من فعل الثلاثي مزيد بحرف واح د في أوله "الهمزة" (أرسل) أي أرسل مشتق على وزن مضارعه بإبدال حرف المضارعة ميماً مضموماً وكسر ما قبل الآخر. من باب ضرب يضرب.³⁰

قال الشاعر:

واجعل إلهي سعينا مشكوراً * وما مضى من ذنبنا مغفوراً

أن الشاعر بدعوا الله متوسل بجاه بعض الصحابة أن يجعل موتنا مشكوراً، وأن يغفر ما قدمنا من ذنوبنا وتوفنا مع الأبرار.

استخدم الشاعر هذه الصيغة اسما المفعول في البيت السابق هما "مشكور ومغفور"

"مشكور" مشتق من شَكَرَ يَشْكُرُ شُكْرًا شُكْرَانًا³¹ "والمشكور" على وزن مفعول وهو من الفعل الثلاثي المتعدي المجرد الصحيح، "شكر" على وزن مضارعه بإبدال حرف المضارعة ميماً مفتوحاً بضم العين، من باب نصر ينصر، بمعنى ذكر نعمة، يقال: شكر فلان، أي ذكر نعمة وأثنى عليه. وقال تعالى: {أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ} لقمان: 14. شَكَرْتُ الدابة: شكراً، وشكراناً. أي كفاها القليل من العلف وغيره. شَكَرْتُ الشجرة أي شَكَرًا: خرج منها الشكير، والضرع بمعنى امتلأ باللينز وكذلك يُقال في شَكَرْتُ الناقة، والسحابة، أي امتلأت. والشكور: مبالغة الشاكر. وقال تعالى: {وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ} سبأ: 13، أي مبالغ في الشكر³² وتساوت صفة فَعُولٌ في التذكير والتأنيث، فتقول: رجل صبورٌ أو امرأة صبورٌ. ورجلٌ شكورٌ وامرأة شكورٌ، والشكور من صفات الله عزوجل بمعنى المثيب المنعم بالجزاء. وهو بمعنى (شاكر).

الشُّكْرُ: الثَّنَاءُ عَلَى الْمُحْسِنِ بِمَا أَوْ لَأَ كَهُ مِنَ الْمَعْرُوفِ. وَقَدْ "شَكَرَهُ" يَشْكُرُهُ بِالضَّمِّ "شُكْرًا" وَشُكْرَانًا. أَيْضًا يُقَالُ: شَكَرَهُ وَشَكَرَ لَهُ وَهُوَ بِاللَّامِ أَفْصَحَ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَا شُكُورًا} الْإِنْسَانُ: 9 يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مَصْدَرًا كَقَعَدَ فَعُودًا وَأَنْ يَكُونَ جَمْعًا كَبُرْدٍ وَبُرُودٍ وَكُفْرٍ وَكُفُورٍ. وَالشُّكْرَانُ: ضِدُّ الْكُفْرَانِ".³³

"مغفور" من غَفَرَ يَغْفِرُ، غَفْرًا، فهو غَفِيرٌ، والمفعول مَغْفُورٌ³⁴ على وزن مفعول وهو الفعل الثلاثي المتعدي المجرد الصحيح غفر على وزن مضارعه مع إبدال حرف مضارعه ميماً مفتوحاً وبضم العين من باب ضرب يضرب.

غَفَرَ لَهُ ذَنْبَهُ: عَفَا عَنْهُ، سَامَحَهُ، سَتَرَهُ بِالْعَفْوِ وَالْمَسَامَحَةِ "غفر لفلان خطايا-طلب من الله تعالى العفو والمغفرة {وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ} [البقرة: 285] - {قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ} [القصص: 16]"³⁵

وَالغَفْرُ وَالْمَغْفِرَةُ: أَي التَّغْطِيَةُ عَلَى الذُّنُوبِ وَالْعَفْوُ عَنْهَا، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ ذَنْبَهُ يَغْفِرُهُ غَفْرًا، بِالْفَتْحِ، وَغِفْرَةً حَسَنَةً، بِالكَسْرِ، غَفَرَ أَي إِزَالَةَ ذَنْبٍ. وَيُقَالُ: غَفَرُ التُّوبِ: هُدْبُهُ، وَهُدْبٌ³⁶

قال الشاعر:

فإني عبيدٌ ذليلٌ جَانٍ * وَالْقَلْبُ مَشْغُولٌ بِحُبِّ الْفَانِي

يبين الشاعر بهذه الصيغة مشغول بأنه كان عبد ذليل وهو الحاصي حتى كان قلبه مشغول بحب الدنيا التي كانت فانية، ويبقى وجه ربك ذو الجلال.

ورد اسم المفعول في البيت هو "مشغول"

"مشغول" مشتق من شَغَلَ يَشْغَلُ، شَغْلًا وَشُغْلًا، فهو شَاغِلٌ، والمفعول مَشْغُولٌ، "وهو من الفعل الثلاثي المتعدي المجرد الصحيح، "شغل" على وزن مضارعه بإبدال حرف المضارع ميماً مفتوحاً بضم العين، وهو من باب فتح يفتح³⁷ وهو مشتق للدلالة على من وقع منه الفعل.³⁸

"المشغول" بمعنى يُقَالُ فَلَانٌ فَارِغٌ مَشْغُولٌ مُتَعَلِّقٌ بِمَا لَا يَنْتَفِعُ بِهِ وَفَلَانٌ مَشْغُولٌ أَي مُقَيَّدٌ بِالتَّزَامِ يَحْدُدُ بَعْضَ التَّصَرُّفِ فِيهِ"³⁹

الخاتمة:

هذا البحث عبارة عن الدراسة اسم المفعول في ديوان الحاج محمد أبي بكر أغني، ويتضمن هذا البحث على نبذة عن الشاعر، ومفهوم اسم المفعول وصيغته، ثم الخاتمة.

والهوامش والمراجع. قد تخلص الباحثون على النتائج.

1. أن حياة الشيخ محمد أبي بكر منذ نشأته كانت حياته حياة علمية ودينية. كان معظم حياته سعى إلى تحصيل العلوم وتحقيق المعارف والدعوة إلى الله تعالى، وأخذ أيد العباد إلى الله سبحانه وتعالى كما كان ينفق وقتا طويلا من حياته في التأليف والتدريس.
2. أن ديوان الشاعر يظهر عبقريته الشاعر اللغوية وخاصة الصرفية إذ استخدامه الأسماء المشتقة في الديوان لمعان متباينة.
3. للشاعر إلمام بالنحو وخاصة الصرف.
4. يتمتع شعره بالخصائص اللغوية والأدبية
5. أن للشيخ محمد أبي بكر كثيرا من تراث الشعر العربي.
6. إن شعره مملوء بالتوسلات بمحبوبه في تحقيق أمنياته الدنيوية والأخروية.
7. أن نشأة الشيخ محمد أبي بكر نشأة علمية بحتة لا تعرف اللهو واللعب.
8. أن الديوان مشتمل على خمس وثمانية قصيدة في بحور متباينة. منها والزجر والطويل والمتقارب غيرهم.
9. أن اسم الفاعل واسم المفعول أكثر ورودا في الديوان بحيث كلاهما في المدح النبي صلى الله عليه وسلم وصفاته.
10. والقصائد التي اشتمل عليها الديوان أكثرها في مدح النبي صلى الله عليه وسلم.

الهوامش والمراجع:

- 1- اشتهر الشاعر بهذا اللقب "مَنْ بَأْغِي"، بيد أن لقبه الحقيقي هو بَابَا وَنُيْكَو (الأب الأكبر)، وكان الناس يسمونه (ونثيكو) بدون بَابَا، وسبب تحويله إلى مَنْ بَأْغِي، يرجع إلى أن أمه كانت تحضن ربيبة، وقت كان في حداثة السن، وكان اسمها إِنْتُونُيْكَو (الأم الكبرى)، وقصّر الناس اسمها أيضا على وَنُيْكَو، وصار الاسمان سواء بدون أي تمييز، وبمرور الزمن تحول الاسمان إلى " وَنُيْكَو بَأْغِي" للرجل، و" وَنُيْكَو إِنْزَأْغِي" للمرأة، ثم اقتصر " وَنُيْكَو بَأْغِي" فيما بعد على "بَأْغِي"، ولما بدأت نجابة الشاعر تبرز إثر تلقيه قسطا مبدئيًا من العلوم، جعل الناس يسمونه "مَنْ بَأْغِي" أي الرجل العالم. هذا الخبر مستفاد من الشاعر بتاريخ 2017-1-12م.
- 2- مقابلة مع الشاعر الحاج محمد بن أبي بكر أغبي، فيالبيته بتاريخ 2018-1-12م، في المنزله.
- 33 نفس المراجع، " بتاريخ 2018-1-12م.
- 4 أصبح كالمغناطيس يتعلق به كل شيء يسمعه
- 5 مقابلة مع أمه السيدة مريم، بتاريخ 2017-10-12م، في الدهليز والدها.
- 6 نفس المراجع، " بتاريخ 2018-1-12م
- 7- نفس المراجع، " بتاريخ 2018-1-12م.
- 8 - نفس المراجع، " بتاريخ 2018-1-12م.
- 9 الشعر المربّع هو الذي يقسم فيه الشاعر قصيدته إلى أقسام، في كل منها أربعة أشطر مع مراعاة نظام ما للقافية في هذه الأشطر. راجع: المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر، للدكتور إميل بديع يعقوب، ص: 404
- 10 الحملاوي، أحمد بن محمد (الشيخ)، شذا العرف في فن الصرف، تحقيق: طه عبد الرؤوف، الطبعة الأولى، مطبعة دار الأقصى، القاهرة، 1420هـ. 1999م، ص: 63
- 11 ابن الحاجب جمال الدين بن عثمان بن عمر بن أبي بكر المصري الإسنوي المالكي (توفي: 646 هـ الكافية في النحو، الناشر: مكتبة الآداب – القاهرة، الطبعة: الأولى، 2010 م، ج: 2، ص: 203
- 12 الغلابي، مصطفى، جامع الدروس العربية، بيروت المكتبة العصرية 2003م ج: 11، ص: 135
- 13 عبد الله محمد الأسطي، الطريف في علم التصريف دراسة صرفية تطبيقية، ص: 261.
- 14 نفس المراجع، ص: 261.
- 15 د. صلاح مهدي الفرطوسي ود. هاشم طه شلاش، المهذب في علم التصريف، ص: 250
- 16 عبد الله محمد الأسطي "الطريف في علم التصريف دراسة صرفية تطبيقية"، ص: 181
- 17 الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف، ص: 13،
- 18 محمد بكر إسماعيل (الدكتور)، قواعد الصرف بأسلوب العصر، ص: 74
- 19 إبراهيم أنيس وشركائه المعجم الوسيط ج: 1، ص: 196.

20. أبو العباس أحمد بن محمد، *المصباح المنير في غريب الشرح الكبير*، 1906م، ص: 92
21. الحملاوي، *شذا العرف في فن الصرف*، صف: 13،
22. محمد بكر إسماعيل (الدكتور)، *قواعد الصرف بأسلوب العصر* ص: 74
23. حمد بن عبدالرزاق الحسيني تاج العروس من جواهر القاموس، (8/ 419)
24. أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خالد بن عبيد الله العتكي المعروف باليزار (المتوفى: 292هـ)، الطبعة الأولى، مسند اليزار = البحر الزخار، الجزء: 14/ص: 50
25. أحمد محمد هريدي وزميله، معجم مصادر الأفعال الثلاثية، ص: 203
26. الحملاوي، *شذا العرف في فن الصرف*، صف: 13،
27. محمد بكر إسماعيل (الدكتور)، *قواعد الصرف بأسلوب العصر* ص: 74
28. محمد بن عبدالرزاق تاج العروس من جواهر القاموس، ج: 25/ ص: 538
29. أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: 170هـ)، *كتاب العين*، ج 5، ص: 184
30. لحملاوي، أحمد بن محمد (الشيخ)، *شذا العرف في فن الصرف*، صف: 13،
31. أحمد محمد هريدي، معجم مصادر الأفعال الثلاثية في اللغة العربية/ص: 141
32. إبراهيم أنيس (الشيخ) وشركائه *المعجم الوسيط*، ج:، ص: 516
33. أبو العباس أحمد بن محمد، *المصباح المنير في غريب الشرح الكبير* (ص: 167)
34. أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: 1424هـ) بمساعدة فريق عمل الناشر: عالم الكتب الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م معجم اللغة العربية المعاصرة ج: 2/ 1628
35. المراجع السابق (2/ 1628)
36. محمد بن عبدالرزاق تاج العروس من جواهر القاموس، ص: 13/ ج: 249
37. الحملاوي، *شذا العرف في فن الصرف*، صف: 13
38. محمد بكر إسماعيل (الدكتور)، *قواعد الصرف بأسلوب العصر* ص: 74
39. إبراهيم أنيس (الشيخ) وشركائه *المعجم الوسيط*، ج: 1/ ص: 487

صور من أثر القراءات القرآنية في تعدد المدارس النحوية في الدر المصون لسمين

الحلبي: سورتا النساء والأنعام نموذجاً

إعداد:

فائز شعيب آدم

Department of Arabic language
Islamic University of Madina, Kingdom of Saudi Arabia¹

ملخص المقالة:

إن الناظر في القواعد النحوية يراها مستمدة من النصوص العربية شعرها و نثرها، وقد بالغ اللغويون والنحويون في إثبات القواعد والآراء النحوية باستقراء كلام العرب، ومن ذلك القراءات القرآنية التي تؤد المرجع الأول عند الاستشهاد في الرأي النحوي والعلل النحوية، وبعد تتبع القراءات كلها وجدوا أن منها ما هو متواتر وآحاد، وما هو من الشواذ أيضاً، وقد اعتمد الكثير من النحاة على هذه القراءات في بناء مذهبهم النحوي، وقد حاولت في المقالة أن أبين بعض الآراء النحوية التي اعتمد فيها بعض النحاة في بناء آراءهم، وما قد اعترض عليهم في ذلك من النحاة الآخرين.

ABSTRACT:

Anyone who examines the grammatical rules knows it is derived from the Arabic texts, its poetry and prose. Linguistics and grammarians went deep in establishment of grammatical rules and opinions by inducting from the words of the Arabs and the Qur'anic readings which is considered as first reference when citing the grammatical opinion and rulings. And upon tracing all the readings of the Qur'an they found that they are classified into Mutawatir (agreed upon) Ahad and Shaaz (non-authentic), Many grammarians have relied on these readings in

¹ fshuaib3@gmail.com

building their grammatical school of thought, and in the article I have tried to show some grammatical opinions in which some grammarians have relied on building their opinions upon, and the counter opinion of other grammarians in this regard.

المقدمة

الحمد لله الذي جعل اللغة العربية أفضل اللغات إذ أنزل القرآن بها، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى وآله وصحبه أجمعين: أما بعد:

فإن اللغة العربية لا تعدو أن تكون مستمدة من القراءات القرآنية متواترها وشواذها، وذلك من حكمة الله تعالى أن يسر القرآن لعباده من حيث القراءة، كما قال تعالى: {نبي ني ير ين} [سورة القمر: 17]. ومن دواعي هذا التيسير تعدد القراءات القرآنية أصولاً وفرشاً، ليتمكن من كل القبائل العربية الاعتماد على لهجاتهم واختيار ما يناسب لحنهم من حيث النطق بالأحرف القرآنية، لقول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث هشام بن حكيم: أنزل القرآن على سبعة أحرف فاقروا ما تيسر منه⁽¹⁾، يعني فليختر كل ما يريد من بين هذه الأحرف السبعة، ومما ذهب إليه أكثر أهل العلم أن هذه الأحرف السبعة هي اختلاف أوجه القراءات، ذكره ابن قتيبة⁽²⁾.

فانبعث من هذه الاختلافات بين الأحرف القرآنية تعدد المذاهب النحوية بناء على الاعتماد بما ورد في القرآن الكريم من الأوجه الإعرابية الكثيرة، والقرآن هو المصدر الأول من المصادر المتفق عليها في الاستدلال بالتوجيهات النحوية والضرورات الشعرية، لأنه كتاب عربي فلا يبعد من التراكم اللغوية العالية، كيف وقد قال الله: {ين ين} [سورة الشعراء: 195]، فالقرآن يوازي اللغة العربية في كل خصائصها وأسرارها، لأنه مستمد منها.

فالمدراس النحوية الشهيرة من الكوفيين والبصريين اتفقوا على الاستشهاد بالقرآن في البنية التركيبية العربية، بالإضافة إلى اعتمادهم الشديد به في بناء القواعد النحوية على كثرتها خصوصاً المتواتر منه،

الزركشي، قال: "القرآن هو الوحي المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم للبيان والإعجاز، والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتابة الحروف أو كيفياتها من تخفيف وتثقيل وغيرها⁽⁸⁾، وعرفها ابن الجزري، قال: "علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقل⁽⁹⁾، تعريف عبد الفتاح القاضي، قال: "علم يعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية، وطريق أدائها اتفاقاً واختلافاً، مع عزو كل وجه إلى ناقله⁽¹⁰⁾."

أنواع القراءات:

وقد تنوعت القراءات القرآنية إلى ثلاثة أقسام:

قد تحرر لي أن القراءات ثلاثة أنواع:

الأول: المتواتر وهو ما نقله جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم إلى منتهاه وغالب القراءات كذلك.

الثاني: المشهور وهو ما صح سنده ولم يبلغ درجة التواتر ووافق العربية والرسم واشتهر عن القراء فلم يعده من الغلط ولا من الشذوذ ويقراً به على ما ذكر ابن الجزري ويفهمه كلام أبي شامة السابق ومثاله ما اختلفت الطرق في نقله عن السبعة فرواه بعض الرواة عنهم دون بعض وأمثلة ذلك كثيرة في فرش الحروف من كتب القراءات كالذي قبله ومن أشهر ما صنف في ذلك التيسير للداني وقصيدة الشاطبي وأوعية النشر في القراءات العشر وتقريب النشر كلاهما لابن الجزري.

الثالث: الأحاد وهو ما صح سنده وخالف الرسم أو العربية أو لم يشتهر الاشتهار المذكور ولا يقراً به⁽¹¹⁾.

شروطها:

ويشترط لصحة القراءة توفر هذه الشروط التالية: الأول: موافقة اللغة العربية، الثاني: موافقة الرسم العثماني، الثالث: أن تكون متواترة.

وقد كان مدار القراءات كلها على هذه الشروط الثلاثة التي وضعها المختصون لهذا العلم باستقراء القراءات كلها، وليست القراءات القرآنية مأخوذة من خط العرب، أو رسم المصحف، أو اجتهاد الصحابة

أو التابعين، فلا مجال للرأي والاجتهاد في تحديد قرآنية الرواية، ونسبة القراءات للقراء كما تقدم في كلام أبي عمرو الداني هي نسبة اختيار ودوام ولزوم ورواية واشتهار، لا نسبة اختراع ورأي واجتهاد⁽¹²⁾.

تعدد المذاهب النحوية، أسبابها، وأشهر علماء كل مذهب

من المعلوم أن النحاة والمشتغلين بالعلوم العربية انقسموا إلى عدة مذاهب ومدارس اتباعاً لرغبتهم في الأقيسة النحوية، وكيفية المعاملة بالشواهد النحوية من القرآن والحديث والأشعار العربية ونثرهم، فكل مدرسة من هذه المدارس لها قياساتها وطريقة نظرها في الشواهد، فبعضهم قد يميل إلى الجانب المعنوي، والبعض الآخر إلى الجانب اللفظي كما حصل بين سيبويه والأخفش في وزن إقامة، في أيهما المحذوف بين عين الكلمة والألف⁽¹³⁾، وغير ذلك من أمثلة أخرى، وأشهر المدارس النحوية هي: المدرسة البصرية، المدرسة الكوفية، المدرسة الأندلسية، المدرسة البغدادية، المدرسة المصرية.

المدرسة البصرية:

المدرسة البصرية هي التي وضعت أصول نحونا وقواعده ومكنت له من هذه الحياة المتصلة التي لا يزال يحياها إلى اليوم، وكل مدرسة سواها فإنما هي فرع لها وثمرة تالية من ثمارها، وقد تقدمت البحث فيها بتصحيح خطأ شاع وذاع قديماً وحديثاً، وهو ما ينسب إلى أبي الأسود الدؤلي وتلاميذه من وضع بعض مبادئ النحو، وهي إنما بدأت توضع مع الجيل التالي عند ابن أبي إسحاق الحضرمي، وأوضح الأسباب التي جعلت عقل البصرة أدق وأعمق من عقل الكوفة وأكثر استعداداً لتسجيل ظواهر النحو العربي ووضع قواعده وقوانينه.

وقد ذهبت بعض الدراسات النحوية إلى أن الخليل بن أحمد الفراهيدي هو المؤسس الحقيقي لمدرسة البصرة النحوية ولعلم النحو العربي بمعناه الدقيق، وصورت في تضاعيف ذلك إقامته لصرح النحو بكل ما يتصل به من نظرية العوامل والمعمولات، وبكل ما يسنده من سماع وتعليل وقياس سديد، مع بيان ما امتاز به من علم بأسرار العربية وتذوق لخصائصها التركيبية، وخلفه على تراثه تلميذه سيبويه الذي تمثل آراءه النحوية تمثلاً غريباً رائعاً، نافذاً منها إلى ما لا يكاد يحصى من الآراء، فإذا هو يسوي من ذلك "الكتاب" آيته الكبرى، وقد بلغ من إعجاب الأسلاف به أن سموه "قرآن النحو" وكأنما أحسوا فيه ضرباً

من الإعجاز، لا لتسجيله فيه أصول النحو وقواعده تسجيلاً تاماً فحسب، بل أيضاً لأنه لم يترك ظاهرة من ظواهر التعبير العربي إلا أتقنها، فقها وعلماً وتحليلاً.

وحمل "الكتاب" عن سيبويه تلميذه الأخفش الأوسط، وأقرأه تلاميذ بصريين في مقدمتهم المازني، وتلاميذ كوفيين في مقدمتهم الكسائي، وكان لهجا بالاعتراض على سيبويه والخليل، مما جعله ينفذ إلى كثير من الآراء، وخاصة أنه كان يفسح للغات الشاذة، هو بذلك يعد الإمام الحقيقي للكسائي وغيره من أئمة المدرسة الكوفية، وكان يعنى بالدفاع عن القراءات المشتملة على بعض الشذوذ والاحتجاج لها بأشعار العرب الفصحاء، وقد بينت في مواطن أخرى أن الفراء إمام المدرسة الكوفية بعد الكسائي، هو أول من تعرض للقراءات الشاذة بالإنكار العنيف، وتابعه في ذلك المازني وتلميذه المبرد آخر أئمة المدرسة البصرية الناهيين، وأهم طبقات البصريين النحوية، هي: الطبقة الأولى، وفيها: نصر بن عاصم الليثي، وعنبسة بن معادن الفيل المهري، عبدالرحمن ابن هرمز أبو داود الأعرج، الطبقة الثانية: ابن أبي إسحاق، عيسى بن عمر الثقفي البصري، أبو عمرو بن العلاء شيخ الدوري والسوسي، الطبقة الثالثة: الأخفش الأكبر، الخليل بن أحمد البصري الفراهيدي، أبو عبد الرحمن يونس بن حبيب، عمرو بن عثمان بن قنبر المعروف بسيبويه.

فهذه هي الطبقة البصرية من نحاتهم الذين ينتمون إلى آراء المدرسة البصرية في توجهاتهم النحوية.

المدرسة الكوفية:

مما ثبت في البحث عن المدرسة الكوفية هو أنها ابتدأت متأخراً عند الكسائي، وقد استطاع هو وتلميذه الفراء أن يستحدثا في الكوفة مدرسة نحوية تستقل بطوابع خاصة من حيث الاتساع في الرواية، ومن حيث بسط القياس وقبضه، ومن حيث وضع بعض المصطلحات الجديدة، ومن حيث رسم العوامل والمعمولات. وتوسع الفراء خاصة في تخطئة بعض العرب وإنكار بعض القراءات الشاذة، وكان ينفذ أحياناً إلى أحكام لا تسندها الشواهد والأمثلة، وهو يعد بحق إمام الكوفيين، فثعلب وغير ثعلب إنما كانوا شارحين لأرائه ومفسرين.

المدرسة الأندلسية:

لا نكاد نمضي في عصر بني أمية بالأندلس "138-422هـ" حتى تنشأ طبقة كبيرة من المؤدبين الذين كانوا يعلمون الشباب في قرطبة وغيرها من الحواضر الأندلسية مبادئ العربية عن طريق مدارس النصوص والأشعار، ويدفعهم إلى ذلك حفاظهم على القرآن الكريم وسلامة لغته وتلاوته، وبذلك كان أكثرهم من قُرَّاء الذكر الحكيم، وكان كثير منهم يرحلون إلى المشرق فيتلقون هذه القراءات، ويعودون إلى موطنهم فيرسمونها للناس بجميع شاراتها كما يرسمون لهم العربية بمقوماتها اللغوية.

ومن أجل ذلك لا نعجب إذا وجدنا مشهوري هؤلاء المؤدبين يُعنون بالتأليف في القراءات يتقدمهم أبو موسى الهواري، وهو كما يقول الزبيدي: "أول من جمَع الفقه في الدين وعلم العرب بالأندلس، رحل في أول إمارة عبد الرحمن الداخل "138-172هـ" فلقي مالكا ونظراءه من الأئمة ولقي الأصمعي وأبا زيد ونظراءهما، وداخل الأعراب في محالها، وله كتاب في القراءات"⁽¹⁴⁾، وكان يعاصره الغازي بن قيس الذي احترف تأديب الناشئة بقرطبة، وقد رحل مثله إلى المشرق وأخذ عن مالك الفقه وعن نافع بن أبي نعيم مقرئ أهل المدينة قراءته للذكر الحكيم، وأقرأ بها في قرطبة، ولقي الأصمعي ونظراءه، وأول نحاة الأندلس بالمعنى الدقيق لكلمة نحوي، جودي بن عثمان الموروري⁽¹⁵⁾.

ولا نكاد ننتقل من جيل إلى جيل حتى تلقانا مجموعة من الأئمة، وكل إمام منهم يثير من الخواطر والآراء ما لم يسبقه إليه سابق من النحاة المجلين، حتى لنرى ابن مضاء القرطبي يريد أن يصوغ النحو صياغة جديدة تخلو من نظرية العوامل والمعمولات المذكورة والمقدرة ومن العلل والأقيسة المعقدة، وأكبر أئمتهم -على الإطلاق- ابن مالك، وقد رسمت في إجمال آراءه ومنهجه، وعرضت لخالفه من نحاة الأندلس وخاصة أبا حيان.

المدرسة البغدادية:

اتبع نحاة بغداد في القرن الرابع الهجري نهجا جديدا في دراساتهم ومصنفاتهم النحوية يقوم على الانتخاب من آراء المدرستين البصرية والكوفية جميعا، وكان من أهم ما هيا لهذا الاتجاه الجديد أن أوائل هؤلاء

النحاة تتلمذوا للمبرد وثعلب، وبذلك نشأ جيل من النحاة يحمل آراء مدرستيهما ويعنى بالتعمق في مصنفات أصحابهما والنفوذ من خلال ذلك إلى كثير من الآراء النحوية الجديدة.

وكان من هذا الجيل من يغلب عليه الميل إلى الآراء الكوفية ومن يغلب عليه الميل إلى الآراء البصرية، فاضطرب كُتّاب التراجم والطبقات إزاءه، فمنهم من حاول تصنيف أفراده في المدرستين الكوفية والبصرية على نحو ما صنع الزبيدي في طبقاته، ومنهم من أفردهم بمدرسة مستقلة كما صنع ابن النديم في الفهرست، وإن كان قد أدخل فيهم نفراً ليس لهم نشاط نحوي مذكور مثل ابن قتيبة، وأبي حنيفة الدينوري.

وحاول بعض الباحثين المعاصرين أن ينفي وجود المدرسة البغدادية، معتمداً على من ينظمون أفرادها في البصريين والكوفيين، وأن علمين من أعلام جيلها الثاني ينسبان أنفسهما في البصريين، وهما أبو علي الفارسي وتلميذه ابن جني، إذ يعبران في تصانيفهما عنهما كثيراً بكلمة أصحابنا⁽¹⁶⁾، وينتصران في أغلب الأمر للآراء البصرية وكثيراً ما يطلق ابن جني على الكوفيين اسم البغداديين⁽¹⁷⁾، وكأنهم مدرسة واحدة.

المدرسة المصرية:

كانت المدرسة البصرية في أول نشأتها شديدة الاقتداء بالمدرسة البصرية، ثم أخذت تمزج -منذ القرن الرابع الهجري- بين آراء البصريين والكوفيين، وضمّت سريعاً إلى تلك الآراء آراء البغداديين، غير أنها لم تونق ولم تزدهر إلا منذ العصر الأيوبي، وسرعان ما تكامل ازدهارها في العصر المملوكي بما أتاحه لها ابن هشام من ملكآته العقلية النادرة ومن إحاطته بآراء النحاة السالفين له، على اختلاف مدارسهم وأعصارهم وبلدانهم، ومن قدرته البارعة في مناقشة تلك الآراء، مع ما أمتاز به من طرافة التحليل والاستنباط وجمال العرّض والأداء، وظلت الدراسات النحوية ناشطة بعده في مصر حتى العصر الحديث.

ولم أتابع البحث في الجهود الخصبة التي بُذلت في عصرنا لتجديد النحو وتيسيره، لأنه إنما قصد بها إلى غايات تربوية في تعليم الناشئة، وهي حرية بكتاب مستقل⁽¹⁸⁾.

فهذه هي المدارس والمذاهب النحوية التي ذاع صيتها في الدراسات النحوية على كافة قواعدها المنتقاة من القرآن الكريم والأشعار العربية، وقد تناولتها بالختصار خصوصاً في طبقات النحويين الموجودة في كل مدرسة من المدارس المذكورة، وأيضاً كان جميع المدارس مبنية على أسس نحوية تخالف المدرسة الأخرى، فالمدرسة البصرية والكوفية هي المدارس الرئيسة التي لا تخلو منها قاعدة نحوية، وبقيت المدارس كأنها تابعة لهذين، ومن ذلك مثلاً كتاب ابن الأنباري الذي صار رمزاً لمعالجة القضايا الخلافية بين الكوفيين والبصريين، اعتماداً على المدرستين فقط لشهرتهما، وإلحاطتهما بأراء المدارس الأخرى.

أخيراً، سيقصر البحث في إيراد النماذج على المدرستين الكوفية والبصرية وذلك لأنهما الشهيرتان من بين المدارس النحوية كلها، ولكون بقية المدارس بمختلفها تنتهي إلى واحدة من هذين المدرستين، وحتى المصطلح الموجود في كتب النحو يقتصر عليهما فقط كما أشرنا قبل قليل في كتاب ابن الأنباري.

استقراء النحويين للقراءات القرآنية.

لا يلجأ أحد إلى القول بأن جميع النحاة أو البارعين فيهم استقروا القراءات القرآنية، حيث نجد كوكبة منهم اعتمدوا على قواعد وضعها النحاة يقيسون عليها، دون الرجوع إلى القراءات ليستشهدوا بها، فلم لم يحتكموا فيها لأسلوب القرآن، فمنعوا أساليب كثيرة جاء نظيرها في القرآن، من ذلك:

- اشترط الزمخشري في خبر (أنّ) الواقعة بعد (لو) أن يكون خبرها فعلاً، جاء خبرها في القرآن اسماً جامداً، واسماً مشتقاً⁽¹⁹⁾، والأمثلة على ذلك كثيرة، ولبعض النحويين جرأة عجيبة: يجزم بأن القرآن خلا من بعض الأساليب من غير أن ينظر في القرآن ويستقرى أساليبه من ذلك:

قال السيوطي: وترد (كم) استفهامية، ولم تقع في القرآن⁽²⁰⁾، جاءت (كم) متعينة للاستفهام في ثلاث آيات، ومحتملة للاستفهامية والخبرية في خمس آيات، كما أنه يوجد بعض النحويين يخطئ في حصر ما جاء في القرآن من الاستشهادات النحوية حينما يتعرض لذلك:

منع الصفار من دخول (أم) على (هل) وعلى غيرها من أدوات الاستفهام، وزعم أنه لم يقع في القرآن إلا في آيتين، قال أبو حيان: وهذا منه دليل على الجسارة وعدم حفظ كتاب الله⁽²¹⁾، وهذا رد منه على أنه لم

يحط بالقراءات، أو لم يمعن النظر في تتبع أوجهها الإعرابية، وأرجع اختلاف النحويين في إعراب القرآن في كتب الإعراب القرآن والتفسير إلى أمرين، هما: إعجاز أسلوب القرآن، واحتفاظ النحويين لأنفسهم بحرية الرأي وانطلاق الفكر، واستقراءهم للأوجه الإعرابية، فهذان الدليلان أديا إلى التباين في الإعراب أو تعدد طرق توجيهها، وقد وجد من بعض النحاة يلحن بعضهم بعضاً، هذه الحملة وحمل لواءها نحاة البصرة المتقدمون، ثم تابعهم غيرهم من اللغويين، والمفسرين، ومصنفي القراءات، مالوا إلى تلحين الكثير من النحويين بسبب اعتمادهم على تواتر هذه القراءات، فبنوا عليها قواعدهم ولم يلتفتوا إلى قول أحد، والأمثلة على ذلك ما يلي:

- وفي البخاري حديث عن السيدة عائشة رضي الله عنها في رد قراءة (كذبوا) بالتخفيف من قوله تعالى: (22) وقرأ أبي، وعلي، وابن مسعود، وابن عباس، ومجاهد، وطلحة، والأعمش، والكوفيون: كذبوا بتخفيف الذال، وباقي السبعة، والحسن وقتادة، ومحمد بن كعب، وأبو رجاء، وابن أبي مليكة، والأعرج وعائشة بخلاف عنها بتشديدها، وهما مبنيان للمفعول، فالضمان على قراءة التشديد عائدة كلها على الرسل، والمعنى: أن الرسل أيقنوا أنهم كذبهم قومهم المشركون⁽²³⁾، فردت السيدة عائشة قراءة التخفيف لعدم وقوفها على صحتها، وكلا القراءتين متواترتين.

ومن المؤسف أن كتب النحو واللغة والتفسير وغيرها قد تضمنت نصوصاً كثيرة في الطعن على الأئمة القراء الذين تواترت قراءاتهم في السبع، والذين ارتضت الأمة الإسلامية قراءاتهم فركنوا إليها، وعولوا عليها⁽²⁴⁾، من ذلك ما قاله المازني: «فأما قراءة من قرأ من أهل المدينة (معائش) بالهمز، فهي خطأ؛ فلا يلتفت إليها. وإنما أخذت عن نافع بن أبي نعيم، ولم يكن يدري ما العربية، وله أحرف يقرأها لحنا نحوًا من هذا⁽²⁵⁾، والذي رواه صاحب الكتاب اختلاس هذه الحركة في (بارئكم) لا حذفها البتة، وهو أضبط لهذا الأمر من غيره من القراء الذين رووه ساكنًا⁽²⁶⁾».

وقد بالغ النحويون في تلحين القراء، وذلك لقصورهم على إدراك أن هذه القراءات إذا ثبت تواترها فهي صحيحة لغويًا من حيث الصياغة والقياس، والاكتفاء بها على أنها دليل يكفى في الاحتجاج، وكانوا يحتكمون إلى ما وضعوه من قواعد، وسنوه من قوانين:

³⁵ إنكار ابن عباس والسيدة عائشة لبعض القراءات، إنما يكون ذلك قبل أن يبلغهما التواتر⁽³⁶⁾، وليس كل صحابي كان حافظاً لجميع روايات القرآن، والقراءة لا تتبع العربية، بل العربية تتبع القراءة؛ لأنها مسموعة من أفصح العرب بإجماع، وهو نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ومن أصحابه، ومن بعدهم⁽³⁷⁾، وقال الفخر: أنا شديد العجب من هؤلاء النحويين، إذا وجد أحدهم بيتاً من الشعر ولو كان قائله مجهولاً يجعله دليلاً على صحة القراءة، وفرح به، ولو جعل ورود القراءة دليلاً على صحته كان أولى⁽³⁸⁾، وقال أبو حيان: ليس العلم مقصوراً على ما نقله وقال البصريون⁽³⁹⁾، والحق مع هؤلاء النحاة الذين لا يرتضون برد القراءات التمس ثبتت بالتواتر لقول أعرابي، أو بالاعتماد على بيت مجهول القائل أو قاعدة نحوية من صناعة البشر الذي هو قابل للخطأ والنسيان.

نماذج على تعدد المذاهب بناء على اختلاف القراءات.

قد سبق في النقاط السابقة إيراد بعض القراءات التي نتج عنها إنشاء قواعد نحوية اعتماداً عنها وذلك في معرض استقراء النحويين للقراءات القرآنية، وسنورد في هذا البحث المثال والمثاليين في اعتماد الكثير من النحاة في بناء القواعد النحوية الإعرابية اعتماداً على هذه القراءات الواردة، ومن ذلك:

- عود الخافض في العطف على الضمير المخفوض ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز العطف على الضمير المخفوض بدون إعادة الخافض، وذلك نحو قولك: "مررت بك وزيد"، وذهب البصريون والزمخشري والزجاج وابن عطية وسيبويه إلى أنه لا يجوز⁽⁴⁰⁾، وذلك في قراءة حمزة في قوله تعالى: {ت ت ت ت ت ت}،⁽⁴¹⁾ ومنه قول الشاعر:

فاليوم قربت تهجونا وتشتمنا" ... فاذهب فما بك والأيام من عجب⁽⁴²⁾

الشاهد فيه قوله: "فما بك والأيام" حيث عطف "الأيام" على الكاف في "بك" المجرورة بحرف الجر دون إعادة الخافض⁽⁴³⁾، وحكاية قطرب عن العرب: "ما فيها غيره وفرسه"⁽⁴⁴⁾ وذلك قول ابن مالك:

وعود خافض لدى عطف على ... ضمير خفض لازماً قد جعلاً

وليس عندي لازماً إذ قد أتى ... في النظم والنثر الصحيح مثبتاً⁽⁴⁵⁾

- 3- تعدد آراء النحويين والمدارس النحوية ساعد في إثبات هذه القراءات اعتماداً عليها في الشواهد القرآنية الكثيرة.
- 4- توسع النحويين في قياساتهم على الآيات القرآنية والقراءات في بناء مذاهبهم النحوية.
- 5- تعدد القراءات إلى أنواع، له تأثير في التوجيه الإعرابي للتغاير بين القراءة المشهورة من المتواترة والشاذة والأحاد.
- 6- شمول القراءات القرآنية لمختلف اللهجات العربية في التوجيه الإعرابي، فقد ورد فيها تراكيب كثيرة على مختلف التوجيهات الإعرابية ف عدة لهجات عربية.

الهوامش:

- (1) محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري: ص:233
- (2) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: 276هـ)، تأويل مشكل القرآن، المؤلف: المحقق: إبراهيم شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- (3) المؤلف: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: 392هـ)، المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، الناشر: وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الطبعة: 1420هـ-1999م.
- (4) شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: 833 هـ)، النشر في القراءات العشر، المؤلف: المحقق: علي محمد الضبياع (المتوفى 1380 هـ)، الناشر: المطبعة التجارية الكبرى [تصوير دار الكتب العلمية].
- (5) مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: 606هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، المؤلف: الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، 139هـ - 1979م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي.
- (6) زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: 666هـ)، مختار الصحاح، المؤلف: المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة: الخامسة، 1420هـ/1999م.
- (7) أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أنير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ)، البحر المحيط في التفسير، المؤلف: المحقق: صديقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: 1420 هـ ص: 14/1.
- (8) أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: 794هـ)، البرهان في علوم القرآن، المؤلف: المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، 1376 هـ - 1957 م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ص: 318/1

- (9) شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: 833هـ)، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، المؤلف: الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى 1420هـ-1999م، 3.
- (10) المؤلف: عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي (المتوفى: 1403هـ)، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة - القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ص: 7
- (11) المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ) الإتيان في علوم القرآن، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: 1394هـ/1974م 215/1، ص: 132
- (12) محمد أحمد مفلح القضاة، أحمد خالد شكري، محمد خالد منصور (معاصر)، مقدمات في علم القراءات، المؤلف: الناشر: دار عمار - عمان (الأردن)، الطبعة: الأولى، 1422 هـ - 2001م، (ص: 48)
- (13) شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني، المؤلف: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: 392هـ)، المنصف لابن جني، الناشر: دار إحياء التراث القديم، الطبعة: الأولى في ذي الحجة سنة 1373هـ - أغسطس سنة 1954م، ص: (2/195).
- (14) المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية - لبنان / صيدا، ص: 127
- (15) جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (المتوفى: 646هـ)، إنباه الرواة على أنباه النحاة، المؤلف: المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة، ومؤسسة، الكتب الثقافية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1406 هـ - 1982م، ص: 271/1
- (16) أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: 392هـ)، الخصائص، المؤلف: الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: الرابعة
- (17) المؤلف: الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله (المتوفى: 370هـ)، الحجة في القراءات السبع، المحقق: د. عبد العال سالم مكرم، الأستاذ المساعد بكلية الآداب - جامعة الكويت، الناشر: دار الشروق - بيروت، الطبعة: الرابعة، 1401 هـ، عدد الأجزاء، ص: 18
- (18) أحمد شوقي عبدالسلام المعروف بشوقي ضيف، المدارس النحوية: (ص: 5)
- (19) المؤلف ابن يعيش، المفصل للزمخشري: (2: 216)
- (20) المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، الإتيان في علوم القرآن: (170/1)
- (21) المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، همع الهوامع: (2: 133)
- (22) سورة يوسف: (110)
- (23) المؤلف: أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير: (6/335)
- (24) عبدالكريم عضيمة، دراسات في أسلوب القرآن الكريم: (45/1)
- (25) أبو إسحاق المازني، التصريف للمازني: (233)
- (26) أبو عثمان ابن جني، الخصائص: (1/72-73)

- (27) أبو علي الفارسي، الحجة في القراءات السبع للفارسي: (255/2).
- (28) أبو الحسن المجاشعي، معانى القرآن للأخفش: (188/2)
- (29) أبو عثمان ابن جني المحتسب: (144-145)،
- (30) سورة المائدة:2
- (31) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تفسير القرطبي: (2043/3)
- (32) سورة الزمر:9
- (33) محمد بن محمد الجزري، النشر في القراءات العشر: (2:362)
- (34) أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط: (7:418)
- (36) أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: 392هـ)، الخصائص، المؤلف: الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: الرابعة
- (36) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري: (8:256)
- (37) علي بن محمد بن سالم، أبو الحسن النوري الصفاقسي المقرئ المالكي غيث النفع في القراءات السبع: (49-50)
- (38) أبو عبدالله محمد بن عمر بن تالحسن الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: (28/120)
- (39) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط: (2:318)
- (40) أبوبكر ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف: (463-474).
- (41) سورة النساء:1
- (42) جلال الدين السيوطي، وهمع الهوامع 2/139.
- (43) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (3/239)،
- (44) خالد الأزهرى، شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو: (2/183)
- (45) محمد بن عبدالله ابن مالك، ألفية ابن مالك (ص: 48)
- (46) سمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: (5/162)
- (47) أبو عثمان بن قنبر، كتاب سيبويه: (1/91)

ظاهرة الإبدال في قصائد مختارة للشيخ أبي بكر محمد النفاوي:

دراسة صرفية تطبيقية.

إعداد:

عبد الله عثمان فيكو¹ والدكتور آدم أيوب بنشي

والدكتور أبو بكر إدريس إمام

**Fati Lami Abubakar Institute for Legal and Administrative Studies Minna
Niger State.**

الملخص

فإن هذه المقالة يقدمها الباحثون بعنوان: ظاهرة الإبدال في قصائد المختارات للشيخ أبي بكر بن محمد النفاوي دراسة صرفية تطبيقية، ورد فيها مفهوم الإبدال، وترجمة عن حياة الشيخ النفاوي، ثم دراسة عن الإبدال في القصائد، ومن أهم النتائج تحصيل عليها الباحث أنّ من فلسفة الإبدال تغيير صيغة الكلمة الواحدة إلى أخرى يكون تارة لغرض المعنوي وتارة أخرى لغرض اللفظي فالتغيير للغرض المعنوي كتغيير المفرد إلى التثنية وإلى الجمع، نحو: زيد، زيدان، زيدون. وكتغيير المصدر إلى الفعل وإلى الوصف نحو: القتل، قتل، يقتل، القاتل، المقتول، وغير ذلك مما يتعلّق بالمعنى. وأما التغيير للغرض اللفظي فإنه يتمثل في الإبدال وسببه رفع الاستثقال وإيثار الحفّة وهما من الشروط الأساسية لفصاحة الكلمة. وسيتبع الباحثون منهج الاستقرائية في المقالة.

¹ usmanabdullahipaiko@gmail.com

ABSTRACT

This paper titled: " substitution morphology in the collections of AL sheikh Abi Bakr Bn Muhammad Alnufawi" The Researchers attempts to give a historical background of the life of Alsheikh Alnufawi his birth learning and occupation There is also a theoretical study of morphology of substitution in the collections The paper clearly highlights Arabic words which are duly affected by change in form of substitution through unveiling its lexical and etymological pattern as well as exposing the reader on the numerous sequence on the day to day usage of the Arabic words it pointed out how this substitution manifested in the collections Its also differentiated how the word should be viewed as an entity and how it connotes a different meaning when used in a sentence this paper is in two folds such that the reader can understand the word in its real context and by extension applying the rule of substitution The main findings by the Researches is that the aspects of morphological substitution is aimed at making pronunciation or meaning of Arabic words more easier and more effective

المقدمة:

الحمد لله الذي يُبدّل الأشياء كما يريد، وهو القديم الذي لا يبدّل، سبحانه صرف كل شيء إلى ما يشاء تعالى، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد. وأصلي وأسلم على علم الهدى محمد المصطفى، الذي صرف العالم عن العبادة الوثنية وعلى أصحابه الذين اختارهم الله لصحبتة الشريفة وعلى آله وأزواجه الطاهرين.

وبعد: فإن التصريف عنصر من عناصر اللغة العربية وأن الإبدال من فروعها المهمة يتناول الأعراس الذاتية لمفردات كلام العرب من حيث صورها قبل الإبدال وبعد الإبدال. وتهدف هذه المقالة إلى تناول الأنماط التالية:

- مفهوم الإبدال لغة واصطلاحاً
- ترجمة عن حياة الشيخ النفاوي
- دراسة الإبدال الوارد في القصائد
- الخاتمة
- الهوامش

مفهوم الإبدال لغة واصطلاحاً:

تعريفه لغة:

ورد في مقاييس اللغة: الباء والبدال واللام أصل واحد، وهو قيام الشيء مقام الشيء الذاهب. يقال هذا بَدَلُ الشيءِ وَبَدِيلُهُ. ويقولون بَدَّلْتُ الشيءَ إذا غَيَّرْتَهُ وإن لم تَأْتِ له بَبَدَلٍ. قال الله تعالى: " قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلَقَاءِ نَفْسِي " (يونس:15). ويقال أُبَدِّلْتُهُ إذا أَتَيْتَ له ببدل¹.

قال الشاعر أبي النجم: عَزَلُ الأَمِيرِ للأَمِيرِ المُبَدَّلِ.² أي أنه نَحَى جسماً وجعل مكانه جسماً غيره.

واصطلاحاً:

وعرف ابن يعيش الإبدال بقوله: "البدل أن تقيم حرفاً مقام حرف إما ضرورة وإما صنعة أو استحساناً. وهنا يمكن القول إن الإبدال عبارة عن إزالة حرف من مكانه والاتيان بحرف آخر، ويكون هذا عند طرؤ علة صرفية على حروف معينة، كإبدال التاء طاء في: اصطبر وأصله اصتبر.

فوائد الإبدال:

1. معرفة أصول الألفاظ

كانت دراسة الإبدال مقدمة لأبحاث عن أصول الألفاظ العربية، وتاريخ نشأتها، وكيفية تكوينها، وقد اقتنع بعض المحدثين أمثال أحمد فارس الشدياق، والشيخ عبد الله العلاء يلي، بأن ألفاظ اللغة العربية ترجع في أصل نشأتها مع اختلاف في التصور إلى أصول ثنائية، فكان جُورجِي زيدان يرى "أن الألفاظ المتحدة المعنى تتقارب لفظاً حين تشترك في حرفين هما حامل المعنى الأصلي ثم يأتي الحرف الثالث لتنوع المعنى، أي أن الجذور الثلاثية ترد أصلاً إلى جذور ثنائية، هي حوامل المعنى، ولم تكن الثلاثية إلا وسيلة لتنوع المادة اللغوية، وتطوير الاستعمال الدلالي.³

إذا أخذنا الأصل اللغوي "قط" الدال على مطلق القطع، وتتبعنا ما يمكن أن يزداد على صوتي القاف والطاء وجدنا مجموعة من الأفعال هي: "قطع" لقطع القلم، و "قطف" لقطع العنب ونحوه، و "قَطَمَ" للقطع بالأسنان، و "قَطَبَ" لقطع الشيء وجمعه، و "قَطَلَّ" لقطع الشيء من أصله بحيث لا تعود إليه

الحياة، كقطع النخلة من أصلها، وضرب العُنُق حتى ينفصلَ عن الجسد، وهي كما نرى كلها تتضمن معنى القطع، إلا أن كل واحد منها استعمالاً لتنوع من تنوعات الأصل المشترك بينها جميعاً وهو "قط" الدال على حكاية صوت القطع.⁴

2. تجنب الخطأ في فهم النصوص الأدبية:

من مزايا الإبدال أيضاً أن اللغوي المتمرس بالإبدال يشعر على البدهة بما بين اللفظين المتشابهين من القرابة، ويدرك بمعرفة أحدهما معنى الآخر، فيتجنب الخطأ في فهم النصوص الأدبية، ومن ذلك ما يحكى أن معاصر الأستاذ عز الدين التنوخي كان يشرح شعر ابن زيدون: سُرَى الأَيْنِ مِنْ آثَارِهِ فِيهِ مَزْحَفٌ قائلاً: إنه زار محبوبه ليلاً، وسرى إليه سرى الأَيْنِ، مفسراً الأَيْنِ بالتعب والإعياء، والمزحف بموضع الحية. قال التنوخي: ولا ترابط بين الأَيْنِ والمزحف، ولو أنه كان مطلعاً على كتاب ابن السكيت مثلاً لرأى أن الأَيْنِ والأيمَ الذكر من الحيات، وأن الأَيْنِ مثل الأيمِ، نونه بدل من الميم.⁵

3. التوسعة على الأديب والشاعر:

يعد الإبدال رافداً من روافد زيادة الثروة اللفظية للغة، وذلك بإضافة صورة جديدة من الألفاظ التي وقع فيها البديل، وهذه تكسب المتكلمين باللغة سعة ومرونة. فعند ما يحتاج الشاعر والأديب إلى تكرار المعنى أو تأكيده، لا يلجأ إلى إعادة اللفظ بعينه، وبكل حروفه، لأن ذلك أمر مكروه عند العرب، وربما ملته أذن السامع، ومجه ذوق المتلقي، ولذا كان الإبدال ملاذاً يلوذ به الأديب والشاعر عند الحاجة المذكورة، فيستطيع أن يعيد اللفظ متى احتاج إليه مع تغيير بعض حروفه في نطاق ما يسمح به الإبدال مما سمع عن العرب، وبذلك يحقق كل منهما هدفه، ويلبي حاجته، مع الحفاظ على مشاعر المتلقي، وانجذابه إليه، واستحسانه لما ينشد أو يقول.

4. دفع الاتهام بالتصحييف:

هو إتيان متكلم بكلمة عربية صحيحة، يسمعه سامعه فيتمهه بتغيير حرف من حروفها وذلك مثل ما وقع بين أبي عمري ويزيد بن مزيد الشيباني حيث أنشده بيت قيس بن زهير.

وَمُجَنَّبَاتٍ مَا يَذْقَن عَدُوْفَةً * يَقْذَن بِالْمَهْرَاتِ وَالْأَمْهَارِ

"عَدُوْفَةً" بالبدال، فقال لي يزيد: صحفت أبا عمر، إنما هي عدوفا بالذال، قال أبو عمر: فقلت له لم أصفح أنا ولا أنت، تقول ربعة هذا الحرف بالذال، وسائر العرب بالذال.⁶ قال السيوطي وهذا نوع مهم يجب الاعتناء به، لأن به يندفع ادعاء التصحيف على أئمة أجلاء.⁷

5. إبراز قيمة الحروف في التعبير عند السمع:

أدرك ابن جني قيمة الحروف في التعبير عند السمع حيث، وعبر عنها بعبارات مختلفة، فأبان الفرق بين الفعلين "أَزَّ - وهزَّ" اللذان يدلان على معنى الحركة والاضطراب، وأوضح أن الأول أقوى وأعظم أثرا في النفوس، ومعناه في قوله تعالى: "أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَسُّوهُمْ أَزًّا" (سورة مريم: 83) أي تزعجهم ونُقِّلُهُمْ، أما الثاني فهو وإن شارك الأول في معنى الحركة والاضطراب، لكنه لا يبلغ مبلغه في إزعاج وتقلقل، لأنك قد تهزَّ ما لا بال له كالجدع وساق الشجرة ونحو ذلك، قال تعالى: "وَهَزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ" (سورة مريم: 25) فلذلك خص الصرفيون المعنى الأقوى بالهمزة، لأنها أقوى من الهاء، كما خصوا المعنى الأقوى في الأسف والعسف فالأول ما يضل النفس وينال بها الشر، والثاني للسير على غير طريق الهدى، فكان المعنى الأول أقوى، لأن الهمزة أقوى من العين.⁸

6. معرفة الأسماء المترادفة:

من فوائد الإبدال أنه قد ينتفع به في إطلاق المصطلحات العلمية على مسمياتها، وذلك بتخصيص اللفظتين لمسميين متشابهين بينهما علاقة معنوية، كأن نطلق الأَرْفَةَ والأُرْتَةَ على الحديين الأرضيين المتجاورتين دفعا لتزاع الجارين، وبذا نكون قد انتفعنا بما جاء في كتاب الإبدال لأبي طيب "والأرثة والأرفة: الحديين الأرضيين.⁹ ولنا أن ننتفع أيضا بمعرفة كلمات مترادفة نتيجة من معرفة "الإبدال في قولك بمعنى كسارة الجوز، "مِرْضَحَةٌ"، و"مِرْضَحَةٌ" بالحاء المهملة لمعنى كسارة اللوز لتقارب الحاء والخاء وتبادلتهما.¹⁰

ترجمة عن حياة الشيخ أبي بكر النفاوي:

هو أبو بكر الصديق بن محمد، ينتهي نسبه من جهة أبويه إلى قبيلة نوفي فابوه محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد من قرية (عَسَادَ)، قرية صغيرة تابعة لقرية (ليمو) عاصمة الحكومة المحلية غَبَاكُو. أمّا أمّه

فأمّنة بنت صالح بن أحمد بن عثمان من أهل (عيميؤروغي)، وهي قرية صغيرة على طول اثني عشر ميلاً من مدينة (بدا) عاصمة بلاد نُوفي.¹¹ ولد فجر يوم الجمعة الثاني والعشرين من شهر ماّيو سنة ألف وتسعمائة وسبعين الميلادية 1970/5/22م، بمدينة منّا عاصمة ولاية نيجر.¹²

نشأته وتعلمه ومشايخه:

كان منشؤه في حجر والده حيث تربى على العفاف والطهارة حتى إذا بلغ السادس من عمره 1977م ألحقه بجده من جهة أمه المرحومة السيّدة حواء التي بعى بمنّا، فأقام عندها وتمكن من الالتحاق بمعهد الإمام الأمين كتنّباً بمنّا حيث شرع في تلقي مبادئ العلوم العربية والإسلامية.¹³ وتلقى نحو خمسة أحزاب من القرآن الكريم وأتمّ قراءته على الشيخ آدم الكُتيري وقرأ عليه بعض الكتب الأولية.¹⁴ وفي نفس العام التحق بالمدرسة الابتدائية، وتخرج فيها سنة 1982 ثم واصلها حتى الثانوية وتخرج فيها سنة 1988م.¹⁵

وفيما يمّس الدراسات الإسلامية بما فيها من فقه، وتفسير، وحديث، فقد درس الفقه على يد الشيخ آدم الكُتيري والشيخ على مصر الذي قرأ عليه أبواباً من مختصر خليل، وقرأ أبواباً من إرشادات السالك ومختصر خليل على الشيخ يوسف البدوي إمام حارة مئياً زارياً. وقرأ كذلك أبواباً من إرشادات السالك ومختصر خليل على يد الشيخ موسى عبد الوكيل اليلواوي.¹⁶ ودرس الحديث والتفسير على يد الشيخ موسى، أخذ أبواباً من الصحيح البخاري، وتلقى التفسير كذلك عن الشيخ كُدُ بارو. وأما التصوف فشيخه فيه الشيخ محمد النافع سوكي كهُوتا منّا.¹⁷

التحق الشيخ بكلية فاطمة لأمي أبي بكر للشريعة والشئون الإدارية، ولاية نيجر، منّا، سنة 2007م وتخرج فيها عام 2009م حيث حصل على شهادة الدبلوم في القانون. وهو حالياً قاضي من قضاة ولاية نيجر.¹⁸

دراسة الإبدال الوارد في قصائد الشيخ أبي بكر بن محمد النفاوي

إبدال الواو تاء:

وهو قول النفاوي في قصيدة "المنظومة الفقهية"

بِإِثْرِ صَلَاةٍ بِالتَّيْمُمِ يَا أَخِي * بِشَرْطِ اتِّصَالِ الدَّهْرِ مِنْ دُونِ مُهَلَّةٍ

ومحل الشاهد في البيت قوله " اتّصل " استخدم النفاوي هذه الصيغة في البيت ذاكراً بموجبات التّيمّم.

كلمة " اتّصل " مصدر فعل " اتّصل " ومضارعها " يتّصل "، وهي مشتق من الفعل الثلاثي الواوي أي مبدوءة بالواو (فاء الكلمة) " وصل " من باب ضرب يضرب ولما صيغ منها على وزن " افتعال " صارت: " أوّتصال "، فوقعت الواو مكان فاء الافتعال، فأبدلت واو تاء فصارت " اتّصال " بتائين، الأولى ساكنة والثانية متحركة، ثم أدغمت التاء الأولى المبدلة من الواو في الثانية، فصارت الكلمة بعد الإبدال " اتّصل " ¹⁹. وينطبق هذا في جميع مشتقاتها، تقول: اتّصل يتّصل اتّصل اتّصلاً، فهو متّصل. ومعناه إبلاغ أو تقرب.

والسبب في بدل الواو تاء في ذلك أنهم لو لم يبدلوا ذلك لوجب أن ينقلبوا ياء إذا انكسر ما قبلها، فيقولوا " ايتصال "، وإذا انضم ما قبلها ردت للواو، فيقولون " موتصال "، وإذا انفتح ما قبلها قلبت ألفاً، فيقولون " اتصال ". فأبدلوا منها التاء، لأنها حرف جلد، لا يتغير لما قبله، وهي مع ذلك قريبة المخرج من الواو، لأنها من أصل الثنايا، والواو من الشفة.

اختار النفاوي هذا النوع من الإبدال في البيت تلطفاً وتحفيفاً على النطق باللسان، إذ لو استعمل الكلمة على أصلها لحدث الثقل باللسان لأن الإبدال يسهل الثقل إلى ما هو أخف منه.

ومنه قوله في نفس القصيدة "المنظومة الفقهية"

وَاتَّقِ جُحْرًا وَالظَّلَالَ وَمَمُورِدًا * وَرِيحًا طَرِيقًا أَوْ مَجَالِسَ أُمَّةٍ

ومحل الشاهد في البيت قوله: " اتّق " فاستخدم النفاوي هذه الكلمة في البيت ذاكراً بعض أماكن لا يحل قضاء الحاجة فيها.

كلمة: " اتّق ": فعل أمر، ومضارعها " يتّقي "، الثلاثي اللفيف المفروق من باب " ضرب " ²⁰، وأصلها " اتقى " ولما صيغ منها على وزن " افْتَعَلَ " صارت " أوْتَقَى "، فوقعت حرف الواو مكان فاء افتعل " أوْتَقَى " فأبدلت الواو تاءً فصارت: " اتْتَقَى " بتائين، تاء الأولى المبدلة من الواو وهي ساكنة والثانية متحركة، ثم أدغمت التاء الأولى في الثانية فصارت الكلمة " اتّق " بعد تمام الإبدال. وينطبق هذا في جميع مشتقاتها، تقول: اتّقَى يتّقَى اتّقَى مَقَى ومتّقَى.

أتى النُفَاوِي هذه الكلمة أبدلت الواو افتعل تاء في نظم البيت ليسهل نطقها على قارئ القصائد، لأن إبدال الحرف بحرف في الكلمات يؤدي إلى الخفة ويزيل الثقل على اللسان.

إبدال التاء طاء:

وهو قول النُفَاوِي في قصيدة " الفيض الثجاج في مدح السراج الوهاج محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم "

وَكَاذَ جَنَانِي أَنْ يَدُوبَ وَيَصْطَلِحَ * بَلُوعَةَ شَوْقِ الْهَاشِي مَحَمَدَ

ومحل الشاهد في البيت قوله " يصطالح " استخدم النُفَاوِي هذه الكلمة في البيت مادحاً للنبي صلى الله عليه وسلم بحيث يصف شدة حبه وشوقه للنبي صلى الله عليه وسلم.

كلمة " يصطالح " فعل مضارع مشتق من " صلح " الفعل الثلاثي المجرد مبدوء بحرف الصاد مفتوح العين في الماضي وفي المضارع من باب فتح يفتح، وأصله " يصتلح " وذلك بعد بنائه على صيغة " افتعل "، فوَقَعَت التاء افتعل بعد حرف الصاد الذي هو من حروف الإطباق، فتقارب مخرجهما وتثقل النطق بها على اللسان، فأبدلت التاء طاءً تخلصاً من الثقل عند النطق بها، فصارت الكلمة "يصطالح " ويقال يصطالح المكان: أي كثر طلحة.

ومنه قوله في قصيدة " الورد السائغ في مدح المعطى السوابغ صلى الله عليه وسلم "

تَقِيٌّ وَمُخْتَارٌ مَطْهَرٌ طَاهِرٌ * رَسُولُ نَبِيِّ رَحْمَةً لِلْأَنَامِ

ومحل الشاهد في البيت قوله " مطهر " استخدم النُفَاوِي هذه الكلمة في البيت مادحاً للنبي صلى الله عليه وسلم بحيث وصفه بتقوى واختيار وطهر ورحمة للعالمين، كما صرح في القرآن الكريم " {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} [الأنبياء: 107] "

كلمة " مطهر " اسم المفعول مشتق من فعل الثلاثي المجرد المبدوء بحرف الطاء طَهَرَ يَطْهَرُ طُهْرًا على وزن فَعَلَ يَفْعُلُ فُعْلًا، وهو من باب قرب يقرب، ولما صيغ منها اسم الفاعل على وزن " مفتعل " صارت الكلمة "مطهر "، فوَقَعَت التاء بعد حرف الطاء، الذي هو من حروف الإطباق فتقارب مخرجهما وتثقل النطق

بها فأبدلت التاء طاء فصارت "مططهر"، بالطائين، طاء الأولى المبدلة من التاء وهي ساكنة والثانية متحركة، فأدغمت الطاء الأولى في الطاء الثانية، فصارت الكلمة بعد إتمام الإبدال: "مطهر" على وزن مقّعل. ومعناه نقي من كل عيب.

إبدال التاء دالاً:

وهو قول النفاوي في قصيدة: "الورد السائغ في مدح المعطى السوابغ صلى الله عليه وسلم"
وَيَاسِينَ طَه عَاقِبُ وَمُدَّتِر * مُزْمَلُ حَتْم فَائِقَتْ ذُو احْتِرَام
ومحل الشاهد في البيت قوله "مدتّر" استخدم النفاوي هذه الكلمة في البيت مادحاً للنبي صلى الله عليه وسلم بحيث وصفه بمدتّر كما صرح في القرآن الكريم: "يأبها المدتّر قم فأنذر" (المدتّر: 2، 1).

فكلمة "مدتّر" اسم فاعل مشتق من فعل الثلاثي المجرد، المبدوء بحرف الدال أي فاء الكلمة "دثر" ومضارعها "يدثر" من باب نصر ينصر على وزن فعل يفعل، وأصلها "مدتّثر" وذلك لصياغة منها اسم الفاعل على وزن "مفتعل" ف وقعت التاء مفتعل بعد الدال، فأبدلت التاء دالا فصارت الكلمة "مدتّثر" بالدالين، دال الأولى الساكنة والثانية متحركة، فأدغمت الدال الأولى في الدال الثانية، فصارت الكلمة: "مدتّر" على وزن مفعّل بعد إتمام الإبدال. ويقال دثر الشيء أي قدّم، ويقال أيضا دثر السيف: أي صدّئ. كما جاء في الحديث الشريف: إن القلب يدتّر كما يدتّر السيف. (أورده ابن الأثير في النهاية).

والسبب في بدل التاء دالا في ذلك لأن التاء حرف مهموسة والدال حرف مجهورة، فوجب إبدال التاء حرفا يوافق ما يسبقها في الجهر ويكون من مخرج التاء وهو الدال.

ومحل الشاهد أيضا في نفس البيت قوله: "مزمل" استخدم النفاوي هذه الكلمة في البيت مادحاً للنبي صلى الله عليه وسلم بحيث وصفه بمدتّر كما صرح في القرآن الكريم: "يأبها المدتّر قم فأنذر" (المدتّر: 1) وكما صرح قوله تبارك وتعالى أيضا في القرآن الكريم: "يأبها المزمل. قم الليل إلا قليلا." (المزمل: 2\1).

فكلمة "مزمل" اسم فاعل مشتق من فعل الثلاثي المجرد المبدوء بحرف الزاي أي فاء الكلمة "زمل" ومضارعها "يزمل" على وزن فعّل يفعل، من باب ضرب يضرب²¹ وأصلها "مزتمل" على وزن مفتعل وذلك

لصيغة اسم الفاعل منها، فوقعت التاء مفتعل بعد الزاي، فأبدلت التاء دالا فصارت الكلمة "مزمل، فتقارب مخرجهما وتثقل النطق بها فقلبت الدال زايا "مزمل"، ثم أدغمت الزاي في الزي، فصارت الكلمة: "مزمل" على وزن مفعّل بعد إتمام الإبدال. يقال زمل فلانا أي عادّله.

واستخدم النفاوي هذه الكلمات في الأبيات تسهياً للنطق بها لولا استعمال الإبدال في الكلمات لصعب في النطق ولصار على نحو: يصتّح ومطّهر ومدتّهر ومزتمل، فاختر النفاوي إبدال الواو تاءاً وإبدال التاء طاءاً وإبدال التاء دالاً بدلاً من غيرها.

ومنه قوله في قصيدة "المنظومة الفقهية"

أَتَانَا بِحَقِّ صَادِقًا مُصَدِّقًا * وَأَرْشَدَنَا اللَّهُ رَبَّ الْبَرِيَّةِ

ومحل الشاهد في البيت قوله "مصدقا" استخدم النفاوي هذه الكلمة في البيت مادحا للنبي صلى الله عليه وسلم الذي جاءنا بالحق وهدانا إلى الصراط المستقيم.

فكلمة "مصدق" اسم المفعول مشتق من الفعل الثلاثي المجرّد المبدوء بحرف الصاد أي فاء الكلمة "صدق" ومضارعها "يصدق" من باب نصر ينصر، على وزن فعّل يفعل، وأصلها "مصتدق" على وزن مفتعل، وقعت تاء افتعل وهي حرف المهموسة بعد حرف الصاد وهي من حروف الإطباق فتقارب مخرجهما وتثقل النطق بها، فأبدلت التاء دالاً فصارت "مُصَدِّق" بالدالين، دال الأولى الساكنة والثانية المتحركة، فأدغمت الأولى في الثانية لتصير "مصدق" على وزن مفعّل بعد إتمام الإبدال. ويقال مصدق أي مخبر بالواقع، ويقال: صدق أي صدقه الوعد أي نفذه. ويطلق عليه معنى الصدق والأمانة.

ومنه قوله في قصيدة "المنظومة الفقهية"

وَأَزَادَ فِي الْمَشْرُوعِ مِنْ غُسْلِ بَعْدَ مَا * غَسَلْتَ ثَلَاثًا بَلَّ وَتَرَكُ لِسُنَّةِ

محل الشاهد في البيت قوله "وازاد" استخدم النفاوي هذه الكلمة في البيت ذاكراً لهيئة موجبات الغسل. وهي غسل من الجنابة والحیضة والنفاس.

فكلمة "ازاد" فكلمة "ازاد" فعل ماض مشتق من فعل الثلاثي أجوف "زيد" من باب ضرب يضرب، المبدوءة بالزاي أي فاء الكلمة، وأصلها "ازتيد" على وزن "افتعل"، تحركت الياء وانفتح ما قبلها فقلبت القاء، فصارت "ازتاد" ثم أبدلت التاء دالاً لوقوعها بعد زاي فصارت "ازداد"، ثم أبدلت الدال زائاً، فأدغمت الزاي في الزاي فصارت "ازاد" على وزن افتعل. الذي حدث في هذه الكلمة هو الإعلال والإبدال. أما الإعلال فهو تحرك الياء وانفتاح ما قبلها فقلبت ألف، وأما الإبدال فهو إبدال التاء دالا وإبدال الدال زاي ثم إدغام الزاي في الزاي.

ومنه قوله في قصيدة "نحلان المنان في مدح قطب القطوب"

أَلَا إِذْكَرَ الْمُدَّحَ الثَّانِي رَسُولَنَا * مُلَاذِي يَغَارِ أَهْلِي صِدْقٍ وَإِحْسَانٍ

ومحل الشاهد في البيت قوله: "اذكر" استخدم النفاوي هذه الكلمة في البيت مادحاً للنبي صلى الله عليه وسلم وأبوبكر الصديق رضي الله تعالى عنه حين ما كانا في غار حيث وصفهما بأهل الصدق وإحسان.

فكلمة "اذكر" فعل ماض مشتق من الفعل الثلاثي المجرد "ذكر" من باب نصر ينصر، المبدوءة بالدال أي فاء الكلمة، وأصلها "اذتكر" على وزن "افتعل" وقعت تاء الافتعال بعد حرف الدال فتثقل النطق بها، فأبدلت التاء دالاً، فصارت الكلمة "اذدكر" على وزن "افتعل" ثم أبدلت الدال ذالاً فصارت "اذذكر" بالذالين، الأولى الساكنة والثانية المتحركة، ثم أدغمت الأولى في الثانية، فصارت "اذكر" على وزن افتعل.

ومنه قوله في قصيدة "المنظومة الهائية في مبادئ الصوفية"

وَأَدَانُكُمْ عَيْنُ الْكَمَالِ فَيَا أُجِي تَفَهَمَ بَيِّنَاتِي أَيَا صَاحٍ فِي اللَّهِ

ومحل الشاهد البيت قوله: "ادانكم" استخدم النفاوي هذه الكلمة في البيت مبيناً مراتب التصوف في الطريقة الصوفية.

فكلمة "ادان" مشتق من "دان" وأصلها "ادتين" وذلك بعد ما صاغها على وزن "افتعل". تحركت الياء وانفتح ما قبلها فقلبت ألفا فصارت "ادتان"، وقعت التاء افتعل بعد الدال، فأبدلت التاء دالاً فصارت

إدخال "بالدالين، الدال الأولى الساكنة والدال الثانية المتحركة، فأدغمت الأولى في الثانية، فصارت " اذان
" على وزن " افتعل ". والذي حدث في هذه الكلمة هو الإعلال والإبدال.

إبدال الياء تاء

ومنه قوله في نفس قصيدة " المنظومة الفقهية "

فَقَصْدِي بِهِدَّ الشُّعْرِ نَظْمٌ فُرُوعِنَا لِيَتَّسِرَ حِفْظُ لِلْخَلَانِ وَإِخْوَتِي

ومحل الشاهد في البيت قوله: " يتتسر " استخدم النفاوي هذه الكلمة في البيت مبيّنا بمراده في نظم شعره
في مجال الفقه وهو ليسهل فهم أحكام العبادات للصغار والكبار.

فكلمة " يتتسر " فعل المضارع مشتق من الفعل الثلاثي المجرد يأتي أي المبدوءة بالحرف الياء (فاء الكلمة)
" يسر " من باب نصر ينصر ولما صيغ منها على وزن افتعل صارت " يتتسر " فتبدل ياء تاء فصارت يتتسر
بتائين، الأولى الساكنة والثانية متحركة ثم أدغمت تاء الأولى في الثانية لتصير " يتتسر " على وزن "
افتعل ". ويطبق هذا في جميع مشتقاتها ويقول: يتتسر اتتسر اتتسارا متتسر. ومعناه: سهّل وصار ممكناً. كما
صرح في القرآن الكريم "سيجعل الله بعد عسر يسرا" (الطلاق: 7) وقال الله تعالى أيضا " فإن مع العسر
يسرا" (الشرح: 5).

إبدال الصحيح صحيحا

وهو قول النفاوي في قصيدة " المنظومة الفقهية "

وَالْغَائِبَا بِالرَّفْضِ وَالنَّفْخِ بَعْدَهُ * بِفَمٍ وَتَصْوِيْتٍ وَحَدَثٍ كَفَسْوَةٍ

ومحل الشاهد في البيت قوله " بفم " استخدم النفاوي هذه الصيغة في البيت ذاكراً لمبطلات الصلاة، منها
رمل باليدين في الصلاة أو النفخ بالفم وخروج الحدث سواء من قبل أو دبر.

كلمة "فم": كلمة مفردة وجمعها أفواه قال الليث الفوه أصل بناء تأسيس الفم قال أبو منصور ومما
يدلُّك على أن الأصل في "فم وفو وفا وفي" هاءٌ حُدِّثَتْ من آخرها قولهم للرجل الكثير الأكل فيَّه وامرأة فيَّه
ورجل أفوه: عظيمُ الفم طويلُ الأسنان ومحالُّه فوهاء إذا طالت أسنانها التي يجري الرشاء فيها، قال ابن

سيده الفاءُ والفُوهُ والفِيهَةُ والقَمُ سواءً والجمعُ أفوَاهُ والشاهد أن الهاء محذوف، والمبدل هو الألف في " فَا " ، والألف بدل الواو في " فَو " بعد حذف حرف الهاء في " فَوَّةٌ غير أن الإبدال فيه اعتباطي.

اختار النقاوي هذه الكلمات التي فيها الإبدال تسهيلا للنطق بها ، لو استعملها على أصلها لصعب نطقها على اللسان ويحدث الثقل ويوقع في الخطأ.

التعويض في القصائد

وهو قول النقاوي في نفس القصيدة

وَإِنَّ لَهُ أَسْمَاءَ حُسْنَى صِفَاتِهِ * لِعُلُوِّهِ قُدْسِيَّةٍ فِي الْحَقِيقَةِ

ومحل الشاهد في البيت قوله: "أسماء" استعمل النقاوي هذه الصيغة في البيت ذكراً لصفات الله سبحانه وتعالى وأسمائه الحسنى تسعة وتسعين.

كلمة "أسماء": جمع اسم وقد اختلف الصرفيون في اشتقاقه قال البصريون: إن أصل اسم " سِمُو "، من " السُّمُو " وهو العلو والدليل عليه أنه يرد إلى أصله في التصغير وجمع التكسير فيقال " سُمِيٌّ " و " أَسْمَاءٌ " وعلى هذا فالناقص منه اللام ووزنه " افع " والهمزة عوض عنها وهو القياس لأنهم لو عوضوا موضع المحذوف لكان المحذوف أولى بالإثبات وذهب بعض الكوفيين إلى أن أصله " وَسَمٌ " لأنه من " الوَسْم " وهو العلامة فحذفت الواو وهي فاء الكلمة وعوض عنها الهمزة وعلى هذا فوزنه " اعل ". ويلاحظ فيما ذهب إليه الكوفيون أن همزته عوض عن لام الكلمة سواء كانت يائياً أو واوية.

اختار النقاوي هذا النوع من الإبدال في البيت تلطفاً وتحفيفاً على النطق باللسان، إذ لو استعملها على أصلها لحدث الثقل باللسان لأن الإبدال يسهل حدوث الثقل إلى ما هو أخف منه.

ومنه قول النقاوي في قصيدته نحلان المنان في مدح سيد الأكوان

إِلَيْهِ أَنْتَهَى كُلُّ الْقَضَائِلِ وَالْعُلَا * فَلَا وَابِرِ دوما يُساوي ابن عَدْنَانَ

ومحل الشاهد في البيت قوله "ابن" استخدم النقاوي هذه الصيغة في البيت بحيث يبين أعظم فضائل النبي صلى الله عليه وسلم الذي لا يساوي بفضائل غيره.

كلمة "ابن": أصله "بنو" بفتحين فحذفت لام الكلمة وهو الواو وعود عنها بالألف في أوله فصارت " ابن "ويدل على ذلك أنه يجمع على بنين وهو جمع سلامة وجمع السلامة لا تغيير فيه وجمع القلة "أبناء" بقلب الواو همزة للتطرف وقيل: أصله " بنو " بكسر الباء مثل حمل بدليل قولهم: " بنت "، وهذا القول يقل فيه التغيير وقلة التغيير تشهد بالأصالة. ويدل على ذلك أيضا قولهم: هو "ابنُ بَيْنُ البُنُوَّةِ". وكذلك عند النسبة لأنه إذا نُسب إلى "ابنٍ وَبِنْتٍ" حذفت ألف الوصل والتاء ورُدَّ المحذوف فيقال: " بَنَوِيٌّ " ويجوز مراعاة اللفظ فيقال: " ابنيُّ " و" بِنْتِيُّ " ويصغَّرُ بردَ المحذوف فيقال: " بُنْيٌ " والأصل " بُنْيُوُّ ". ويطلق "الابن" على ابن الابن وإن سفل مجازا. ومؤنث الابن: " ابنتُهُ " على لفظه وفي لغة " بِنْتُ " والجمع " بَنَاتٌ " وهو جمع مؤنث سالم، والشاهد هنا تعويض الواو بالهمزة.

لاحظ الباحثون في هذا الصدد أن صوغ الكلمات في إبدال حرف بغيره في اختيار النفاوي هذه الكلمات التي وقع فيها الإبدال اعتبرها في الأبيات ليسهل نطق الكلمات لدى القارئ، إذ ما دون التسهيل يوقع في الخطأ عند نطق الألفاظ، لو لم يبدل الشيخ لحدث الثقل والصعب عند النطق.

الخاتمة

- وصل الباحثون إلى ختام المقالة بعد مرورها على المقدمة ومفهوم الإبدال لغة واصطلاحية وفوائده وترجمة عن حياة الشيخ ثم دراسة ظاهرة الإبدال الوارد في القصائد. وقد تحصل الباحثون على نتائج خلال كتابة هذه المقالة منها ما يلي:
1. أن التصريف عنصر من عناصر اللغة العربية وأن الإبدال من فروعها المهمة.
 2. إن للشيخ النفاوي من الشعر نحو عشرين قصيدة وتبلغ أبياتها نحو ألف وستمئة وأربعة وتسعين بيتاً وأغلبيتها في المدح.
 3. ومما سبق في الدراسات يتبين للبا حثان عبقرية الشيخ في استخدام الإبدال بصيغة مختلفة، فصاغ هذه الكلمات صياغة جارية على القياس الصرفي.
 4. وتبين كذلك أن الإبدال في اللغة العربية لا تخلو من فائدة.
 5. وأن ظاهرة الإبدال وردت في أربعة عشر موضعاً (14) والحمد لله بنعمته تتم الصالحات.

الهوامش والمصادر

- ¹ إبراهيم أنيس وشركاؤه، المعجم الوسيط : ص: 64.
- ² أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء، معجم المقاييس اللغة، ج1، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الطبعة 1979؛ دار الفكر، ص: 210. مادة (بدل).
- ³ ابن السكيت، مقاييس الأصالة والفرعية في الإبدال الطبعة الأولى ص. 47.
- ⁴ المرجع السابق، ص: 47.
- ⁵ أبي الطيب اللغوي، تحقيق كتاب الإبدال، عز الدين التنوخي، ص: 41.
- ⁶ ابن منظور لسان العرب (عدف)
- ⁷ السيوطي المزهر 1/538
- ⁸ ابن جنى الخصائص ج2/146
- ⁹ الطيب، كتاب الإبدال ج1/ص: 186.
- ¹⁰ مقدمة كتاب أبي طيب ص42 وهامش 276 منه
- ¹¹ مقابلة الشفهية مع الشيخ أبي بكر الصديق ساعة 9:00 صباحاً في بيته/ يوم الأحد 2018/03/18م
- ¹² المرجع السابق
- ¹³ المرجع السابق
- ¹⁴ المرجع السابق
- ¹⁵ المرجع السابق
- ¹⁶ المرجع السابق
- ¹⁷ المرجع السابق
- ¹⁸ المرجع السابق
- ²⁰ شعبان صلاح (الدكتور)، المرجع السابق، ص: 85.
- ²¹ الحملوي، المرجع السابق، ص: 20.

صور من التكرار في "ديوان الكشف والبيان" لابن إسحاق: دراسة أسلوبية

إعداد:

مرضى إبراهيم

قسم القرآن وعلومه، معهد السلطان محمد مئطو للقرآن والدراسات العامة، صكتو نيجيريا¹

Hauwa Isah Waziri و

Federal University of Kashere, Gombe State²

الملخص:

هذه مقالة بعنوان صور من التكرار في ديوان "الكشف والبيان" لابن إسحاق: دراسة أسلوبية، ناقش فيها الباحثان بعض القضايا التي تصل بصلة إلى أسلوب الشاعر في ديوانه من حيث التكرار، وقسما هذه المقالة إلى قسمين: دراسة نظرية من حيث مفهوم التكرار ثم آراء اللغويين القدامى والمحدثين. ثم دراسة تطبيقية، حيث حللا بعض القضايا التي تكررت في القصائد كتكرار الحرف أو تكرار الكلمات أو الجملة، ثم الخاتمة، والمصادر والمراجع.

Abstract:

This Paper titled: Some Samples of duplications in the anthology of Al-kashf wal-bayan by bn Ishaq, a Stylistic Study, the researchers discussed some issues related to styles of the poet sheikh Ishaq more especially in the area of duplication, where they defined the meaning of duplication, both literal and technical meanings they, then mentioned the perceptions of ancient and contemporary linguists, they also discussed the types of duplication according to them, followed by practical study, they also analyzed issues related to duplication

¹ murtalaibrahim773@gmail.com² gmail.com@habboba341

related to letters, words, and Sentences. Then, Conclusion, Sources and references.

المقدمة:

الحمد لله الذي يكرر الليل والنهار تكريرا ويصور الأمور كيف يشاء تصويرا، والصلاة والسلام على النبي الكريم. وبعد:

فهذه مقالة تتحدث عن صور من التكرار لدى ابن إسحاق في ديوانه، ذلك بأن الشاعر وظفه وتوظيفها مناسبة للمقام بغية الإفهام والتوكيد والتقرير والتعظيم والتفخيم والانسجام والتلاحم والتلاؤم، فهي ميزة يتميز بها عن غيره في ديوانه. وتحتوي المقالة على النقاط التالية

مفهوم التكرار وأنواعه.

التكرار عند اللغويين القدامى والمحدثين.

صور من التكرار في الديوان.

الخاتمة

مفهوم التكرار وأنواعه.

التكرار لغة مأخوذ من مادة (ك ر ر) الكَرَّ: مصدر كَرَّ عليه يَكْرُ كَرًا وكرورا وتكرارا، ويأتي لمعان عدة وكَرَّ عَنْهُ: رجع، وكَرَّ على العدو يَكْرُ: إذا أغار عليه ورجل كَرَّار ومِكرٌ، وكذلك الفرس. وكَرَّرَ السَّيِّءُ: أعاده مرة بعد أخرى. والكِرَّةُ: المرة، والجمع الكرات. ويقال: كررت عليه الحديث وكركرتُه إذا رددته عليه¹

ويأتي بفتح التاء وكسرهما، ومن أمثلة الفتح قول عنتر بن شداد:

ومعاودِ التَّكرارِ طالَ مضيُّهُ * طعناً بكلِّ مثقَّفٍ عَسَّالٍ²

والشاهد من البيت قول عنتر " حيث استعمل اللفظ بفتح التاء، ومن أمثلة مجيئه بكسر التاء قول عنتر أيضا:

وفوارس لي قد علمتهم * صبر على التَّكرار والكلم

يمشون والمآذي فوقهم * يتوقدون توقد الفحم³

والشاهد قوله "التَّكرار" بكسر التاء، دلالة على جواز الفتحة والكسرة في التاء.

وأما التكرير: بكسر الراء مع المد بالياء فـ"مصدر من كررت الشيء: إذا أعدته مرارا، وهو عبارة من تكرير كلمة فأكثر باللفظ والمعنى لنكتة. كقول ابن حجة:

تكرير مدحي في الزائد الكرم اب * ن الزائد الكرم ابن الزائد الكرم"⁴

ويأتي كذلك لفظ التكرار مفتوح الفاء ومكسورها، وإن كان مفتوح الفاء فهو مصدر ثلاثي ويفيد المبالغة، أو مصدر مزيد أصله (التكرير) قلبت ياءه ألفا. وإن كان مكسور التاء فهو اسم من التكرير.

التكرار في الاصطلاح:

التكرار أسلوب من الأساليب المعروفة المشهورة لدى العرب القدامى والمحدثين، وجد اهتماما كبيرا من قبل الباحثين والدارسين قديما وحديثا، بل هو من محاسن الفصاحة لما يتسم به من دور بارز في بناء النص وهو: "الإتيان بعناصر متماثلة في مواضع مختلفة من العمل الفني، وهو أساس الإيقاع بجميع صوره، فنجد في الموسيقى كما نجده أساسا لنظريّة القافية في الشّعر"⁵

والتكرار لا يقوم على مجرد تكرار اللفظة فحسب في سياق الشعر أو غيره، وإنما ما تركه هذه اللفظة من أثر انفعالي في نفس المتلقي (المخاطب) ولذلك يوجد في المصدرين العظيمين القرآن الكريم والسنة المطهرة بالكثرة. التكرار عند اللغويين القدامى:

تطرق اللغويون القدماء إلى قضية التكرار ودوره في تأدية المعنى، وفيما يلي بيان لبعض ما ذهبوا إليه ابن جني لقضية التكرار في كتابه "الخصائص" إلى أن التكرار بألفاظ التوكيد وهي: (كل - جميعا - كلا) وغير ذلك. ومهما يكن من أمر يفهم من خلال أمثلة ساقها أن مفهوم التكرار عنده هو الإعادة والترديد، سواء في التوكيد أو في غيره. ويفهم هذه المعاني من قوله: "اعلم أن العرب إذا أرجأت المعنى مكنته واحتاطت له. فمن ذلك التوكيد، وهو على ضربين:

أحدهما: تكرير الأول بلفظه. وهو نحو قولك: "قام زيد قام زيد" و"ضربت زيدا ضربت" وقد قامت الصلاة، قد قامت الصلاة، والله أكبر الله أكبر، وقال الشاعر:

إذا التياز ذو العضلات قلنا * إليك إليك ضاق بها ذراعا

والثاني: تكرير الأول بمعناه. وهو على ضربين: أحدهما للإحاطة والعموم، والآخر للتثبيت والتمكين. الأول كقولنا: قام القوم كلهم، ورأيتهم أجمعين "مررت بهما كليهما" والثاني نحو قولك: قام زيد نفسه ورأيته نفسه.⁶

وهذه الأمثلة تشير إلى الاهتمام البالغ للتكرار على وجه التأكيد، وجاءت في مقامات مختلفة من الإغراء، فالمدح، فالهجاء، فالوعظ. وجميعها تقوم على أساس من انفعال النفس، ويؤثر هذا التكرار في نفس السامع بحيث يزيده اهتماما ووعيا بمدلول ما يسمعه من المتكلم وما يقترنه من النص.

وتطرق ابن فارس للتكرار في كتابه (الصاحبي) قائلا: "وسنن العرب التكرير والإعادة إرادة الإبلاغ بحسب العناية بالأمر، كما قال الحارث بن عباد:

قَرِّبَا مَرِيْبُ النَّعَامَةِ مَنِي * لَقِحَتْ حَرْبٌ وَاثِلٌ عَن جِيَالِ

فكَّرَ قوله: "قَرِّبَا مَرِيْبُ النَّعَامَةِ مَنِي، في رءوس أبيات كثيرة، عناية بالأمر. وأراد الإبلاغ في التنبيه والتحذير".⁷

التكرار عند اللغويين المحدثين بذل اللغويون المحدثون عنايتهم للغاية في دراسة النص وتحليله، للوقوف على ظواهره اللغوية، لإبراز قيمة ألفاظه واكتشاف معانيها الدلالية، لأن الألفاظ جسم وروحه المعنى، ولا تظهر معنى اللفظ إلا عن طريق السياق. "كما أن معنى الكلمة يكمن في استخدامها"⁸ ولتتبع بعض تلك الدراسات يوقف المرء على تعريفات مختلفة للتكرار منها:

إن التكرار: "عنصر مشترك بين الاتساق والانسجام، وقد يكون بتكرار اللفظ نفسه، وقد يكون بمرادفه"⁹ وهو: "جملة أو فقرة، وذلك باللفظ نفسه أو بالترادف، وذلك لتحقيق أغراض كثيرة أهمها تحقيق التماسك النصي بين عناصر النص المتباعدة"¹⁰

ويأتي التكرار: "في إعادة العنصر المعجمي بلفظه، أو بشبه لفظه، أو بمرادفه أو بزنته أو بمدلوله، أو ببعض منه، أو بالاسم العام له، مما يؤدي إلى تماسك النص وسبكه"¹¹

ويلاحظ من قول ابن فارس أن العرب إذا أرادت الإبلاغ والتكثير عن شيء مهم كررته، وذلك لأهميته البالغة، مثل: "الغزال الغزال" لمن يريد صيدها. أو "القراءة - القراءة" لمن يريد تكثيرها وتكرارها.

وأكد الثعالبي هذا الرأي حيث أثبت قضية التكرار في كتابه "فقه اللغة وسر العربية".

ويلاحظ من تعريفات علماء النص والسياق أن التكرار شهد تطوراً جديداً في الدراسة الحديثة على خلاف ما كان عليه في الدراسة القديمة لدى اللغويين، وتوغل في سلك دراسة النصوص وتحليلها دراسة دلالية معجمية، وأصبح من مباحث علم اللغة الحديث أو اللسانيات أو الأسلوبية، لأنه منهج تحليلي للأعمال الأدبية، يقوم بوصف النص حسب طرائق مستقاة من اللسانيات.

وفي التعريفات المسردة للتكرار يرى الباحثان مواضع الاتفاق والاختلاف من بينها. وفي تعريف عوض عباس مثلاً، أن التكرار يأتي في اللفظ نفسه، مثل: "هذا أسد أسد في الغابة" إرادة للتوكيد والتقريب، وإبراز الدهشة. أو تكرار الترادف، نحو: "انقباض - انكماش - عبوس"، إرادة لإثراء الكلمات العربية وتوسيع المعاني. وأما الفقي صبحي فينوّه بأن التكرار يكون في اللفظ نفسه، أو في الجملة نفسها، أو في العبارة. أو بالترادف، أو بشبه الترادف. واتفق هذان التعريفان في تكرار اللفظ نفسه وتكرار الترادف المطلق، واختلفاً في تكرار الجملة، أو العبارة، أو شبه الترادف. وذلك لغرض وجود التماسك والانسجام في النص شكلاً ودلالة.

وأما تعريف محمد خطابي قسم التكرار سبعة أقسام، منها: تكرار اللفظ نفسه: "اترك - اترك" أو شبه لفظه: "قف - وقم"، أو مرادفه: "أمد - سرمد" أو بوزنه: "كأريب - أديب" أي في وزن واحد كـ"فعل" أو بما يدل على معناه "اقرأ - ادرس"، أو ببعض من معناه "نبيل - نجيب"، أو تكرار الاسم بما يشمله ويعمه "النور - والضياء"، وقد وسع محمد خطابي في تعريفه للتكرار حيث أتى بأقسامه المتنوعة عند ما يدخل بعضها في آخر. وذلك في قوله: "تكرار المدلول، أو تكرار بعض من معناه"، ويدخل هذا في تكرار الترادف، لكنه أوسع جداً ليدخل جميع التكرارات. وكذلك أحمد عفيفي أوسع في تعريفه حيث قسم التكرار إلى ثلاثة أقسام: وأخرج تكرار شبه اللفظ، والوزن، والمدلول، وتكرار الاسم العام. ثم قسم تكرار الترادف إلى المطلق، وشبه الترادف، خلافاً لمحمد خطابي.

أنواع التكرار

و"جاء التكرار بأنواع مختلفة لتباين صوره، فمنهم من درسه في الصورة اللفظية، كالتكرار الشكلي والتكرار الجزئي، وتكرار الوزن، وتكرار الجناس الناقص. ومنهم من درسه في الصورة الدلالية (المعنوية) كتكرار الترادف المطلق، أو شبه الترادف، أو تكرار الاشتراك اللفظي، أو بالتضاد، أو بالتضمين أو بالحقل، أو الاشتمال أو المعاني العامة."¹²

وهناك اختلاف في أنواع التكرار فكان عند القدامى لا يتجاوز عن التكرار اللفظي، والتكرار المعنوي. وأما المحدثون فكانوا على خلاف ذلك، حيث أثبت هؤلاء اللغويون المحدثون أن التكرار إما أن يكون مباشراً أو مشتركاً لفظياً أو مترادفاً أو شبهه أو غير ذلك، كما أشار أحمد عفيفي، إلى أن "التكرار الجزئي، وتكرار الترادف، وشبه الترادف، وتكرار الجملة"¹³

صور من التكرار في الديوان

وظف الشاعر التكرار في أنواع متعددة في ديوانه، كتكرار الحرف أو الكلمة، والجملة، وغيرها من الظواهر الأسلوبية، فلسفة نحو الممدوح، وفيما يلي بيان ذلك

تكرار الحرف هو إعادة أصوات معينة تجعل النص يحفل بالإيقاعات المتنوعة وله أثر موسيقي يحدثه في داخل القصيدة، يحاول الشاعر جذب انتباه القارئ إليه ويتحقق ذلك من خلال انسجام الحروف مع بعضها البعض: وليس هدف الباحث دراسة جميع أنواع الحروف الواردة في الديوان، بل سيكتفي بدراسة حروف المعاني، لكونها من أهم الركائز الأساسية التي يقوم عليها التكرار في الديوان.

والحرف: هو "ما دل على معنى في غيره."¹⁴ ، أي لا يظهر معناه بدون غيره لضعفه، مثل: "عن، بل، قد"، وينقسم إلى ثلاثة أقسام، قسم يختص بالاسم، كحروف الجر، وحروف القسم، وإن وأخواتها. وقسم يختص بالأفعال، كحروف الجزم والنصب لفعل مضارع، وقسم يشترك فيه الاسم والفعل، كحروف العطف، وحر في الاستفهام، وهما: "هل، والهمزة". وقد كرر ابن إسحاق حروف الجر في القصيدة التالية:

وَلَا يَخْتَشِي فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَأَيْمٍ ** وَلَا يَخْتَفِي عَنْ ذِي اشْتِكَاءٍ وَذِي الْجُرِّ
كَرِيمٍ مِنَ الْكُرَمَاءِ مِنْ ءَالِ دَابٍ وَال ** نَجِيبٍ مِنَ النُّجَبَاءِ وَالطَّيِّبِ الْخُبْرِ

وَلَيْسَ لَدَيْكُمْ فِي الْعَدَالَةِ مِثْلُهُ ** وَفِي الْوُدِّ وَالْحُبِّ الصَّمِيمِ لِنَبِيِّ الْأَمْرِ
 وَفِي الصِّدْقِ فِي قَوْلٍ وَفِي الْعَهْدِ وَالْوَفَا ** وَحِفْظِ الْأَمَانَةِ وَالِدَيَانَةِ وَالشُّكْرِ
 وَفِي الْإِمْتِثَالِ لِأَمْرِ كُلِّ خَلِيفَةٍ ** مِنْ الْخُلَفَاءِ السَّادَةِ الْقَادَةِ الْعُزْرِ
 وَفِي عِلْمِكُمْ أَنَّ الَّذِي جَلَّ قَدَّ أَمْرٍ ** بِطَاعَتِهِ وَنَبِيِّهِ وَأُولِي الْأَمْرِ
 فَعُودُوا قَوْلَهُ ثُمَّ افْهَمُوا وَاسْمَعُوا لَهُ ** أَطِيعُوا لَهُ وَهُوَ الْمُقَوَّضُ لِلْأَمْرِ
 جَزَاهُ إِلَهُ النَّاسِ خَيْرَ جَزَائِهِ ** وَأَيَّدَهُ بِالنَّصْرِ فِي جُمْلَةِ الْعُمَرِ
 وَأَبْقَاهُ مِنْ بَيْنِ الْأَنْبِيَاءِ مُعَمَّرًا ** بِعُمُرٍ مَدِيدٍ فِي الْعَدَالَةِ وَالشُّكْرِ
 بِجَاهِ نَبِيِّ اللَّهِ سَيِّدِ خَلْقِهِ ** مُحَمَّدٍ الْمُبْعُوثِ لِلْبَيْضِ وَالْحُمْرِ¹⁵

تكررت حروف الجر في النص السابق أربع وعشرين مرة، على اختلاف منها حيث تكرر حرف (في) عشر مرات، وقد وظفه بشكل واضح، مرة يكون متصلا ومرة يكون منفصلا. وإن استعمال حرف (في) والذي يفيد هنا حسب توظيفه التداخل والانتشار بين ما هو زمني ومكاني بحيث يجعل الشاعر كل شيء مرتبطا بمحبوبه وممدوحه، ويدور حوله ليسرد للمتلقى إيقاع الحياة وتفصيلها في مدينة صكتو وغيرها، وأسهم هذا الحرف بشكل كبير في تعدد الصفات الخيرية للممدوح، وهو أيضا دلالة على أن المتحدث عنه يتميز بصفات خلقية في الدين وفي الحسب، كما أن طباعته لا تتغير في الرضى والغضب، وهذا الشيء قد أسهم في توسعة صفات الممدوح وشمولها.

وجاءت (عن) مرة واحدة، وتعلقت ببعد جسم الشاعر عن نظر المديح، ووردت (من) خمس مرات، تحمل ملامحا قديمة وذكريات وخواطر متعددة، وتجسد شخوص عهود مضت، وتذوق الشعور متعة ذاهبة وأحداثا دراسة. ووصلت (اللام) ست مرات، والباء: ثلاث مرات. وتجسد رؤية الشاعر حيث يجعل علاقة بين الإنسان والطبيعة، وهي علاقة الحنين والاشتياق، والشفقة.

وتوظيف هذه الحروف في القصيدة، أسهم في التناسق والتناغم والتقارب والتلاصق والاتصاف، فتناسب المواقف التي يريد الشاعر أن يبث فلسفته نحو المجتمع.

استطاع الشاعر في توظيف هذه الحروف أن يكتشف عن معان ودلالات للمثالية للممدوح، ومنها: أنه لا يخاف لومة لائم في الله، كما لا يرد السائل، ومن أخلاقه الفاضلة أنه لا ييمنن ليستكثر، فهذه صفات حميدة يتصف بها الممدوح. أو إن تكرار حروف الجر في هذه الأبيات يولد نوعا من التفكير لدى المتلقي، ويبدو أنه يحمل أبعادا إيحائية ودلالية تنسجم مع المواقف التي يقوم الشاعر بالتعبير عنها في حبه لهذا الممدوح، كما منح تكرار هذه الحروف نوعا من الترابط بين أجزائه، فقد تعدد المجرور تبعاً لتعدد أماكن غزوه وحرابه لأعداء الإسلام، فجاء كل تكرار بمكان معين في القصائد المختلفة، فهذا التكرار جاء معبرا عن المعنى الذي أراد الشاعر التعبير عنه فهو لم يأت لمجرد افتعال متكلف من قبل الشاعر، بل هناك ضرورة نفسية وحاجة ماسة تستوجب هذا التكرار وهي التنبيه والتنويه لفضل الممدوح.

وتكررت أداة النصب "أن" مرات عديدة بشكل متعاقب، حتى شكلت ظاهرة بارزة في ديوان ابن إسحاق، ومثال ذلك قوله أيضا في مدح عبد القادر بن عبد الله بن فودي ما يلي:

وَلَا عَجَبٌ أَنْ يَفْضُلَ الْجِنْسُ جِنْسَهُ ** وَمَا فِي جَنَى الْأَشْجَارِ أَطْيَبُ مِنْ تَمْرِ
مُرَادِي إِلَيْكَ بِأَنْ تَمُنَّ عَلَيَّ بِالْأُ ** إِعَانَةٍ لِي بِضِيَاءِ تَأْوِيلِ ذَا الْبَحْرِ
وَلَا عَجَبٌ أَنْ يُشْبِهَ الشُّبُلُ أَصْلَهُ ** وَلَا غَرَوْ أَنْ يَنْشَقَّ صُبْحُ مِنَ الْفَجْرِ

كرر الشاعر أداة النصب وهي "أن" المصدرية، أربع مرات، واقتربت بالفعل المضارع، وكلها أفعال تدعو إلى التغيير، وفيها نوع من التحدي، واختيار الشاعر لهذا النوع من التكرار هو اشتراك المتلقي في الصورة، وذلك باختياره للفعل المضارع. وشعراء المحلين يولون اهتماما كبيرا للمتلقى الذي له حرية التأويل والتفسير لأشعارهم، فهنا يحدث التفاعل بين الشاعر والمتلقي، كما تكررت في هذه القصائد.

ويلاحظ الباحثان أيضا أن "أن" المصدرية توسطت القصيدة، واقتربت بالأفعال التالية: (يشبه- ينشق- يفضل- تسعف- تمن- يحذو) وهي أفعال تدل على العزيمة والقوة والعطف، ونوع من الأمل والتمني، تكررت أن "المصدرية" ثلاث مرات في القصيدة التي مدح فيها عبد القادر بن الشيخ، وجاءت مرتين في بيت واحد، وهذه ميزة أسلوبية للشاعر، له طريقته الخاصة في تقريضه للشعر.

تكرار حرف النداء:

وهو ما يقوم مقام أدعو، وهي سبعة، أنواع كما يلي: (أ، أي، يا، آ، أيا، هيا، وأ).

وقال الشاعر في الرثاء:

يَا عَيْنُ جُودِي بِسَكْبِ الدَّمْعِ وَأَنْسَجِي ** عَلَى خِضَمِّ سَخِيٍّ وَاسِعِ الْكَرَمِ
يَا رَبِّ غُفْرًا لَهُ وَارْحَمَهُ وَاعْفُ عَنِ ** الزَّلَّاتِ وَاعْفِرْ خَطَايَا وَاصِلِ الرَّحِمِ
أَسْكِنُهُ يَا رَبِّ فِي الْجَنَّاتِ دَارَ رِضَى ** أَعْلَى الْفَرَادِيسِ فِي الْخَيْرَاتِ وَالْيَعْمِ¹⁶

وقال أيضا:

يَا رَاكِبًا عِزْمَسًا وَجِنَاءَ نَاجِيَةً ** زَيَافَةً تَذَرُ الْأَكَامَ قِيَعَانَا
يَا أَهْلَ زَكَرْكَ أَطِيعُوا لِابْنِ حَمْدٍ وَاسِدٌ ** مَعُوا وَعُوا قَوْلَهُ سِرًّا وَإِعْلَانًا¹⁷

كرر الشاعر حروف النداء التي تنوب مناب أدعو في مدح أحمد الرفاعي، وعمر بن محمد البخاري، وعمر بن أمير المؤمنين أبي بكر العتيق، وأمير زكرك عبد بن حمد، وفي رثاء أستاذه محمد سئب بن أبي بكر طن غربي، وتشبيب قطام وحدام وليلى، وورد هذا التكرار أربع عشرة مرة، وهي لنداء البعيد (أيا - يا) بيد أن الشاعر استخدم كليهما لنداء القريب إشارة إلى قربه إليهم قلبا وجسما، ولم يوجه النداء إلى الأمراء فحسب، بل يود أن يلفت أنظار الرعية والفقراء بأن يقصدوا إلى الأمراء الكرماء ويولوا أمورهم إليهم، ويمثلوا أمرهم: أما في رثاء طن غربي بين حزنه وأسفه لفقد هذا الأستاذ الذي لا يبخل بما في يديه من الخيرات، ولا يكتفم علما للتلميذ، بل يواسيه ويجلسه بشا وهشا وابتساما، وأخيرا دعا الله بالمغفرة والرحمة والعتو إليه.

ويلاحظ أيضا أن تكرار النداء جاء مرتبطا ببعض الأسماء مع تكرار بعض الصفات الحميدة للممدوحة، وصب بعض الصفات في خانة الاستهزاء لمن يعادي بها، والاستهانة به والتقليل من شأنه، وفي آن واحد بين درجة الممدوحة وقيمتها، في الأبيات نفسها، ويشير هذا إلى وسع باع الشاعر وفضفاض لسنه وتوفير لغته وما إلى ذلك.

تكرار الكلمة

وتكرار الكلمة يقصد به التكرار المباشر، أو التكرار المعجمي البسيط، أي تكرار الكلمات في النص بدون تغيير، بما يعنى باستمرار الإشارة إلى العنصر المعجمي، فيؤدي هذا الاستمرار إلى ترابط المعنى في النص. وهو "تكرار الكلمة كما هي دون تغيير. حيث يضطلع هذا النمط بوظيفة أخرى فضلا عن السبك، يؤديها هذا التكرار في النصوص الأدبية وهي تجسيد المعنى"¹⁸. ويتنوع تكرار الكلمات في الديوان إلى ستة أنواع منها:

تكرار الاسم الظاهر:

وكل ما يقبل "أل" المعرفة أو النداء أو الإسناد إليه، فهو اسم. أو: "ما دل على معنى في نفسه غير مقترن بزمن، صح أن يقال: كل ما هو كذلك فهو اسم، وما ليس كذلك فليس باسم، وإذا قيل يعرف بدخول (أل)، فيقال: كل ما دخلت عليه (أل) فهو اسم، ولا يصح كل ما لم تدخل عليه (أل) فليس باسم."¹⁹

غير "أل" بمعنى الذي، فإنها تأتي اسما موصولا في الفاعل أو في اسم المفعول، كقوله تعالى: (غير المغضوب عليهم ولا الضالين)، جاءت "أل" هنا في اسم المفعول بمعنى الذي، وفي قوله: (ولا الضالين)، جاءت "أل" في اسم الفاعل. أو في الصفة المشبهة، مثل: "جاء الرجل الحسن وجهه" وتأتي في الفعل المضارع على التقليل، كما في: "جاء اليحكم بالعدل". أي الذي يحكم بالعدل، كقول ابن مالك:

"وصفة صريحة صلة "أل" ** وكونها بمعرب الأفعال قل"²⁰

أي تأتي "أل" اسما موصولا في اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة، وتأتي على القلة اسما موصولا في الفعل المضارع.

والاسم هو: "كلمة تدل بذاتها على شيء محسوس، مثل: نحاس، بيت، جمل، نخلة، عصفورة، أحمد، أو شيء غير محسوس، يعرف بالعقل، مثل: شجاعة، مروءة، شرف، نبل، نبوغ، وهو في الحالتين لا يقترن بزمن"²¹. ورد تكرار الاسم في الديوان متنوعا من اسم عين، كقول الشاعر:

أَبُوهُ الْمُجَدِّدُ شَيْخُ عُثْمَانَ فُودِي ** كَذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ عَلَامَةُ الْعَصْرِ
أَخُوهُ وَلِيُّ اللَّهِ عَيْسَى وَعَابِدُ آلِ ** يَالَهُ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَلَامَةُ الْعَصْرِ²²

كرر الشاعر اسم عين للذات في هذين البيتين، وهو: عثمان، وفودي، وعبد الله، وعيسى، دلالة على أن الممدوح نجل عثمان بن فودي، أي من نسله، ووارثه في مكارم الأخلاق، وأبرز أسماءهم تبركا وتشرفا للممدوح.

وأما اسم معنى فكره الشاعر في مثل قوله:

أَمِيرُ الْوَزَى الْمَشْهُورُ بِإِمِّ وَالتَّقَى * وَبِالْعَفْوِ وَالصَّفْحِ الْجَمِيلِ لِنَدَى الْهَجْرِ
وَبِالْجُودِ وَالْخَيْرِ الْكَثِيرِ لِمَنْ عَرَى * وَبِالْعَوْنِ وَالْإِحْسَانِ وَالنَّهْيِ وَالْأَمْرِ
أَتَمُّ سَلَامٍ بَعْدَهُ أَوْفَرُ الرِّضَى * وَالْإِكْرَامِ وَالتَّبَجِيلِ وَالْمَدْحِ وَالشُّكْرِ
عِمَادٌ مَلَأَ الْحَيَّ عَابِدُ رَبِّهِ * وَقَوَامٌ لَيْلٍ سَاجِدٌ رَاكِعٌ حَبْرُ
وَلِيٌّ يَرَى مِنْ أَوْلِيَاءِ زَمَانِنَا * وَمِنْ جُمَلَةِ الْأَبْرَارِ مِنْ عَابِدِي الْبَرِّ²³

كرر الشاعر اسم معنى في الأبيات السالفة، وهي: "العلم، والتقوى، والعفو، والصفح، والجود، والخير، والعون، والإحسان، والإكرام". ليشكل ملمحا أسلوبيا من ملامح التكرار، وهو ربط المعاني بين هذه الأبيات، وليثبت صفات رائقة لهذا الممدوح الكريم العابد. وكرر الشاعر بعض الصفات الطيبة للممدوح، حيث قال:

نَجَلِ الْكِرَامِ الْكَرِيمِ بِنِ الْكَرِيمِ أَخُ الْ * كَرِيمِ سَبِطِ الْكَرِيمِ الْأَكْرَمِ الْبَدْرِ
قَدْ شَيَّدَ الدِّينَ بِالتَّقْوَى وَكُلَّ مَلَى * يُفْشُونَ عِلْمًا عَلَى الْبَادِيْنَ وَالْحَضْرِ
فَأَشْرَقَ الدِّينُ بَعْدَ الْأَمْحَاقِ كَمَا * قَدْ أَشْرَقَ الشَّمْسُ وَقَتَّ الصَّبْفِ فِي الظُّهْرِ
فَلَنَرْجِعَنَّ إِلَى أَوْصَافِ سَيِّدِنَا * سَهْلِ الْخَلِيقَةِ نَفَّاعِ الْوَزَى الْبَدْرِ
غَيْثُ الْوَزَى حَامِلِ الْأَثْقَالِ أَحْمَسِيهِمْ * بَحْرٍ عَمِيمِ الْجَدَى فِي سَاعَةِ الْعُسْرِ
نَجَلِ الْكِرَامِ كَرِيمِ الْأَصْلِ طَيِّبُهُ * حُرِّ حَمِيدِ لَدَى الْأَوَاءِ وَالْعُسْرِ²⁴

والأمر واضح في هذه الأبيات من وجود إعادة عنصر معجمي وهي كلمة (الكريم - الكريم، العصور - العصر، البدر-البدر، العسر-العسر، بحر-بحر) كررت تكرارا محضا تاما مباشرا، وواضح أيضا رجوع الثانية إلى الأولى لفظا ومعنى، على أنها نفسها وأنها تحل محلها، فبالتطابق الذي يكون بينهما يتم الربط بين اللاحق والسابق المتعلق بالكلمات المكررة.

وفي إطار عملية الربط يقوم التكرار المباشر بوظائف متغايرة تختلف من مقام إلى آخر ومن قصيدة إلى أخرى بما يخدم الموضوع الرئيس الذي اختاره الشاعر وهو المدح والتعظيم والشكر والتفخيم في نص الديوان.

وكرر ابن إسحاق الأسماء المتنوعة في هذه الأبيات في (الكرام - الكريم والعصر - والدين - والبحر - والبدر - والعسر - وكابر - والأمر - والفخر - والقوم) وغير ذلك ليمثل علامة أسلوبية بارزة يعمد إلى توكيدها وتدعيمها وإثباتها في ممدوحه وهو أحمد الرفاعي، وهذه الصفات التي أراد الشاعر اثباته هذا الممدوح الكريم والبدر المنير والبحر السخي، إنما هي معروفة لأهل عصره وزمانه، بيد أنها خفية سارة للخلف، وعلى هذا قام الشاعر قياماً عنيفاً في تكرارها وإبرازها ليعرف من يأتي بعده من هذا الكريم، العلامة، الصبور، الحليم، السخي، قائد الأمة وناصرها الذي يغيث الوري في الشدة ويحمل الأثقال المتراكمة، وغير ذلك من الصفات التي لا يسمح المجال للباحثين ذكرها. فالشاعر للصفات المكررة في الديوان بوجه عام وفي الأبيات السابقة الذكر بوجه خاص، يبلور أن هؤلاء الممدوحين اتصفوا بصفات حميدة وأخلاق فاضلة إضافة إلى ما يقومون به من مساعدة المحتاجين لما في قلوبهم من الرحمة والرأفة والشفقة.

تكرار الضمير: "تنوعت الضمائر إلى ضمير متكلم وغائب ومخاطب".²⁵

كرر الشاعر الضمير في الديوان لما يتسم به من السمات الأسلوبية الرائعة، ومن الضمائر التي كررها ضميراً الغائب المنفصلتان المتمثلة في (هم، هو)، وقد كررهما عدة مرات، وتلمس هذا من قوله في مدح عبد القادر بن عبد الله بن فودي رحمه الله:

هُوَ الْأَمِيرُ مِنَ الْأَمْزَاءِ أَمْرَهُ ** ذُو الْأَمَانَةِ تَأْصِيلًا وَإِحْسَانًا
هُوَ النَّجِيبُ مِنَ النَّجَبَاءِ أَنْجَبُهُمْ ** إِذْ وَالِدَاهُ مِنَ الْأَنْجَابِ قَدْ كَانَا
هُوَ السَّخِيُّ إِذَا مَا الْأَسْخِيَا ذُكِرُوا ** هُوَ الْجَوَادُ إِذَا مَا الْجُودُ قَدْ بَانَ
هُوَ التَّقِيُّ إِذَا مَا الْأَتْقِيَا ذُكِرُوا ** هُوَ الْحَلِيمُ إِذَا مَا الْجِلْمُ قَدْ بَانَ
هُوَ الْعَلِيمُ مِنَ الْعُلَمَاءِ أَعْلَمُهُمْ ** هُوَ الْفَصِيحُ حَكِي قُسًا وَسَخْبَانَا
هُوَ الظَّرِيفُ مِنَ الظَّرْفَاءِ أَظْرَفُهُمْ ** وَطَفْرِسٌ نَمَّ نَمْرٌ فَاقَ شُجْعَانَا

هُوَ الْكَرِيمُ كَرِيمُ الْأَصْلِ طَيِّبُهُ ** هُوَ الصَّمِيمُ الَّذِي يَزْدَادُ إِيقَانًا

هُوَ الْأَدِيبُ مِنَ الْأَدْبَاءِ أَعْلَمُ مَنْ ** فِي قَوْمِهِ صَاحٍ تَفْسِيرًا وَقُرْءَانًا²⁶

كرر الشاعر بعض الضمائر ليبث فلسفته نحو الممدوح، ويلاحظ من الأبيات السابقة أن تكرار ضميري (هم - هو) قام بدور فعال في الربط بين جمل الخطاب، ويتضح ذلك وضوحاً من هذا النص، واستعمال الضمير في بداية كل بيت أكسب النص سمة أسلوبية رائعة، ويرجح الباحث أن الشاعر لم يكرر الضمير في هذا الموقف إلا ليظهر غاية تعظيمه للممدوح، وتكرار ضمير الغائب في تلك الأبيات أضاف مدحا متقاذفا في نفس الشاعر، مع حياء وهناء بحيث لم يذكر اسم الممدوح لمكانته عنده، وليبث فلسفته في المجتمع فتكرار الضميرين أسهم في النص حركة إيقاعية تزيد من تماسك نص الأبيات موسيقيا.

اعتمد الشاعر على تكرار ركني الجملة الاسمية (هو- البحر- الليث) كنقطة تتجمع حولها المعاني المختلفة التي أراد أن يصف أبناء الملوك بها، فعلى الرغم من أن المسند في كل جملة يتغير (البحر- الوزير- البليغ - الليث - البدر- الأمير - النجيب - السخي - التقى - العليم - الظريف - الأديب) غير أن الدلالة الجوهرية لهذه الكلمات ترتد إلى وحدة جوهرية تعود دلالتها إلى وصف الممدوح وإبراز أحواله الخفية، ويمثل في التعبير عن الخلجات النفسية للشاعر، تكرار ضمير الجمع للغائبين (هم) لدى الشاعر قوله في مدح عبد القادر:

هُمُ الْكِرَامُ وَأَبْنَاءُ الْكِرَامِ هُمْ ** وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ لِلْمَالِ مِنْ قَدْرِ

هُمُ الْمُلُوكُ وَأَبْنَاءُ الْمُلُوكِ لَهُمْ ** سِيَمَا تَمَيَّرُهُمْ مِنْ جُمْلَةِ الْغَيْرِ

هُمُ الشَّيْخُ عُثْمَانُ بْنُ فُودِي قُطْبُنَا ** وَالْأُسْتَاذُ عَبْدَ اللَّهِ عَلَّامَةُ الْعَصْرِ

والمتبع للأبيات السابقة يدرك أن الشاعر عمد إلى ذكر صفات مثالية للممدوحين، مردوفة بالضمير المنفصل "هم"، ويرجح الباحث أنه استعمل هذا الأسلوب ليبث هذه الصفات الفاضلة للممدوحين، وملازمتها وقصرها عليهم فلا تفارقهم، ومن جانب الإيقاع أن هذا الضمير شكل إيقاعاً لذيذاً وتناغماً موسيقياً يأنس أذن السامع باستماعه.

تكرار اسم الإشارة: "اسم الإشارة وما يدلُّ على مُعينٍ بواسطة إشارة حسا ومعنى"²⁷ الإشارة هي الوسيلة الثانية التي تساعد على تحقيق الاتساق الداخلي للنص في نوع الإحالة، والتكرار والترديد، وتربط سابقا

بلاحق وتنقسم بحسب الظرفية إلى الزمان (الآن - وغد) والمكان (هنا - وهناك) أو حسب البعد (ذلك - وتلك) والقرب (هذا - وهذه): إلا أن هناك "اسم الإشارة المفرد يتميز بما يسمى الإحالة الموسعة، أي إمكانية الإحالة إلى جملة بأكملها أو متتالية من الجمل.²⁸ ومن ذلك قول الشاعر في مدح أحمد الرفاعي:

فَهَذَا إِمَامٌ الْعَصْرِ نَجَلٌ إِمَامِنَا ** خَلِيقَتُنَا الْمَشْهُورُ بِالْعِلْمِ وَالصَّبْرِ
فَهَذَا إِمَامٌ الْعَصْرِ ضَنْضِنُهُ الَّذِي ** حَذَا حَذْوَهُ وَحَكَاهُ فِي السِّرِّ وَالْجَهْرِ
وَهَذَا سَلِيلُهُمْ أَمِينُ الْوَرَى الرَّضَى ** وَمَا زَالَ يَقْفُو إِيْرَهُمْ فِي تَقَى الْبِرِّ²⁹

يلاحظ من الأبيات السابقة أن الشاعر كرر لفظ "هذا" اسم إشارة، وأتى به مبتدأ في أول الجمل للدلالة على غاية تشوقه للممدوح، وقد أفادت هذه الإشارة غاية حبه للممدوح، فقد هيمن هذا الشعور الصادق على نفس الشاعر إلى درجة كبيرة، وهذا التأكيد هو الغرض من تكرار اللفظة.

استهل هذه الأبيات باسم الإشارة ليلفت الشاعر أنظار القارئ والدارس بأن هذا المشار إليه بالبنان ما هو إلا سيد أمير، وإمام مشهور بالعلم والتقوى، والصبر والحلم، ولذلك يتحتم على العاقل أن يجله بالسلام والتحية والإكرام، وأن يقدمه في جميع أموره وأن يقربه ليفوز في جميع تحركاته.

تكرار الجملة

هي: "ما تركبت من كلمتين فصاعداً، بشرط الإسناد، أفاد أم لم يفد.³⁰ وهي لفظ يأتلف من مسند ومسند إليه، سواء أفادت أو لم تفد.

ويشكل تكرار الجمل أسلوباً بارزاً من أساليب الشعر لدى ابن إسحاق لما يؤديه من وظائف متعددة على مستوى المعنى والمبنى، فهو يساعد بلون كبير في استبطان رؤيا الشاعر والإيحاء بها، وفي الوقت نفسه يعمل على تلاحم بنية النص وتماسكها، لأنه يضيفي عليها أشكالاً هندسية تسهم في تحديد شكل القصيدة الخارجي، وفي رسم معالم التقسيمات الأولى لأفكارها لاسيما إن كانت ممتدة، وهو بذلك يشكل نقطة انطلاق لدى الناقد عند توجيهه للقصيدة بالتحليل.

وقد سجل هذا التكرار حضوراً بارزاً في ديوان ابن إسحاق، ولعل مرد ذلك أن هذا التكرار يعد أكثر قدرة من أنواع التكرار السابقة على الكشف عن الحالة النفسية التي يعيشها الشاعر، فالجملة المكررة "تؤدي

إلى رفع مستوى الشعور في القصيدة إلى درجة غير عادية، تغني الشاعر عن الإفصاح المباشر، وتصل القارئ بمدى كثافة الذروة العاطفية عنده.³¹

ومن ذلك قول ابن إسحاق في قصيدة يمدح بها عبد القادر بن عبد الله بن فودي:
 فَتَى كَمَلْتُ أَوْصَافُهُ غَيْرَ أَنَّهُ ** جَوَادٌ فَلَا يُبْقَى مِنَ الْمَالِ مِنْ دَرٍّ
 فَتَى حُمِدَتْ أَخْلَاقُهُ غَيْرَ أَنَّهُ ** وَيَأْمَنُهُ كُلُّ الْوَرَى طَيِّبُ الْخَبْرِ
 فَتَى يُهْلِكُ الْأَمْوَالَ سَيِّبُ نَوَالِهِ ** وَيُقْرِئُ الْعِدَى الْبَلْوَى مَعَ الْبَيْضِ وَالسُّمْرِ
 فَتَى حُمِدَتْ أَخْلَاقُهُ غَيْرَ أَنَّهُ ** أَمْرٌ مَذَاقًا لِلْأَعَادِي مِنَ الصَّبْرِ
 فَتَى قَدْ حَوَى صَمْتًا حَيَاءً وَعِقَّةً ** وَصَبْرًا وَتَقْوَى اللَّهِ فِي السِّرِّ وَالْجَهْرِ³²

وفيما سبق كرر الشاعر كلمة (فتى) خمس مرات بداية كل بيت من الأبيات السابقة الذكر، وهو خبر لمبتدأ محذوف تقديره (هو)، وبعد الخبر جملة فعلية مبنية للمعلوم، في البيت الأول والثالث، وهي مكونة من الفعل والفاعل (أوصاف) للدلالة على أن هذه الأوصاف كاملة بنفسها، والممدوح متصف بصفات مثالية كما ورنها من آبائه الأولين، وهي الجود والكرم...، والبيت الثالث فيه فعل مضارع للمعلوم أيضا وفاعله مستتر جوازا تقديره (هو) ليدل على تجدد الأحوال واستمرارها، من أنه جواد سخي ولا يترك المال إلى غد بل ينفقه في سبيل الله دائما، ثم البيت الثاني والرابع جملة فعلية مبنية للمجهول وفعلها (حمدت) يدل على جميع المحامد، وليشير إلى أن الممدوح لبن الجوانب. ثم كرر (أخلاق) مرتين بصيغة الجمع بدلا من (الخلق) إشعارا بأن هذه الأخلاق المحمودة كثرت وتعددت وفاق أقرانه فيها، أي وهو أمين في الناس، طيب المعاشرة والمعاملة، سيد في قومه، شجاع، وغير ذلك من العدل، والصبر على المتاعب، والاعتراف للمحسن، والتواضع، والزهد، والعفة، والعفو، والحياء، وحسن الصمت، والتؤدة، والوقار، والرحمة. والأخلاق المحمودة "كامنة في النفس ومظاهرها تصرفات صاحبها في كلامه، وطلاقة وجهه"³³

وهذه الأوصاف التي اتصف بها إنما هي ثابتة لهذا الممدوح بحيث لا تنفك عنه وهو من دلالة التزام الصفة على موصوف.

فالملاحظ أن تكرار الشاعر عبارة "فتى..." يمعن في تأكيد أهمية عبد القادر بن عبد الله بن فودي لديه ودرجته العالية في نفس الشاعر وقيمه البارزة لدى الناس، وإن هذا التكرار بالإضافة إلى كونه تكراراً هندسياً يسهم في تحديد شكل القصيدة الخارجي، وقام الشاعر بإبراز طابع فكاهي فيه، إذ تبدو هذه الوظيفة ظاهرة في القصيدة متمثلة في جعل العبارة المكررة نقطة ارتكاز تلتقي فيها كل المعاني الفرعية التي حملتها الكلمات التي التأمت منها العبارة المكررة، ولهذا استطاع الشاعر من خلال هذا التكرار أن يكشف عن المحور الذي تدور حوله القصيدة وهو المدح والوصف، ووضع بين يدي القراء قصيدة محكمة يتصدر بعض الأبيات منها بعبارة تكرارية، تشدها بنائياً ودلالياً وإيقاعياً ويمضي ابن إسحاق في توظيف تكرار العبارة على هذا المثال في ديوانه، وبعبارة أخرى ينطوي على شاعرية خلاصة استطاعت استجلاء الصفات الحميدة، والتعبير عن موقفه منها.

الخاتمة:

وللتكرار حظ وافر في الديوان، وأنه من الوسائل التي لا يستهان بها في تذكر الصفات الجميلة لمن يمدح وإبراز ما يليق بهم من الأمور الدينية والدنيوية، ورأى الباحث مدى التناسب والتناسق والتلاؤم من خلال هذا التكرار بين الجمل في نص القصائد. ومن خلال هذه المقالة تحدث الباحث عن مفهوم التكرار لدى اللغويين القدامى والمحدثين ثم أنواعه عندهم، وأتى ببعض الأمثلة المكررة في الديوان، توضيحاً لهذه الصور الموجودة فيه. وكرر الشاعر الحروف المتنوعة، والكلمات المختلفة، والجمل المتباينة، في الديوان على حد كبير، مما جعل ديوانه مكثفاً بهذا التكرار، وجاء جميع التكرار الموجود في الديوان لفائدة من الفوائد ولغرض من الأغراض.

الهوامش والمراجع:

- 1- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر - بيروت، ط: 3، 1414هـ، ج: 5، ص: 135
- 2- عنتر بن شداد، ديوانه، مطبعة الآداب - بيروت، بدون تاريخ، ص: 65
- 3- مصطفى السقا، مختار الشعر الجاهلي، دار الفكر بيروت - لبنان، 2005م، ص: 341
- 4- ابن معصوم، علي بن أحمد بن محمد، (صدر الدين) أنوار الربيع في أنواع البديع، ج: 1، ص: 435
- 5- أحمد مختار (الدكتور) معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط: 1، 1429هـ، ج: 3، ص: 1919

- 6- ابن فارس، أحمد بن زكرياء، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، الناشر: محمد علي بيضون الطبعة الأولى: 1418هـ-1997م، ج: 1، ص: 158
- 7- عوض عباس، لسانيات النص ومعايير الخطاب، مجلة العلوم الإنسانية مجلد: 18، 2017م، السودان للعلوم والتكنولوجية-كليات اللغة ص: 50
- 8- صبيح إبراهيم، (الدكتور) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دار قباء - القاهرة، ط: 1، 2000م، ج: 2، ص: 20
- 9- عوض عباس، لسانيات النص ومعايير الخطاب، مجلة العلوم الإنسانية مجلد: 18، 2017م، السودان للعلوم والتكنولوجية-كليات اللغة ص: 50
- 10- محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي، ط: 1، 1991م، ص: 20-23
- 11- نوال بنت إبراهيم (الدكتورة) أثر التكرار في التماسك النصي: مقارنة... تطبيقية، في ضوء مقالات د. خالد المنيف. مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وأدائها، العدد الثامن - رجب 1433هـ - مايو 1912م، ص: 23
- 12- أحمد عفيفي، (الدكتور) نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة الزهراء الشرق - القاهرة، الطبعة الأولى: 2001م، ص: 107
- 13- الغلاييني، مصطفى (الشيخ) جامع الدروس العربية، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 2000م، ص: 12
- 14- الغلاييني، المرجع السابق، ص: 23
- 15- ابن إسحاق، (الشيخ) عثمان، الكشف والبيان. مراجعة عبد الرحمن بن عبد القادر مجيل، ط: 1، 2017م، ص: 142
- 16- ابن إسحاق المرجع السابق، ص: 146 - 150
- 17- ابن إسحاق المرجع السابق، ص: 34
- 18- ميلود نزار، الإحالة التكرارية ودورها في التماسك النصي بين القدامى والمحدثين، مجلة علوم إنسانية، السنة السابعة العدد: 44، 2010م، ص: 24
- 19- الجوّجري، محمد بن عبد المنعم، شرح شذور الذهب، تحقيق: نواف بن جزاء الحارثي، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، 1423هـ، ج: 1، ص: 144
- 20- ابن مالك، محمد عبد الله، (العلامة) ألفية ابن مالك في النحو والصرف، مكتبة القاهرة بلا تاريخ، ص: 15
- 21- عباس حسن، النحو الوافي. الناشر: دار المعارف، الطبعة الخامسة عشرة بلا تاريخ، ج: 1، ص: 26

- 22- ابن إسحاق، (الشيخ) عثمان، الكشف والبيان. مراجعة عبد الرحمن بن عبد القادر مجيل، ط: 1، 2017م، ص: 18
- 23- ابن إسحاق، المرجع السابق، ص: 38
- 24- ابن إسحاق المرجع السابق، ص: 9-10
- 25- محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي، ط: 1، 1991م. ص: 18
- 26- ابن إسحاق، المرجع السابق، ص: 148 – 149
- 27- الغلايبي، مصطفى (الشيخ) جامع الدروس العربية، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 2000م، ج: 1، ص: 96 – 97
- 28- الخطابي، لسان بنيات النص- ص: 19
- 29- ابن إسحاق، المرجع السابق، ص: 43
- 30- البجائي، أحمد بن محمد (شهاب الدين) الحدود في علم النحو، تحقيق: نجاة حسن عبد الله، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد: 112، 1421هـ/2001م، ج: 1، ص: 475
- 31- السيد علي، (الدكتور) التكرير بين المثير والتأثير، عالم الكتب، ط: 2، 1986م، – 1407هـ، ص: 298
- 32- ابن إسحاق، المرجع السابق، ص: 50
- 33- الزحيلي وهبة بن مصطفى (الأستاذ الدكتور) التفسير المنير في العقيدة والشريعة، دار الفكر المعاصر – دمشق ط: 1، 1418 هـ، ج: 29 ص: 46

نظرات في مُشكِـلِ القرآنِ الكـريمِ

إعداد:

د. عبد الناصر علي محمد التّخعي

قسم اللغة العربية، في كلية التربية، جامعة عدن، عدن، اليمن.¹

ملخص البحث:

يدرس هذا البحث بعض الإشكالات النحوية والدلالية، في القرآن الكريم، ويناقش بعض النكت اللغوية لتعدد القراءات القرآنية، وذكر أقوال العلماء في هذه الإشكالات ومناقشتها في ضوء الدلالة اللغوية لكل مسألة. وقد خلص البحث إلى الثمرة والفائدة من هذه الاختلافات، الداعية إلى قدح زناد الفكر، وتحفيزه إلى التأمل والتدبر في كلام الله -جلّ في علاه- وتفسيره ومعرفة مراده.

ABSTRACT:

This research studies some grammatical and semantic problems in the Holy Qur'an, discusses some linguistic witticism due to the multiplicity of Qur'anic recitations, mentions the sayings of scholars regarding these problems and discusses them according to the linguistic significance of each issue.

The research has concluded the fruit and the benefit of these differences, which call for the brainstorming, and motivating it to meditate, contemplate the words of Allah - glorified above – interpret it and know its intention.

المقدمة:

الحمد لله الذي أنزل كتابه بلسان عربي مبين، وتفضّل علينا بنعمة الفصاحة والتبيين، والصلاة والسلام على من كان أفصح العرب أجمعين. وبعد...

¹ abualia75@yahoo.com 00967733658785 009670234444

فعلم العربية من شرف العلوم وأجلها، به فُبِّر ما غمض من المعاني، وما انبهم من المباني، وقد أقام هذا العلم أساطين أجلاء وعلماء فضلاء.

ومن أبرز علوم العربية دراسة القرآن الكريم، ودراسة قراءاته التي نزل بها، وقد ناقش هذا البحث الموسوم ب(نظرات في مشكل القرآن) بعض الإشكالات النحوية والدلالية، في القرآن الكريم، وناقش بعض النكت اللغوية لتعدد القراءات القرآنية، وذكر أقوال العلماء في هذه الإشكالات ومناقشتها في ضوء الدلالة اللغوية لكل مسألة. وقد اقتضت هذه الدراسة بأن تتخذ المنهج الوصفي دليلاً لها؛ وذلك لمرونة هذا المنهج وشموله على كثير من الإجراءات التي تتوافر في كثير من مناهج البحث الأخرى؛ كالاستقراء والتحليل والموارنة بين الأقوال، والآراء.

ثم حُتِمت هذه الدراسة بخاتمة ذُكر فيها أهم النتائج التي توصلت إليها، ووضعت كشافاً بالمصادر والمراجع، التي عاد إليها الباحث في أثناء البحث.

تمهيد:

المُشكِلُ: هو ما لا يُنال منه إلا بتأمل بعد الطلب والبحث والتنقيب(1)، وقالوا أشكِل الشيء؛ أي صار ذا شكل، وكذلك هو الداخل في أمثاله، وأشباهه، وما لا يتيسر الوصول إليه بسهولة(2).

وفي حقيقة الأمر أن الإشكال وعدم فهم المراد قد يقع فيه الإنسان أيًا كانت ثقافته وعلمه، فمن تلك الإشكالات الأمثلة النحوية، التي وضعها بعض النحويين، وفي ظنهم أنها تقرب فهم المعنى، وتيسر استيعاب دلالاته، فإذا بها تُشكل على طالب العلم فضلاً عن غيره من عامة الناس، فقولهم مثلاً: إذا توالى مبتدآت ففي الإخبار عنها طرق:

أحدها "أن يُخبر عن آخرها مجعولاً هو وخبره خبر متلوه، والمتلو مع ما بعده خبر متلوه، إلى أن تُخبر عن الأول بتاليه مع ما بعده، ويضاف خبر الأول إلى ضمير متلوه"(3).

إن هذا النص يُشكل على الباحث في علوم العربية، ولا يتأتى له فهم المراد إلا بعد تأمل وملاحظة. زد على ذلك أن بعض النحويين -أحياناً- يزيدون الإشكال إشكالاً، حين يضربون الأمثلة لتفسير كلامهم المُشكِل، فيكون القارئ كالمستجير من الرمضاء بالنار، من نحو قول أبي حيان في تفسيره لكلامه السابق: "مثال

ذلك: زيدٌ هندُ الأخوان الزيدون ضاربوهما عندها بإذنه" (4). ومقصوده: أن الزيدين ضربوا الأخوين عند هندٍ بإذن زيدٍ.

إن هذا الإشكال الذي يعاني منه طالب العلم، قد يقع فيه علماء العربية أنفسهم، فقد يصادفون نصوصاً تُشكل عليهم، ويمضون الليالي والأيام في فهم بعضها وتفسير غموضها. فهذا خلف الأحمر يقول: "أشكل عليّ باب من النحو فأنفقت ثمانين ألفاً حتى عرفته" (5)، وقيل إن الكسائي - رحمه الله - مات وهو لا يُحسن الحد في (نعم) و (يئس) (6)، ونقل لنا السيوطي عن الفراء قوله ولم يكن الخليل يحسن النداء، ولا سيبويه يدري ما هو التعجب، وذكر القفطي أيضاً في ترجمة الحسن بن صافي، الذي كان يلقب بملك النحاة، لعلمه بالنحو أنه كان يقول مفتخراً: "هل سيبويه إلا من رعيتي، ولو عاش ابن جني لم يسعه إلا حمل غاشيتي" (8)، وعلى الرغم من أنه قضى عمره كله في النحو تعلماً وتعليماً، إلا أن هناك مسائل كانت تستعصي عليه؛ إذ قالوا إن له عشر مسائل استشكلها في العربية سماها "المسائل العشر المتعبات إلى الحشر" (9)

وجاء عن الإمام علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - أنه قال: "ما أشكل عليّ شيء ما شكل عليّ هذه الآية في كتاب الله - عز وجل - "فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا" (سورة البقرة/آية 230) فما زلت أدرس كتاب الله حتى فهمت، أنه الرجل الآخر إذا طلقها إن شاء" (10).

وعلى جملة ما مرّ بنا فإننا نجد أن العلماء لم يكونوا يتخرجون من عدم فهم النص، أو عدم معرفة تفسيره، وهم من هم في العلم والحفظ والفهم، وفي هذا الصفحات سنعرض على نظرات فيما أشكل على بعض العلماء في النص القرآني.

- من المواضع التي أشكلت على بعض العلماء ما ذكروه عند تفسير قوله تعالى: "قُلْ أَفَعَبَّرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ" (سورة الزمر/ آية 64) فقد قرئت (تأمروني) بنون واحدة وبالتخفيف، وبنون واحدة والتشديد، وقرئت بنونين أيضاً (11).

قال الرازي في تفسيره: "قرأ ابن عامر (تأمروني) بنونين ساكنة الياء، وكذلك هي في مصاحف الشام، قال الواحدي وهو الأصل، وقرأ ابن كثير (تأمروني) بنون مشددة على إسكان الأولى وإدغامها في الثانية، وقرأ

نافع (تأمروني) بنون واحدة خفيفة على حذف إحدى التنوين، والباقون بنون واحدة مكسورة مشددة" (12)

وموضع الإشكال عند ابن عطية أن القراءة بنون واحدة خلاف الأصل: إذ قال: "وهذا على حذف النون الواحدة، وهي الموطئة لياء المتكلم، ولا يجوز حذف النون الأولى، وهو لحن؛ لأنها علامة رفع الفعل" (13).

غير أن هذا الإشكال جعل النحاة يختلفون، فمنهم من يرى أن المحذوفة هي نون الرفع، ومنهم من يرى أن المحذوفة هي نون الوقاية، ومن ثم فليس هنا لحن كما زعم ابن عطية. "لأن التركيب متفق عليه، والخلاف جرى في أيهما حذف، ونختار أنها نون الرفع" (14).

والظاهر من كلام النحاة أنه متى ما اجتمع نون الرفع مع نون الوقاية جاز في هذا الاجتماع أوجه: من نحو (هل تضربانني) و(هل تضربونني) و(هل تضربيني) فيجوز إثباتها، وإدغام نون الرفع في نون الوقاية، وحذف إحداهما، مذهب سيبويه أن المحذوفة نون الرفع، وإليه ذهب أكثر المتأخرين، وذهب الأخفش سعيد بن مسعدة، والمبرد وأبو علي وابن جني إلى أن المحذوف نون الوقاية" (15).

إن هذا الإشكال الذي ذكره بعض المفسرين، لم يكن بدعاً منهم، لا سيما الذين رموا قراءة الإدغام باللحن، زاعمين أن الأصل الذي لا بد منه أن يُقرأ بالنونين معاً، فقد سبقهم إلى ذلك أحد القراء السبعة المشهورين أعني أبا عمرو بن العلاء؛ إذ نقل عنه ابن النحاس أنه كان يقول: "القراءة بنون واحدة لحن" (16)، في حين أننا نجد سيبويه -رحمه الله- قد أثبت ذلك عن العرب، وأنشد لعمرو بن معدي كرب: (17)

تراه كالتَّغَام يُعلُّ مِسْكَاً يَسوءُ الفالِيَاتِ إِذَا فَلَيتِي

ومن ذلك قول أبي حَيَّة النُّمري: (18)

أبالموتِ الذي لا بدَّ أني مُلاقٍ لا أبالكِ تَخوْفِييني

وقول جميل بثينة: (19)

أَيَا رِيحِ الشَّمَالِ أَمَا تَرِييني أَهيمُ وَأني بَادِي النُّحُولِ

وقد لخص ابن جني -عليه رحمة الله- هذا الإشكال وفسره بقوله: "يريد (فليمني) فحذف النون الآخرة، كما حذفها من (تخوفيني) وكانت الآخرة أولى بذلك في (تخوفيني) لأن الأولى علم الرفع، والثانية إنما جيء بها في الواحد ليسلم حرف الإعراب من الكسر، ويقع الكسر عليهما، فترك في الجمع على حد ما كانت عليه في الواحد، فلما اضطرب في الجمع حرك النون التي هي علم الرفع بالكسر، ولم يمنع من ذلك؛ لأنها ليست حرف الإعراب فيكره فيه الكسر" (20)

-ومن المواضع التي استشكلها العلماء ما جاء في قوله تعالى: "قَالُوا إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى" (سورة طه آية 63).

في حقيقة الأمر أن هذا الإشكال عائد إلى اختلاف القراءة؛ فقد أبو عمرو بن العلاء (إن هذين) بتشديد نون التوكيد، وبياء في اسم الإشارة. وتخفيف النون، وقرأ حفص (إن هذان) بتخفيف نون التوكيد، وبألف اسم الإشارة وتخفيف النون، وقرأ البقية (إن هذان) بتشديد نون التوكيد، وبألف اسم الإشارة وتخفيف النون (21).

قال ابن عاشور موضعاً هذا الإشكال: "واعلم أن جميع القراء المعتبرين قرؤوا بإثبات الألف في اسم الإشارة من قوله تعالى (هذان) ماعداً أبا عمرو من العشرة، وما عدا الحسن البصري من الأربعة عشر، وذلك يوجب اليقين بأن إثبات الألف في لفظ (هذان) أكثر تواتراً، بقطع النظر عن كيفية النطق بكلمة (إن) مشددة أو مخففة، وأن أكثر مشهور القراءات المتواترة قرؤوا بتشديد نون (إن) ماعداً ابن كثير وحفصاً عن عاصم فهما قرأ (إن) بسكون النون على أنها مخففة من الثقيلة" (22). والذي يظهر أن هذا الإشكال والاختلاف في القراءة نتج عنه اضطراب في قواعد النحاة، مما جعل بعضهم يلحن من قرأ بخلاف القاعدة النحوية، التي قررها جمهور النحاة، والتي ترى أن اسم الإشارة ينبغي أن يكون في موضع نصب في الآية، ويكون علامة نصبه الياء وليس الألف، كما هو ثابت عن كثير من القبائل العربية، واسم الإشارة قد جاء بإثبات الياء في قراءة أبي عمرو بن العلاء، وهو ما يراه جمهور النحاة أنه قد وافق القاعدة.

أما القراءات الأخر التي جاء فيها اسم الإشارة بالألف فقد ذهب العلماء إلى تخريجها على وجوه متعددة منها:

- 1- أن تكون (إن) مخففة من (إن) الثقيلة، ومن ثم فلا عمل لها، فهي لا تنصب المبتدأ، و(هذان) اسم إشاره في محل رفع بالابتداء، علامة رفعه الألف، واللام الفارقة، ساحران خبر المبتدأ(23)
- 2- أن تكون (إن) ليست ناسخة، بل حرف جواب بمعنى (نعم)، ويكون المعنى: نعم هذان ساحران، كما ذهب إلى ذلك المبرد والأخفش على بن سليمان (24).
- 3- أن تكون (إن) نافية واللام الداخلة على (ساحران) بمعنى (إلا) ويكون المعنى: ما هذان إلا ساحران، وهذا مذهب بعض الكوفيين(25)
- 4- أن تكون (إن) نسخة ناصية و(هذان) اسمها، ومجيء اسم الإشارة بالألف، مع أنه في محل نصب، موفق هنا لغة بعض العرب من إجراء المثني وما يلحق به بالألف في جميع مواضع الإعراب، وهذا ما ذهب إليه الأخفش، وأبو علي الفارسي(26).
- 5- أن تكون (إن) ناسخة ناصية، واسمها ضمير الشأن والحال و(هذان ساحران) مبتدأ وخبره، وهو مذهب بعض المتقدمين من النحاة (27)

والذي يذهب إليه الباحث أن هذا الاختلاف في التعدد الإعراب ليس اضطراباً نحوياً أو إشكالاً دلاليًا يؤدي إلى أن يطعن بعضهم في صحة النص، أو التشكيك فيه بل هو تعدد محمود، ولا يُعاب التعدد إلا إذا أدى إلى اختلاف المعنى واضطرابه، وهذا ما لم نره في هذا المسألة.

"ونزول القرآن بهذه الوجوه الصحيحة في الاستعمال ضرب من ضروب إعجازه لتجري تراكيبه على أفانين مختلفة ... فلا التفات إلى ما روي من ادعاء أن كتابة (إن هذان) خطأ من كاتب المصحف(28)، إن ادعاء الخطأ في كتابة النص القرآني، وإسناد هذا القول إلى أبان بن عثمان بن عفان عن أبيه إلى عروة بن الزبير عن عائشة -رضي الله عنهم أجمعين- كل ذلك غير صحيح، ولم يثبت هذا الإسناد والادعاء في كتب السنة أو كتب السيرة -على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم- ويظن من دسّ هذا الروايات أن "المسلمين أخذوا قراءة القرآن من المصاحف، وهذا تغلّب؛ فإن المصحف ما كتب إلا بعد أن قرأ المسلمون القرآن نيّفاً وعشرين سنة في أقطار الإسلام، وما كتبت المصاحف إلا من حفظ الحفاظ ... فلو كان في بعضها خطأ في الخط لما تابعه القراء، وكان بمنزلة ما تُرك من الألفات في كلمات كثيرة، وبمنزلة ألف الصلاة والزكاة والحياة والربا بالواو في موضع الألف، وما قرووها إلا بألفاتها"(29).

- ومن مواضع الإشكال التي وقف عندها العلماء والمفسرون ما جاء في قوله تعالى: "يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا نُنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ" (من سورة الحج/ آية 12)، وما جاء في قوله تعالى: "يَدْعُو مَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لِيُبَيِّنَ الْمُؤْمِنِينَ وَاللَّيْسَ الْعَشِيرَةَ" (سورة الحج آية 13).

فقد يقال إن هناك تعارضاً بين الآتين؛ إذ إن الآية الأولى نفت أن يكون لهؤلاء المدعويين (الأصنام) أدنى تأثير في مَنْ يدعونهم، سواء أكان التأثير نافعاً أم ضاراً، في حين أن الآية الثانية تثبت لهؤلاء المدعويين شيئاً من التأثير؛ إذ قررت أن ضررهم أكثر من نفعهم، وقد ذكر بعض المفسرين هذا الإشكال وأجابوا عنه من خلال الآتي:

- الأصل في هذه الأصنام أنها لا تضر بأنفسها ولا تنفع، ولكن عبادتها هي السبب في الضرر، وذلك كافٍ في إضافة الضرر إليها، من نحو قوله تعالى: "رَبِّ إِيْمَنَنْ أَضَلُّنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ" (سورة إبراهيم/ آية 36)، و"هنا نضى الضرر عنهم في الأولى، بمعنى كونها فاعلة وأضاف الضرر إلى هذه الأصنام في الآية الثانية بمعنى أن عبادتها سبب الضرر وأساسه" (30)

ومن ثم فإن الضرر والنفع منفيان في الآية الأولى بسبب ما يكون من طريق مباشرة، وأن الضرر والنفع مثبتان في الآية الثانية بسبب ما يكون عن طريق التسبب.

- إن إضافة النفع والضرر إلى هؤلاء المدعويين إنما هو على سبيل الافتراض، ومسيرة الخصم في المناظرة والمجادلة؛ فكأنه -سبحانه- بيّن في الآية الأولى أن هذه الأصنام في الحقيقة لا تضر ولا تنفع، ثم قال في الآية الثانية على سبيل إفحام الخصم- لو سلمنا كون هذه الأصنام تنفع أو تضر، لكان ضررها أكثر من نفعها، ولكان ضررها أقرب من نفعها.

زد على ذلك أنه قد يجاب عن الإشكال بأن الآية الأولى واردة في الذين يعبدون الأصنام، فالأصنام لا تنفع مَنْ عبدها، ولا تضر مَنْ تركها وكفر بها، أما الآية الثانية فهي فيمن عبد بعض الطغاة من البشر عبادة من دون الله، كالذين عبدوا فرعون وغيره من جبابرة الأرض وطغاتها، فقد يغدقون على عابديهم بعض النعم والمنافع في حياتهم الدنياء، غير أن هذه النعم والمنافع إذا قورنت بما سيلاقونه من العذاب والخلود في النار في الحياة الآخرة، فإنه لا يساوي شيئاً، فضر هذا المعبود بخلود عباده في النار، أقرب من نفعه لهم بعرض قليل وزائل من حطام الدنيا(31)

ولنا فيما يقوي الكلام السابق دليل من استعمال الاسم الموصول، ففي الآية الأولى استعمل (ما) للدلالة على ما لا يعقل من الأصنام، والأحجار والأوثان، واستعمل الموصول (مَنْ) في الآية الثانية للدلالة على أن هناك من العقلاء مَنْ يُعبد من دون الله، تعالى الله عن الشريك والند علوًا كبيرًا.

وعلى جملة ما مر بنا فيمكننا القول بألا تعارض بين الآتين، ولا إشكال، بل إن كل آية منهما قد كشفت المراد، والدلالة اللغوية، وإن الإشكال الذي قد يظهر لبعض العلماء يكون فيه فوائد لا تظهر لهم، وإنما يستنبطها غيرهم.

- ومن المُشكِـل النحوي الذي ناقشه علماء العربية والمفسرون ما جاء في قوله تعالى: "وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاءَهُمْ لِيُزِدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ" (سورة الأنعام، آية 137)، وموضع الإشكال يكمن في القراءة؛ إذ قرأ ابن عامر وحده (زَيْن) بضم الزاي وكسر الياء، وبضم اللام من (قتل) وبنصب (أولادهم) وخفض (شركاءهم)، وقرأ الباقيون بفتح الزاي والياء في (زَيْن) وفتح اللام (قتل) وخفض الدال في (أولادهم) ورفع (شركاءهم) (32).

وفي ضوء القراءة نشأ إشكال وخلاف نحوي كبير بين العلماء، لا سيما في قراءة ابن عامر -رحمه الله- فقد رمى بعض النحويين ابن عامر بالخطأ واللحن والبعد عن قياس العربية، ولا سيما البصريون الذين كانوا يتشددون في الرواية، ويزعمون أنهم "يأخذون اللغة عن الأعراب الموثوق بفصاحتهم، وكانوا يتشددون في قبول القراءات إذا خالفت أصولهم ويطعنون على القراء وينسبون إليهم الجهل بالعربية" (33).

أما الكوفيون فقد قبلوا القراءة واحتجوا بها وأثبتوا شواهد شعرية على صحتها، وأن العرب تفعل ذلك، وقد كان لهم من القراءات موقف خاص يتميزون به من البصريين، و"كانوا يجعلون من القراءات مصدرًا مهمًا من مصادر علمهم، ولا يرفضون قراءة صح سندها، ولا يطعنون على قارئ ولا يرمونه بالجهل" (34).

ذهب سيبويه والبصريون إلى عدم جواز الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير الظرف والجار والمجرور، وقالوا إن الإجماع وقع على امتناع الفصل بينهما بالمفعول في غير ضرورة الشعر، القرآن الكريم ليس فيه ضرورة (35).

يقول ابن مالك مدافعاً عن صاحب القراءة المُشكِلة: "الفصل بمعمول المضاف، إذا لم يكن مرفوعاً جدير بأن يكون جائزاً في الاختيار، ولا يختص بالاضطرار... وأقوى الأدلة على ذلك قراءة ابن عامر -رضي الله عنه- (وكذلك زين)؛ لأنها ثابتة بالتواتر، ومعزوة إلى موثوق بعربيته قبل التعلم، فإنه من كبار التابعين، ومن الذين يُقتدى بهم في الفصاحة، كما يُقتدى بمن في عصره من أمثاله، الذين لم يُعلم عنهم مجاورةً للعجم يحدث بها اللحن ويكفيه شاهداً على ما وصفته به أن أحد شيوخه الذين عُول عليهم في قراءة القرآن عثمان بن عفان رضي الله عنه... فحَسَن ذلك ثلاثة أمور:

أحدها: كون الفاصل فضلة، فإنه بذلك صالح لعدم الاعتداد به.

الثاني: كونه غير أجني لتعلقه بالمضاف.

الثالث: كونه مقدر التأخير من أجل أن المضاف إليه مقرر التقديم بمقتضى الفاعلية المعنوية" (36)

أما أبو حيان فكان أكثر صراحة، وأقوى دفاعاً في الذب عن قراءة ابن عامر؛ إذ قال: "جمهور البصريين يمنعونها، متقدموهم ومتأخروهم، ولا يجيزون ذلك إلا في ضرورة الشعر، وبعض النحويين أجازها، وهو الصحيح؛ لوجودها في القراءة المتواترة المنسوبة إلى العربي الصريح المحض، الأخذ القرآن عن عثمان بن عفان قبل أن يظهر اللحن في لسان العرب" (37). بل كان أبو حيان أكثر شدة على بعض النحويين حين رد كلام الزمخشري في هذه المسألة فقال: "وأعجب لعجمي ضعيف في النحو يرد على عربي صريح محض قراءة متواترة موجود نظيرها في لسان العرب في غير ما بيت، وأعجب لسوء ظن هذا الرجل بالقراء الاثمة الذين تخيرتهم هذه الأمة لنقل كتاب الله شرقاً وغرباً" (38)

ويذهب الباحث إلى أن نأخذ بآراء السلف الذين قبلوا القراءة، ودافعوا عنها، ونظروا إليها بعين التوقير والتقدير، وذلك أن القراءة سنة متبعة، متواترة، منقولة عبر سلسلة ذهبية من الرجال الثقات، أما النحويون الذين ردوا هذه القراءة وغيرها من القراءات السبعية المتواترة فيرى الباحث أنهم قد غالوا في موقفهم، وقدموا قواعد النحو، وأصوله التي أصْلوها على كلام الله -تعالى- وهذا ما لا ينبغي لهم فعله.

أما "قولهم إننا مختلفون في قراءة كتابنا فبعضنا يزيد حروفاً وبعضنا يسقطها، فليس هذا اختلافاً بل هو اتفاق منا صحيح، لأن تلك الحروف وتلك القراءات كلها مبلغ بنقل الكواف إلى رسول الله - صلى الله عليه

وسلم- أنها نزلت كلها عليه، فأى تلك القراءات قرأنا فهي صحيحة وهي محصورة كلها مضبوطة معلومة، لا زيادة فيها ولا نقص" (39).

- ومن المشكل في الدلالة قوله تعالى: "الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحَرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ" (سورة النور/ آية 3) فقد قرئت (لا يَنْكِحُ) بتسكين الحاء، وقرئت بضم الحاء (40)، وفي ضوء ذلك اختلف التفسير وتعددت الدلالة؛ إذ برز أمام المفسرين إشكالان:

الإشكال الأول: في قوله (الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة) فظاهره خبر، لكن الأمر ليس كما يشعر به هذا الظاهر: لأن العلماء والمفسرين يجدون أن الزاني قد يتزوج المؤمنة الشريفة العفيفة، ويجدون- كذلك- أن الزانية قد يتزوجها المؤمن الشريف العفيف.

الإشكال الثاني: في قوله (وحرّم ذلك على المؤمنين)، وليس الأمر كذلك، لأن المؤمن يحلّ له أن يتزوج بالمرأة الزانية.

وقد لخص الإمام فخر الدين الرازي الإجابة عن هذين الإشكاليين بقوله: "اعلم أن المفسرين لأجل هذين السؤالين ذكروا وجوهًا:

أحدها: وهو أحسنها، ما قاله القفال: وهو أن اللفظ وإن كان عامًا، ولكن المراد منه الأعم، وذلك أن الفاسق الخبيث الذي من شأنه الزنا والفسق، لا يرغب في نكاح الصوالح من النساء، لكن يرغب في فاسقة خبيثة مثله، أو في مشركة، والفاسقة الخبيثة لا يرغب في نكاحها الصالحاء من الرجال، وينفرون عنها، ويرغب فيها من هو من جنسها من الفسقة والمشركين...

الثاني: أن الألف واللام في قوله (الزاني) وفي قوله (وحرّم ذلك على المؤمنين) وإن كان للعموم ظاهرًا؛ لكنه هاهنا بخصوص الأقوام الذي نزلت هذه الآية فيهم....

الوجه الثالث: في الجواب أن قوله (الزاني لا ينكح إلا زانية) وإن كان خبرًا في الظاهر، ولكن المراد النهي، والمعنى أن كل من كان زانيًا فلا ينبغي أن ينكح إلا زانية، وحرّم ذلك على المؤمنين، وهكذا كان الحكم في ابتداء الإسلام" (41)

وذهب غير واحد من المفسرين إلى أن المعنى والمقصود هو تشنيع الزنا وتشنيع أهله؛ للدلالة على تجريمه على المؤمنين، وللدلالة على أن معنى (الزني لا ينكح) نكاح الوطء وليس نكاح العقود والزواج؛ أي أن الزاني لا يزني إلا بزانية، وأن الزانية لا تزني إلا بزاني، ومما يقوي هذا المذهب أنه ذكر بعد ذلك المشرك والمشركة، كون الشرك أكبر المعاصي، وهذا دال على أن المقصود بالكلام وهم الزناة والزواني، وفعلهم القبيح، وليس المقصود زواج الزواني من الزانيات (43).

وقال أبو جعفر النحاس موضحاً موضع الإشكال: "كان في الجاهلية نساء معلوم منهن الزنا، فأراد ناس من المسلمين نكاحهن فنزلت الآية ... وهذا النزول الأول، وقال الحسن: الزاني المجلود لا ينكح إلا مثله... وقال إبراهيم النخعي: زوى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال النكاح هو من الجماع..."

قال أبو جعفر فهذه ثلاثة أقوال، في الآية تول رابع كأنه أولاً ما... يزعمون أن تلك الآية "الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ"، نُسِخَتْ بِالآيَاتِ الَّتِي بَعْدَهَا (وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ) فدخلت الزانية في أيام المسلمين ((44))

إن هذا اللفظ الذي ورد في الآية قد جاء بين ما يحتمل الخبر المحض، وبين ما يحتمل النهي الصريح، هو ما جعل العلماء واللغويين والمفسرين يجمعون بين الأقوال؛ ليخرجوا بعد ذلك بدلالات ومعانٍ متعددة تدل في مضمونها العام على قباحة فعل الزنا، وترشد المجتمع المسلم إلى الحفاظ على أفرادها من الوقوع في وحل هذه الرذيلة.

وهذا موضع آخر مما أشكل في قراءته قوله تعالى: "فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ" (سورة البقرة/آية 37)

وسبب الإشكال يكمن في قراءة كلمة (آدم)؛ إذ قرئت بالرفع على الفاعلية ونصب (كلمات) على المفعولية، وقرئت عند آخرين بنصب (آدم) على المفعولية، ورفع (كلمات) على الفاعلية (45).

وقد ذهب الأخفش إلى توجيه قراءة رفع (آدم) بأن جعله هو المتلقي، وأن القراءة برفع (كلمات) جعلهن هن المتلقيات، وهو ما ذهب إليه الفراء زعمًا أن ما لقيك فقد لقيته وما نالك فقد نلته (46)

إن الذي أدى إلى هذا الإشكال والتعدد في التوجيه الإعرابي للنص هو فعل (التلقي): إذ يدل على الاشتراك في الفاعلية والمفعولية معاً، فإذا قال قائل: لقيتُ زيداً، أو لقيني زيدٌ، نجد أن الدلالة لا تختلف، وإنما تختلف الرتبة النحوية، ووظيفتها في السياق اللغوي؛ لأن كل من لقيته فقد لقيك، "فهذه أفعال إسنادها إلى الفاعل مثل إسنادها إلى المفعول" (47)

غير أن الزجاج ذهب مذهباً آخر، ولم يرتضِ المساواة بين الفاعل والمفعول في فعل التلقي، فقال: "وقرأ ابن كثير (فتلقى آدم من ربه كلمات)، والاختيار ما عليه والإجماع وهو في العربية أقوى؛ لأن آدم تعلم هذه الكلمات، فقبل تلقى هذه الكلمات، والعرب تقول: تلقيت هذا من فلان، المعنى فهبي قبيله من لفظه" (48).

ويرى الباحث أن قراءة ابن كثير من القراءات المتواترة والقارئ بها أحد القراء السبعة المشهورين، ومن ثم لا ينبغي المفاضلة والترجيح بين قراءات كلها موصولة السند إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-

وجملة القول إن التلقي هو التعرض، ثم وضع موضع الاستقبال للشيء الجائي، ثم وضع موضع القبول والأخذ، كقوله تعالى: "وَإِنَّكَ لَتَلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ (من سورة النمل/ آية 6)

خاتمة البحث ونتائجه:

قد آن الأوان أن يستريح الباحث، ويثني على الله -جل في علاه- ويحمده على توفيقه إياه على إتمام هذا البحث، والدراسة التي قضى فيها أمتع الأيام وأنفع اللحظات مع القرآن الكريم وتفسيراته وشروحه.

إن قارئ القرآن ليلحظ عظمة هذا الكتاب وسعته وشموله، ويستطيع ذلك القارئ أن يقرر - مطمئناً - أن العربية التي نزل بها القرآن الكريم، والتي وُصِفَتْ بالفصحى لم تكن لغة قبيلة واحدة بعينها، بل كانت لغته لغة مشتركة من لهجات القبائل جميعها، وبعد دراسة مضمينة يستطيع الباحث أن يسجل أهم النتائج التي يرى أنه توصل إليها وعلمها في بحثه، وخلص إليها:

- إن الإشكالات التي انبثقت عن اختلاف القراءات، لم تكن قائمة على اختلاف التضاد أم التناقض؛ وإنما هو تنوع الدلالات، وتغاير المعاني، من ذلك ما جاء من تعدد دلالة (تلقى) بين المتلقي والمتلقى.

- إن تعدد القراءات والاختلاف الناتج عنها كان له الأثر الواضح في الدرس اللغوي، عند العرب، من ذلك ما جاء من تعدد الأعراب في (إن هذان لساحران).
- تبين أن المشكلات في القرآن مسألة نسبية، فما كان مخبوءاً على بعض العلماء، لم يكن غامضاً عند بعضهم الآخر.
- تبين أن من فوائد تعدد القراءات واختلافها، تمرين فكر قارئ كتاب الله-العظيم- على تنمية ملكة البحث، والتأمل في ألفاظه، والتدبر في معانيه.

هوامش البحث

1. يُنظر: التعريفات، ص215
2. يُنظر: دستور العلماء 139/3
3. يُنظر: ارتشاف الضرب 139/3
4. نفسه
5. النشر في القراءات العشر 191/1
6. يُنظر: معجم الأدباء 1744/4
7. بغية الوعاة 163/2
8. إنباه الرواة 345/1
9. بغية الوعاة 505/1
10. أحكام القرآن، للطحاوي 454/2
11. يُنظر: حجة القراءات، ص 625، والنشر في القراءات العشر 363/2
12. تفسير الرازي 471/27
13. تفسير ابن عطية 540/4
14. البحر المحيط 2018/9
15. شرح التصريح 117/1
16. إعراب القرآن، للنحاس 16/14، ويُنظر: تفسير القرطبي 29/7
17. الكتاب 520/3
18. البيت من شواهد المقتضب 375/4، والخصائص 346/1، وهمع الهوامع 525/1
19. ديوانه، ص113
20. المنصف 338/2

21. يُنظر: حجة القراءات، ص 545، والحجة في القراءات السبع، ص 242
22. التحرير والتنوير 16/251-252.
23. يُنظر: توضيح المقاصد 1/223
24. يُنظر: همع الهوامع 1/510
25. يُنظر: شرح المفصل 2/357
26. يُنظر: المقاصد النحوية 1/193
27. يُنظر: شرح ابن عقيل 1/59
28. التحرير والتنوير 16/254
29. نفسه
30. يُنظر: تفسير الرازي 23/209
31. يُنظر: البحر المحيط 7/290
32. يُنظر: حجة القراءات، ص 273
33. درس النحوي في بغداد، ص 54
34. نفسه، ص 57
35. يُنظر: الكتاب 1/177، وشرح المفصل 3/20
36. شرح التسهيل 3/277
37. البحر المحيط 4/658
38. نفسه
39. الفصل في الملل 2/64
40. يُنظر: تفسير الزاري 23/318
41. نفسه 23/318-319
42. يُنظر: فتح التقدير 7/4، تهذيب اللغة 4/64
43. معاني القرآن وإعرابه 4/29
44. معاني القرآن، للنحاس 4/449
45. يُنظر: حجة القراءات، ص 75، والنشر في القراءات العشر 1/19
46. يُنظر: معاني القرآن، للأخفش 1/233، ومعاني القرآن، للفراء 1/28
47. كشف المشكلات وإيضاح المعضلات 1/36
48. معاني القرآن وإعرابه 1/117

روافد البحث

أولاً: القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم

ثانياً الكتب المطبوعة:

- أحكام القرآن الكريم، لأبي جعفر أحمد بن محمد الطحاوي (ت321هـ)، تحقيق: د.سعد الدين أونال، مركز البحوث الإسلامية التابع لوقف الديانة التركي، استانبول، ط1، 1995م
- ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت745هـ)، تحقيق: رجب عثمان محمد، راجعه: رمضان عبدالنواب، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط1، 1998م.
- إعراب القرآن، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل ابن النحاس (ت338هـ)، تحقيق: د.زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت، ط2، 1985م.
- إنباه الرواة على أنباه النحاة، لأبي الحسن علي بن يوسف القفطي (ت646هـ)، بيروت، المكتبة العصرية، 1424هـ
- البحر المحيط، لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت745هـ)، بعناية ومراجعة: صديقي محمد جميل، بيروت، دار الفكر، 1420هـ
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت911هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية بيروت، د.ط.
- تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد (التحرير والتنوير)، لمحمد الطاهر بن عاشور (ت1393هـ)، تونس، الدار التونسية للنشر، 1984م.
- التعريفات، لعلي بن محمد الجرجاني (ت816هـ)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، بيروت، دار الكتاب العربي، 1405هـ
- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، لأبي محمد المعروف بابن أم قاسم المرادي (ت749هـ)، تحقيق: عبدالرحمن علي سلمان، القاهرة، دار الفكر العربي، ط1، 2001م.
- جامع العلوم في اصطلاح الفنون (دستور العلماء)، للقاضي عبدالنبي بن عبدالرسول الأحمد نكري، (ت.ق12هـ)، عرّب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2000م.
- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط2، 1384هـ.
- الحجة في القراءات السبع، لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه (ت370هـ)، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، بيروت، دار الشروق، ط4، 1401هـ.

- حجة القراءات، لأبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة(ت403هـ)، تحقيق: سعيد الأفغاني، بيروت، دار الرسالة، ط5، 1418هـ.
- الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني(ت392هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، القاهرة، دار الكتب المصرية، 1956م.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأبي العباس أحمد بن يوسف المعروف بالسَّمين الحلبي(ت756هـ)، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دمشق، دار القلم، د.ت.
- ديوان جميل بن معمر(ت82هـ)، بيروت، دار صادر، د.ت.
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، لعبدالله بن عبد الرحمن بن عقيل(ت769هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، دار التراث، 1980م.
- شرح التصريح على التوضيح، للشيخ خالد بن عبدالله الأزهرى(ت905هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1421هـ.
- شرح المفصل للزمخشري، لابن يعيش بن علي(ت643هـ)، قدم له: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001م.
- الكتاب، لأبي بشر عمرو بن عثمان سيبويه(ت180هـ)، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط2، 1988م.
- كشف المشكلات وإيضاح المعضلات، لجامع العلوم، أبي الحسن الباقولي (ت543هـ)، تحقيق: د. محمد أحمد الدالي، دمشق، مطبعة الصباح، 1994م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية(ت542هـ)، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد، بيروت، دار الكتب العلمية، 1422هـ.
- معاني القرآن، لأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس(ت338هـ) تحقيق: محمد علي الصابوني، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ط1، 1409هـ.
- معاني القرآن وإعرايه، لأبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج(ت311هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شليبي، القاهرة، دار الحديث، ط2، 1418هـ.
- معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، لشهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي (ت626هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1993م.
- مفاتيح الغيب(التفسير الكبير)، لأبي عبد الله محمد بن عمر الفخر الرازي (ت606هـ)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط3، 1420هـ.

- المقتضب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد(ت285هـ)، تحقيق: محمد عبدالخالق عزيمة، بيروت، عالم الكتب، د.ت.
- المُتصِف، شرح الإمام أبي الفتح عثمان بن جني النحوي(ت392هـ)، لكتاب التصريف لأبي عثمان المازني(ت249هـ)، تحقيق: إبراهيم مصطفى، وعبدالله أمين، القاهرة، وزارة المعارف العمومية، ط1، 1994.
- المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية المشهور بـ«شرح الشواهد الكبرى»، لبدر الدين محمود بن أحمد بن موسى العيني(ت855هـ)، تحقيق: د. علي محمد فاخر، د. أحمد محمد توفيق السوداني، د. عبد العزيز محمد فاخر، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2010م.
- النشر في القراءات العشر، لأبي الخير محمد بن محمد بن الجزري (ت883هـ)، أشرف على تصحيحه ومراجعته: صاحب الفضيلة علي محمد الضباع، القاهرة، دار الكتب المصرية، د.ت.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، لجلال الدين عبدالرحمن السيوطي (ت911هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، القاهرة، المكتبة التوفيقية، د.ت.

مخطوطة "القاموس المحيط" للفيروزآبادي

دراسة كوديكولوجية

إعداد:

د. المتبولي شيخ كبر

قسم اللغة العربية، جامعة بايروكنو - نيجيريا¹

الملخص:

تعد المخطوطات من أكبر ما يعبر عن ثقافات الأمم ومدى عمق جذورها في الميدان الثقافي، كما أنها تخلد آثار تلك الأمم علاقتها مع غيرها. يسعى هذا البحث إلى دراسة كوديكولوجية لمخطوطة "القاموس المحيط" الموجودة في إحدى المكتبات الخاصة بمدينة كنو - نيجيريا، وهي مكتبة الشيخ محمد الناصر كبر، ويرجع تاريخ نسخ هذه المخطوطة إلى بداية القرن الحادي عشر الهجري، وبالضبط 15\رمضان\1001هـ. وسيقوم البحث بتمهيد موجز عن الدراسة الكوديكولوجية ونشأتها في فن دراسة المخطوطات العربية، ليصل إلى صلب الموضوع الذي هو التركيز على وصف مختلف مكونات المخطوطة المادية، مثل السَّرلوحه، والورق، والنساخت والتسطير، كما يقوم برصد رحلة المخطوطة من بلاد الشرق إلى بلاد هوسا (شمال نيجيريا). ثم يختتم البحث بخلاصة وتوصيات، متبعا في ذلك المنهج الوصفي.

ABSTRACTS

The research seeks to study a codecology of the " Al-QAMUS al-MUHEET " DICTIONARY" The manuscript found in one of the libraries in the city of Kano -

¹ mskabara.ara@buk.edu.ng/ phone number: +2348036574727

Nigeria, in the library of Sheikh Muhammad an-Nasir Kabara, and the date of copying this manuscript dates back to the beginning of the eleventh century AH, and exactly 15 \ Ramadan \ 1001 AH. The research will prepare a brief summary of the codecological study and its origins in the art of studying Arabic manuscripts, to reach the heart of the topic, which is focusing on describing the various components of the physical manuscript, such as Sirlouha, paper, copying and lines. It also monitors the manuscript's journey from the eastern countries to the country of Hausa (Northern Nigeria). Finally, the research concludes with summaries and recommendations, following descriptive approach.

الكوديكولوجية ونشأتها في فن دراسة المخطوطات العربية:

تتكون كلمة كوديكولوجي من كلمة لاتينية "كودك، تسمى Codex بمعنى: كتاب مكون من كراسات. و يونانية "لوجي" Logos، وتعني: علم.

ويعني مصطلح كوديكولوجي: "علم دراسة كل أثر لا يرتبط بالنص الأساسي للكتاب الذي كتبه المؤلف، بل يهتم بدراسة الورق والحبر والتذهيب والتجليد والتزيين، وحجم الكراسات والترقيم والتعقيبات، وكل ما دون على صفحة الغلاف من سماعات، وقراءات، وإجازات، ومناولات، ومقابلات، ومعارضات، ومطالعات، وتقييدات، ووقفيات، وما يسمى حرد المتن، وما يسمى خوارج النص Exlibris، أي دراسة الشكل المادي للمخطوط، وأيضا الظروف التاريخية التي كتب فيها هذا المخطوط¹."

وبعبارة أخرى إن الكوديكولوجيا: هو علم دراسة الكتاب المخطوط أو صناعته، بما في ذلك صناعة الأحبار وفن التوريق، أو النساخة والتجليد والتذهيب، وصناعة الرقوق والجلود والكاغد، وما يتبع ذلك من فنون، وما يتصل بها من حجم الكراسة، ونظام الترقيم، والتعقيبات، والسماعات، والقراءات والإجازات، والمقابلات، وتقييدات التملك، والوقف، وما يظهر نهاية المخطوط من تقييد الختام من اسم المؤلف واسم الناسخ ومكان النسخ وتاريخ النسخ².

ومن ثم، فإن علم الكوديكولوجيا؛ علم يبحث في كل ما هو خارج عن النص، وبالتالي، فالكوديكولوجيا هو الذي يهتم بالمخطوط كقطعة مادية يبحث فيها للتأكد من صحة تاريخ المخطوط مثلا، أو شيء من هذا القبيل. والغاية الأساسية منه هي محاولة فهم مختلف الجوانب الصناعية للكتاب المخطوط.

وقد رأى بعض الكتاب أن يطلقوا على هذا العلم اسم (صناعة المخطوطات)، ليكون بديلا عن استعارة لفظ (كوديكولوجيا)³، بينما استحدث الدكتور قاسم السامرائي بديلا آخر عن مصطلح (كوديكولوجيا)، أسماه: (علم الاكتناه العربي الإسلامي)⁴.

إن دراسة المخطوطة العربية على ضوء معطيات هذا العلم، موضوع جديد لم ينتشر في الساحات العلمية انتشارا ملفتنا للنظر إلى الآن. وقد بدا هذا العلم يطبق على دراسة المخطوطات العربية عام 1986، ولكنه طبق قبل ذلك على المخطوطات اليونانية واللاتينية⁵، فهو - إذن - علم جديد لا يقوم بتحقيق النصوص في الكتاب المخطوط، بل يهتم بشكل وصناعة المخطوط؛ وهو يفيد في عمليات الفهرسة؛ لأنه يضيف بيانات جديدة لبطاقة الفهرسة، كما يعين المفهرس وإحصائي الترميم على زيادة معلوماتهم، وإثراء أفكارهم حول المخطوط؛ كما أن دراسة التجليد على سبيل المثال بالنسبة لإحصائي الترميم تفيد في معرفة مدى تطابق التجليد مع العصر الذي كتب فيه المخطوط، وهكذا...

هذا، ويقدر عدد المخطوطات العربية قبل ظهور الطباعة في القرن الخامس عشر الميلادي بأنها تتجاوز 3 ملايين مخطوط، بينما تقدر المخطوطات اليونانية بحوالي 500 ألف واللاتينية بحوالي 50 ألف⁶.

مخطوطة "قاموس المحيط":

وقف الباحث على مخطوطة "القاموس المحيط" للفيروزآبادي في مكتبة الشيخ محمد الناصر كبر (مكتبة الشيخ عمر مالم كبر) في القسم الخاص بالمخطوطات فيها، ضمن الطبقة الأولى من نفائس مخطوطات المكتبة التي وضعت في الزجاج. والهدف هو دراستها من وجهة علم المخطوطات (الكوديمولوجيا) باعتبارها قطعة مادية أثرية، وذلك من خلال النقاط الآتية:

أولا- وصف المخطوطة:

كانت حالة المخطوطة جيدة في الغالب، وقد حافظت على طبيعتها، ولعل السبب هو استعمال المواد الجيدة: ورقا ومدادا...

1. أول المخطوطة وآخرها:

أولها: بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي، الحمد لله منطلق البلغاء باللغي في البوادي ومودع اللسان اللسن اليهودي ومخصص عروق القيصوم غضا القصيم بما ينله العبر والحادي، ومفيض الأيادي بالروايح والغوادي المجتدي والجادي، ونافع غلة الصوادي بالأهاضيب الثوادي ودافع معرة العوادي بالكرم الممادي، ومجري الأوداء من كل مضادي مفخما لا تشينه الهجنة واللكنة والضوادي، محمد خير من حضر النوادي وأفصح من ركب الخوادي، وأبلغ من حلب العوادي صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه نجوم الدادي وبدور القوادي.."

وأما آخر المخطوطة، فمكتوب فيه: "والحمد لله رب العالمين على فضله الموفور، وقبوله منا عفو خاطرنا المنزور، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على حبيبه وصفيه وخليله ونبيه محمد الذي لا نرضى لبيان استحقاقه من الوصف جهدنا، ونبتهل إلى الله الكريم أن يوصل إليه صلاتنا ويقرب منه بعدنا وأن يصلي على آله وأزواجه وأصحابه ولادة الحق، وقضاة الخلق، ورتقة الفتق، وغرر السبق، وفتحة الغرب والشرق، وسلم تسليمًا كثيرا كثيرا وحسبنا الله ونعم الوكيل⁷.

2. السَّرْلُوحة: أو السَّرْلُوحة كلمة مركبة من (سر) رأس، رئيس بالفارسية، والكلمة العربية لوحة. أي الورقة الرئيسية. وفي الاصطلاح تعني الصفحتين الأولى والثانية من المصحف مزخرفتين مذهبتين. وهي منتشرة بكثرة في المخطوطات العثمانية والفارسية، وليست مقصورة على المصاحف فحسب، فقد أبدع فيها الأتراك والفرس غاية الإبداع، ولعل طريقة زخرفة الصفحات الأولى التي كانت بالكتب الحجرية التي طبعت في تركيا، أو مصر، أو غيرها من البلاد مأخوذة من فكرة هذه السَّرْلُوحة⁸.

إن الورقة الأولى والثانية من هذه المخطوطة خالية من أي رسم أو كتابة، وهذا خلاف المعتاد، إذ المتعود عليه في كثير من المخطوطات كتابة عنوان الكتاب واسم المؤلف في السَّرْلُوحة. أما هذه المخطوطة فقد خلت من هذا تماما. ونجد في الورقة الثالثة من الداخل فوق الصفحة سرلوحة مزخرفة منقوشة على شكل أزهار ملتف بعضها ببعض وغصون متماوجة، وفوق هذه الزخرفة خطوط مستطيلة بلون أزرق سماوي فاتح، مكتوب في داخل السَّرْلُوحة "بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي". وبعد ذلك مباشرة بداية نص الكتاب.

ج. عدد الأوراق: تقع المخطوطة في (1166) صفحة، مرقمة بالتعقبية، ثم أضيف إلى ذلك الترقيم بالأرقام العربية بقلم أحمر حتى رقم 57، ثم تحول الكاتب إلى استعمال قلم الرصاص. والملاحظ أن التعقبية كانت من نفس خط الناسخ، أما الترقيم، فيبدو أنه من الإضافة الطارئة على المخطوطة حديثاً عند تصنيفها ضمن المخطوطات الموجودة بهذه المكتبة.

وتجدر الإشارة إلى فقدان ورقة واحدة من ضمن أوراق المخطوطة، فبعد رقم (7) أتى رقم (10) مما يدل على سقوط الورقة التي تحمل 8 و 9.

د. المقياس: 17 x 27 سم. وعدد الأسطر 29 سطراً. وهو شيء التزمه الناسخ حتى في الصفحة الأخيرة. ما عدا الصفحة الأولى التي تحتوي على 23 سطراً، وربما أدى إلى ذلك وجود تلك الزخارف في بدايتها.

هـ. التجليد: الكتاب مغلف بغلاف قوي كرتوني ملفوف بجلد أحمر اللون ومربوط بخيط جلدي، وتوجد في الداخل ورقتان خاليتان من الكتابة، وورقة واحدة أيضاً فاضية في النهاية. ويبدو أن التجليد حديث تظهر عليه آثار الصنعة في بلاد هوسا (نيجيريا الشمالية)، مكتوب عليه بالخط المشرقى "القاموس" (انظر ملحق الصور في آخر البحث).

و. الحبك (الحياطة): يعني هذا المصطلح طريقة شدّ أوراق الكتاب⁹. وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه المخطوطة لم تكن على شكل كراسات محيطة كما هو الشأن في بعض المخطوطات، بل كانت على شكل أوراق مستقلة، كل ورقة على حدها. ومع ذلك بقيت المخطوطة على حسن هيئتها رغم مرور ما ينيف على أربع مائة سنة عليها، مما يدل على اعتناء الأيدي التي تداولتها بها.

ز. الترميم: تتعرض المخطوطة لترميم يدوي في بعض أوراقها، وهي قليلة جداً، لا تجاوز ورقتين على حسب تتبع الباحث، حيث عمد المرموم إلى لصق قطعة ورقية ملء بعض الخروم البسيطة. ولعل هذا النوع من الترميم يدخل ضمن "الترميم عبر الإلصاق"، وصورة هذا الترميم أن نجد الأماكن المتأكلة أو المخرمة قد ألصقت بها قطع ورقية بشكل يوجد معه التآكل أو الخرم، وهو في صورته العامة ترقيع يحصل في المخطوط¹⁰.

ثانيا: النسخة:

يقصد بها: "كل ما يرتبط ويحف بالمتن المكتوب وليس منه، أي كل المعطيات النصية الموجودة في الوعاء المدروس، والتي لا تنتمي إلى المكتوب بمعناه"¹¹. ومن تجليات النسخة ما يلي:

- الخط: خط مشرقى نسخ، وقد استعمل الناسخ المداد الأسود للمتّن والأحمر لكتابة المواد، كما استعمل نفس المداد الأحمر في كتابة الرموز، مثل (ع) للموضوع، و(ج) للجمع إلخ، أو كتابة واو العطف، وقد استعمل المداد الأحمر أيضا في بداية المخطوطة عند كتابة الأبواب والفصول، إلا أنه ترك ذلك بعد الصفحة الحادية عشر، ثم استمر به في الصفحة السادسة والسبعين (76). كما كان يغلف الخط عند كتابة المادة والفصول، ولا يخص للباب، أو الفصل بداية الصفحة، أو وسطها، بل يأتي به على حسب الترتيب الذي أتى في الصفحة. وقد يأخذ الباب سطرا كاملا تارة مثل: (باب الألف اللينة).

وقد توجد بعض الطرر في الهامش، بعضها بخط الناسخ وبعضها بالخط المغربي، فلعله من صنع الذين تداولوا الكتاب بعد وصوله إلى بلاد نيجيريا، مكتوب غالبا في آخرها (صح)، وتارة تكون التي كتبت بالخط المغربي مشكلة. كما تجدر الإشارة إلى قيام الناسخ بتشكيل أجزاء من المتن بالحركات المعروفة، من فتحة وكسرة وضمة وسكون، مقتصرًا على شكل بعض الكلمات دون الأخرى.

ويظهر الفرق واضحا بين مداد الناسخ ومداد الحواشي بالخط المغربي، مع كون كلا المدادين أسود، إلا أن مداد الأصل أسود فاحم. وقد قام الناسخ بوضع خط فاصل (Border Line) لكل صفحة بحيث كان المتن في داخله.

- الناسخ: هو عمر بن يس بن أبي بكر بن أحمد بن حرين، وقد بذل الباحث قصارى جهده في البحث والتنقيب عن ترجمة هذه الشخصية في المراجع والمصادر التي تهتم بالتراجم، مستعينا كذلك بالشبكة العنكبوتية، إلا أنه لم يفز في ذلك ولو بزند شحيح، مما يوحي إلى أن الناسخ لم يكن من النساخ المشهورين في

عصره: مع أن عدم الشهرة لا ينقص من قيمة عمل هذا الناسخ العظيم، بل يكفيه فخرا جودة خطه واستقامته وخلو معظم عمله هذا من الأخطاء الفاحشة، الأمر الذي ينبئ عن رسوخ قدمه في ميدانه ووصوله إلى مستوى لا يستهان به فيه. ولعل القارئ يشارك الباحث في الرأي عندما يقف على صور من صفحات هذه المخطوطة آخر المقال. ولله درّ القائل:

تلك آثارنا تدل علينا *** فانظروا بعدنا إلى الآثار¹²

ومهما يكن الأمر، فالناسخ ليس من طينة النساخ والكتبة ذوي الثقافة المتواضعة أو المتوسطة، بل كان ذا نصيب علمي وثقافي كبير، ويبدو أنه صار عالما قبل أن يكون ناسخا، فلذلك تميز بجودة النسخ والإلمام بالصناعة. وقد بدا هذا واضحا في هذه المخطوطة، حيث جمع إلى تجربة الضبط والسلامة في النسخ، المقدرة الفنية اللافتة للنظر في حسن الخط والتبويب والتنسيق.

- تاريخ النسخ ومكانه:

تم نسخ المخطوط -كما سيأتي في (حرد المتن)- في: 15\رمضان\ 1001هـ، بمكة المكرمة، ويظهر من هذا التاريخ أن هذه النسخة قد كتبت بعد مرور (184) عام على وفاة مؤلف الكتاب الإمام اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي الفيروزآبادي المتوفى (817هـ)، مما يدل على قرب عهد هذه النسخة بعصر المؤلف، إذ لا يتعد أن يكون الناسخ قد نسخ المخطوطة في مكة وهي من بين البلدان التي ذكر المترجمون للفيروزآبادي بأنه زارها في حياته. فكل ذلك مما يزيد في قيمة هذه المخطوطة.

- التعقيب:

تعد التعقيب من أهم الطرق، أو الوسائل التي استخدمها القدامى من أجل الحفاظ على ترتيب أوراق المخطوط للأمن من الخلط أو الضياع.

وقد عرفها الدكتور أحمد شوقي بنين بأنها: "نوع من الترفيم استعمله القدماء لترتيب المؤلفات من جهة، ولمساعدة المختصين في صناعة المخطوط؛ كالمرقمين والمفسرين وسواهم في ترتيب ملازم المخطوط من جهة أخرى"¹³.

أما ديروش، فيقول في تعريفها: "بأنها مجموع الكلمات الأولى في وجه ورقة، والمثبتة في أسفل ظهر الورقة السابقة عليها"¹⁴.

وقد استخدم الناسخ هذا النوع من الترقيم في هذه المخطوطة جريا على ما هو معهود في عصره. وهو شيء التزمه في كل الأوراق سوى الأخيرة، نظرا إلى أنها نهاية المخطوطة، إلا أننا نجد ترقيفا بالأرقام العربية فوق صفحات المخطوطة، كما سبقت الإشارة إلى ذلك عند الحديث عن عدد أوراق المخطوط، ويبدو أن ذلك من صنع من تداولوا المخطوطة أخيرا.

- حرد المتن:

يطلق بعض الكتاب مصطلح "حرد المتن" ويريدون به خاتمة المتن، أو تقييد الفراغ، أو ما سماه البروفيسور قاسم السامرائي بـ"تقييد الختام"، وهو ما سماه الأوربيون¹⁵ Colophon

ويرى الدكتور أحمد شوقي بنين أن "لفظة "حرد" نبطية الأصل، معربة جاءت من الحُرد، وهي حياصة (حزام) الخطيرة تشد على حائط من قصب عرضا. تقول حردناه تحريدا. وكأن حرد المتن بمثابة حزام واق جعل في آخر الأصل ليحميه ويشعر بحدوده ونهايته. وقال فرنكل: إنه من الأرامية. وهو الهامش الموجود في آخر النص والمتعلق بالنسخة وبياناتها. ويذهب "عصام الشطي" إلى أن حرد المتن هو تاريخ النسخ من النسخة بعد تمام مادة المؤلف"¹⁶.

وبالنسبة لهذه المخطوطة، فقد جاء حرد المتن فيما على شكل مبسط أسفل الصفحة الأخيرة، لا يفصله عن المتن إلا خط قصير بمداد أحمر. وقد اعتمد بعض النساخ أن يأتوا به على شكل مثلث، أو عمود، أو دائرة.

أما بالنسبة لمحتوياته، فقد تضمن أهم المعلومات التي يتوقع وجودها فيه، من اسم الناسخ، وتاريخ النسخ باليوم والشهر والسنة؛ بل إنه اشتمل حتى على ما كان بعض النساخ يغفلون عنه، وهو ذكر مكان النسخ. وإليك ما جاء فيه بحروف الناسخ:

"قد وقع الفراغ من كتابته يوم الخميس خامس عشر شهر الله العظيم رمضان المكرم سنة واحد بعد الألف بمكة المشرفة على يد أضعف عباد الله وأحوجهم إليه الراجي عفو الملك العزيز عمر بن يس بن أبي بكر بن

أحمد...¹⁷. اللهم اغفر لمن ملك هذا الكتاب وكتبه ولمن قرأ ونظر إليه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين. تم تم".

- قيود التملك:

هي عبارة عن بعض العبارات التي تشير إلى مَنْ ملك المخطوطة، أو انتقالها من ملكية إلى أخرى، فقد حاولت الوقوف على قيود التملك عند تصفُّحي للمخطوطة، إلا أنني لم أفز بشيء منها. وكذلك الأمر بالنسبة للمقابلة، فلم يذكر الناسخ الأصل المقابل، أو المعارض عليه، هل النسخة نسخة المؤلف، أو نسخة عليها سماع، أو وجادة، أو قراءة. وما إليه من طرق تحمل العلم المعروفة؟ اللهم إلا ما نجد في أواخر الطرر حيث يكتب بعد كلمة "صح"، ومعظم هذه الطرر ليست من خط الأصل، بل أكثرها بخط مغاير لخط الأصل، وبمعداد مغاير كذلك.

- رحلة المخطوطة:

بالنسبة لرحلة هذه المخطوطة، فإن نوعية خطها المشرقي تفيد بأنها ليست من صنع البلاد النيجيرية، وذلك لعدم وجود هذا النوع من الكتابة في هذه البلاد في تلك الآونة التي نسخت فيها المخطوطة، إذ الخط المنتشر هنا آنذاك هو الخط المغربي الذي تطور ونتج منه ما يسمى بالخط السوداني¹⁸، ولم ينتشر المشرقي في البلاد إلا بعد فتح المدارس النظامية الحديثة وإيفاد المدرسين لها من السودان في ثلاثينيات القرن الماضي¹⁹.

كما أن وجود الطرر بالخط المغربي، أو السوداني داخل صفحات المخطوطة يوحي إلى انتقالها في الزمان والمكان عبر رحلة ممتدة من الشرق لتصل إلى خزانة نائية في شمال نيجيريا. وتداول أيدي القراء النيجيريين لها، مما يشير إلى كون أهل البلاد على مستوى لا يستهزأ به في ميدان الثقافة العربية، وذلك منذ أعوام بعيدة، كما يجلي هذا أيضا قدم العلاقة الثقافية بين المشرق العربي وبلاد غرب إفريقيا، وكذلك الانتشار الكبير لكتاب الفيروزآبادي في مشارق الأرض ومغاربها واهتمام الأفارقة به.

وأما عن كيفية وصول المخطوطة إلى بلاد هوسا (مدينة كنو بالذات)، فتذكر الروايات بأن الشيخ سعد بن عبدالرحمن²⁰ هو الذي حملها من مصر إلى ما يسمى اليوم بنيجيريا، وذلك إبان سفره إلى الحج، حيث مرّ بالأزهر الشريف حاملا معه تفسير أستاذه الشيخ عبدالله بن فودي المسمى "ضياء التأويل في معاني التنزيل"،

وعرضه على السادة الأزهريين، فأعجبوا بهذا التفسير النفيس الصادر عن عالم أعجمي في بلاد هوسا لم تطأ قدمه بلاد العرب. الأمر الذي أدى إلى أن يسمح للشيخ سعد بن عبد الرحمن أن يختار من خزانة الأزهر ما طابت به نفسه، فكان هذا القاموس من بين الكتب التي اختارها. وبعد رجوعه نزل بـ"كنو" عند مضيفه الشيخ عمر مالم كبر صاحب المكتبة المذكورة التي توجد فيها هذه المخطوطة ومكث عنده إلى أن توفي هناك، وقبره موجود بجوار قبر الشيخ مالم كبر في مقبرة مِي غَغْنِيَا بكنو²¹.

خلاصة وتوصيات:

- من شأن الدراسة الكوديكولوجيا للمخطوطات الإسلامية والعربية، التأكد على الأهمية القصوى لهذا التخصص العلمي الحديث، ما يجعله ضروريا جدا في أعمال المشتغلين بالمخطوطات.
- اشتمال مكنتات علماء بلاد هوسا (نيجيريا الشمالية) على نفائس المخطوطات التي لم تكن من صناعة أهل البلاد الأصليين.
- تشير رحلة هذه المخطوطة من مصر إلى مدينة كنو، إلى الترابط الثقافي بين أطراف العالم الإسلامي آنذاك وتداول المعارف والعلوم على نطاق واسع.
- استطاعت مخطوطة "القاموس المحيط" الحفاظ على المتانة والجدة، متحديا العوامل الطبيعية والبشرية التي تهدد المخطوطات في الغالب. ومن أسباب صمودها: جودة المواد المستعملة في صناعتها وتجليدها وزخرفتها، وأكبر من ذلك كله سقوطها في أيد تقدر مثل هذا التراث حق قدره.
- من خلال دراسة المخطوطة، يتضح مدى الاعتناء والاهتمام بالصناعة المادية للمخطوطات في العصر المملوكي، من حيث جميع مكونات تلك الصناعة، الأمر الذي يوحى إلى تقدمها زمنئذ.
- هذا، ومن بين التوصيات المقترحة: ضرورة الانكباب على دراسة المخطوطات الموجودة في بعض المكتبات العريقة في بلادنا، مثل مكتبة الشيخ مالم كبر، ومكتبة مدرسة الدروس الإسلامية العالية بشاهوئي، كنو، ومكتبة المرحوم الوزير جنيد صكتو من وجهة كوديكولوجية؛ لأن ذلك كفيل ببيان كل ما يتعلق بمادة المخطوطات ورحلتها بين الأقطار. الأمر الذي ينتج عنه مدى قدم الثقافة العربية الإسلامية في هذه الديار، والتزاوج الثقافي بينهما وبين غيرها في أنحاء العالم الإسلامي.

- ضرورة القيام بفهرسة دقيقة للمخطوطات المتوفرة في هذه المكتبات، ليتمكن الباحثون من حصرها ودراستها وتحقيق غير المحقق منها.
- دخول بعض الهيئات والمنظمات لرقمنة هذه المخطوطات Digitization بهدف حفظها من الاندثار من جانب، وإتاحة فرصة الوصول إليها للباحثين والمتصفحين من جانب آخر.
- والله من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وصل اللهم وسلم على سيدنا وحبيبنا محمد وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

الهوامش والمراجع

- 1- الأستاذ خالد عبدالسلام المزاحي: كوديكولوجيا المخطوط العربية الإسلامي، <http://alexlislept.blogspot.com.ng/2012/03/islamic-manuscript-codicology.html?m=2017-11-11>
- 2- مولاي محمد: المخطوطات العربية الإسلامية الجزائرية في ضوء علم المخطوطات (الكوديكولوجيا). دراسة كوديكولوجيا لنماذج من مخطوطات خزائن إقليم توات بأدرار، ومنطقة منداس بلغيزان \28133\en\article\ <http://www.asip.cerist.dz>
- 3- أرشيف، ملتقى أهل الحديث، <http://www.alhadeeth.com>
- 4- المرجع نفسه
- 5- خالد عبدالسلام، المرجع السابق، والموقع ذاته.
- 6- المرجع نفسه.
- 7- المكتوب هنا غير واضح.
- 8- انظر: ضياء الدين جعير: مجموعة المخطوطات الإسلامية، <http://thearchive.me>، almakhtutat
- 9- أحمد السعيد: دراسة كوديكولوجيا في "مخطوطة أدب الدنيا والدين" للماوردي، *Journal of Islamic manuscript*، 256 v.7, No 2, published by brill, leiden, the Netherland
- 10- أحمد السعيد المرجع السابق، ص: 255.
- 11- المرجع نفسه
- 12- لم يقف الباحث على القائل. راجع: أحمد الهاشمي، السحر الحلال في الحكم والأمثال، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت، ص: 67.
- 13- د. أحمد شوقي بنين، التعقيب في المخطوط العربي، <https://amagadcenter.com>، تاريخ الزيارة: 2020-02-08
- 14- عبدالعظيم صقر، التعقيب عصب المخطوط العربي، www.ahlalhadeth.com، تاريخ الزيارة: 2020-02-08
- 15- عبد العظيم صقر، المرجع السابق. وانظر كذلك: <https://mobile.twitter.com/qsamarra>

16- أحمد شوقي بنين، و د. مصطفى طوبي: معجم مصطلحات المخطوط العربي (قاموس كوديكولوجي)،

<https://www.kutub-pdf.net>

17- الخط غير واضح.

18- من الباحثين من ذهب إلى أن هناك فرقا بين الخط المغربي والخط المتداول، أو المستعمل في بلاد هوسا (نيجيريا الشمالية) وما جاورها، الأمر الذي دفعه إلى أن يطلق على الثاني مصطلح "الخط السوداني". وأول من ابتكر هذا المصطلح هو المستعرب الفرنسي "أكتاب هوادس" عام 1886م، وذكر أن الخط السوداني يشترك مع الخط المغربي في بعض السمات ويختلف عنه في أخرى. وقد تبع هوادس باحثون كثيرون فيما ذهب إليه، إلا أنهم اختلفوا في التسمية. حيث ذهبت "شيللا" إلى أن الخط الذي أطلق عليه اسم "سوداني" أجدر بأن يدعى: "خط غرب إفريقيا"، كما ذهب كذلك إلى القول بأن الخط في غرب إفريقيا مشتق من الخط المغربي. بينما يرى بيفار Bivar أن يسمي هذا الخط بـ"الخط الإفريقي"، وأنه نوع من أنواع الخط المغربي. انظر: جاسر خليل، الخط السوداني بساطة وقساوة وغموض، مجلة الفيصل، العددان 461-462، ذو القعدة ذوالحجة، 1435، ص: 82. وانظر كذلك مقال كتبه بعنوان: الشيخ شريف بلا وإسهامه في نشر المصحف المكتوب بالخط المغربي، ضمن الأوراق المقدمة في المؤتمر الدولي الذي نظمه مركز البحوث والدراسات القرآنية بجامعة بايرو كنو، نيجيريا، لتكريم الخليفة الشيخ إسحاق رابع فيما بين 15-13 أغسطس 2015م، لمزيد من التفصيل حول القضية.

19- تم فتح مدرسة الشريعة الكبرى Law school (مدرسة العلوم العربية حاليا) بكنو، عام 1934م وأحضر لها مدرسون من جمهورية السودان، وكان من بين المواد التي تدرس خط النسخ والرقعة "وبذلك أخذ النوعان من الخط ينتشران في نيجيريا بعد أن كان الخط المغربي هو السائد". انظر: الدكتور علي أبوبكر، الثقافة العربية في نيجيريا، ط: 2، كانو: دار الأمة لوكالة المطبوعات، 2014م، ص: 258.

20- من كبار تلاميذ الشيخ عبد الله بن فودي، وقد حج في حياة الشيخ عثمان بن فودي رضي الله عنه، لكنه لم يرجع إلى بلاد هوسا إلا بعد وفاة الشيخ، وذلك في القرن التاسع عشر الميلادي، حتى قالت السيدة نانا أسماء بنت الشيخ عثمان قصيدة في الترحيب به. والقصيدة موجودة في مكتبة الوزير جنيد صكتو. مكاملة تلفونية مع الشيخ بللو أبي بكر قورنمود، صباح يوم السبت 10-02-2018، حوالي الساعة 11:20.

21- استفاد الباحث بهذه المعلومات من الشيخ محمد الناصر كبر رحمه الله، بتاريخ لا يتذكره.

الملاحق

صورة رقم (1) غلاف المخطوطة



صورة رقم (2) السرلوحة



صورة رقم (3) تظهر فيها بعض الطرر بالخط المغربي / السوداني كما تظهر فيها أيضا التعقيبات تحت، والترقيم بالأرقام العربية فوق الجانب الأيمن



صورة رقم (4) الورقة الأخيرة من المخطوطة وتحتها حرد المتن، أو تقييد الختام



نماذج من الدلالة الصوتية في ديوان جوهرة الرثاء للشيخ محمد قن العسوي:

دراسة تطبيقية تحليلية

إعداد:

الدكتور أحمد محمد ثالث

قسم اللغة العربية، جامعة بايرو، كنو، نيجيريا¹

ملخص البحث:

ديوان جوهرة الرثاء، ديوان اشتهر بين الباحثين وطلاب العلم في ولاية كنو، بشمال نيجيريا، فهو من الدواوين التي تعد من التراث العربي النيجيري، والذي يستحق الدراسة من زوايا مختلفة في المراحل العليا؛ لما تعرض له الشاعر فيه من الموضوعات، والتي لها صلة بشيخه؛ الشيخ الحاج عثمان القلنسوي، الكنوي، النيجيري. ولذا يسعى المقال في أهم أهدافه إلى توضيح استعمال الشاعر الأصوات تعبيرا عن مقاصده، من خلال نماذج يختارها الباحث من الديوان. وتوصل الباحث إلى أهم نتائج من هذا البحث، منها: أن الشيخ محمد قن العسوي متمكن، ومتبحر في أسرار اللغة العربية، حيث تمكن من توظيف ظاهرة الدلالة الصوتية في توضيح مقاصده في الديوان، ووفق في أكثر الأماكن - على حسب النماذج المذكورة - التي استخدم الأصوات دلالة عن مقاصده. فعليه يوصي نفسه والإخوة الباحثين بدراسة مؤلفاته، ومؤلفات غيره من علمائنا الأجلاء المحليين؛ لاستخراج المعارف اللغوية المدفونة فيها؛ لترى النور.

¹ amsalisu.ara@buk.edu.ng/2348037619471+ / 2348022994333+

ABSTRACT

The Anthology: Jawharatur-ratha'i, is a very popular anthology among researchers and in academic society, in Kano state of the Northern Nigeria. It is one of the Arabic heritage in Nigeria, and it deserves a research from every angle in the academic higher stages, for it contains deferent topics relating to his Teacher; Sheikh Alhaji Usman Elqalansawi. The aim of the research is to explain the poet's use of sound to convey his message, by sampling from the anthology. The research finds that: Sheikh Muhammad Kani El-Gusawi is highly competent and profound in Arabic Language, and he has applied – successfully – the phenomenon of sound connotation, to express his intention in the anthology. The researcher recommends to himself, researchers and the academic society entirely, to study constantly his anthology and other anthologies of scholars in our society, just to elicit some language secrets to the academic world.

المقدمة:

تتمتع إفريقيا الغربية بعلماء، تفننوا في مجالات علمية مختلفة، وألفوا مؤلفات عديدة في متنوع جوانب المعرفة، تستحق دراسة علمية أكاديمية في المستويات العلمية العليا؛ لما اشتملت عليه من معلومات قيمة. ولكون نيجيريا إحدى الدول الإفريقية الغربية التي حظيت بمثل هؤلاء الفطاحل من العلماء، وولاية كنو من الولايات الواقعة في شمالي نيجيريا، وفيها علماء بتلك الصورة، من بينهم الشيخ محمد قن العسوي، فرأى الباحث أن يتناول ظاهرة الدلالة الصوتية في ديوانه: جوهرة الرثاء، مستخرجا نماذج منها، ليدرسها دراسة تطبيقية تحليلية، معتمدا في ذلك على العناوين التالية:

- 1- التعريف بالشاعر والديوان.
- 2- المقصود بالدلالة الصوتية.
- 3- استخدام الشيخ الأصوات حكاية عن مقاصده.
- 4- الخاتمة.
- 5- قائمة المصادر والمراجع، والهوامش. مستعينا بالله، وراجيا توفيقه عز وجل في ذلك.

التعريف بالشيخ محمد قن الغسوي وديوانه:

مولده ونشأته:

ولد الشيخ الحاج محمد قن بن علي بمدينة غَسُو(1)، في عام 1938م(2)، في بيت علم. ولما بلغ السادسة من عمره سلمه أبوه إلى عمه المسمى بمالم موسى ماذغُو(3): ليعلمه مبادئ القراءة والكتابة، فتعلم القرآن الكريم، ثم انتقل إلى مالم يعقوب المقرئ فيما بعد. فمكث عند هذا الشيخ إلى أن حفظ القرآن الكريم في مدة سنتين ونصف، ودرس عنده بعض الكتب الفقهية البسيطة. ثم انتقل هو وصديقه مالم عثمان إلى كنو لطلب العلم، فنزلا عند العالم المتفنن؛ الشيخ مالم ثاني قُوْفَر نَائِسا (Kofar Na'isa)، ومكث مدة سنتين، وتعلم عنده الكتب الفقهية المتداولة في ذلك الوقت مثل كتاب الأخضرِي، وكتاب العزِي، وكتاب ابن عاشر، ومنظومة القرطبي، وكتاب ابن رشد. وكان شيخه يهتم به لما رأى من ذكائه وسعة قريحته، فرأى في النهاية أن يسلمه إلى الشيخ الفاضل عثمان القلنسوي(4)، فاستقبله الشيخ عثمان القلنسوي بكل ترحيب، وكان معهد الشيخ القلنسوي كلية، تجمع كل المستويات العلمية، وعنده بدأ الشيخ تعلمه من جديد، وواصل دارسته في بعض الكتب العلمية: النحوية، والصرفية، والبلاغية، وكتب الحديث، والتفسير. كما درس ألفية الأصول للشيخ عبد الله بن فودي(5)، في علم أصول الفقه.

هذا، وكان الشيخ محمد قن يصحب شيخه في رحلات الوعظ والإرشاد، التي كان يقوم بها في البوادي والقرى المجاورة لمدينة كنو، وفي بعض الولايات المجاورة للولاية، فكان من دأب الشيخ محمد قن في ذلك الوقت أن ينظم قصيدة لكل رحلة، حيث يصفها ويذكر أهم وقائعها. ثم إن الشيخ القلنسوي كان يأمر تلميذه بنظم قصيدة لاستقبال وترحيب الوفود التي تأتي من الأقطار المختلفة، وعلى الأخص المشايخ الذين يفدون إلى كنو، وهم - في الغالب - مثقفون بالثقافتين الأوروبية والعربية، فأغرى هذا بالشيخ محمد قن أن يتعلم تعليماً نظامياً حتى يواكب العصر، فتعلم في المدارس النظامية(6) في مدينة كنو، مثل مدرسة العلوم العربية (S.A.S).

اطلع الشيخ في أمهات الكتب؛ الإسلامية منها والعربية، الأمر الذي مهد له الطريق في قرض الشعر في شتى الموضوعات، وكان يقول الشعر وينظمه بصورة عجيبة، كما صرح بذلك؛ لأنه كان يكتب أبياتاً كثيرة في وقت وجيز وبدون تفكير طويل(7)؛ لأنه يتمتع بذكاء عجيب كما أكد هذا تلميذا(8) الشيخ محمد قن؛

الشيخ الحاج مالم تجاني علي غُلْمَ (Gulma)، والشيخ الحاج عبد المؤمن غُورَا (Gora) (9). وله إسهامات كبيرة في مجال الثقافة الإسلامية والعربية، حيث أنتج قصائد وكتباً كثيرة باللغة العربية، وترجم أخرى إلى اللغة المحلية؛ لغة الهوسا، وحظي بعض إنتاجاته ومؤلفاته بالنشر، ومازال البعض الآخر مخطوطاً، وهناك جزء منها – لسوء حظنا- قد ضاع، كما ذكر الشيخ هذا للباحث (10).

ويتمتع الشيخ بأخلاق طيبة، فهو – كما وصفه الشيخ الحاج مالم تجاني علي غُلْمَ والشيخ الحاج عبد المؤمن غُورَا – كريم غير طماع، يحترم الكبير، ويرحم الصغير، متواضع، حسن المعاشرة والصحبة، يساوي بين طلابه، ولا يفضل بعضهم على بعض. وله طلاب كثيرون جاءوا إليه من أقطار مختلفة.

التعريف بديوان جوهرة الرثاء:

ديوان جوهرة الرثاء عبارة عن رثاء وذكر تاريخ الشيخ الحاج عثمان القلنسوي (11)، يحتوي على ألف وثلاثمائة بيت، ورتب الشيخ محمد قن الغسوي قصائده على حسب الحروف الهجائية؛ من الألف إلى الياء، إلا أنه قدم بعضها على بعض، خلاف المعهود في ترتيبها الألفبائي، وأعطى لكل حرف عنوانا عن القصيدة التي وضعها تحته، ثم أتى بقصيدة تحت الألف المقصورة، بعنوان: خاتمة وتوسل، وختم الديوان بقصيدة ميمية للترحيب بالشيخ بنسالم؛ حفيد الشيخ أحمد التجاني. قال الشاعر: " وكل حرف له موضوعه الخاص، وكل موضوع فيه أسراب من المسائل، أو مجموعة من المقاصد..." (12).

ولكون الديوان رثاء لشيخه، وذكر لتاريخه، مهد له بعبارات توحى بإيمانه بقدر الله على فقدان الشيخ؛ حيث قال في المقدمة (13) " الحمد لله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت. لا تأخذه سنة ولا نوم. الأول قبل كل شيء. والآخر بعد كل شيء، لم يزل ولا يزال. وهو واجب الوجود بلا تكييف ولا تحيز، ولا تمثيل، ولا مثال، (كُلُّ مَنْ عَلَّمَهَا فَانٍ، وَيَبْقَى وَجْهُهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) الرحمن: 26-27.

مفهوم الدلالة الصوتية:

الدلالة الصوتية هي تلك الدلالة التي تستمد من القيمة التعبيرية للحرف المفرد (14). أو هي: "تلك الدلالة المستمدة من طبيعة الأصوات، فإذا حدث إبدال أو إحلال صوت منها في كلمة بصوت آخر في

كلمة أخرى، أدّى ذلك إلى اختلاف دلالة كل منهما عن الأخرى". أو هي: "المعاني المستفادة من نطق ألفاظ معينة (15).

وقد عني بهذه الدلالة الصوتية العلماء القدامى، أمثال ابن جني، حيث قال: "اعلم أن هذا موضع شريف لطيف. وقد نبّه عليه الخليل وسيبويه وتلقته الجماعة بالقبول له والاعتراف بصحّته، قال الخليل: كأنهم توهّموا في صوت الجُنْدُب استطالة ومدًا فقالوا: صرّ وتوهّموا في صوت البازي تقطيعا فقالوا: صرصر..." (16).

وكذلك تناول علماء غريب الحديث قضية الدلالة الصوتية في مسائلهم العلمية، حيث بينوا قيمة الصوت البيانية، كما يظهر عند أبي عبيد (17) في كلامه عن حديث النبي صلى الله عليه وسلم في نعت أهل الجنة: (ويرفع أهل الغرف إلى غرفهم في درة بيضاء، ليس فيها قصم ولا فصم) (18)، ويؤكد هذا سيد مصطفى أبوطالب في مقاله: أن أبا عبيد قال: "قوله: القَصْمُ بالقاف: هو أن ينكسر الشيء فيبين، يقال منه: قصمت الشيء أقصمه قصمًا، إذا كسرت حتى يبين، ومنه قيل: فلان أقصم الثنية إذا كان مكسورها...، وأما الفصم بالفاء: فهو أن ينصدع الشيء من غير أن يبين، يقال منه: فصمت الشيء أقصمه فصمًا، إذا فعلت ذلك به، فهو مفصوم..." فكانت الدلالة الصوتية التعبيرية في هذا الحديث الشريف، تبين الفرق بين "الفصم" و"القصم"، فالقصم: انصداع للشيء من غير أن ينكسر وينفصل بعضه عن بعض، والقصم: انكسار الشيء حتى يبين وينفصل بعضه عن بعض، فجعل الصوت الضعيف للمعنى الضعيف: "الفصم"، وجعل الصوت القوي للمعنى القوي: "القصم" (19).

فمثال الدلالة الصوتية أيضا، قولهم: "سَدَّ" و"صَدَّ"، فاعتبروا القوة في الصاد، فجعلوه للجبل أو للوادي (20) مثلا، فقالوا: صُدَّ جانب الجبل"، و"صُدَّ الوادي"؛ لأنهما يحتاجان إلى شيء قوي يصد الفجوة المراد صدها. بخلاف إرادة حجب الباب، فإنه لا يُحتاج إلى آلة قوية جدا، كما يُحتاج إلى ذلك في حجب الوادي الذي تندفع منه المياه اندفاعا، فجعلوا لذلك السين؛ لخفته مقارنة بالصاد، فقالوا: سُدَّ الباب". فكان طبيعة المعنى المراد بيانه تحتاج إلى صوت، طبيعته توافق طبيعة تلك المعنى في الصوت، قوة أو ضعفا.

استخدام الشيخ الأصوات حكاية عن مقاصده:

ظاهرة الدلالة الصوتية بمفهومها الذي سبق، موجودة في ثنايا ديوان الشيخ محمد قن الغسوي؛ جوهرة الرثاء وشاشة أهل الصفاء، كما يتضح ذلك في حرف الصاد، بعنوان: (دهليزه)، حيث قال (21):

أتعلم دهليزا غدا ذا تخصص بتعليم دين الله دون تَنَقُّصِ
أتعرف مدرسة المدارس يا أخي فدهليز مهولا مرادي ومَخْرَصِي
به سادة حازوا علوما بها غدوا مصابيح في أقطارهم خير خُلُصِ

فالشاهد هنا في الكلمات الأخيرة من الأبيات؛ "تنقص"، و"مخرصي"، و"خلص"، حيث إنه في البيت الأول استخدم الصاد في آخر كلمة: تنقص، ولم يستخدم السين؛ لقوة الصاد على السين؛ ولأن الدلالة التي يرمي إليها الشيخ تظهر أكثر باستعمال صوت الصاد، بدلا من استعمال السين. فالنقص بالسين في اللغة تعني: "... العَيْبُ والسُّخْرِيَةُ..." (22). و: "... والأَنْقَسُ: ابنُ الأُمّةِ" (23). وأما: التَّنْقُصُ فتعني: الخُسْرَانُ في الحَظِّ... والتَّقْبِيصَةُ: الوَقِيعَةُ في الناسِ والحَصْلَةُ الدَّيْنِيَّةُ أو الضَّعِيفَةُ" (24). إذا لوحظت دلالة الكلمتين يُرى أنهما اشتركتا في الدلالة على العيب، وهي خصلة غير مرغوب فيها، ولكن الدلالة الصوتية التي أحدثها صوت الصاد تكون زائدة، وأقوى معنى على الدلالة المحصول عليها مع السين؛ لأن الخسران في الحظ، والخصلة الدنية أو الضعيفة، أمران يطغيان تنفيرا وانتقاصا إذا ما قورنا بالعيب والسخرية. ولكي يشير الشيخ إلى أن تعليم الدين في دهليز الشيخ عثمان القلنسوي تعليم خالص، لا يشوبه انتقاص، ويحصل منه التلميذ على مطلبه، ولا يخيب أمله، ولا يخسر حظه، استعمل الصاد: "... دون تنقص"، لأن المراد لا يأتي إلا بها، بخلاف السين التي تدل على مجرد العيب العادي، والسخرية التي هي أيضا تعتبر عيبا عاديا. إذا الشيخ لجأ إلى صوت طبيعته تحقق له رغبته الدلالية، مراعيًا في ذلك القيمة التعبيرية في الدلالة الصوتية البيانية.

وعند الوقوف على البيت الثاني يُرى أن الشيخ استعمل كلمة: "مخرص"، التي في آخرها الصاد، والتي من: "الخُرْصَةُ"، بالضم، ومن معانيها: "...الشرب من الماء، تقول: أعطني خُرْصتي من الماء..." (25)، وتعني كذلك: طعام النفساء... (26)، ولم يستعمل: "مخرس"، التي في آخرها السين، والتي من: "الخرس"، بالضم وتعني: "طعام الولادة"، وبهاء (27) "طعام النفساء..." (28). فلما أراد الشيخ أن يبين مكانة دهليز الشيخ مهولا

عنده وفي نفسه، لجأ إلى كلمة "مخرصي"، من "الخرصة"، والتي يفهم منها أن الدهليز أصبح: مأكله ومشربه، وهذه الدلالة جاءت من استعمال الصاد في الكلمة، لأنها بالصاد تدل على: شرب الماء، كما تدل على: الطعام، بخلاف كلمة: "مخرسي" من الخُرسة، التي لا تدل إلا على: الطعام دون الشراب. إذا الدلالة الصوتية التي يريدها الشيخ – والتي فيما يبدو هي، أن دهليز الشيخ مهولاً أصبح بالنسبة له كل شيء، وهو حاجته الأولى والأخيرة، ولا يلتفت إلى غيره - لا تأتي إلا في الكلمة الحاملة لصوت الصاد، وليس الحاملة للسين، الذي طبيعته لا تواكب مدلول الشيخ.

وأجمل ما في اعتماد الشيخ على هذه الكلمة، هو بحثه عن كلمة يدل بها على تعلقه وحاجته الماسة إلى دهليز الشيخ مهولاً، فعثر عليها لتدل على ذلك دلالة دقيقة، لأنه باستعمالها أخذ صورة امرأة نفساء، في بداية وضعها، فهي في أشد الحاجة إلى المأكل والمشرب، فأخذ الصورة بأكملها ليبين للسامع والقارئ مكانة الدهليز في نفسه – بل هو مدرسة المدارس، كما أشار في استفهامه - الأمر الذي لا يجده في استعمال الكلمة بالسين. فقد اعتبر القيمة التعبيرية في الدلالة الصوتية البيانية، تعبيراً عن مقصوده.

ففي البيت الثالث ذكر كلمة: "خلص"، التي من: "خَلَصَ خُلُوصاً وَخَالِصَةً: صَارَ خَالِصاً... وَالْخَالِصُ: كُلُّ شَيْءٍ أَبْيَضٌ" (29). وأما الخَلْسُ بالسين، فتعني: "الكَلَأُ الْيَابِسُ نَبَتٌ فِي أَصْلِهِ الرُّطْبُ فَيَخْتَلِطُ ... وَالْخَلِيسُ: الْأَشْمَطُ وَالنَّبَاتُ الْهَائِجُ وَالْأَحْمَرُ الَّذِي خَالَطَ بِيَاضَهُ سَوَادٌ، ... وَالْخِلَاسِيُّ بِالْكَسْرِ: الْوَلَدُ بَيْنَ أَبْوَيْنِ أَبْيَضٍ وَأَسْوَدٍ..." (30). فلما اشتركت الكلمتان في الدلالة على البياض استعمل الشيخ: "خلص" التي بالصاد، لأن الدلالة الصوتية فيها تتماشى مع غرضه الذي يرمي إليه في البيت؛ ولأن البياض الذي في دلالة: "خلص" لا يفي بمقصوده البتة؛ وذلك للدلالة على عنصر شابت أصله مادة تفقده الخلوص.

فلما وصف الشيخ السادة الذين حازوا العلوم من دهليز الشيخ مهولاً بمصاييح في أقطارهم، أراد أن يبين نور هذه المصاييح، فأشار إلى أنه بياض نقي خالص، فاستعمل لذلك: "خلص" بالصاد؛ لأن الدلالة الصوتية فيها أقوى من التي بالسين، لذلك النقص الذي في بياضها الذي شابه شكل آخر. إذن، فالشيخ أحسن توظيف القيمة التعبيرية ذات الدلالة الصوتية البيانية؛ ليؤدي رسالته، اعتماداً على طبيعة الصوت.

وثمة دلالة صوتية وافانا بها الشيخ في حرف الطاء، بعنوان: محبته للقرآن والقراء، حيث يقول(31):

محبته للقارئ كثيرة يصدقني في دعوتي كل من يقظ
نعم هو شيخ للمدارس فلتكن كتاتيبنا منها فما أمرها غلظ
له منهم الأحباب والكل عنده أئمة مجد احتراماً له لحظ
كصاحبه شيخ القراءة رابع أبي الحاج إسحاق الذي راق إذ حفظ
لصارا صفيين صديقين دائماً فما سيم أمرهما بنسخ وما لفظ

فالشاهد هنا في كلمة: "راق" في البيت الرابع، التي تعني: أعجب، تقول: "راق الشيء فلانا روقاً"، أي أعجبه(32). " ... والرّوق من الخيل: الحسن الخلق يعجب الرائي... والرّواق...: المعجب... والإعجاب بالشيء... ومصدر راق عليه أي: زاد عليه فضلاً... والرّوقة: الشيء... الجميل جداً، وبالفتح: الجمال الرائق"(33). فالشيخ استعمل صوت القاف في آخر الكلمة، ولم يستعمل: "راع" التي انتهت بصوت العين، والكلمة تعني: أعجب(34)، وهي من: "الروع" بالفتح، التي تعني: المسحة من الجمال(35). فإذا لوحظت الكلمتان دلالة، يُرى أنهما اشتركتا في الدلالة على الإعجاب، إلا أنه بالنسبة لراق، في كلمة "الرواق" تجد "زاد عليه فضلاً"، وفي "الرّوقة" تجد ذكر: "الجميل جداً"، وبالفتح: "الجميل الرائق"، فالعبارات تدل على أن الجمال الكائن في الشيء المتحدّث عنه زائد، مما يؤدي إلى الإعجاب الزائد به، بخلاف ما في كلمة: "راع"، حيث يوجد كلمة: "الرّوع" الدالة على: "المسحة من الجمال"، مما يدل على أن الجمال الموجود فيها، جمال ناقص إذا ما قورن بالذي في دلالات أختها، فهو إذا لا يدعو إلى الإعجاب المرهف الذي تجده في "راق". فلعل هذا السبب هو الذي دعا الشيخ إلى استعمال "راق" بدلاً من "راع": لأن صوت القاف يعطيه حاجته بخلاف صوت العين. فكأنه يقول: "إن الشيخ رابع - شيخ القراءة -؛ أبا إسحاق - خادم القرآن، رحمه الله - أصبح ذا جمال وحسن فائقين؛ لحفظه كتاب الله عن ظهر قلب، حيث يعجب كل من قابله أو جالسه". فهذه الدلالة لا تأتي باستعمال صوت العين مكان صوت القاف، ومن أجل ذلك لجأ إليه الشيخ، فيقال بهذا إن الشيخ اعتبر القيمة التعبيرية في الدلالة الصوتية البيانية، دلالة على مقصوده.

ويأتينا الشيخ بصور أخرى في حرف الكاف، بعنوان: تدريسه(36):

أرقت وقلبي في تذكر جهده لتدريس أحكام الإله رويدكا
حى الشيخ مهولا جناب إلهه ببث علوم الدين والجهل فتكا
إذا قام عند الوعظ تذرف أعين دموع خشوع والجماهير في البكا
وفي مهيع العرفان إن فاه نافثا تدفق سر من هدى كان ممسكا

#

بمولد خير الخلق للشيخ فرحة نشاط يفوت الحصر حدًا ومدركا

فالشاهد في البيت الأول، والرابع، والأخير. حيث إنه في البيت الأول أتى بكلمة: "تذكر" التي من: "الدِّكْرُ"
بالكسر: الحِفْظُ للشيء ... والاسم: الدِّكْرَى، تقول: ذَكَّرْتُهُ ذِكْرَى ... وما زال مِيَّي على ذُكْرٍ ويكسرُ أي :
تَدَكَّر...، وهو "... خلاف النسيان. وكذلك الذُّكْرَةُ، ... قال كعب بن زهير:

أَتَى أَلَمَّ بِكَ الْخَيْالُ يَطِيفُ ... وَمَطَافُهُ لَكَ ذُكْرَةٌ وَشُفُوفُ (37)

ومنه: "ذَكَّرْتُهُ بلساني وقلبي، وتذَكَّرْتُهُ" ... ويقال: "رجل ذِكَيْرٌ: أي جِيدَ الذِّكْرِ والحِفْظُ ..." (38)

والشيخ لم يستعمل: "تذكر" بالبدال، التي من: ... "ادَّكَّرَ" بالبدال المهملة، أصله: اذتكر، وهو افتعال من
الذكر، قلبت تاء الافتعال دالا؛ لثقلها ولتقارب مخرجهما، ثم قلبت الذال ليتأتى إدغامها في الدال؛ لأن
الدال أخف من الذال... (39)، ومعناها: "تذكر" (40). والذِّكْرُ بالكسر: الذكر، لغة لربيعية. ويقول الليث:
"ربيعية تغلط في الذكر فتقول: ذكر. إنما الذكر بتشديد الدال جمع ذكرة، أدغمت لام المعرفة في الذال
فجعلت دالا مشددة، فإذا قلت: ذكر بغير لام قلت: بالذال المعجمة. والذكر لعبة للزنج والحبش" (41).

فالمعتبر هنا هو أصالة كلمة: تذكر، رغم اتحادها في المعنى مع: تذكر، التي دارت فيها تقلبات (42)؛ لتأخذ
مكان أختها دلالة، ثم إن أختها في أصل وضعها تعني: حفظ الشيء واستحضاره. ثم رأينا أن كلمة: الذكر،
من أغلاط بني ربيعة، ثم إن الدال أخف من الذال. فلربما يكون من حرص الشيخ على الدقة في التعبير
يرى أن الأنسب بالاستخدام هو كلمة: تذكر، لما فيها من التعبير عن مقصوده مباشرة، والحال أنها تحمل
الصوت الأقوى من الدال. وهذا يكون قد اعتبر دور الصوت وطبيعته في الدلالة الصوتية. فكأنه بهذا

الاستعمال يقول: إنني أحفظ على ظهر القلب وأستحضر دائماً جهد شيعي في تدريس أحكام الإله، وهو لا يغيب عني طرفة عين.

وعند الوقوف على البيت الرابع، يرى الشيخ استعمال كلمة: "تدفق" من: دفع، التي من معانيها: انصب، تقول: " دَفَقْتُ الماءَ أَذْفِقُهُ دَفْقًا، أي صببته ... وَدَفَّقْتُ كَفَاءَ النَّدى، أي صَبَّتَاهُ؛ شُدِّدَ للكثرة. والاندِفاقُ: الانصبابُ، والتَدَفُّقُ: التصبُّبُ. وسيلٌ دُفاقٌ بالضم: يملأ الوادي. وناقَةٌ دِفاقٌ بالكسر، أي مُتَدَفِّقَةٌ في السير. والدِفقُ: السريعُ من الإبل. ويقال أيضاً: مشى فلانٌ الدِفقى، إذا أُسرِعَ. وسيراً أَذْفَقُ، أي سريعٌ ... ويقال: جاء القوم دُفقَةً واحدة بالضم، إذا جاءوا بمِرَّةٍ واحدةٍ". ولم يستعمل الشيخ: " تدفع " التي من دفع، ومن معانيها: أسرع في السير، تقول: اندفع الفرس، إذا أسرع في سيره، والدَفْعَةُ بالفتح: المرَّةُ الواحدة، والمدْفَعُ: واحد مدافع المياه التي تجري فيها، والدُقَّاعُ: السيلُ العظيمُ"(43).

وبملاحظة ما في دلالة اللفظين يفهم أنهما يدلان على: السير السريع، والمرّة الواحدة، والسيلان؛ مما يدل على علاقتهما بالمياه، ولكن الفارق الموجود بينهما هو: أن " تدفق " انفردت بالدلالة على الانصباب، والامتلاء، والكثرة، فربما هذا هو الذي دعى الشيخ أن يستعملها بخلاف: " دفع "؛ لأنه في طريقه إلى الإشارة على أن شيخه: تتصبب منه أسرار من الهدى بكثرة، وبسرعة، كلما أراد أن يفوه بالعرفان في موقف بيانها، فتمتلىء بها صدور الحاضرين والمستمعين، مما لا يجده لو استعمل: " تدفع " بالعين. وفي "تدفق" سهولة الانسياب، وأما "تدفع" ففيها العنف والقوة، التي لا تناسب أخذ العرفان، فأثر لذلك الكلمة الحاملة لصوت القاف؛ لتأديتها مقصوده، فيكون بهذا اعتمد القيمة التعبيرية في الدلالة الصوتية.

وإذا جيئ إلى البيت الأخير، يرى أن الشيخ استخدم كلمة: " يفوت "، وكلمة: " حدا "، فهنا يستدرك على الشيخ؛ لأنه لو استخدم كلمة: " يفوق " مكان: " يفوت " لكان أحسن، فيكون قد وفق في اعتبار القيمة التعبيرية في الدلالة الصوتية؛ وذلك أن معنى: فات، يفوت، فوتا، وفواتا: مضى، تقول: فات الأمر، أي مضى وقته ولم يفعل. وتدل الكلمة أيضا على السبق في الأمر، تقول: فات فلانا في كذا، وبكذا: سبقه فيه، كما تدل على: التباين في الفضل، يقال: تفاوت الرجلان، أي تباينا في الفضل"(44). "وفاته الشيء

أعوزه" (45)، "وتقاوت الشينان، أي تباعد ما بينهما" (46). و"التفاوت الاختلاف في الأوصاف، كأنه يفوت وصف أحدهما الآخر" (47).

وأما: يفوق، فتعني: "يعلو"، و"يزيد"، تقول: "... فاق الرجل أصحابه يفوقهم، أي علاهم بالشرف" (48). ويقول الفيومي: "فوق ظرف مكان نقيض تحت، وزيد فوق السطح، وقد استعير للاستعلاء الحكمي ومعناه الزيادة والفضل فقبل العشرة فوق التسعة أي تعلق، والمعنى تزيد عليها. وهذا فوق ذلك أي أفضل. وقوله تعالى (فما فوقها) أي فما زاد عليها في الصغر والكبر، ومنه قوله تعالى: (فإن كن نساء فوق اثنتين) أي زائدات على اثنتين... (49). نعم بتأمل معاني الكلمتين يرى أنهما اشتركتا في الدلالة على التباين في الفضل، والاختلاف في الأوصاف، ولكن الدلالة التي يريدها الشيخ، ومقصوده يظهر أكثر في الكلمة التي تحمل القاف، خلاف أختها الحاملة للتاء؛ لأنه فيما يبدو، يريد أن يشير إلى أن شيخه القلنسوي له فرحة بمناسبة ذكرى مولد خير الخلق أجمعين، عليه أفضل الصلاة والتسليم، ونشاط يجاوز، ويزيد، ويفضل، ويعلو الحصر في العدد، فهذه الدلالة لا تأتي في: "يفوت الحصر"، إلا في: "يفوق الحصر".

وعلى الطرف الثاني في استعمال: "حدا"، لم يوفق الشيخ - على حسب ما يراه الباحث - على اعتماد القيمة التعبيرية في الدلالة الصوتية البيانية؛ لأن كلمة: "الحدا، تعني: الحاجز بين الشيئين. وحدا الشيء: منتهاه. تقول: حددت الدار أخذها حداً ... والحدا أيضاً: المنع، ومنه قيل للبواب: حداً. ويقال للسجان حداً؛ لأنه يمنع من الخروج ... قال الشاعر (50):

يقولُ لي الحَدَّادُ وهو يقودني ... إلى السِّجْنِ لا تَجْزَعُ فما بك من باسٍ

وبالنظر إلى دلالة الكلمة يرى أن الأنسب بالذكر في المحل هي كلمة: "عدا"؛ لأنها من: "عددت الشيء، إذا أحصيته، والاسم العدد والعديد، يقال: هم عديد الحصى والثرى، أي في الكثرة. وفلانٌ عديد بني فلان، أي يُعدُّ فيهم. وعدده فاغتند، أي صار معدوداً. واعتد به. يقول لبيد:

تطيرُ عدائدُ الأشرارِ شَفْعاً ... ووثرأ والزعامَةُ لِلْغلامِ

يعني من يُعادُهُ في الميراث ... (51).

فإذا كانت: حدا، تدل على: الحاجز بين شيئين، ومنتهى الشيء، والمنع، فيعني أن نشاط شيخه القلنسوي في مناسبة ذكرى مولد النبي صلى الله عليه وسلم: محجوز، ومنتهى، وممنوع. والشيخ - أبدا بدون شك - لا يقصد ذلك، وإنما يقصد: أن نشاط شيخه في المناسبة الشريفة متواصل لا حد له، بل قد جاوز الإحصاء والحصر، ولا نهاية له في الكثرة. إذا الكلمة: " عدا " هي التي تتماشى مع كلمة: " الحصر " التي ذكرها الشيخ في البيت، لا كلمة: " حدا " التي أوردها معها، فلو فعل هذا يكون قد راعى القيمة التعبيرية في الدلالة الصوتية البيانية - والله أعلم -.

الخاتمة

القيمة التعبيرية للدلالة الصوتية تأتي من جراء تحولات وتبادلات الصوت مكان صوت آخر بين كلمتين، فتشترك الكلمتان اللتان وقع التحول الصوتي بينهما في بعض الدلالة والمعنى، فيكون للصوت دور فعال فيما استمدته كل كلمة من الكلمتين. فهذه الورقة تؤكد وجود ذلك في إنتاجات الشيخ محمد قن الغسوي، متخذة نماذج من ديوانه: "جوهرة الرثاء وشاشة أهل الصفاء"، في تاريخ ومدح شيخ الفقهاء، وتاج الأدباء والعلماء؛ الشيخ الحاج عثمان القلنسوي، النيجيري الكنوي، المالكي الأشعري التجاني، المتوفى في يوم الجمعة: 6 من شهر ذي الحجة، سنة 1407هـ، حيث أورد الباحث السيرة الذاتية المختصرة عنه، والتعريف بالديوان. ووضحت المقصود بالدلالة الصوتية، مع الإشارة إلى انتباه القدامى من اللغويين عنها، ثم ذكر أمثلتها.

وبعد ذلك أوردت الورقة بعضاً من الأمثلة الكامنة في الديوان مع تحليلها، حتى يتسنى للقراء الكرام الوقوف، والتأكد من وجود الظاهرة في الديوان.

وتوصلت الورقة إلى النتائج التالية:

- للشيخ محمد قن الغسوي تمكن، وترسخ في أسرار اللغة العربية.
- وظف الشيخ ظاهرة الدلالة الصوتية في توضيح مقاصده في الديوان.

- وفق الشيخ في أكثر الأماكن - على حسب النماذج المذكورة - التي استخدم الأصوات دلالة عن مقاصده.

- عثرت الورقة على مثالين لم يوفق الشيخ في الظاهرة - على حسب اطلاع الباحث -.

وعلى هذه المحاولة البسيطة التي قام بها الباحث، يوصي نفسه والإخوة الباحثين، وطلاب العلم بدراسة، وتتبع إنتاجات علمائنا الأجلاء في مجتمعاتنا النيجيرية عامة، والكنوية خاصة؛ لاستخراج العلوم والمعارف الكامنة فيها، من لغوية وغيرها، حتى تعم الفائدة. والله ولي التوفيق، والهادي إلى سبيل الرشاد، والحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع، والهوامش

- 1- مدينة غسو (Gusau) الآن هي عاصمة ولاية زمفرا (Zamfara)، وكانت سابقاً تابعة لولاية سكتو (Sokoto).
- 2- غرب أحمد سوداوا: دراسة تحليلية للنصوص المختارة من إنتاجات علماء كنو الأدبية، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية من قسم اللغة العربية جامعة بايرو كنو، 1988م، ص: 82.
- 3- أحمد محمد ثالث: صور من التشبيه في أشعار بعض علماء كنو، بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير، من قسم اللغة العربية، جامعة بايرو، كنو، في عام 2002م، ص: 58.
- 4- هو عالم من علماء كنو المشهورين، وكان عالماً بارعاً مفسراً في كنو.
- 5- راجع: غرب أحمد سوداوا، المرجع السابق، ص: 83.
- 6- المرجع نفسه، ص: 84.
- 7- أحمد محمد ثالث: مرجع سابق، ص: 63.
- 8- المرجع نفسه والصفحة نفسها.
- 9- كانا معه من عام 1957م إلى يومنا هذا، وأضافا بأن الشيخ عجيب أمره في مسألة الذكاء، ويظهر لك هذا في مجلسه؛ لأن الطالب ولو كان باقلاً في العي سيفهمه الشيخ بطريقة سهلة. راجع عن هذا المرجع السابق، ص: 63 - 64.

- 20- انظر المرجع السابق.
- 21- محمد قن الغسوي: المصدر نفسه، حرف الصاد (دهليزه)، ص: 50.
- 22- محمد بن يعقوب الفيروزابادي: القاموس المحيط، باب السين، فصل النون، المكتبة الشاملة، الإصدار الثالث، ص: 746.
- 23- المرجع نفسه، والصفحة. والدلالة على ابن الأمة أيضا عيب.
- 24- المرجع نفسه، باب الصاد، فصل النون، ص: 817.
- 25- محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الفيروزابادي: القاموس المحيط، شركة القدس للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1430هـ – 2009م، باب الصاد، فصل الخاء (الخرص)، ص: 616 – 617.
- 26- المرجع نفسه، ص: 617.
- 27- يعني بذلك: "الخرسة".
- 28- المرجع نفسه، باب السين، فصل الخاء (الخرس)، ص: 538.
- 29- محمد بن يعقوب الفيروزابادي: المرجع السابق، باب الصاد، فصل الخاء، ص: 796 – 797.
- 30- المرجع نفسه، ص: 697 – 698.
- 31- محمد قن، المصدر نفسه، ص: 38.
- 32- راجع: مجمع اللغة العربية، جمهورية مصر العربية: المعجم الوجيز، مطابع شركة الإعلانات الشؤقية، دار التحرير للطبع والنشر، بدون الطبعة ولا التاريخ، مادة: راق، ص: 282.
- 33- محمد بن يعقوب الفيروزابادي: المرجع السابق، باب القاف، فصل الرء، ص: 908.
- 34- المرجع نفسه، باب العين، فصل الرء، مادة: الروع، ص: 730. و: مجمع اللغة العربية، المرجع السابق، ص: 282. و: أبونصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي: الصحاح في اللغة، ص: 277، المكتبة الشاملة، الإصدار الثالث.
- 35- المرجع نفسه والصفحة.
- 36- محمد قن، المصدر نفسه، ص: 40.

- 37- محمد بن يعقوب الفيروزآبادي: المرجع السابق، باب الرءاء، فصل الذال، مادة: ذكر، ص: 394.
- 38- أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، المرجع السابق، مادة: ذكر، ص: 227، بتصرف.
- 39- ابن عاشور: التحرير والتنوير، الجزء الثاني عشر، ص: 71، المكتبة الشاملة، الإصدار الثالث.
- 40- مجمع اللغة العربية، مرجع سابق، ص: 231.
- 41- محمد بن يعقوب الفيروزآبادي: مرجع سابق، باب الرءاء، فصل الدال، مادة: ذكر، ص: 390.
- 42- ومما يعزز ما يرمي إليه الباحث بعد ما ذكره عن ابن عاشور ما ذكره الدكتور رمضان عبدالتواب، تحت عنوان: التأثير المتبادل: " وهناك نوع آخر من المماثلة الصوتية، يتم التماثل على مراحل، ومن أمثلة ذلك: (أ) تؤثر الذال من "ذخر" في تاء الافتعال من هذا الفعل: اذتخر، فتقلبها دالا: اذدخر ... ثم تؤثر الدال في الذال، فتقلبها دالا: اذدخر... وجاء ذلك في مثل قوله تعالى: (وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم) آل عمران: 49. وقد فطن الزجاج إلى هذا، فقال: " وإنما قيل: تدخرون، وأصله: تذخرون، أي تفتعلون من الذُخر؛ لأن الدال حرف مجهور ... والتاء مهموسة، فأبدل من مخرج التاء حرف مجهور يشبه الذال في جهرها، وهو الدال، فصار: تذدخرون، ثم أدغمت الذال في الدال، وهذا أصل الإدغام، أن تدغم الأول في الثاني". (ب) تؤثر الذال من: " ذكر" في تاء الافتعال من هذا الفعل: اذتكر، فتقلبها دالا: اذدكر ... ثم تؤثر الدال في الذال، فتقلبها دالا: اذدكر ... وجاء ذلك في مثل قوله تعالى: (وقال الذي نجا منهما وأدكر بعد أمة) يوسف: 45. وقد فطن إلى هذا الزجاج كذلك، فقال: " واذكر، أصله: واذتكر، ولكن = التاء أبدل منها الدال، وأدغمت الذال في الدال". راجع: رمضان عبدالتواب (الدكتور): التطور اللغوي، مظاهره، وعلمه، وقوانينه، مكتبة الحانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الثالث، مزبدة ومنقحة، ص: 49 – 50.
- 43- أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، المرجع السابق، ص: 208، مادة: دفع، ومادة: دفع، بتصرف بسيط.
- 44- مجمع اللغة العربية، المرجع السابق، ص: 483، بتصرف.
- 45- أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي، الحموي: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الجزء السابع، ص: 260: المكتبة الشاملة، الإصدار الثالث.
- 46- أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، المرجع السابق، مادة: فوت، ص: 54.
- 47- محمد عبد الرؤوف المناوي: التوقيف على مهمات التعاريف، باب التاء، فصل الفاء، مادة: فوت، تحقيق الدكتور محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، دار الفكر – بيروت، دمشق، الطبعة الأولى، 1410هـ.

48- المرجع نفسه، ص: 55.

49- أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي، الحموي، المرجع السابق، ص: 272.

50- أبونصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، المرجع السابق، مادة: حد، باب الدال، فصل الحاء، ص: 118،
بتصرف بسيط. وراجع كذلك: محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري: لسان العرب، دار صادر، بيروت،
الطبعة الأولى، بدون التاريخ، الجزء الثالث، مادة: حد، ص: 140.

51- المرجع نفسه، باب الدال، فصل العين، مادة: عدد، ص: 450، بتصرف بسيط. وراجع أيضا: محمد بن أبي بكر
بن عبدالقادر الرازي: مختار الصحاح، تحقيق محمود خاطر، مادة: عدد، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، طبعة
جديدة، 1415هـ – 1995م، ص: 467.

العنوان النصي والاستهلال الشعري في ديوان "جنة الأشعار للشاعر لقمان نورالدين الأوبي: دراسة تحليلية تطبيقية لنماذج مختارة

إعداد:

ABUBAKAR MUHAMMAD YAYA

Arabic unit, Department of languages Nigerian Army university,
BiuBorno state Nigeria¹

الملخص:

يعتبر الاستهلال الشعري أول نقط الاتساق التي يَنقُذ بها العنوان إلى النص، والنص إلى العنوان، على المستوى البناء والمستوى التلقي، إذ يتأتى بظهور أول بصيص للألوان الدلالية التي جاء العنوان مُشيرًا ومُعرِّفًا بالنص الموقد لها، سواء أكان العنوان من النوع المراوغ الذي لا ييوح مباشرة بما يقوله النص ولا يتضح إلا بعد الغوص والبحث في معطيات انسجام النص، أم من النوع الصريح الذي يُسَلِّم إنتاجيته فور قراءته. وبمحاولة اتصال الجزء بالكل في أي نص شعري، تحرى النقاد بعضا من مجمل العلاقات التي عادة ما تربط العنوان بنصه الموالي له، وهي علاقتان: "الأولى موضوعاتية دلالية، والثانية لغوية صيغية؛ ففي العنوان قد يجسد ما يراه الشاعر مهيمًا من موضوعات القصيدة أو موحيا بها، كما أنه قد يتضمن كلمات وصيغًا تكون ذات وظائف بارزة في القصيدة، أو تمثل مفاتيح لقراءتها، يشد إليه باقي الكلمات المسهمة في النسيج اللغوي للنص، وذلك بالاحتفاظ للاستهلال الشعري بمزية تناسبه أعلى النص؛ مما يضفي على العلاقة التي تنجلي من حواريته مع العنوان، ويريد الباحث أن يتناول في المقالة بعض النماذج بالدراسة تتمثل في حوارية العنوان

¹ abbakaryaya@gmail.com phone numbers: 07061819921/08022522551

النصي والاستهلال الشعري في شعر لقمان الأووي من خلال هاتين العلاقتين: الموضوعية الدلالية واللغوية الصيغية، مستخدماً في ذلك المنهج التحليلي الوصفي.

ABSTRACT:

The poetic prologue is considered the first point of consistency which implements the relationship between the title to the text, and the text to the title, at the constructive level and the receptive level, as it results in the appearance of the first glimmer of semantic colors, which the title came to be known and known by the burning text of it, whether the title is of the elusive type that does not reveal directly by what the text says, and it is not clear until after diving into the data for the consistency of the text, or of the explicit type that recognizes its productivity upon reading it. By attempting to relate the part to the whole in any poetic text, critics explored some of the overall relationships that usually connect the title with its pro-text, which are two relationships: "The first is semantic topics, and the second is formative linguistic. In the title, it may embody what the poet deems dominant or suggestive of the poem's themes. It may also include words and formulas that have prominent functions in the poem, or represent keys to reading it, and the entire title may be a sentence or a word from the poem, which the poet selects alone because he sees it as a focus or anchor, and the rest of the words that contribute to the linguistic fabric of the text are drawn to him by preserving the poetic prologue with a feature that is relevant to it above the text, which gives the relationship that emerges from his dialogue with the title, The researcher wants to address in the article some examples in the study represented in the dialogue of the textual title and the poetic introduction in the poetry of Luqman Alawi through these two relationships: semantic objectivity and formative linguistic, by using analytical method.

المقدمة:

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، خلق الناس من نفس واحدة، وجعل أسماءهم علماً وعنواناً يميزون به عن غيرهم من المخلوقات، فعنوانهم الناس، واستهل الناس بأدم، فبمجرد إطلاق لفظ الناس، أول من يخطر على بال السامع هو آدم ثم بنيه، يمثل ذلك قيمة حوارية العنوان الإنسي في استهلاله الجنسي.

فنفس الشيء تقلده الأدياء وعلى رأسهم الشعراء، يميزون قصائدهم الشعرية بعناوين تناسب موضوعاتها، يختارون فيها من المصطلحات والعبارات ما يرونه مرتكزا وبؤرة، يشد إليه باقي الكلمات المسهمة في النسيج اللغوي للنص يستهلون بها عند محاولته لربط العلاقة بين العنوان ومضمون النصي عامة والاستهلال الشعري خاصة.

ويريد الباحث في هذه المقالة أن يسجل قيمة حوارية العنوان النصي والاستهلال الشعري في قصائد لقمان الأوبي من خلال النقاط التالية:

-المقدمة

- الشاعر في السطور

- مفهوم العنوان،

- مفهوم الاستهلال

- العلاقات البنائية وأساس تقسيمها:

- العلاقة الموضوعاتية الدلالية، وتحتة:

-العلاقة اللغوية الصيغية، وتحتة:

- الخاتمة وأهم النتائج

الشاعر في السطور:

هو الشاعر الدكتور لقمان بن نور الدين بن أحمد التيجاني الألوبي بن سنوسي بن كوجولا. كان أجداده من مدينة شَاكي في ولاية أوڤو نيجيريا. من أسرة اشتهرت بالعلم، تولى جده الشيخ أحمد الإمامة في مسجد الجامع للمدينة سنة 1982 م لمدة اثنتين وعشرين سنة قبل وفاته، أسس والده معهد العلوم الإسلامية في المدينة. وأمه السيدة الحاجة معينة بنت عبد السلام، ولدت في مدينة شَاكي، بعد انتقال آبائها من بلد إِبُوخُو Igboho وهو بلد قريب من مدينة شَاكي فاستقروا فيها.¹

ولد الشاعر يوم السبت 1975/10/1م² في حارة إِلُوَأُ Ilua compound Ahono. بمدينة شَاكي Shaki تحت حكومة محلية شَاكي الغربية، Shaki west local Gov't ولاية أوڤو Oyo state بين أسرة متدينة وعريقة في الإسلام، من قبيلة يُورُبَا.

نشأ شاعرنا وترعرع في أسرة علمية وبيئة ثقافية مزدهرة في مدينة شَاطِي، تحت كفالة أبويه الكريمين، فنال قسطاً وافراً من العلوم والآداب، حتى أصبح يشار إليه بالبنان، وفي ذلك أثرٌ بالغٌ لتهذيب أخلاقه واتساع مواهبه الذهنية خاصة في الشعر.

عاش الشاعر منذ طفولته مُتَفَوِّقاً على نظائره لرغبته في طلب العلم ومقاربة العلماء، فلما أدرك أبوه قيمة ميوله إلى التعلّم وحده ذكائه أقبل على مساعدته، ببسطه يد المعونة من الزاد لكونه ضروري في الحياة التعليمية.

تلقى دراساته الإبتدائية والثانوية بِشَاطِي من سنة 1982 إلى 1993م.³ ثم انتقل بدراساته إلى جامعة عثمان بن فُودُوي صُكُنُو فحصل على درجة الليسانس والماجستير والدكتوراة في اللغة العربية وآدابها من سنة 1995 إلى 2011م.

وأخذ العلوم عن علماء أجلاء أمثال والده الشيخ نور الدين، وعمّه الشيخ سليمان الأُوَيِّي، والشيخ أحمد القَرَوِي، والشيخ تاج الدين في المعهد الثقافي المصري، بِلَاغُوس.

وتربى الشعر، فلا عجب أن يتطور إحساسه لملازمته الأدباء يتذوق ما يصدر عنه، فكثيراً ما يردّد أبياتاً أعجبت عند أبيه.

وتتلمذ عنده كثير منهم: داوود صالح، وأرمياء الأُوَيِّي، وسكينة جُمُعَة، ورحمة، تخرجوا من الجامعات وتخصصوا في اللغة العربية أو الدراسات الإسلامية.

- ومن إسهاماته في نشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية:

- النونية الكافية في علم البيان، وهي منظومة في 120 بيتاً.
- النونية الشافية في علم البديع، منظومة في 194 بيتاً.
- بين يدي المصير: مسرحية سياسية واجتماعية.
- شعر المناسبات في مدينة شَاطِي، بحث لنيل شهادة الليسانس 1999م
- التصوير الفني والبلاغي في ديوان الإمام الشافعي، رسالة الماجستير 2005م.

- رسالة الدكتوراه "صور من البديع النبوي في أحاديث سنن الترمذي" 2011م.

ب-ديوان الشاعر:

- فديوان جنة الأشعار عبارة عن مجموعة من القصائد الشعرية ذات قيمة فنية للدكتور لقمان الأديبي، تبلغ عدد قصائده 65 قصيدة في 784 بيتا، أصدرها الشاعر في مختلف الأغراض الشعرية والمناسبات، ولم يزل الديوان مخطوطا، حصل الباحث عليه عن طريق التصوير، وله 103 صفحة، وقد أجاد الشاعر القصائد، وأظهر تجربته الشعرية ومهارته الأدبية وكذا تمكنه في فن القول، أضف إلى ذلك قدرته الفائقة في استخدام كثير من الأساليب العربية المتنوعة.⁴

مفهوم العنوان:

إن العنوان بنية دلالية مقتضبة، تتواشج مع العمل الذي تُوسم به، وتظهره إعلامياً وإشارياً، وهي مأخوذة من (عنو) ومن معانيها: "عنوان الكتاب عنوانه كتب عنوانه، وكلما استدلت بشيء يُظهِرك على غيره فعنوان، فالعنوان تشير ضمن ما تدل عليه إلى تمييز ظاهره على باطنه ليكون قادراً على حمل هويته وتعيين النوع بما يفي في الكشف عن كنهه.⁵

فالعنوان شكل من أشكال التعريف بمحموله، الذي أنجز لأجل التدليل عليه، ولأجل التخصيص به، وهو بكونه ناجزًا أوليًا يسبق ما يمثله ظاهريًا؛ فإنه يُستثمر لفك مغاليق ما عنون به، ويُستثمر لمحاورة وعي المتلقي وإثارة ما تستدعيه ذاكرته، وما تستشرفه آفاق التوقع والنبوءة لديه.⁶

الاستهلال:

قام العلماء في تدوينهم المعاجم اللغوية بدور فعال في استقراء عما يعبر تحت مادة الكلمة التي يشتق منها "هَلَل"، والمتصفح لكتب التراث الأدبي النقدية والبلاغية والمعجمية، يجد له فيها من بسط القول ما يفي بالكشف عن كنهه، منها ما يلي:

يقول ابن منظر "هَلَّ السحاب المطر، وهل المطر هلا، وانهل المطر انهلالاً واستهل المطر وهو شدة انصبابه ... واستهلت السماء في أول المطر، والاسم الهلال.⁷ وقال غيره: أَهَلَّ السحاب إذا قطر قطراً له

صوت، وانهلست السماء إذا صببت، واستهلست إذا ارتفع صوت وقعها، واستهل الصبي بالبكاء: أي رفع صوته وصاح عند الولادة، وكل شيء رفع صوته فقد استهل.⁸

يبدو مما سبق أن عدة معان تبلورها السياقات اللغوية لمادة (هَلَّ)، منها الوجود من العدم، والتتابع دون انقطاع، أما عند اقترانها بحروف الطلب، (ا، س، ت، فإنها تختص بالإدلال على أولاً لظهور المسموع كما في أساس البلاغة: "أهلّ الصبي، واستهل إذا رفع صوته بالبكاء، وانهلست السماء بالمطر واستهلست وهو صوت المطر"⁹

وهكذا تتفق المعاجم اللغوية في أن مادة (هَلَّ) أو (هَلَّل) تدل على البدء، شأنها في ذلك شأن مرادفاتها الأخرى مطلعاً ومقدمةً وابتداءً، ولقد تنبه لذلك المنظرون لهذا المصطلح؛ إذ يقول الدكتور حسن إسماعيل بعد أن عرض لتناوب حضور هذه المفردات المترادفة في كتب النقد الأدبي: "هذه التسميات على الرغم من تعددها اللفظي تعني شيئاً واحداً على مستواها التلقي وهو البدء."¹⁰

أما الاستهلال الشعري يعتبر أول الخيوط الناظمة للقصيدة قالباً ومضموناً، مع الإقرار باستواء العناصر البنائية للقصيدة في تحقيق الأثر المنشود الذي يتوخاه الشاعر.¹¹

العلاقات البنائية وأساس تقسيمها:

يتضح مما سبق أن الاستهلال الشعري هو أول نقطة الاتساق التي ينفذ بها العنوان إلى النص، والنص إلى العنوان، على المستوى البناء والمستوى التلقي، فاجتهد النقاد خلال محاولاتهم لاتصال الجزء بالكل في أي نص شعري، واستكشفوا عن علاقته من مجمل العلاقات التي عادة ما تربط العنوان بنصه المواليه، وهي: الموضوعاتية الدلالية، واللغوية الصيغية؛ وتتميز العلاقتين على النحو التالي:

-العلاقة الأولى: دلالية موضوعاتية:

يعنى بها التصورات والمعطيات الدلالية للمستوى التأويلي الذي يُشيعها العنوان في الاستهلال الشعري، وذلك بمعية مُصاحباته الموضوعية ذات الحضور المباشر أو الضمني، وتقوى هذه العلاقة بينهما، لأن العنوان علامة تعلق الاستهلال، وعتبة محيطية تمهد للنفذ إليه، وتتمثل في التكرار الدلالي.

-العلاقة الثانية: لغوية صيغية:

وأما علاقة الغوية الصيغية: فمن خلالها يُبحث عن مظاهر الاشتراك الصيغي بين العنوان والاستهلال؛ لكون العنوان علامة لغوية تتناص مع الاستهلال معجمياً، ولا تكون هذه العلاقة بمعزلٍ عن العلاقة الأولى، بل تقوم الحوارية بين العنوان والاستهلال عليهما معاً، ولكن بتفاوت في المستوى والدرجة، فالعلاقتان تنتميان إلى حقل واحد وهو التناسية، وليستا من الحقل الآخر الذي يَدْرُس الوحدة مستقلة، والمعيار الذي تم على أساسه التقسيم، إنما يتمثل في كون العلاقة الأولى انسجامية، والعلاقة الثانية اتساقية¹². وتندرج تحت هذه العلاقة التكرار الجزئي والتكرار الإيقائي.

التكرار الدلالي:

وهي عبارة عن التصورات والمعطيات الدلالية للمستوى التأويلي الذي يُشيعهُ العنوانُ في الاستهلال الشعري، بِمَعْنَى مُصَاحِبَاتِهِ الموضوعية ذات الحضور المباشر أو الضمني، ومن التكرار الدلالي في الديوان قصائد بعانوين التالية:

1- أيلان في يوم:

| | | | | | |
|--------|---------|---------|---------|--|--|
| تكررت | في | نفسي | وحررت | طويلا * | وأصبح من حوالي أشد ضلولا ¹³ |
| أيلان | في | يوم | ولم أكن | حالمًا * | فما بال عقلي لم أجده دليلا |
| تلاشى | نهاري | فادلهم | ظلامه * | وززعزع ركن اليوم وقتنا طويلا ¹⁴ | |
| تعج | دويا | صبيحة | الريح | صرصرًا * | فخفت من الله علينا وبيلا ¹⁵ |
| تقطعت | الأغصان | وانهار | سوقها * | ورجت مباني دارنا لتميلا | |
| بحادثة | ذكرى | الحوادث | جدة | بذا ذكر عاد ليس قال وقبلا | |
| ولما | سمعت | الرعد | يرسل | صوته | ويومض برق المزن منه رسولا |

مما هو جدير بالذكر أن هذا العنوان يثير عددا من التساؤلات لدى القارئ، تتمثل في من هو المخاطب؟ وما المراد بالليلين في يوم، وما الذي ادعى الشاعر إلى هذا الاحتمال؟ وهل ممكن وجود الليلين في يوم، أم وجد الشاعر نفسه في حالة الإرتباك والتحيّر لمصاب أوقع به، وهل عادت نفسه إلى اطمئنانها العادي بعد؟ كل ذلك من الاستفهامات التي قد تضطرّ نفس القارئ إلى استيضاحها.

وبالتالي أخذت وحدة الاستهلال بتخطيط الحَلِّ والبيان لهذه الاحتمالات لارتباط مدلولها بمضمون العنوان، فحدد في الوحدة أنه يخاطب نفسه المتحيرة والمدهشة، والسبب في هذا الارتباك حادثة غريبة لم تشاهدها عيناه قط في الحياة، ويكنى بالاستفهام الذي تبني عليه العنوان عن تحويل هيئة صورة النهار المضئ إلى صورة ليل مظلم، ويتجلى ذلك من خلال جملة الفعلية التي من دلالاتها الإشارة إلى التجدد للأحداث في زمن معين، تُوضّحها الأفعال الواردة فيها، مثل: (تلاشى، ادلهم، زعزع، تعجّ، تقطّع، رجّ) لما في هذه الأفعال من دلالات على الحيوية والتنقل مع الوصف المتحرك، ومن خلال أفعال الواردة في وحدة الاستهلال، ما يتصور للقارئ شدة تحيّر الشاعر لهبوب ريح عاتية، وتحويل هيئة النهار المضئ إلى صورة ليل مظلم، وشدة تحرك الريح التي تقلقل أركان المباني والأغصان، فأفرضته إلى هذه الاحتمالات كأنه في عالم الأحلام.

واشتغل بذكر أحداثها المدهشة من زوال ضوء النهار يعقبه ليل مظلم، ثم ارتجاج الأبنية وقطع الأغصان، كل هذه كتمهيد لجذب عقل السامع في إدراك حقيقة الباعث لهذه الحادثة، فلذا، لم يتجرأ الشاعر إلى تصريح الباعث للحادثة رغم ما اشتاق إليه القارئ، وأخيرا تعرّض به في أسلوب سردي خفي في آخر وحدة الاستهلال ليكنّيه في أسلوب تضميني أو اقتباسي، حيث قوله:

بحادثة ذكرى الحوادث جدة * بذا ذكر عاد ليس قال وقبلا

ب - "النورسي":

| | | | | | | | | |
|-------|--------|----------|--------|--------|------|----------|-------|--------------------|
| خدموا | الفنون | وللمعارف | جاؤوا | فبنوا | لها | صرحا | وتم | بناء ¹⁶ |
| تركوا | المتون | على | أصالة | وبها | لضرب | الطالبين | أضأوا | |
| طاروا | وساروا | خدمة | لمعارف | شهدت | بذاك | مهامه | بيداء | |
| فمضوا | إلى | دار | الخلود | وخلفوا | خير | التراث | لهم | سنا |
| | | | | | | | | وسناء |

وفنوا ليبقوا بالتراث لسرمد هميات أن يفنوا وكيف فناء
هميات أن يفني الأديب بفكره كيف الممات إذا استدام بقاء
يرثي المداد وللبراع أنينه فبدا على وجه الفنون بكاء¹⁷
يا نورسي ويا بديع زماننا لك من هداك مدائح وثناء

استهل الشاعر قصيدته بمحاولة إظهار ما خطر على باله من دور فيّاض قامت به هذه الشخصية (النورسي)، فأغلبه الشعور إلى أن يسجل هذا الشعور في نظم شعري، بل جعل اسمه عنواناً للقصيدة، وخاض في تسجيل مناقبها وأدوارها بعبارة فاضت على قريحته "خدموا الفنون، جاءوا للمعارف، بنوا لها صرحاً، طاروا وساروا" في جمل فعلية وخبرية قاصد بها المدح والثناء، وتقدير قيم لإسهامات الممدوح في تدفّع عجلة الفنون العلمية إلى الأمام، فهذه الأساليب تُفرض المهابة والإقناء لشرف الممدوح في نفس القارئ.

ودلالات الاستهلال بحواريته مع العنوان يبتّ قيمة اتساع هذه الإسهامات وما أخلفه الممدوح من التراث القيمة للإنتفاع بها، فخلد تذكره من بين المتأخرين.

وتشير هذه التعبيرات أيضاً على مدى رؤية الشاعر لمن جاء العنوان محددًا له "النورسي" بالتشرف والشمائل، لذا لم يتجرأ على امتداد وحدة الاستهلال في التلقظ باسمه مباشرة إلا في المقطع الثاني، وذلك بعد أن ألفت قلوب السامعين وتجنّس في اقناعهم على تشرف هذه الشخصية، صرح باسمه هناك في أسلوب نداء لطيف "يا نورسي" فهذا التمهيد وما يمزج به من الجمل المديحة تبيح للقارئ قيمة ارتفاع الحوار بين العنوان ووحدة الإستهلال، وتمكنت دلالة الشاعر للوصول إلى مرماه.

ج- ياتربة الصحراء

يا تربة الصحراء في حواك والقلب مشغوف بحلي ثراك
منك البطولة والرجولة كم فتى قوته طبعا بفضل قواك
تبدين في كل العصور عباقرا وبك الملاذ لمن أتى لحماك
فلقد كفاك العلم خصبا زاهيا لو كان ويل قد جفا وقلاك
قالوا قسوت حرارة وبرودة قلت القساوة فهما لعداك
أو ليس بالحر الشديد نفيت من رام الحلول ليستزل علاك

وأبدت بالبرد الضروس جميع من نصبوا الشباك أتيها بفكاك
وكفيت بالريح العقيم حماية من بطش طاغ ذي سلاح شاك

استهل الشاعر قصيدته بتكرار لفظ العنوان "ياتربة الصحراء" برمته في الوحدة الاستهلال، وذلك في أسلوب نداء رقيق، حيث أسند المضاف (تربة) إلى الصحراء مسبقاً بياء على ما كان من عادة الشاعر، فكثيراً ما يستخدم هذه الأساليب في قصائد الديوان، في جعل ما تدور عليه رحي النص وبؤرته علامة يُعْنُونُ بها النص ويستهل بها معاً، لتمنحها التكرارية مشهدية تامة ووجوداً مكانياً، واستثنائية دلالية تنبهها أداة النداء التي تسبقها، والتي تفيد استقبال المخاطب لينتبه نحو المتكلم، لتتضح بين يديه صفات البلد الموصوف (زاكي)، وتبرز مدى شوقه وحنينه إليه، وما تشرف به البلد لاستيطانه أعزة من الشخصيات العلمية العباقر، ثم نشاط علي متوفر بين سكانه، مما يبدوا قيمة حوارية العنوان والاستهلال الشعري، حيث طابق العنوان استهلال القصيدة في مدلولها ومحورها.

-العلاقة الثانية: لغوية صيغية:

ويُبحث من خلالها المظاهر الاشتراك الصيغية بين العنوان والاستهلال؛ لأن العنوان علامة لغوية تتناص مع الاستهلال معجمياً، ولا تكون هذه العلاقة بمعزلٍ عن العلاقة الأولى، بل تقوم الحوارية بين العنوان والاستهلال عليهما معاً، ولكن بتفاوت في المستوى والدرجة، لكون العلاقة هنا اتساقية، ويندرج تحت هذا النوع: التكرار الجزئي والتكرار الإيقائي:

التكرار الجزئي:

فالشكل الأول من هذا القبيل هو: التكرار الجزئي للعنوان في الاستهلال، حيث يحاول فيه الشاعر اختيار ما يراه بؤرة أو مرتكزا يشد إليه باقي كلمات القصيدة، قد يكون الجزء المورد في الاستهلال كلمة من العنوان أو شبه جملة حسب طول العنوان أو قصره،¹⁸ كما ورد في:

1- "على بوابة الأقصى":¹⁹

إن كنت تسمع يا أخي فليباً هيا إلى الأقصى الحرام وفودا
قم شاهراً ويل السلاح محارباً أرسل قنابل للهود بريدا

نكثوا اليهود وليس ذلك بمعجب إن اليهود لناكسون عهدوا
يا قدس فانطق بالنضال مطالباً ثار الدماء جرين فيك شديدا
عقدوا اللواء ليسلبوك تخلدا عزما على أن يمنعوا التوحيداً
عرفواك موطن ذلهم فتقلدو كل الصلاح ليغصبوك خلودا
لطخت بالعدوان دمعا ساخنا يجري بحولك طاهرا محمودا
هيات هدم البيت وطده الذي في صنعه قد قدر التخليدا

لم يتكرر من العنوان في وحدة استهلال النص بشكل واضح سوى مفردة (الأقصى)، أما كلمة "على" الواردة في العنوان فاسم فعل أمر بمعنى إلزم إنما تجسدت في أسلوب السرد الوصفي المعبر عنها بغزارة الأفعال الأمرية في الوحدة الاستهلال، المتمثلة في: (لبين- هيا-قم-أرسل) فصار حضور هذه الأفعال في وحدة الاستهلال يفهم من خلال سياقاتها مضمون "على" أن الزم هذه الأوامر لإنقاذ مسجد الأقصى وتقديسه من قدرات المشركين، فقامت الأفعال الأمرية مناب القطعة "على" واستغنى الاستهلال لهذا السبب عن حضورها.

وأما كلمة (الأقصى) فحضورها أمر ضروري لكونها موضوع السرد الشعري في القصيدة، حيث تبنى الشاعر حكاية السرد عليها، واستقبل وفود المسلمين من جميع آفاق العالم بقذف رصاصاتهم الحربية والقنابل المفدعة على اليهود الخداعين، الذين نكثوا العهد وسفكوا الدماء، وأسلبوا حكمه على أيدي المسلمين. وهذه دلالة قاطعة تضيح مدى تحير الشاعر وشدة حاجته في استجابة الإخوة للأمر المطلوب، مع شدة تعصبه بالمسجد الأقصى الذي بورك حوله من فوق السبع السماوات.

ثم كلمة "بوابة" لم تحضر في وحدة الاستهلال، ولعل السر في ذلك راجع إلى كونها في العنوان بنسبتها إلى الأقصى تقع كمجاز، يتمثل في ذكر العام بعد الخاص، وتعني "الباب" في أبسط تصور لها مدخل كبير لمكان مبني ومنه المسجد الأقصى، فهي إذاً جزء من المسجد، وتعبير الشاعر بها إنما يريد المسجد نفسه، فلذا تغافل عن تكرارها، واكتفى بذكر الأقصى الذي يمثل موضوع السرد الشعري في القصيدة. ومن ذلك قضية بعنوان:

3- غموض العوامة

تحيرتُ في كلمة مُهيمَة وأرجو بيئاً على العوامة

| | | | | | | | |
|--------|-------|--------|---------|--------|-------|-------|--------------------------|
| أنى | لفظها | خائئاً | صرقنا | وفي | فهمها | عقدة | مُظلمة |
| ترامت | وشاعت | | علفكرنا | ولاحث | لفكري | بها | مشامة |
| وقد | ساسها | أمة | طاغية | أظلوا | علينا | بها | مَعْتَمَةٌ ²⁰ |
| أنى | الغرب | في | جوره | ثانياً | وراء | ستار | بذى |
| دَعُوا | دعوة | بطئها | باطل | بصوت | مُجِى | فلبّت | أمة |
| إلام | نُدير | الهدى | بالغى | علام | رضينا | بذى | المُظلمة |

وأحيانا ما يأتي العنوان لإثارة خيالا لقارئ واستفزاز فضوله؛ فكثيرا ما يبدو العنوان لأجل ذلك غامضا، ثم يُلْتَقَت إلى الاستهلال الواقع كالجسر الأول الذي يربط بينه وبين النص، في محاولة لبدء عملية تأويل العنوان وفهم نصيته، وتكون النتيجة هي أن الاستهلال يشترك مع العنوان في التصريح بالدلالة.²¹ والشاهد على ذلك حوارية العنوان والاستهلال الشعري في هذه القصيدة، حيث يبدو جليا عدم تكرار الشاعر للعنوان في الاستهلال إلا الجزء الخاص منه وهو (العولمة)، بينما الجزء الآخر المتمثل في (غموض) لم يصدر به لفظيا على سبيل ماتفرضه مناسبة القصيدة، والتي كتبها لإظهار تحسره على التباس الغربيين في تفسير المصطلح "العولمي"، المعتبر كمصطلح حديث يُراد به: جعل الشيء عالميا أو دولي الانتشار في مده أو تطبيقه، وهي عملية يتم من خلالها تعزيز الترابط بين شعوب العالم في إطار المجتمع بتضافر جهودهم معا نحو الأفضل، والتي تتمثل هذه العملية أيضا مجموعا لقوى الإقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية والتكنولوجية،²² فاخترى الغربيون وراء هذا الغموض خداعة قصدوا به نحو الدول الإسلامية خاصة والعالم عامة.

فبمناسبة النص أفضل الشاعر احضار جزء من العنوان بحرفيته اللفظية خاصة اللفظ "العولمة" في الوحدة الأولى، لتحقيق ظاهرة استمرارية بين العنوان والاستهلال، أما الجزء الآخر (غموض) فقد تجسد في أسلوب السرد الوصفي المعبر عنه بمحذوف مقدر في (كنت) مثل: كنت "تحيرت في كلمة مهمة وأرجوا

بيانا عن مفهوم العولمة" وصارت ملحوظة تفهم ضمن تعبيراته، بخلاف (العولمة) التي صار تكرارها أمرا ضروريا.

التكرار الإيقاعي

والشكل الثاني من هذا النوع هو التكرار الإيقاعي للعنوان، ويقصد به الجو الموسيقي المتناغم، بين تفعيلية العنوان مع أصوات حروفه وبين وحدة الاستهلال،²³ ومن العناوين التي تتمثل هذه الظاهرة مايلي:

1- مات ابن باز

الحنن أدمغني والرزء أرغمني * بنعني موت ابن عبدالله بن باز

أه لفقد فريد العصر كيف أرى * حقيق مرثية في مثل أرجازي

فكيف أرثي الذي نالت جناوته * حضور نخبة دنيانا لإعزازي

ونخبة المملأ الأعلى مشيعة * واهتز علم الورى من دون إهزاز

بيكيك شعري معي إذ كنت مكتئبا * وصدر شعري ينأى وفق أعجاز

فصرت مرتكبا والشعر مبتعدا * لذا رأيت قريضي غير ممتاز

وقد بكى الفقه ثغرا في مسائله * ويشتكى فرجة من دون إجهاز

تطرح وحدة الاستهلال أكبر من إشارة تشدّ إلى العنوان (دلالة صيغية بالتكرار التام والتكرار الإيقاعي)، ومهم دراسة الباحث في هذا المطاف عن التكرار الإيقاعي، بما يوفر من نغمة موسيقية بين مفردات وحدة الاستهلال، (أرجازي، إعزازي، اهزازي) التي تتوافق مع العنوان في صيغة" بنبازي" الصرفية على وزن "مفعالي" والوزنية "فَعْلُنْ"، بل حتى في فونيم الزاي الرخو المهموس المتصف بالهدوء والسكون، حيث يناسب حالة الشاعر المغضبة الكئيبة عند نزول مصيبة لنعي المفقود، فهي مؤثرات لها إيقاعية خاصة تتحوّل إلى دلالات إيحائية، وتخدم عملية التواصل بين العنوان والاستهلال، وتفيد تماسكهما وتناغمهما. فيجد القارئ في صوت الزاي المتصف بالهدوء والسكينة لرخوته من الترابط والانسجام مع حالة الشاعر المضطربة بنعي موت ابن باز، فهي حالة تمتلئ بالحنن والتحير وتوجب الهدوء وعدم التحرك عند نزولها لشدة الغضب في المفقود، اختاره الشاعر لتسمح له الفرصة في إبراز حالته المرتعشة، والتي تتطلب الهمس والهدوء لإظهار الحزن والشكوى للمصائب التي أوردتها خلال مفرداته لوحدة الاستهلال في القصيدة، مثل: (الحنن، أدمغني، الرزء، أرغم، أه). وقصيدة بعنوان:

2- نسيان الأُمس

تعلمنا الحوادث كل درس * فيعقمها لتنعيم ثم ينسي
فنسرع في مطامعنا ونرعى * ونغفل عن مصائبنا بأُمس
أترتعد النفوس على المنون * وينكسر التصلب حول رمس
وتنسكب الدموع على تراب * ويصدع في الرزية كل رأس
فنمسي في ملاعبنا سراعاً * كمنقب للنداء بدق جرس
إذا ما نحن ندرس ثم ننسي * فيا ويل العقول إذا بدرس
فخير الوعظ ما ثقفته نفس * ولم تذهب زواجره بفلس
وخير النفس ما صانت هداها * فعض على صيانتها بضرس

تنبتّ الحوارية الإيقاعية بين العنوان والاستهلال في هذا النص لتكرار تفعلة "فعولن" التي يختتم كل شطر بما هو على منوالها، مثل: (مَ يُنْسي، بِأُمسي، لُرْأسي) وجاءت على صيغة "فَعْلُن" الصرفية مثل: يُنْسي، رُمسي، كما أن حرف السين يتكرر بغزارة في نهاية كل سطر، وهذا التماثل في حقيقته توليف نغمي ودلالي، يوحي مدى تحير الشاعر لقيمة تخبط الناس في كثرة التغافل والتناسي على تجربات الحياة وخبراتها.

وتضيق حقيقة ما في نفس الشاعر من الألم النفسي الداخلي والانكسار، فأنت القافية فيها مهموسة ومكسورة (ينسي) تلائم حالة النفسية للشاعر بعد ظروف واقعية تمر فيها نفوس الناس في هذه الأيام.

3- وحي السماء:

اقرئوا وحي السماء * واقصدوه للشفاء
واشربوا ماء الحياة * من حيا وحي السماء
من رماه أو أباه * قد أتى باب البلاء
من قلاه أو جفاه * سيره نحو الوباء
طاب عينا من زلال * لذ شربا من سقاء
ماله ند نظير * من شفاء أو دواء

فيه كل المكرمات * أصل عز واهتداء

يتجلى الحوارية الإيقاعية أيضا في هذه القصيدة بين العنوان والاستهلال، بتكرار تفعلة "فاعلات" خلال أجزاءها الأخيرة: (للشَّفائي، يسمائي، بلبلائي، ولوبائي)، موافقا لجزء العنوان "السَّماء" الذي تولّد توالي نغم موسوقي، ثم موزون "فعال" التي اختتم كل بيت شعري بما هو على منوالها، فجاءت (شفاء، بلاء، وباء، سقاء)، على وزني "فِعَالٍ أَوْ فَعَالٍ".

وكل هذه التكرارات تناسب حالة الشاعر الشعريّة، المتمثلة في محاولة تهذيب السامعين مراجعة آيات ذكر الحكيم، واقناعهم على اكتشاف منزلته وشمائله الرفيعة، فهو كتاب الله العزيز المنزّل من فوق السبع السماوات هدى ورحمة للمؤمنين، وشفاء لما اضطروا إليه من الأسقام، فمن أعرض عن ذكر القرآن وهديه فقد افتتح باب والتشاؤم.

فلذا، استخدم الشاعر في قافيته حرف الهمزة الذي يتصف بالقوة والشدة، ليبين كلامه ويصبح مسموعا لدى المتلقين كما هي عادة للشعراء على ما أشار إليه الدكتور إبراهيم أنيس.²⁴

والمعاني المستخدمة في القصيدة تدل على مدى تثقف الشاعر بثقافة دينية، فهي معان مأخوذة من القرآن الكريم في قوله تعالى: (وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا) وقوله: (وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى)²⁵

وهذا التماثل التام بين العنوان والأجزاء في وحدة الاستهلال المتكررة بالإيقاع تمثل توليف نغمي ودلالي مال الشاعر إليه للتأكيد والتنبيه على الاهتمام بالأمر المتكرر، إذ يكون تركه حيث ينبغي كذكره حيث لا ينبغي.

الخاتمة وأهم النتائج:

وهذه الجولة السريعة وصل الباحث نهاية المقالة التي تناول خلالها دراسة نظرية عن مصطلحي العنوان والاستهلال، ثم اكتشف عن بعض العلاقات التي عادة ما تربط بين عنوان النص والاستهلال الشعري، وتجعل العنوان محاور للاستهلال إما في مدلوله الموضوعاتية أو في لغته الصيغية، بالتطبيق على بعض النماذج في قصائد: "ديوان جنة الأشعار" للشاعر لقمان الأوبي، وذلك بعد عرض سريع لترجمة الشاعر وديوانه، وأخيرا أتى بالخاتمة وأهم النتائج التي توصل إليها الباحث، وهي:

-تميّز قصائد الشاعر لقمان بعناوين مسما لها.

-وتوضيح عناوين قصائده غالبا إلى معان تتركز عليها موضوعات القصائد.

-تستهل بعض قصائده بعبارات تعتبر بؤرة ومرتكزا لما اشتمل عليه القصيدة.
-لاحظ الباحث في القصائد المتناولة بالدراسة مدى حوارية عناوينها مع الاستهلال.
-وأن الأساس التي تبنى عليها العلاقات هما الموضوعاتية الدلالية واللغوية الصيغية.
-تندرج تحت علاقة الموضوعاتية الدلالية التكرار الدلالي، وتحت علاقة اللغوية الصيغية التكرار الجزئي والإيقاعي.
-عناوين التكرار الدلالي تتفق مع عبارات استهلالها في الوحدات الأولى وتتحوّل معها في مدلولاتها الموضوعية.
-تتنوع عناوين التكرار الجزئي في الاستهلال بتكرار كلمة منه أو شبه جملة أو بألفاظه الكاملة، ويفضل الشاعر حينئذ استخدام عبارة تتركز عليها مضمون القصيدة.
-أما التكرار الإيقاعي فتقع حواريته في الجو الموسيقي المتناغم، بين تفعيلة العنوان بأصوات حروفه ووحدة الاستهلال.

قائمة الهوامش والمراجع:

- ¹-الأوَيّ، لقمان نورالدين، ميمية الإعراب في النحو العربي. ط-1، مطبعة الممتاز، ميدغوري، نيجيريا، 1996، ص:1.
- ²-أكيولي، نورالدين، المرجع السابق. ص:12.
- ³-الأوَيّ، لقمان، ديوان جنة الأشعار. مخطوط. حصل الباحث على الديوان عن طريق التصوير.
- ⁴-بطرس، البستاني، محيط المحيط. مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، بدون رقم، 1998، ص:640.
- ⁵-علوش، سعيد، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة. دار الكتاب اللبناني، بيروت، دار البيضاء، المغرب، ط-1، 1405هـ/1985م. ص:155.
- ⁶-ابن منظور، لسان العرب. دار الحديث، القاهرة، مصر، ج/9، 1423هـ، 2003م. ص:121.
- ⁷-ابن منظور، المرجع السابق. ص:122.
- ⁹-الزمخشري، جار الله أبو القاسم، أساس البلاغة. دار بيروت للطباعة والنشر، لبنان، ط-1، 1412هـ، 1991م. ص:705.
- إسماعيل حسن، شعرية الاستهلال عند أبي النواس. دار فرحة للنشر والتوزيع، المنباط، ط-1، 2003م، ص:16-17.

- ¹⁰-البندري، معيض عبد الكريم، الاستهلال في شعرغازي القصبي مقارن ةنسقية تحليلية. رسالة الماجستير، جامعة أما لقرى، المملكة العربية السعودية، 1433-1434هـ. ص: 18.
- ¹¹-رشيد، يحيوي، الشعرالعربي الحديث. افرقي الشرق، المغرب، ط-1، 1998م، ص: 112.
- ¹²-الأوئي، لقمان. مرجع سابق. ص: 62 ضلولا: الضلال. البقاعي، يوسف محمد. قاموس الطلاب. د.ر.ط. دارالفكر. 2001 ص400:
- ¹³--تلاشى: أفنى.. المرجع السابق. ص: 574 زعزع: حرك بقرّة. مرجع سابق. ص: 303
- ¹⁵-تعجّ: تصيح، وتصدرالضحيج. المرجع السابق. 430 دوي: صوت الرعد. ص: 262 صرص: الصوت. ص379. المرجع السابق.
- ¹⁶-الأوئي، لقمان، المرجع السابق. ص: 7
- اليراع: القلم يتخذ من القصب. الفيروزآبادي. الفيروز آبادي، محمدبن يعقوب. معجم القاموس المحيط. ط-2، دار المعارف، بيروت-لبنان، 1429هـ-2008م. ص: 1064.
- ¹⁷-البندري، معيض عبد الكريم. المرجع السابق. ص: 73.
- ¹⁸-المسجد الأقصى:أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ومسرى رسول الله ومعراجة، ومصلى الأنبياء جميعاً ليلة الإسراء. وهو جامع كبير يقع في الجهة القبليّة من ساحة الحرم القدسي الشريف في مدينة القدس.
- ²⁰- معتمة: مظلمة
- البندري، معيض عبد الكريم. المرجع السابق. ص: 65.
- ²¹- الموسوعة العربية العالمية. GLOBAL ARABIC ENCYCLOPEDEA
- ²²-البندري، معيض عبد الكريم. المرجع السابق. ص: 75.
- ²³-أنيس، إبراهيم، (الدكتور)، في اللهجات العربية. ط-3، مكتبة الإنجلوالمصرية، القاهرة، مصر، 2003م. ص: 177.
- ²⁴-سورة الإسراء، الآية: 82. وسورة طه، الآية: 124.

دراسة تقابلية للضمائر في اللغتين العربية واليوروبية

إعداد:

البروفيسور: مشهود محمود محمد جمبا

قسم اللغويات، واللغات الإفريقية واليوروبية جامعة ولاية كوارا، مالي¹

وإبراهيم جنيد موديوأولا

باحث الدكتوراه بجامعة ولاية كوارا اللغويات، واللغات الإفريقية واليوروبية²

الملخص

يقصد بالتقابل اللغوي إجراء دراسة يقارن فيها الباحث بين لغتين أو أكثر، مبينا عناصر التشابه والاختلاف بين اللغات، بهدف التنبؤ بالصعوبات التي يتوقع أن يواجهها الدارسون عند تعلمهم لغة أجنبية. ومنذ ظهور نظرية التقابل اللغوي في الخمسينات والستينات، لقد أجريت بحوث كثيرة في مختلف الأقطار خصوصا في أوروبا، وأمريكا، والعالم الإسلامي. وكان للغة العربية دور كبير في الدراسة التقابلية مع لغات أخرى، لكونها لغة دينية للمسلمين.

ولقد سبقت الجامعة الأجنبية زميلاتها العربية في تقارب النظام اللغوي بين اللغات، إذ أجريت فيها دراسات تقابلية كثيرة لبيان العلاقة بين اللغة العربية واللغات الأخرى، وسبب ذلك معزو إلى أن الجامعات الأجنبية قد سبقت الجامعات العربية في إنشاء أقسام اللغة العربية، ينتظم فيها طلبة غير عرب، مما استلزم إجراء دراسات تقابلية يسهم الباحثون فيها في تيسير تعليم العربية في هذه البلاد الأجنبية.

¹ 08033574382

² junaidmodepoola@gmail.com/phone number: 08033791961

ويحتوي البحث على مقدمة وأربع مباحث وخاتمة. يتناول المبحث الأول مفهوم التقابل اللغوي، وأهميته في تعليم وتعلم اللغة الثانية، ويشتمل المبحث الثاني على أثر التقابل اللغوي في تعليم العربية، ويحتوي المبحث الثالث على دراسة أوجه التشابه والاختلاف بين الضمائر العربية والضمائر اليوروبية، وفي المبحث الرابع تناول الصعوبات المتعلقة بدراسة ضمائر اللغة العربية عند المتعلمين اليورباويين، ثم الخاتمة والتوصيات.

الكلمات المفتاحية: التقابلية، الضمائر، العربية، اليوربا.

ABSTRACT

Linguistic contrast means conducting a study in which the researcher compares two or more languages, indicating the similarities and differences between languages, with the aim of predicting the difficulties that learners expect to face when learning a foreign language. Since the emergence of the theory of linguistic contrast in the fifties and sixties, many researches have been conducted in various countries, especially in Europe, America, and the Islamic world. The Arabic language played a major role in the contrast study with other languages, as it is a religious language for Muslims.

The foreign university preceded its Arab colleagues in the convergence of the linguistic system between languages, as many contrasting studies were conducted in it to show the relationship between the Arabic language and other languages, and the reason for this is attributed to the fact that foreign universities have preceded Arab universities in establishing departments of the Arabic language, in which non-Arab students are organized. This necessitated conducting comparative studies in which researchers contribute to facilitating the teaching of Arabic in these foreign countries.

The research contains an introduction, four sections and a conclusion. The first topic deals with the concept of linguistic contrast and its importance in teaching and learning the second language, and the second topic includes the effect of linguistic contrast in teaching Arabic, and the third topic studies the similarities

and differences between Arabic pronouns and Yoruba pronouns, and in the fourth topic deals with the difficulties related to studying the pronouns of the Arabic language in respect of the Yorubas, then conclusion and recommendations.

Key words: reciprocity, pronouns, Arabic, Yoruba.

مقدمة

إن أهمية اللغة في المجتمع البشري أدت إلى شدة اهتمام كثير من العلماء بها على اختلاف مذاهبهم كعلماء النفس، وعلماء التربية، والأنثروبولوجيا وغيرهم، فعالجوها معالجة مختلفة على اختلاف آرائهم ونظرياتهم.

وبمرور الزمن، تغير هذا الوضع من حيث دوران أهميتها بين الشعب الواحد إلى الأجنبي، فتحملوا مشقات كثيرة في طلب ودراسة اللغات الأجنبية نتيجة لشدة الحاجة والعلاقة المختلفة بين لغة وأخرى من اقتصادية، ودينية، وأمنية، وغيرها. لكن الغرض من هذه العملية لم يكن ناجحاً نتيجة لبعض الصعوبات التي تواجه هؤلاء الدارسين الأجانب في دراستهم اللغة الأجنبية. ويعد علم اللغة التطبيقي من العلوم التي أولت اهتماما كبيرا للغة تعلمها وتعلّمها حيث يهتم بالمشكلات والصعوبات المتعلقة باللغة ويحاول تقديم حلول عملية لها. ولعل منهج التقابل اللغوي من أهم مجالات علم اللغة التطبيقي التي تسعى إلى تيسير تعليم وتعلم اللغة. حيث يقوم بدراسة مقارنة بين اللغتين أو أكثر في مستوى من المستويات اللغوية.

فهذا المقال عبارة عن دراسة تقابلية للضمائر بين اللغتين العربية واليوروبية، حيث يتم تناولها من خلال النقاط التالية:

- 1- مفهوم التقابل اللغوي وأهميته في تعليم وتعلم اللغة الثانية.
- 2- أثر التقابل اللغوي في تعليم العربية.
- 3- دراسة أوجه التشابه والاختلاف بين الضمائر العربية والضمائر اليوروباوية.
- 4- الصعوبات المتعلقة بدراسة ضمائر اللغة العربية عند المتعلمين اليورباويين.

المبحث الأول: التقابل اللغوي بين اللغات وأهميته في تعلم اللغة الثانية

إن ارتباط اللغة بالمجتمع ارتباطاً وثيقاً، وهي المرآة التي تعكس كل مظاهر التغيير والتحول في المجتمع رقياً كان أو انحطاطاً، تحضراً كان أو تخلفاً، كما أنها استجابة لحاجة الاتصال بين الناس جميعاً لكونها وعاء الفكر ووسيلة التواصل بين أفراد المجتمع ومؤسساته المختلفة ولتبادل المعلومات والأفكار بينهم.

وللغة في آراء العلماء تعريفات عدة، منها: "أنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"¹، ومنها كذلك أنها "الكلام المصطلح عليه بين كل قوم"²، أو يكون أداة التفاهم بين كل أفراد الأمة، ووسيلة مباشرة لنقل الشعور والعواطف من شخص إلى شخص، أو من جيل إلى جيل/أجيال أخرى"³.

فنظراً لهذه الأهمية الكبيرة التي تحظى بها اللغة، والواجبات التي تؤديها في المجتمع البشري، نالت اهتمام الكثير من العلماء على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم، فعالجها علماء النفس، وعلماء اللسان، وعلماء التربية، وعلماء الأنثروبولوجيا.

وبمرور الزمن، تغير وضع أهميتها على ما كانت عليه من دوران فائدتها بين عائلتها اللغوية إلى أي لغة أجنبية، فتشمر الدارسون والباحثون لدراسة اللغات الأجنبية لتوطيد العلاقات الاقتصادية، والسياسية، والدينية كما هي الصورة في العالم كله اليوم، إلا أنه كان من السنة البشرية الطبيعية أن يواجه هؤلاء الدارسون بعض المشكلات والتحديات في تعلمهم هذه اللغات نتيجة اختلاف لغاتهم وقواعدها عن اللغات الأجنبية/الثانية التي يتعلمونها، فنظراً لذلك، أخذ بعض علماء اللغة في البحث عن كيفية تيسير هذه الصعوبات وحلها، فكان ظهور علم اللغة التطبيقي الذي يعد منهج التحليل التقابلي ومنهج تحليل الأخطاء من مجالاته في أواخر القرن العشرين، ويقوم بمهمة دراسة مقارنة بين لغتين أو أكثر من خلال مستوياتها سواء كان صوتياً، أو نحوياً، أو صرفياً، أو دلالياً، أو غير ذلك، رغبة في تسهيل الصعوبات المواجهة أثناء تعلم هذه اللغات الأجنبية بالاعتماد على "إجراء دراسة مقارنة يقابل فيها الباحث بين لغتين أو أكثر من عائلة لغوية واحدة أو عائلات لغوية مختلفة بهدف تيسير المشكلات العلمية التي تنشأ عند التقاء هذه اللغات كالترجمة وتعليم اللغات الأجنبية"⁴. ويفعل الباحث ذلك للتنبؤ مسبقاً بالصعوبات التي يقابلها الدارسون عند ما يتعلمون لغة ثانية.

ويرى بعض العلماء "أن التحليل التقابلي بظهوره في أواخر النصف الأول من القرن العشرين معتمدا على الاتجاهات السلوكية البنيوية في النظرة إلى طبيعة اللغات وأساليب اكتسابها، وتعليمها، وتعلمها. وأهم مجالات خدمة لأهداف تعليم اللغة، هو التقابل الصوتي ما بين اللغتين: "الأولى-الأم- واللغة الهدف - المراد تعلمها- كي يساعد ذلك في التعرف على المشكلات التي تواجه دارس اللغة الأجنبية أو الثانية، كما أنه يفيد في التقابل النحوي، والصرفي، والدلالي، والثقافي"⁵ إلخ.

وهناك تفسير آخر لنشأة التحليل التقابلي، أشار إليه الراجحي بقوله: "تنبع فكرة التحليل التقابلي من مقولة أن أي متعلم للغة أجنبية لا يبدأ في الحقيقة من فراغ: وإنما هو يبدأ تعلم اللغة الأجنبية وهو يعرف شيئا ما من هذه اللغة، هذا الشيء هو ما يشبه ما في لغته، لذلك يجد هذا المتعلم بعض الظواهر سهلا وبعضها الآخر صعبا، وهكذا ظهر التحليل التقابل حتى لا يترك لكل متعلم هذه المهمة، لأنه قد لا ينجح في اكتشافه كما أنه قد يتوهم تشابها غير حقيقي"⁶.

والتقابل اللغوي من حيث تحديد العملية لا يهتم بمقارنة لغات بأخرى بل يختار نظاما أو مستوى من مستويات اللغة ويقارنه بالمستوى نفسه في لغة بهدف دراسة الفروق اللغوية والتشابهات الموجودة في تينك اللغتين، تنبؤا بما قد يكون عقبات للمتعلمين، وذلك لأن علم اللغة التطبيقي الذي نبع منه التحليل التقابلي "لا يرتبط بنظرية لغوية بذاتها، وإنما يأخذ ما يراد أكثر نفعاً في تعليم اللغة"⁷. ومن هذا القبيل درس علماء البنيوية اللغات فوجدوها تتبين على مستوى البنية اللغوية، وجاء أنصارهم في تعليم اللغات فقالوا: "ما دام الأمر كذلك فإن الأفضل أن نجري تحليلا بين لغتين مختلفتين لأن ذلك سيساعدنا في التنبؤ مسبقا بالصعوبات التي يواجهها المتعلمون"⁸. فعلى سبيل المثال، التقابل بين اللغتين: العربية، واليوروبية على مستوى الضمائر، فأصحاب التحليل التقابلي يقولون بأن الأفضل أن يكون هناك وصف علمي للغتين، ثم نجري مقابلة على المستويات المختلفة، لأن هذا يمكننا من التنبؤ مسبقا بالصعوبات، ويفترضون أيضاً أنه كلما زادت درجة الاختلاف بين اللغتين المتقابلتين ازدادت صعوبة التعلم.

المبحث الثاني: أثر التقابل اللغوي في تعليم اللغة العربية

ظهر دور التقابلي اللغوي بصورة علمية في الخمسينات من القرن الميلادي على يد اللغوي المشهور روبرت لادو Robert Lado، لكونه أول من أظهر أول كتاب بالإنجليزية ((Linguistic Across Culture سنة 1957م⁹ وقد ذكر لادو أن من أهم فوائد التقابل اللغوي الانتفاع به في مجال إعداد المواد التعليمية، فيقول في ذلك: "وأهم شيء في إعداد المواد التعليمية هو مقارنة اللغة والثقافة الأصليتين باللغة والثقافة الأجنبيتين، وذلك من أجل التعرف على العقبات التي لا بد من تذليلها في أثناء التدريس" ¹⁰.

ومما سبق، يعد التقابل اللغوي بناء أساسيا لتعليم اللغة الثانية، إذ تنبع فكرة التحليل التقابلي من أنّ أي متعلم اللغة الثانية لا يدخل إليها خالي الوفاض، بل يكون عالما ببعض كلماتها وقواعدها دون أن يشعر بذلك، وذلك عن طريق ظاهرة الاشتراك اللغوي بين لغات العالم أو الاقتراض اللغوي بين لغتين أو أكثر.

ويتجلى ما للتقابل اللغوي من التأثير على الدراسة العربية من حيث أهدافه التي ترمي إلى تحقيقها كما يراها علماء اللغة على ضوء ما ذكره الراجحي¹¹. وهذه الأهداف تنحصر في خطوات ثلاث:

1- أوجه التشابه والاختلاف بين لغتين أو أكثر: وقد كان من أجلّ فوائد دراسة التحليل التقابلي اتخاذ أوجه التشابه في اللغتين للبدء في مرحلة التعليم لكسر الحاجز اللغوي والنفسي عند المتعلم حتى يشعر بأنها لغة سهلة، فيقدم على المزيد من تعلمها، وهذا من أهم ما يكون، وطريقة هذه الدراسة تكون بالبحث عن أوجه مشتركة بين لغتين فأكثر والتي تعرف بالكليات اللغوية، ثم البحث كذلك عن أوجه مفترقة بين هذه اللغات باختصار تلك الدراسات على جميع المستويات اللغوية من صوتي، ونحوي، وصرفي، ودلالي، وغيرها، بحيث يقارن الباحث بين هذه اللغات في المستوى الذي يدرسه فيها.

2- التنبؤ بالمشكلات والعقبات التي ستظهر في اللغة الثانية الجديدة: فهذه النقطة تكون نتيجة ثانياً لتلك الدراسة التقابلية ففائدتها: التركيز على هذا الجانب والعناية بها، ووضع أوراق عمل لمعالجة تلك الصعوبات مسبقاً، بالإضافة إلى لفت نظر المتعلم لهذه الاختلافات بين اللغتين، ليكون على بينة من أمره في الفرق بين اللغتين، وحتى لا يسقط

قواعد لغته الأم في الحديث على اللغة الثانية. خاصة في بناء تركيب الجملة العربية. فلغة يوربا مثلا تقدم الفاعل على الفعل في الجملة ولا تؤخره كقول القائل: (Ibrahim ka iwe) قرأ إبراهيم الكتاب، بخلاف العربية فإنها تقدم الفعل على الفاعل في الجملة حسب الترتيب الأصلي مثل: حفظ عبد الوهاب القرآن، إلا عند إرادة حكمة بلاغية منطقية، فحينئذ يقدم الفاعل على الفعل، مثل: الأستاذان درّسا.

3- الإسهام في تطوير المناهج التعليمية للغة الثانية: إن هذا الإسهام هو علاج الصعوبات في اللغة الثانية في المناهج التعليمية، ووضعها في غاية الاهتمام، مع كثرة التدريبات عليها، كان من أهم الأمور، فإن الإضافة، وإسناد الضمائر، والتذكير، والتأنيث، من أهم الصعوبات التي تواجه أكثر دارسي العربية الأجانب في تعلمهم لها وخاصة شعب اليوربا بالإضافة إلى موضوعات أخرى كالأصوات، وأسماء الإشارة، والموصولات، وغيرها. فإذا أولت المناهج هذا الجانب مزيداً من العناية والاهتمام، لتعملن على تيسير تلك الصعوبات وتذليل العقبات أمام متعلمي العربية الناطقين بغيرها. فلعلّ هذا الهدف الثالث الذي هو ثمرة طبيعية للهدفين السابقين اللذين هما: وصف تقابلي لأنظمة اللغتين، وتحديد المتوقعات من المشكلات في ضوء ذلك الوصف، ما أشار إليه فريز Frieze في قوله: "بأن أفضل المواد فاعلية في تعليم اللغة الأجنبية هي تلك المواد التي تستند إلى وصف علمي لهذه اللغة، مع وصف علمي مواز للغة الأم".¹²

هذا، فمما لا شك فيه أن اكتشاف منهج التحليل التقابلي وتأصيله وتطوير أدواته قد عاد على علم اللسانيات وعلى المتخصصين فيه بالنفع الكثير. فقد أسهم هذا المنهج في تصنيف لغات العالم المختلفة إلى عائلات لغوية متعددة وذلك من خلال دراساتها دراسة تقابلية مقارنة أظهرت بوضوح قواسمها المشتركة التي سهلت عملية فرزها وإدراجها تحت عائلات مختلفة.

ولعلّ أن يكون من أهم عوامل تطور ونجاح هذا المنهج في الدراسات اللغوية المعاصرة العناية الفائقة من قبل مدرسي اللغات ودارسيها. فالتقابل اللغوي قد نجح إلى حدّ كبير في تفسير مشكلة التداخل

(Interference) في مجال تعلم اللغات واكتسابها. وقد تم استعمال معظم نتائجه وتطبيقها لتطوير مواد ومناهج وطرق تعليم اللغات، فهذا الأمر ساعد كثيراً في تجنب دارجي اللغة العربية من الوقوع في أخطاء لغوية متعلقة بتأثير اللغة الأولى على اللغة الثانية، وذلك من خلال إبراز أوجه الاختلاف والتشابه بين لغتين في مستويات اللغة، كالمستوى الصوتي ((Phonetics، والمستوى النحوي (Syntactic)، والمستوى الصرفي (Morphological)، والمستوى الدلالي (Semantics)، ثم المستوى الاستعمالي.

وجدير بالذكر أن من ضمن هذه الآثار ما أشار إليه الدكتور يونس: "استفادة دارجي علم الترجمة كذلك من هذا المنهج استفادة كبيرة حيث وجدوا أن الإلمام بأوجه الفرق والتشابه بين اللغة المنقول منها (The Source Language)، واللغة المنقول إليها (The Target Language) يجعل المترجم قادراً على تجنب الوقوع في أخطاء كثيرة من قبيل الترجمة الحرفية للتراكيب، والصيغ، كما يجعل المترجم قادراً على الإحاطة بجواب النص المراد ترجمته إحاطة علمية شاملة، ودقيقة لا تستوعب المستوى النحوي فحسب، بل تتعداه إلى مستوى الخطاب ونوعه وظروفه الموضوعية"¹³.

إضافة إلى ذلك، فقد استفاد كذلك نقاد الترجمة بشقيها الشفوية والخطية من منهج التحليل التقابلي في عملية الترجمة وتحليل وتقييم النصوص المنقولة من لغات أخرى، فقد مكّتهم هذا المنهج من اكتشاف مواطن ضعف النصوص المترجمة، واكتشاف مواطن قوتها، وسهل لهم عملية بلورة نماذج أو أنماط أو أقيسة لتقسيم تلك النصوص والحكم على ترجمتها بالجودة أو الرداءة، وعلى مترجمها بالكفاءة أو بعدمها.

المبحث الثالث: دراسة أوجه التشابه والاختلاف بين الضمائر العربية والضمائر اليورباوية الضمائر عبارة عن ألفاظ لغوية يكتن بها عن متكلم أو مخاطب أو غائب، فهي قائمة مقام ما يكتن بها عنه، وتوجد في كل اللغات وإن اختلفت ألفاظها من لغة إلى أخرى¹⁴. فهذا الفصل من المقالة يبحث عن الضمائر العربية واليورباوية لدراسة مقارنة.

فاللغة العربية من اللغات التي تتمتع بثناء الألفاظ والمعاني وتغييرها تبعاً للمعاني المقصودة بها، فلهذا تتشكل ألفاظ الضمائر في العربية بأشكال عدة تستخدم حسب المجال والسياق. "فالضمير أو المكني من

قبيل الأسماء المترادفة عند الكوفيين إذ أن معناهما واحد فلا فرق بينهما وإن اختلفا من جهة اللفظ. وأما البصريون فيقولون المضممرات نوع من المكنيات، فكل مضممر مكني، وليس كل مكني مضمراً فالكنية: إقامة اسم تورية وإيجازاً¹⁵

فهذه الضمائر في اللغة العربية مبنية وفقاً لاتفاق علماء النحو، وذلك بسبب تشابهها الحروف في الشكل والجمود، حيث أن أكثرها تكونت من حرف، أو أكثر، وشابهتها في الافتقار (الإضمار) أي الإخفاء، والاستغناء عن الإعراب في اختلاف الصيغ، لعدم تشابه المعاني مثل: أنا، أنت، أنتِ، هو، هي، هم، هنّ، إلخ.

أنواع الضمائر العربية من حيث القرب والبعد:

فالضمائر في اللغة العربية بالنظر إلى هذه العلمية تنوع إلى ثلاثة أنواع، وهي: ضمائر التكلم، وضمائر الخطاب، ثم الغيبة

1- ضمائر التكلم: فهي التي يستخدمها الشخص المتكلم، للدلالة على نفسه أو على المتكلمين أثناء التحدث مع الآخرين. ومفردات هذه الضمائر هي: أنا، نحن، إياي، إيانا، ياء المتكلم، "نا" للمتكلمين، تاء المتكلم، فهناك هذه الأمثلة للتوضيح:

- أنا: أنا أدرس في جامعة ولاية كوارا.
- نحن: نحن طلاب الدكتوراه بجامعة ولاية كوارا.
- إياك: إياك خصّ المعلمُ بهذا العنوان.
- إيانا: إيانا رحم الله تعالى.
- نا: درّسنا البروفيسور حمزة التحليل التقابلي.
- تاء: قرأت القرآن الكريم.

- 2- ضمائر الخطاب: هي الضمائر التي يستخدمها المتكلم عند توجيه الكلام إلى غيره، وألفاظها: أنتَ، أنتِ، أنتما، أنتم، أنتنَّ، إياك، إياكما، إياكم، إياكنَّ، تاء المخاطب، ألف الاثنين، وواو الجماعة، وياء المخاطبة، ونون النسوة. الأمثلة:
- أنتَ (ضمير المفرد المذكر)، مثال: أنتَ طالبٌ نجيبٌ.
 - أنتِ (ضمير المفرد المؤنث)، مثال: أنتِ طالبةٌ نجيبَةٌ.
 - أنتما (ضمير المثنى مذكرا ومؤنثا)، مثال: أنتما كريمان، وأنتما كريمتان.
 - أنتم (ضمير الجمع المذكر)، مثال: أنتم مسلمون صالحون.
 - أنتنَّ (ضمير الجمع المؤنث)، مثال: أنتنَّ طالبات متفوقات.
 - إياك (ضمير المفرد المذكر)، مثال: إياك واللعبَ في المسجد.
 - إياك (ضمير المفرد المؤنث)، مثال: إياك والهوى في الدين.
 - إياكما (ضمير المثنى مذكرا ومؤنثا)، مثال: إياكما وإهمالَ المحاضرات.
 - إياكم (ضمير الجمع المذكر)، مثال: إياكم نصح جدي.
 - إياكنَّ (ضمير الجمع المؤنث)، مثال: إياكنَّ والنجوى.
 - تاء المخاطب، مثال: قلت قولاً فصلاً.

- 3- ضمائر الغيبة: فهذه ضمائر تستخدم للدلالة على شخص غير موجود في اللحظة التي يتم فيها الحوار، أو كتابة نصّ ما، وهي: هو، هي، هما، هم، هنَّ، إيّاه، إياها، إياهما، إياهم، إياهنَّ، هاء الغائب. الأمثلة:
- هو (ضمير المفرد المذكر)، مثال: هو مهندس ماهر.
 - هي (ضمير المفرد المؤنث)، مثال: هي كاتبة ذكية.
 - هما (ضمير المثنى مذكرا ومؤنثا)، مثال: هما طالبان كدودان، هما طالبتان نجيبتان.
 - هم (ضمير الجمع المذكر)، مثال: هم أحباب صابرون.
 - هنَّ (ضمير الجمع المؤنث)، مثال: هنَّ طالبات مجتهدات.
 - إيّاه (ضمير المفرد المذكر)، مثال: إيّاه رزق الله علماً مباركاً.

- إياها (ضمير المفرد المؤنث)، مثال: إياها ساعدت بالأمس.
 - إياهما (ضمير المثنى مذكرا ومؤنثا)، مثال: إياهما كَرَمنا في المكتب.
 - إياهم (ضمير الجمع المذكر)، مثال: إياهم رأى الأستاذ.
 - إِيَاهنَّ (ضمير الجمع المؤنث)، مثال: إِيَاهنَّ كلمنا في القاعة.
 - هاء الغائب، مثال: رأيته يدخل الجامعة مسرعا.
- والضمائر العربية بالنظر إلى إسنادها إلى غيرها من الكلمات أو عدمها، تنقسم إلى قسمين آخرين: 1- الضمائر المتصلة 2- الضمائر المنفصلة
- فالمتصلة: على حد قول الزمخشري: "هي ما لا ينفك عن اتصالها بكلمة"¹⁶ وهي: كَ، لَ، كِ، كما، كم، هما، هم، هنَّ، تَ، بَ، تُ، ياء المتكلم.
- وأما المنفصلة: فهي ما عدا ذلك من بقية الضمائر، مثل: أنا، هو، هي، إياه، إياها، إياهما....
- وهناك قسم آخر للضمائر العربية بالنسبة لمواقعها الإعرابية في الجمل، فالضمائر جميعا على هذا الحدّ مقسمة إلى ثلاثة: 1- ضمائر الرفع 2- ضمائر النصب 3- ضمائر الجر
- فضمائر الرفع: تتطرق على جميع الأقسام السابقة، أي أنها قد تكون متصلة، نحو: قرأتُ تعلمتُ، أو منفصلة، نحو: جاء إياه، قالت إياهنَّ. وقد تكون للمذكر أو المؤنث، أو المفرد أو المثنى، أو الجمع، وقد تكون للمتكلم، أو المخاطب، أو الغائب.
- وضمائر النصب: تشبه ضمائر الرفع من حيث كونها للمتكلم أو المخاطب، أو الجمع نحو: قرأتهُ، رأيتهما، صافحتهما، نصرني الله تعالى، أساعدك على البر والتقوى.
- وأما ضمائر الجر: فهي فقط تشبه كلا من القسمين السابقين من حيث الاتصال والإفراد، والتثنية والجمع، ومن حيث التذكير والتأنيث. وتخالفهما من حيث الانفصال، أي أن ضمائر الجرّ، فهي لا تزال

| | | الغائب في اليوروبية | الغائب في العربية |
|---|-----------------------|---------------------------------|-------------------|
| Oun je akeko lo kunrin. Oun je akeko lo birin. | هو طالب. هي طالبة. | Oun lo kunrin. Oun lo birin. | هو هي |
| Awon mejeji je Dokita lokunrin/lobirin | هما طبيبان/طبيبتان | Awon mejeji lokunrin/lobirin | هما |
| Awon je Dokita lokunrin | هم أطباء | Awon lokunrin | هم |
| Awon je Dokita lobirin | هن طبيبات | Awon lobirin | هن |

أوجه الشبه بين الضمائر العربية واليوروبية

تبين من خلال الدراسة السابقة أن الضمائر العربية واليوروبية تتشابهان في الدلالة على المتكلم، والمخاطب، والغائب كذلك.

أوجه الاختلاف بين الضمائر في اللغتين:

فالضمائر العربية تختلف عن الضمائر اليوربواوية بناء على ما سبق درسه في بعض أمور منها:

- 1- تعيين المذكر عن المؤنث: فالضمائر في اللغة العربية منها ما هي مخصصة للمذكر، كأنت، لك، هو، أنتم، كم، هم، إياك، إياكم، ومنها كذلك ما هي مخصصة للمؤنث، كأنت، لك، هي، كن، أنتن، هن، إياكن، إياهن، وهاء الغائبة.

أما في اليوربواوية فلا يوجد أي تعيين بين الضمائر من حيث التذكير والتأنيث إلا إذا جئ بكلمة إضافية تفسيرية، نحو: Ounlokunri بمعنى هو، Oun lobinrin بمعنى: هي، Awon Mejeji lokunrin بمعنى: هما للمذكر، Awon Mejeeji lobinrin بمعنى: هما للمؤنث... وهكذا...

2- في العربية تثني الضمائر وتجمع بكلمة واحدة: نحو: هما، هم، هنّ، كما، كم، أو كنّ، أما في يوربا، فلا توجد في أسمائها ولا ضمائرها مفرد، ولا مثنى، ولا جمع، أي ليست هناك كلمة واحدة تدل على مفرد أو مثنى إلا بإضافة كلمة أخرى تكون بمثابة العدد للكلمة الأولى التي تكون بمثابة الاسم المعدود. فكلمة Omo مثلًا تأتي في المفرد Omo Kan وفي المثنى Omo meji وفي الجمع: Awon Omo.

3- تدور الضمائر العربية في أحوال ثلاثة في حالة الرفع، فتسمى ضمائر الرفع، وفي حالة النصب فتسمى ضمائر النصب، وفي حالة الجر فتسمى ضمائر الجر، في حين تكون الضمائر اليورباوية في هذه الأحوال في الدلالة المعنوية فقط دون اللفظية، أي ليست هناك أي علامة ظاهرة فيها لحالة من هذه الأحوال الثلاث.

4- قد تكون الضمائر العربية متصلة أو منفصلة مثل: كتبتُ، درستُ، إياك نعبد وإياك نستعين. أما الضمائر اليورباوية فلا تكون إلا منفصلة نحو: Emi ni ore re بمعنى أنا صديقك، AwonniomoAkeko بمعنى: هم طلاب.

المبحث الرابع: الصعوبات المتعلقة بدراسة ضمائر اللغة العربية عند المتعلمين اليورباويين.
إن تعلم لغة أجنبية أو قاعدة من قواعدها كالضمائر مثلاً ليس بأمر سهل أو هين للدارس بحيث تواجهه عدة صعوبات في الإحاطة بعدة فروق بينها في اللغتين وكيفية استعمالها، فتختلف هذه الصعوبات تبعاً لسنّ الدارس الأجنبي والبيئة التي يعيش فيها أثناء تعلمه للغة، كما تختلف هذه الصعوبات كذلك حسب طبيعتها من حيث مشابهة اللغتين أو اختلافهما في كل المستويات اللغوية وأنظمتها والضمائر على وجه التحديد، فمن ثم يسهل على الطالب اليورباوي مثلاً دراسة الضمائر في الإنجليزية ويشقّ عليه تعلمها ودراستها في العربية، ذلك لوجود بعض الفروق اللفظية والمعنوية بينهما، لكنه مع البحث والدراسة أمكن الوصول إلى عدة صعوبات تعرض لدى الدارس الأجنبي لضمائر العربية منها:-

1- صعوبة تعيين المذكر والمؤنث: إن تأثر الطالب اليورباوي بنظام الضمائر في اليورباوية من حيث عدم تعيين التذكير والتأنيث قد يكون مشكلة تورطه في الخطأ عند استعماله للضمائر في

العربية التي تتميز بتعيينهما لفظاً، ومعناً، وإعراباً. فيقول مثلاً: قال زينبُ، وقالتُ أحمد، أو يقول: لقيتُ إبراهيمَ عند باب المسجد فسلمت عليه، ورأيت البنات وأمهن، بدلاً أن يقول قالتُ زينب، وقال أحمد، ولقيت إبراهيم عند باب المسجد فسلمت عليه، ورأيت البنات وأمهن.

2- كما أن مراعاة معاني الضمائر مهم جداً في العربية. فالضمير في العربية في لفظه الواحد يحل مشكلة التذكير أو التأنيث نحو: رأيت أباك، وتحدثت مع أبويكما. فلعدم وجود شبه هذه القضية في اليورباوية قد يسبب مشكلة تزعج الدارس اليورباوي في تعلم ضمائر العربية نوعاً ما، فمن ثم يتورط في الخطأ قراءة وكتابة، كأن يقول: رأيت أباك، للمفرد، والمثنى، والجمع على حد سواء، أو يستعمل ضمير المذكر للمؤنث والعكس أو يقيس لغته الأصلية في الإتيان بعبارة تفسيرية لأداء المعنى، على شبه قضيته في اللغة العربية، فيقول مثلاً: رأيت ذلك الرجل، حملاً على عبارة في اليورباوية: Mori oun nikah، أو بما يشبه ذلك من عباراته العربية الأعجمية قاعدة ومعنى.

3- ثم إن عدم تأثره بأحوال الضمائر العربية الإعرابية رفعا، ونصباً، وجرّاً في لغته الأصلية قد يكون عقبة عند دراسته للضمائر العربية، حيث يلزم عليه دقة الانتباه في هذه الأحوال الإعرابية وإدراج الضمائر تحت كل منها. وإن كان في نظام لغته ما يوهم ذلك مثل: Ipo Atokun, Ipo Oluwa، أو الحركات: Do, Re, mi () إلا أنه غير دقيق كالعربية.

4- ويكون مما يشكل عليه مسألة الفصل والوصل في الضمائر العربية خلافاً لما مارسه في نظام لغته الأصلية التي كانت ضمائرها مقصورة على الفصل فقط دون الوصل مثل: Iwon, oun, awon وغيرها.

الحلول:

فمن خلال محاولة شرح بعض العقبات التي تعرض لدارس العربية الأجنبية عند دراسته الضمائر العربية، ليس من السهولة بمكان منع الدارس الأجنبي في الخطأ، لكن يمكن للباحث أن يسهم في تقليل

حجم الوقوع في الخطأ ومعالجتها إن وقع، وإعانتته على اكتساب العربية الفصحى قراءة وكتابة لتزول عنه العجمة عنه إلى درجة لا بأس بها، فهذه الحلول على ثلاثة نواح:

1- ما يرجع إلى طرق التعلم:

تعد طرق التعليم الوسيط الوحيد بين المعلم والطالب داخل القاعة الدراسية ينقل من خلالها المعلم معلومات للطالب بغرض فهمها. من الملاحظ أن تدريس اللغة العربية يتم بطريقة تقليدية تعتمد على التلقين النظري والترجمة، وهذه الطريقة لا تسهم في أداء الطلاب كثيرا لذلك يرى الباحث أن التطبيق هو خير طريقة لتعليم اللغة العربية للأجانب، حيث إن الاقتصار على اللغة العربية يجبر الطالب على استعمالها ويعود حسن استعمالها والتعرف على ألفاظها، وأصواتها، ودلالاتها المعنوية.

2- ومنها ما يرجع إلى المدرس:

فلنجاح عملية التعليم أو لسلامة دارجي العربية الناطقين بغيرها من الوقوع في الأخطاء المتعلقة بكيفية استعمال القواعد العربية عامة والضمائر خاصة، ينبغي للمعلم:

1- أن يطالب طلابه بتكوين عبارات وجمل مستخدمين في ذلك الضمائر العربية

باختلاف أنواعها، لأن كثرة التطبيق والتمرين نطقا وكتابة يبعد الطلاب عن الوقوع في الأخطاء بكثرة.

3- ومنها كذلك ما يرجع إلى الكتاب المدرس:

تعد عملية اختيار الكتاب الرسمي الذي يدرّس للطلاب في القاعة الدراسية من أصعب الخطوات في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، إذ يمثل الكتاب صلة تربط الطالب باللغة العربية، فلحسن تدريس

اللغة العربية للطلاب الذين يتعلمونها لغة ثانية أو أجنبية، ينبغي مراعاة النقاط التالية في الكتب الدراسية المقررة:

- 1- اختيار الكتب المدرسية البسيطة التي تعتنى بالشرح والتطبيق أكثر من سرد القواعد فقط.
- 2- الاعتماد على الكتب التي تهتم باحترام عقلية الطالب العمرية في وضع وبيان الموضوع النحوي أو غيره، بحيث لا يزعجهم فهمه، ولا يقل عن مستوياتهم العلمية.
- ج- توظيف الكتب النحوية الحديثة (شروح المتنون) في المراحل التعليمية الأولية، كالقواعد الأساسية، وجامع دروس اللغة العربية، وشرح قطر الذي وبل الصدى وغيرها كثيرة، بحيث لا يستعمل الكتب القديمة ككتاب سيوييه، والجامع والإكمال، وغير ذلك من متون الكتب النحوية.

خاتمة وتوصيات:

يتجلى جليا من البحث أن التقابل اللغوي هو المقارنة بين اللغتين ليستا مشتركتين في عرق واحد، وأن هناك عناصر التماثل والتشابه والاختلاف بين اللغات. فقد تعرض البحث لبيان هذه العناصر بين لغة يوربا الأم واللغة العربية (الهدف)، من حيث الضمائر، ولعدم إمكانية احتواء جميع دراسة الضمائر في اللغتين في مقالة قصيرة مثل هذه، تطرق البحث على مفهوم التقابل اللغوي وأهميته في تعليم وتعلم اللغة الثانية، وأثر التقابل اللغوي في تعليم العربية. ودراسة أوجه التشابه والاختلاف بين الضمائر العربية والضمائر اليورباوية. والصعوبات المتعلقة بدراسة ضمائر اللغة العربية عند المتعلمين اليورباويين. وعند دراسة ضمائر اللغتين، ظهر التشابه بينهما في الدلالة على المتكلم، والمخاطب، والغائب، كما تبين الاختلاف بينهما في تعيين ضمائر المذكر عن المؤنث، وفي قضية تثنية الضمائر وجمعها بكلمة واحدة.

التوصيات :

وقد لاحظ الباحث خلال هذه الدراسة مدى التحالف والتخالف بين اللغتين العربية واليوروبية من حيث الضمائر، وبناء على ذلك يقترح كما يأتي:

- 1- ينبغي أن يكون مدرس العربية لأبناء اليوروبا مجيدا للغتين، وذا كفاية في علم اللغة التطبيقي حتى يستطيع أن يشرح للدارسين بوضوح التحليل التقابلي بين ضمائر اللغتين.
- 2- وينبغي أن يروّض المدرس طلابه بالتدريبات الكافية على معرفة معاني الضمائر في اللغتين، ويركز على الأماكن الصعبة بكثرة.
- 3- وكذلك ينبغي لمخططي مناهج تعليم العربية لليوروباويين ومؤلفي المقررات المدرسية أن يوظفوا التقابل اللغوي في كتبهم مع إضافة تدريبات كافية. نرى اليوم أن عددا قليلا من المؤلفين يهتمون بهذه الدراسة، وقلما يعبأ بها أصحاب المدارس الحديثة.
- 4- وينبغي أيضا أن تكون دراسة التقابل اللغوي مستمرة حتى يستفيد منها الطلبة.

الهوامش والمراجع:

- 1- ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، ج1: ص34.
- 2- معلوم أبو لوتيس، المنجد في اللغة والأعلام، بدون ذكر الطبعة، ص: 53.
- 3- الإلوري، آدم عبد الله، دروس الثقافة الإسلامية، مطبعة الثقافة الإسلامية، ط1، 1969م، ص35.
- 4- الراجعي، عبده، علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1996م، ص: 45.
- 5- جاسم علي جاسم، زيدان علي جاسم، نظرية علم اللغة التقابلي في التراث العربي، دمشق، مجلة 25، التراث العربي، 2001م، العددان 83-84، ص: 241-252.
- 6- الراجعي، المرجع السابق، ص: 46.
- 7- الراجعي، المرجع نفسه، ص: 47.
- 8- الراجعي، المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
- 9- راني إسماعيل، ملامح عامة عن التقابل اللغوي، مصر، مكتبة الحكم، 2011م، ص 11.
- 10- المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
- 11- الراجعي، عبده، المرجع نفسه، 47-48.
- 12- Fries, C. Teaching & Learning English as a foreign Language, Aun Arbor Mich 1945, P.g 9.

- 13- هو الدكتور يونس الدهش، الأستاذ بالجامعة الوطنية الأسترالية (كانبيرا-أستراليا)، انظر مقالته: منهج التحليل التقابلي في علم اللسانيات، موقع: elaph.com/web/culture/2018/10/37610.htm.
- 14- الغلابي، مصطفى، جامع الدروس العربية، القاهرة، شركة القدس، ط2، 2012م، ص 106.
- 15- ابن يعيش، علي موفق الدين، شرح المفصل، بيروت عالم الكتب، ج3، ص: 84.
- 16- ابن يعيش، المرجع نفسه، ص: 84.
- 17- الزمخشري، المفصل في صنعة الإعراب، تقديم وتبويب: الدكتور علي أبو ملحيم، بيروت-لبنان، دار مكتبة الهلال، ط1، 1993، ص: 247-252.

جماليات الشاهد الشعري؛ دراسة في معجم المصطلحات النحوية والصرفية للدكتور محمد سمير نجيب اللبدي.

إعداد:

شمس أول مصطفى

طالب دكتوراه قسم اللغة العربية جامعة بايرو كنو¹

المستخلص:

إن موضوع الشاهد الشعري واحد من الأسس التأصيلية في الدراسات اللغوية، به يُتوصل إلى معرفة لغة العرب، وعليه المعول في تقعيد وتبويب أحكامها. ومن جماله أنه يسهم في الوقوف على مَكْمَنِ التنظيرات اللغوية التي تُشكِّلُ المقدرة على بناء الأنماط النصية عند المتعلمين، مما ينعكس على أدائهم في مختلف المواقف التعليمية، فيكون ذلك من بواعث تحصيل الملكة اللغوية وثروتها عندهم. جاء هذا المقال ليرز شيئاً من جماليات الشاهد الشعري من خلال معجم المصطلحات النحوية والصرفية للدكتور محمد سمير نجيب اللبدي؛ مستوظفاً المنهج الوصفي الذي يهتم بجمع الحقائق والمعلومات من خلال تحديد خصائصها وأبعادها، بغية الوصول إلى نتائج مفيدة وقيمة.

ABSTRACT

The subject of the poetic citation is one of the fundamental foundations in linguistic studies, through which one comes to understand the language of the Arabs, and one has to rely on the classification of its rulings. Among its beauty is that it contributes to standing at the ambush of linguistic theories that constitute the ability to build textual patterns among learners, which is reflected in their performance in various educational situations. This article came to highlight some of the beauty, accurateness, and harmonious nature of the poetic citations

¹ Shamsuonline86@gmail.com 08034273212, 08059433375

through the Compendium of grammatical and morphological issues by Dr. Muhammad Samir Najeeb al-Lubadi. The research adopts a descriptive approach in presenting its issues in order to reach useful and valuable results.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه. أما بعد:

فإن معجم المصطلحات النحوية والصرفية لم يُدرس دراسة كافية -من قبل الباحثين- تكشف النقاب عن شخصية صاحبه، وبخاصة أنه رجل له باع طويل في حقل الدراسات اللغوية، فهو ليس لغويًا عاديًا، بل إنه صاحب فكر متميز وعقلية تحليلية تناقش وتقف عند النصوص، لذا جاء هذا المقال ليظهر من خلاله جماليات الشواهد الشعرية التي استوظفها في معجمه، وذلك وفقًا للنقاط التالية:

- نبذة عن المصنّف.
- وقفة على مفهوم الشاهد الشعري.
- أثر الشاهد الشعري وجماله في المعجم.
- الخاتمة والمراجع.

نبذة عن المصنّف:

هو محمّد سمير نجيب عبد الباقي اللبدي، وُلد يوم 13/04/1936م، في طُولُكْرَم، درس في مصر وأنهى فيها الثانوية سنة 1953م، ثم حصل من جامعة الأزهر على شهادة البكالوريوس في اللغة العربية وآدابها سنة 1957م، ثم شهادة الماجستير في اللغويات سنة 1967م، ثم شهادة الدكتوراه في التخصص ذاته سنة 1973م.⁽¹⁾

عمل مدرسًا في معاهد دينية بالسعودية (1957-1965)، ثم شغل وظائف عدّة في الكويت منها: التدريس والتوجيه الفني والإرشادي في مدارس حكومية وخاصة، وفي جامعة الكويت أيضًا (1965-1990)، ثم عاد إلى الأردن للتدريس في جامعة الإسراء (1991-2006)، وفي جامعة الشرق الأوسط للدراسات العليا بعمّان (2009-2010)، وهو عضوٌ في رابطة الكُتّاب الأردنيين.⁽²⁾

ولقد كان الدكتور سمير اللبدي من فطاحلة علماء اللغة في هذا العصر الذي استيقظ فيه العرب والمسلمون، ونهضوا - مرة أخرى - لجميع جوانب العلوم والفنون الأدبية، نتيجة الاحتلال الفرنسي لمصر، بقيادة القائد "نابليون بارنابرت" في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي.⁽³⁾

وتجدر الإشارة إلى أن اللبدي - الآن - عاكف على تأليف كتاب في إعراب القرآن الكريم بعنوان: "النحو التفصيلي والصرف التحليلي في آيات القرآن الكريم".⁽⁴⁾

وقفة على مفهوم الشاهد الشعري:

إن كلمة الشاهد في اللغة العربية لها معانٍ عدة منها: الحضور، والعلم، والإعلام، ظهر ذلك للباحث حينما تتبع المعاجم اللغوية، فخذ على سبيل المثال:

أ- الشاهد عند ابن منظور: يقول: "الشاهد: العالم الذي يبين ما علمه، واستشده: سأله الشهادة، وفي التنزيل: (واستشهدوا شهيدين)⁽⁵⁾ والشهادة: خبر قاطع، يقال: شهد الرجل على كذا، وربما قالوا: شهد الرجل، بسكون الهاء للتخفيف، وشهد الشاهد عند الحاكم، أي: يبين ما علمه وأظهره، يدل على ذلك قول الله تعالى: (ما كان للمشركين أن يعمرؤا مسجد الله شهدين على أنفسهم بالكفر)⁽⁶⁾ والمشاهدة: المعانية، وأشهدته على كذا فشهد عليه، والشاهد: اللسان، من قولهم لفلان شاهد حسن: أي: عبارة جميلة".⁽⁷⁾

ب- أما الفيروز أبادي فقد أضاف معنى آخر لهذه المعاني حيث قال: "واستشده سأله أن يشهد... والشاهد: الأمين في شهادة".⁽⁸⁾

ت- ويضيف أبوبكر الرازي: "وقولهم أشهد بكذا: أي: أحلف".⁽⁹⁾

فمن خلال هذه المفاهيم تبين للباحث أن المقصود بالشاهد هو الإخبار بما يُفيد القطع؛ كما بدا للباحث -أيضا- أن خيطا واحدا يُنظّم هذه المفاهيم ويجمع بينها، وهو كون الشاهد أثراً دالاً على حقيقته أو وجوده أو دليلاً على حدوث الشيء أو حصوله؛ كما تبين أن مصطلح الشاهد مصطلح عربي أصيل، ظهر نتيجة خوف العرب على لغتهم من اللحن بعد احتكاكهم بالأعاجم نتيجة الفتوحات التي قادها المسلمون،

فدبّ اللحن وتفشّى في لغة القرآن الكريم مما أدى إلى اتخاذ تدابير، ووضع قوانين وضوابط صارمة تصون اللسان العربي من الخطأ والزلل، وكان من أساس هذه القوانين الشاهد الشعري.

وتجدر الإشارة إلى أنه كثيراً ما تنوب كلمة "احتج" عن كلمة "استشهد" مما يوجب على الباحث أن يكشف عن معنى كلمة "احتج" حتى يتبين للقراء ما إن كانتا مترادفتين في عرف النحاة أم أن ثمة اختلافاً بينهما.

جاء في معجم المصطلحات النحوية والصرفية: الحجة: الدليل،⁽¹⁰⁾ وفي اللسان: الحجة: البرهان.⁽¹¹⁾ وعلى ذلك فالحجة هي كل ما يسوقه النحوي من أدلة وبراهين للدلالة على صحة رأي أو قاعدة، ويمكن أن يُلْمَح الفرق بين الحجة والشاهد من خلال توظيف النحاة لهذين المصطلحين في مؤلفاتهم، فغالبا ما يعبرون بقولهم: استشهد بكذا عن الأدلة النقلية والقياسية، كقولهم: هذا لا يُستشهد بشعره، والاستشهاد بهذا البيت لا يصح؛ إذ لا يعرف قائله؛ أما الحجة فيعبرون بها عما يوردونه من أدلة نقلية وقياسية، كما ظهر ذلك عند اللبدي في معجمه وابن منظور في لسانه فهي لذلك أعم.

أما المفهوم الاصطلاحي للشاهد فهو: "قول عربي شعراً أو نثراً قيل في عصر الاحتجاج، يُورَد للاحتجاج به على قول أو رأي أو قاعدة لغوية،⁽¹²⁾ وهو بعبارة أخرى: "جملة من كلام العرب أو ما جرى مجراه، كالقرآن الكريم، تتسم بمواصفات معينة...، وتقوم دليلاً على استخدام العرب لفظاً لمعناه، أو نسقا في نظم أو كلام".⁽¹³⁾ ويرى الدكتور سعيد الأفغاني أن الشاهد هو: "إثبات صحة قاعدة، أو استعمال كلمة أو تركيب، بدليل نقلي صحّ سنده إلى عربي فصيح سليم السليقة".⁽¹⁴⁾ فالاستشهاد يتمثل في إيراد قولٍ منقولٍ عن عربي فصيح سليم اللسان انطبقت عليه شروط الاحتجاج الزمانية والمكانية، من أجل الاستدلال بهذا القول على قضية ما من قضايا اللغة العربية.

واللافت للانتباه في المفاهيم السابقة للشاهد، أنها تتضمن شواهد الشعر العربي، والنثر العربي، وأحاديث الرسول -صلى الله عليه وسلم-، ولكنها لا تنطبق على القرآن الكريم الذي يمثل عنصراً مهماً وجوهياً من عناصر الاستشهاد اللغوي.

هذا، ويجد المتتبع لمعجم المصطلحات النحوية والصرفية لللبدي أن الشواهد الشعرية المستوظفة فيه يبلغ عددها مائة وستة وثمانين شاهداً، (186) من مجموع قضاياها النحوية والصرفية البالغ عددها

خمسمائة وتسع وسبعين قضية، (579) حيث بلغ عدد القضايا النحوية أربعمائة وخمسا وستين قضية، (465) في حين بلغ عدد القضايا الصرفية مائة وأربعة عشر قضية، (114).

- أثر الشاهد الشعري وجماله في المعجم:

1- تعدد العوامل المتنازعة في الكلام العربي.⁽¹⁵⁾

مدخل:

التنازع في الدرس النحوي يعني: تقدم عاملين أو أكثر على معمولٍ بحيث يكون كلُّ من العاملين أو من العوامل المتقدمة طالباً لهذا المعمول، وذلك نحو: تكلم واحترمت المتحدث، فالعاملان "تكلم" و "احترمت" فعلان متنازعان على "المتحدث"، فالأول يطلبه فاعلاً والثاني يطلبه مفعولاً به.⁽¹⁶⁾

والاسم المتنازع عليه قد يكون واحداً كما تقدم، وربما يتعدد كما سيظهر في النقطة التالية التي يودُّ الباحث من خلالها إبراز جمال الشاهد الشعري في توضيحها.

عرض المسألة مع التحليل:

قال الشاعر:⁽¹⁷⁾

طلبت فلم أدرك بوجهي فليتي * قعدت ولم أبع الندى عند سائب

أورد اللبدي البيت السابق مستشهداً به على قضية تعدد العوامل المتنازعة في الدرس النحوي، والشاهد فيه ورود التنازع بين أكثر من عاملٍ، فالعوامل المتنازعة هي: "طلبت" و "أدرك" و "أبع"، والمعمولان المتنازع فيهما هما: "الندى" و "عند".

إن قضية التنازع قضية شائكة ولا سيما عند بعض المحدثين، ولعل ذلك ناشئ من عدم استخدام بعض النحاة كلمة (التنازع)، فهذا سيبيويه لم يذكر التنازع باسمه بل قال: "هذا باب الفاعلين والمفعولين اللذين كل واحد منهما يفعل بفاعله مثل الذي يفعل به.."⁽¹⁸⁾ أمّا ابن مضاء فيسميه: "التعليق"، يقول: "وأنا في هذا الباب لا أخالف النحويين إلا أن أقول: علقت، ولا أقول: أعملت."⁽¹⁹⁾

وهذا ما جعل بعض المحدثين يقولون: إن بحث التنازع من أكثر الأبحاث النحوية اضطراباً وتعقيداً، يقول عباس حسن: "يُعد باب التنازع من أكثر الأبواب النحوية اضطراباً وتعقيداً وخضوعاً لفلسفة عقلية خيالية ليست قوية السند بالكلام المأثور الفصيح، بل ربما كانت مناقضة له".⁽²⁰⁾

بل ذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك حيث تَمَنَّدُوا بآراء النحاة القدامى ونظروا إليها شَدْرَ مَدْرٍ، ودعوا إلى إلغاء باب التنازع حتى كتب واحدٌ منهم "التنازع في العمل باب في النحو ينبغي حذفه":⁽²¹⁾ أضف إلى ذلك أن مجمع اللغة العربية بالقاهرة ذهب إلى حذف باب التنازع.⁽²²⁾

وللوقوف على أصالة هذه القضية في اللغة العربية ودور الشاهد الشعري وجماله في توثيقها تأتي النقطة التالية:

إن لقضية التنازع أصلاً في اللغة العربية، ويسند ذلك وجود الكلام الفصيح الذي جرى على ذلك المنوال من العرب؛ فمن ذلك الشاهد الذي أورده اللبدي حيث بيّن الكيفية ووضّح الغامض ووثق القضية، وعلى ذلك فالباحث مع من ذهب إلى أن للتنازع أصلاً في اللغة العربية، ومن ذلك الأصل الأصيل استطاع اللغويون أن يستنبطوا ملامح التنازع، وبيّنوا أُسُسَهُ وقواعده، وبالتالي وجدوا أن القرآن الكريم استعمل مثل ذلك الأسلوب الذي جرى على لسان العرب الموثوق بعربيتهم، ومن ذلك قوله تعالى: (ءاتوني أفرغ عليه قطرا)⁽²³⁾ وقوله: (هاؤم اقرءوا كتبيه)⁽²⁴⁾ وكذلك استعمل الرسول صلى الله عليه وسلم مثله حين قال: "تسبحون وتحمدون وتكبرون دُبْرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ"،⁽²⁵⁾ فالأفعال الثلاثة في الحديث الشريف تنازعت معمولين اثنين هما: الظرف، وهو: "دبر"، والمفعول المطلق وهو: "ثلاثا وثلاثين".

وفحوى القول: إن الشاهد الشعري الذي أورده اللبدي أدى دور توثيق قضية التنازع في الدرس النحوي، ومن جماله أنه يساعد عند استنتاج قواعد قضية التنازع وضوابطه.

2- صرف الممنوع من الصرف.⁽²⁶⁾

مدخل:

الاسم في العربية له أقسام كثيرة: يُقسم من حيث البناء والإعراب إلى مبني ومعرب، ويُقسّم من حيث الصحة والاعتلال إلى معتل وصحيح، ويُقسم من حيث العدد إلى مفرد ومثنى وجمع، و يُقسم من حيث

التعريف والتنكير إلى معرفة ونكرة. فالذي يود الباحث التطرق إليه من بين الأقسام السابقة، هو: الاسم المعرب الذي يتغير آخره وفقاً للعوامل الداخلة عليه، وهذا الاسم هو الآخر نوعان: نوعٌ يدخله التنوين، ويُسمى هذا الاسم متمكناً أمكن، ونوعٌ آخر: لا يدخله التنوين، وهو الاسم المسى متمكناً غير أمكن، ويسميه بعض العلماء: الاسم الممنوع من الصرف، وبهذا الاسم اشتهر بينهم.⁽²⁷⁾

وبناءً على ما سبق؛ فإن هناك أسماء في العربية داخلة في الاسم الممنوع من الصرف وذلك تطبيقاً للقاعدة السابقة، غير أنها اختلفت فصارت تُصَرَّفُ فعُرِّفَتْ باسم: صرف الممنوع من الصرف؛ والباحث هنا يريد أن يُثبت أن الشاهد الشعري أدى دور توثيق القضية، وبالتالي: إن صرف الممنوع من الصرف لا ينبغي أن يحال إلى الاضطرار؛ لأنه لغة عربية فصيحة، لكنها لا ترتقي إلى مستوى القاعدة كما سيظهر:

عرض المسألة مع التحليل:

قال امرؤ القيس:

ويومَ دخلتُ الخِدرَ خِدرَ عَنِيْزَةٍ * فقالت لك الويلات إنك مرجلي⁽²⁸⁾

استشهد اللبدي بالبيت السابق على قضية صرف الممنوع من الصرف، والشاهد فيه: "عنيزة"، حيث وردت الكلمة مصروفة، والمقصود بالصرف هنا: "التنوين"، إذ الأصل فيها ورودها ممنوعة من الصرف للعلمية والتأنيث.

هذا، ولقد أجمع الصرفيون على أن "الأصل في الأسماء الصرف، وإنما يُمنع بعضها من الصرف لأسباب عارضة تدخلها على خلاف الأصل؛⁽²⁹⁾ وقد قسّموا الممنوع من الصرف إلى قسمين: قسمٌ لا ينصرف في نكرة ولا معرفة؛ وقسمٌ لا ينصرف في المعرفة، فإذا تنكّر انصرف، وقد نظم علم اللين السخاوي ذلك إذ يقول:

"مساجدٌ مع حُبلى وحمراءٌ بعدها * وسكرانٌ يتلوه أحادٌ وأحمرٌ
فذي ستة لم تنصرف كيفما أتت * سواء إذا ما عُرِّفَتْ أو تُنكَّرُ
وعثمانُ إبراهيمُ طلحةُ زينبُ * ومع عمرانَ قل: حضرموتُ يُسَطَّرُ
وأحمدُ فاعُدُّ سبعةً جاء صرفُها * إذا نُكِّرت، والباب في ذلك يُحصَرُ"⁽³⁰⁾

أما العلل التي منعت بعض الأسماء من الصرف فهي على نوعين: الأولى: علة تقوم مقام عِلْتَيْن، وهي: ألف التأنيث، وصيغة منتهى الجموع؛ الثانية: علتان لا بد من اجتماعهما في الاسم لكي يُمنع من الصرف، وهما: علةٌ معنويةٌ، وعلةٌ لفظيةٌ؛ فالعلة المعنوية تنحصر في الوصفية والعلمية؛ أما العلل اللفظية فهي كثيرة منها: زيادة الألف والنون، ووزن الفعل، والعجمة، والتأنيث.⁽³¹⁾

وعلى ذلك؛ فالعلم المؤنث يُمنع من الصرف للعلمية والتأنيث – كما في الشاهد السابق - سواء أكان العلم مؤنثاً تأنيثاً معنوياً أو مؤنثاً لفظياً، ويعلل العلماء منع العلم المؤنث من الصرف بأن: "التأنيث فرع من التذكير، والتذكير هو الأصل".⁽³²⁾

واختلفوا في العلم المؤنث الثلاثي الساكن الوسط، فذهب فريق منهم إلى جواز صرفه، إذ إنه عَلمٌ خفيفٌ في النطق، بينما يرى فريق آخر أنه ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث، ويؤكد ذلك سيبويه بقوله: "اعلم أن كل مؤنث سمّيته بثلاثة أحرف متواليٍ منها حرفان بالتحرك لا ينصرف، فإن سمّيته بثلاثة أحرف فكان الأوسط منها ساكناً... أو اسماً، الغالب عليه التأنيث كسعاد، فأنت بالخيار: إن شئت صرفته وإن شئت لم تصرفه، وترك الصرف أجود".⁽³³⁾ وقد ذكر الزمخشري أن العلم المؤنث الثلاثي الساكن الوسط "منصرف في اللغة الفصيحة التي عليها التنزيل؛ لمقاومة السكون أحد السببين...".⁽³⁴⁾

ولعل تلك المواصفات تنطبق على كلمة "عَثر"؛ فيكون استعمالها في البيت السابق استعمالاً فصيحاً جرى عليه أسلوب العرب؛ ومن ثم وُجدت شواهد ورد فيها العلم المؤنث مصروفاً، وقد اجتمعت فيه علتان العلمية والتأنيث – كما في شاهد اللبدي-، وقد وردت مثل هذه الشواهد في القرآن الكريم، منها على سبيل المثال: صرف كلمة "لَيْكَة" في مثل قوله تعالى: (كذب أصحاب لئيكَة المرسلين)⁽³⁵⁾ ومحل الشاهد: "لئيكَة" ووجه الاستشهاد: معي العلم المؤنث مصروفاً من غير ضرورة وجبت صرفه.

لقد ذكر علماء القراءات أن في "لَيْكَة" قراءتين:

الأولى: صَرَفَتْهَا مع أنها علمٌ مؤنثٌ، وحَقُّهَا المنع من الصرف للعلمية والتأنيث، وبهذه القراءة ضُبِطت كلمة "لئَيْكَة" في المصحف وفق رواية حفص عن عاصم.

الثانية: مَنَعَتْهَا من الصرف للعلمية والتأنيث، "فقرأ المدنيان،⁽³⁶⁾ وابن كثير، وابن عامر، بلام مفتوحة من غير ألف وصلٍ قبلها ولا همزة بعدها، وبفتح تاء التأنيث في الوصل مثل: حيوة، وطلحة، وقرأ الباقون بألف وصل مع إسكان اللام، وهمزة مفتوحة بعدها، وخفض تاء التأنيث.."⁽³⁷⁾

هذا، وقد رفض بعضهم قراءة "ليكة" ومنعوها من الصرف، وعدوها خارجة عن سُنن العربية؛ فمنهم: أبو علي الفارسي، والزمخشري، وفي ذلك يقول الأول: "...فَفَتَحَ (ليكة) لا يصح في العربية؛ لأنه فتح حرف الإعراب في موضع الجر مع لام المعرفة."⁽³⁸⁾

وقد تصدَّى أبو حيَّان لمن أنكر قراءة (ليكة)، وعدَّ إنكارها قريبا من الردة ودحض آراءهم، فقال: "وهذه قراءة متواترة لا يمكن الطعن فيها، ويقرب إنكارها من الردة والعياذ بالله."⁽³⁹⁾

وعلى ذلك، فإن قراءة (لثيكة) وصرفها مع أنها علمٌ مؤنثٌ -حقها المنع من الصرف وفقا لقاعدة الممنوع من الصرف- لدليلٍ على كونها لغة فصيحة من لغات العرب، يشهد لذلك ما ذكره علماء القراءات؛ وأما قراءة (ليكة) فمتواترة لا يمكن إنكارها أو تجاهلها، وهذا يدل على أن العلم المؤنث فيه لغتان: الصرف والممنوع.

الدور الذي أدَّاه الشاهد في توثيق القضية:

ففيما سبق إشارة إلى أن صرف الممنوع من الصرف لم يكن مقتصرًا على الاضطرار، بل تبين أن جلَّه ثبت في اللغة العربية الفصيحة، حيث صُرِفَ فيها الممنوع من الصرف، وما صُرِفَ الممنوع من الصرف في القرآن الكريم وقراءاته إلا دليل على فصاحة هذه اللغة.

وبناءً على ما سبق؛ فإن شاهد اللبدي أدَّى دورا ملموسا في توثيق قضية صرف الممنوع من الصرف في الدرس الصرفي.

3- نقل الحركة إلى المتحرك:

مدخل:

لعل ما يتبادر إلى الذهن إذا أُطلقت كلمة "النقل" في الدرس الصرفي "الإعلال بالنقل": غير أن الباحث -هنا- لم يكن قصده التطرق إلى تلك القضية بالذات، بل هناك قضية أخرى التي اتكأ اللغويون عليها في

نقل حركة الإعراب من آخر الكلمة المعربة إلى ما قبلها لتفسير أنماطٍ مختلفةٍ من "الوقف بالنقل"، و "تخفيف الهمزة"، و "إعراب الأسماء الستة بالحركات الأصلية"، زيادةً على ما يُسمّيه علماء القراءات والتفسير "الإدغام الكبير".

وعلى ذلك؛ فالباحث ستيطرق إلى قضية "نقل الحركة إلى المتحرك" التي تعد وسيلةً من وسائل تخلص اللغة من الثِقَلِ كما سيظهر في النقطة التالية:

عرض المسألة مع التحليل:

قال الشاعر:⁽⁴⁰⁾

مَنْ يَأْتَمِرُ لِلخَيْرِ فِيمَا قَصَدَهُ * تُحَمَّدُ مَسَاعِيَهُ وَيَعْلَمُ رَشْدَهُ

ساق اللبدي البيت السابق ليستشهد به على قضية نقل الحركة إلى المتحرك في الدرس الصرفي، والشاهد فيه: نقل حركة الهاء وهي الضمة في: "قصده" و "رشده" إلى الدال في كليهما، فإنهما في الأصل يكونان بالفتح؛ لأنهما ماضيان من القصد والرشد، ولكنهما لما وُفِّقَ عليهما نُقلت حركة الهاء إلى الدال فيهما.

هذا، ولقد اتفق جمهور النحويين على أن حركات الإعراب لا تقع في الأنماط اللغوية المعربة إلا طرفاً، أي: في آخرها.⁽⁴¹⁾ بيد أن هذا الوقوع والاتفاق لم يحل دون الاتكاء على نقل الحركة الإعرابية لتفسيرهم ما يحدث في موضوعات لغوية - كما سبق - بعد أن صارت حركة النقل جزءاً من المستوى الصوتي للغة العربية ولهجتها المختلفة، بغض الطَّرْفِ عن منع بعضهم النقل في بعض المواضع،⁽⁴²⁾ ولعل من الموضوعات التي تُفسر ذلك قضية نقل الحركة إلى المتحرك، أو كما يسميها بعضهم: هجوم الحركة على الحركة، أو إلقاء الحركة وتحويلها، وهكذا؛⁽⁴³⁾ وقبل أن يحدث ذلك يَحْسُنُ أن يُنظر إلى:

أ- الحركة المنقولة:

اتفق القدماء على جواز نقل حركتي الإعراب: "الضمة والكسرة" في الوقف، غير أنهم اختلفوا في فتحة الاسم المنصوب المشتمل على "ال"، فالبصريون منعوا هذا النقل، لأنهم يرون أن الأصل في مثل قولك: رأيت البَكْرَ، أن يكون الاسم مجرداً من "أل" ليقال في الوقف عليه: رأيت بَكْرًا؛ فلا يلتقي الساكنان كالتقاءهما في حال الرفع، من نحو قولهم: هذا بَكْرٌ - هذا بَكْرٌ، وفي حال الجر من نحو قولهم: مررت ببَكْرٍ -

مررت ببكز، فلماً امتنع نقل الفتحة في الاسم المجرد من "ال" المنصوب لعدم التقاء الساكنين حُمِل ما اشتمل على "ال" عليه فمُنِع نقل الفتحة فيه، وإن التقى فيه الساكنان اللذان يوجيان النقل نحو: رأيت البَكْرَ.⁽⁴⁴⁾ وأما الكوفيون فأجازوا هذا النقل محتجين بالسماع عن العرب، وذلك نحو: اضرب الوجّه، وهذا الوجّه، ونظرت إلى الوجّه.⁽⁴⁵⁾ وتجدر الإشارة إلى أن البصريين أجازوا نقل الفتحة إذا كان آخر الكلمة الموقوف عليها همزة، وإن اشتملت على "أل"، ومن ذلك قولهم: رأيت الرِذَاءَ، والبَطْأَ، والخَبَأَ.⁽⁴⁶⁾ ويبدو أن رأي البصريين مرجوحٌ لا راجحٌ، لأن الأمر منوطٌ بالاستعمال اللغوي والرواية عن العرب، ومن ثم فإن السبب الموجب للنقل متوفرٌ أيضاً في الاسم المنصوب المشتمل على "ال".

ب- الصامت الموقوف عليه والمنقولة إليه الحركة:

من الشروط المشتركة فيهما وجوب كونهما من الصوامت الصحيحة غير المعتلة، وتختلف بعد ذلك شروطهما، فالمنقول إليه الحركة يجب أن يكون ساكناً، واشتراطوا أن يكون الموقوف عليه غير مضاعف تجنباً لفك تضعيفه، لاختصاص ذلك بالشعر دون النثر، وعلى ذلك لايجوز أن تنقل الكسرة في الوقف على مثل قولك: انتفعت بالعلّ.⁽⁴⁷⁾ ولعل اللبدي في استشهاده بالبيت السابق أنه تبع ابن مالك في ذلك، إذ هو الذي أجاز نقل الحركة إلى الصامت المتحرك، لأن ذلك لغة لخم.⁽⁴⁸⁾ ويبدو أن ذلك غير مطردٍ في نقل حركة الإعراب، بل الظاهر أنه مختصٌ بحركة ضمير الغائب (الهاء)، وهي حركة بناء في لهجة لخم على نحو ما ورد في شاهد اللبدي؛⁽⁴⁹⁾ وعلى ذلك فإن اللبدي لم يكن مُؤَقِّفاً في اختيار شاهده بحجة أنه اختصر على زاوية ضيقة من نقل الحركة إلى المتحرك.

ت- الوزن الصرفي للكلمة الموقوف عليها:

في الأسماء الثلاثية ينعدم الوزن "فُعِل" و "فِعْل" أو يقل نظيرهما، بسبب الانتقال في النطق من الضمة إلى الكسرة أو العكس، لأن في ذلك مشقةً على الناطق، ولهذا منع القدامى نقل الضمة بالاتفاق كما ذكر الأشموني في نحو قولهم: هذا بِشْرٌ، لما يلزم من صيرورة هذا الاسم على وزن "فِعْل" بعد النقل، ومنعوا نقل الكسرة في نحو: انتفعت بِقُفْلٍ؛ لأنه يصير على الوزن المرفوض "فُعِل" خلافاً للأخفش الذي أجاز ذلك.⁽⁵⁰⁾

وتجدر الإشارة هنا إلى أن إجازة هذا النقل ومنعه ليس قائما على العلة المجوّزة له أو المانعة، وإنما مدار ذلك قائم على عدم سماع أمثله في اللهجات العربية، ولذلك رُوي في بعض اللهجات ما يخالف الشرط السابق حين يكون الصامت الموقوف عليه همزةً، فقد روى سيبويه قولهم: الرِّدُّوْ، والبُطِيءُ، بعد نقل الضمة والكسرة والمصير إلى الوزنين "فَعْل" و "فُعِل".⁽⁵¹⁾ وفي هذا الموقف يجدر للباحث أن يتطرق إلى:

أ- تعليل القدامى لنقل الحركة في الوقف:

ذكر سيبويه علتين لنقل الحركة في الوقف، إحداهما: كراهية التقاء الساكنين، والثانية: بيان صوتي الحنجرة: "الهمزة و الهاء" وهما من أصوات الحلق عند القدامى. أما العلة الأولى فذكرها في الأنماط اللغوية المنتهية بغير الهمزة والهاء، مثل قولهم: هذا بَكْرٌ، ومن بَكْرٍ، وكلمة النَّقْرُ، وقد بيّن علة النقل لالتقاء الساكنين في الباب الذي سماه: "هذا باب الساكن الذي يكون قبل آخر الحروف فيُحرك لكراهيتهم التقاء الساكنين".⁽⁵²⁾

ولعل الالتقاء الساكنين الذي قصده سيبويه يحدث بالضرورة في الكلمات الموقوف عليها وهي: "بَكْرٌ" و "النَّقْرُ"، ومن ذلك يُدرك أن نقل الحركة في الوقف وسيلة من وسائل منع التقاء الساكنين قبل حدوثه، والمعروف أن التقاء الساكنين جائز في الوقف لجواز وقوعه في اللهجات العربية القديمة -كما مرّ-

وأما علة البيان فذكرها سيبويه في (باب الوقف على الهمزة) بقوله: "واعلم أن ناسا من العرب كثيرا يلقون على الساكن الذي قبل الهمزة حركة الهمزة، سمعنا ذلك من تميم وأسد، يريدون بذلك بيان الهمزة، وهو أيّن لها إذا وليت صوتا، فلما كانت الهمزة أبعد الحروف وأخفاها في الوقف حرّكوا ما قبلها ليكون أيّن لها وذلك قولهم: هو الوثُوْ...، ومن البُطِيءُ، ورأيت البُطَأُ، وهو الرِّدُّوْ".⁽⁵³⁾

ويظهر أن علة البيان التي فسّر بها سيبويه نقل حركة الهاء لا تشمل إلا ضمير المفرد الغائب من نحو: (اضْرِبْهُ وَمِنْهُ وَعَنْهُ)، فقد ذكر سيبويه هذه الأمثلة في بابِ سَمَاءَ: (باب الساكن الذي تحركه في الوقف إذا كان بعده هاء المذكر الذي هو علامة الإضمار ليكون أيّن لها كما أردت ذلك في الهمزة)، ولم يذكر سيبويه إن كانت هذه العلة تنسحب على (الهاء) وهي صامت إعرابي يتحرك بحركات الإعراب في الوقف، بل ما

ذكره عبارة عن أمثلة تقع الهاء فيها ضميرا سواء أكان ذلك في النثر كما سبق أو في الشعر كما في شاهد اللبدي.⁽⁵⁴⁾

واختصاص صوتي الهاء والهمزة بنقل حركتهما لبيانهما بهذه الحركة المنقولة وعدم انسحاب هذه العلة على الصوامت اللغوية الأخرى سببه أن هذين الصوتين من مخرج صوتي واحد، وهو الحلق عند القدامى، أو الحنجرة عند المحدثين، مما يؤدي إلى خفاء هذين الصوتين لبعدهم مخرجهما وثقل نطقهما.⁽⁵⁵⁾

ب- تعليل المحدثين لنقل الحركة في الوقف:

لقد تطرق إبراهيم أنيس في كتابه (في اللهجات العربية) على تلك القضية، فكان مما قال: "إن ما يسميه النحاة وقفا بالنقل ليس في الحقيقة إلا تخلصا من التقاء الساكنين حين يقعان في آخر الكلمة، فبعض القبائل سيطرت عليها عادة التخلص من التقاء الساكنين سيطرة تامة إلى حدّ أن التزموه -أيضا- حين يكون الساكنان في آخر الكلمة".⁽⁵⁶⁾ ومثل أنيس عبد الصبور شاهين الذي يرى أن نقل الحركة في الوقف حدث للتخلص من التقاء الساكنين، إلا أنه عدّ نقل حركة الهمزة إلى ما قبلها في الوقف لثقل الهمزة، يقول: "فقد يكون حدوث النقل مع المهموز لثقل الهمزة في كل حال أي: مفتوحة، أو مكسورة، أو مضمومة".⁽⁵⁷⁾

دور الشاهد وجماله في توثيق القضية:

سبقت الإشارة إلى أن اللبدي أورد شاهده في هذه القضية ليستشهد به على قضية نقل الحركة إلى المتحرك، غير أنه من الممكن أن يلاحظ:

أ- أن اللبدي استشهد بالبيت السابق ليُشير إلى جواز نقل الحركة إلى الصامت المتحرك بغض الطرف عن كونه همزة أو هاء؛ لأن هناك من العلماء من ذهب إلى أن ذلك لا يكون مطردا في الصوامت اللغوية، بل الظاهر أنه مختص بحركة ضمير الغائب (الهاء). وعلى كلّ فإن من جمال الشاهد في القضية أنه أدّى دورَ إبرازِ كِيفِيَةِ نقلِ الحركةِ إلى المتحرك.

ب- إن الشاهد أظهر كيف كانت بعض اللهجات العربية تُعامل الحروف العربية عند الوقف، وبالتالي أظهر العلماء آرائهم تجاه القضية وبينوا أسسها وضوابطها.

الخاتمة:

عالجت الورقة موضوع الشاهد الشعري من خلال معجم المصطلحات النحوية والصرفية للبيدي، بدأت بتناول نبذة عن المصنّف، ثم مرت على مفهوم الشاهد الشعري، وانتهت بذكر أثره وجماله في المعجم، وحللتها تحليلاً ساعد على فهم النص واستبطان ما فيه من الجودة والجمال.

توصلت الورقة إلى النتائج الآتية:

- أ- إن موضوع الشاهد الشعري واحد من الأسس التأصيلية في الدراسات اللغوية، يُتوصل به إلى معرفة لغة العرب، وعليه المعول في تععيد وتبويب أحكامها.
- ب- إنه يسهم في الوقوف على مَكَمَن التنظيرات اللغوية التي تُشكّل المقدرة على بناء الأنماط النصية عند المتعلمين، مما ينعكس على أداءاتهم في مختلف المواقف التعليمية، فيكون ذلك من بواعث تحصيل الملكة اللغوية وثروتها عندهم.
- ت- إن معجم المصطلحات النحوية والصرفية لم يُدرس دراسة كافية -من قبل الباحثين- تكشف النقاب عن شخصية صاحبه، وبخاصة أنه رجل له باع طويل في حقل الدراسات اللغوية، فهو ليس لغويًا عاديًا، بل إنه صاحب فكر متميز وعقلية تحليلية تناقش وتقف عند النصوص.

المراجع والهوامش:

- 1- معجم الأدباء الأردنيين في الشبكة المعلوماتية، المملكة الأردنية الهاشمية، وزارة الثقافة، رقم: 14120.
- 2- عثر الباحث على هذه المعلومات من معجم البابطين الإلكتروني لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين، بدون معلومات النشر؛ قسم الشعراء، تحت اسم: نجيب محمد عبد الباقي اللبدي.
- 3- تجاني، عثمان، معجم المصطلحات النحوية والصرفية: دراسة وصفية، وهو بحث قدم استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة المراقبة المستمرة في السنة التمهيديّة للماجستير في اللغة العربية بقسمها في جامعة بايرو كنو؛ 2013م، ص 4.
- 4- استقى الباحث هذه المعلومات من الموقع الإلكتروني لرابطة الكتاب الأردنيين، وذلك لثلاث بقين من شهر نوفمبر 2015، في تمام الساعة العاشرة ليلاً، حسب التوقيت المحلي لمدينة كنو -حرسها الله- نيجيريا.

- 5- سورة البقرة: 282.
- 6- سورة التوبة: 17.
- 7- ابن منظور، لسان العرب، دار التوفيقية للتراث-القاهرة، د ط؛ د ت، 237/7.
- 8- الفيروز أبادي، القاموس المحيط، دار الكتاب العربي، د ط؛ د ت، مادة (شهد).
- 9- الرازي، أبوبكر، مختار الصحاح، دار الحديث-القاهرة، د ط؛ 2008م، ص 193.
- 10- ينظر: اللبدي، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، ص 61.
- 11- ابن منظور، لسان العرب، 16/4.
- 12- مباركة، مأمون تيسير محمد، الشاهد النحوي في معجم الصحاح للجوهري، بحث قدم إلى قسم اللغة العربية استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية في جامعة النجاح الوطنية-فلسطين، 2005م، ص 23.
- 13- جبر، يحيى عبد الرؤوف، الشواهد اللغوية، مجلة الأبحاث للنجاح، المجلد الثاني، العدد السادس، 1992م، ص 256.
- 14- الأفغاني، سعيد، من تاريخ النحو، ص 17.
- 15- اللبدي، محمد سمير نجيب، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، دار الفرقان: مؤسسة الرسالة، ط 1: 1985م، ص 222.
- 16- ينظر: عبد الغني، أيمن أيمن، النحو الكافي، دار التوفيقية للتراث-القاهرة، د ط؛ د ت، 24/2.
- 17- اسمه محمد بن بشير الخارجي، والخارجي نسبة إلى خارجة عدوان، وعدوان لقب لعمر بن قيس، وهو شاعر أموي عاش في المدينة المنورة في مكان يسمى: الروحاء. ينظر: الموقع الإلكتروني لديوان العرب.
- 18- سيويوه، عمرو بن عثمان، الكتاب، تعليق: إميل بديع يعقوب، بيروت: دار الكتب العلمية، 2005م، 73/1.
- 19- القرطبي، ابن مضاء، الرّدُّ على النحاة، تحقيق: الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف-مصر، ط 4؛ د ت، ص 94.
- 20- حسن، عباس، النحو الوافي، دار المعارف-مصر، د ط؛ د ت، 201/2.
- 21- وهو محمد خليفة التونسي، نسبة إلى قرية تونس في صعيد مصر؛ وهو كاتب وباحث ومفكر مصري ولد بها وتوفي بالكويت، وهو من تلامذة عباس محمود العقاد. انظر: الموقع الرسمي للمكتبة الشاملة: shamela.ws/index.php/author/2468، وللوقوف على قضية إلغاء باب التنازع انظر: ضيف، شوقي، تيسير النحو التعليمي قديماً وحديثاً مع نهج تجديده، دار المعارف-مصر، ط 2؛ د ت، ص 111 وما بعدها.
- 22- ينظر: جمعية الترجمة العربية وحوار الثقافات في الشبكة المعلوماتية. www.atida.org/forums/showthread.php?t=4368
- 23- الكهف: 74.

- 24- الحاققة: 19.
- 25- العيد، ابن دقيق، تقي الدين، إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، تحقيق: حسن أحمد إسبر، دار ابن حزم-بيروت، د ط؛ د ت، ص 434.
- 26- أورد اللبدي هذه القضية في باب الضاد، ص 132.
- 27- ينظر: ابن عقيل، عبد الحميد، محمد محيي الدين، شرح ابن عقيل، القاهرة: دار التراث، 1999م، 1\28 وما بعدها.
- 28- راجع، الزوزني، الحسين بن أحمد، شرح المعلقات السبع، القاهرة: دار الطلائع، د ت، ص 68.
- 29- ابن الأنباري، عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد، الإنصاف في مسائل الخلاف، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط 1: القاهرة: مطبعة الاستقامة، 1945م، 3\489.
- 30- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (الإمام)، الأشباه والنظائر، وضع الحواشي: غريد الشيخ، دار الكتب العلمية-بيروت، ط 1؛ د ت، 2\33.
- 31- ينظر: صالح، فليح زعل المذهبان، صرف الممنوع من الصرف، بحثٌ قدم استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية، قسم العربية-جامعة الشرق الأوسط، 2015، ص 26.
- 32- الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري، ما ينصرف وما لا ينصرف، تحقيق: الدكتور عبد الجليل عبده شبلي، دار الكتب العلمية-بيروت، ط 1؛ د ت، ص 49.
- 33- الكتاب، 4\185.
- 34- الزمخشري، محمود بن عمرو (أبو القاسم)، المفصل في صنعة الإعراب، تحقيق: الدكتور علي أبو ملح، دار ومكتبة الهلال-بيروت، ط 1: 1993م، ص 28.
- 35- الشعراء: 176.
- 36- هما: نافع المدني وأبو جعفر المدني.
- 37- القاضي، عبد الفتاح، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، تحقيق: أحمد عنابة، دون معلومات النشر، ص 246.
- 38- الفارسي، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار (أبو علي)، الحجة للقراء السبع، تعليق: كامل مصطفى الهنداوي، دار الكتب العلمية-بيروت، ط 1: 2001م، 5\369.
- 39- الأندلسي، محمد بن يوسف (أبوحيان)، تفسير البحر المحيط، دار الفكر-بيروت، ط 2: 1983م، 7\47.
- 40- أثبت اللبدي أنه لم يعرف قائل هذا البيت، وبذلك قال العلماء، ينظر: اللبدي، معجمه، ص 230.
- 41- ينظر: الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن، الإيضاح في علل النحو، تحقيق: مازن المبارك، دار النفائس-بيروت، ط 6؛ 1996م، ص 76.

- 42 - ومن تلك القبائل قبيلة لخم، ينظر: اللبدي، معجمه، ص 230؛ وأما بالنسبة لمنع بعضهم النقل في بعض المواضع فذلك راجعٌ إلى الإدغام الكبير، حيث وصفه السيرافي بالرداءة، حيث قال: "والإدغام في مثل هذا ردى..". ينظر: السيرافي، الحسن بن عبد الله (أبوسعيد)، إدغام القراء، تحقيق: محمد الرديني، مطبعة الأمانة-القاهرة، ط 1: 1984م، ص 36-37؛ ولقد أجاز علماء القراءات وغيرهم وقوع هذا الإدغام، كالشاطبي في شاطبيته، وذلك إذ قال: ودونك الإدغام الكبير وقطبه * أبو عمرو البصري فيه تحفلاً. راجع: القاضي، عبد الفتاح، الوافي في شرح الشاطبية، دار السلام-القاهرة، ط 2: 2004م، ص 43.
- 43 - ينظر: مجلة علوم اللغة - القاهرة، كلية الآداب، المجلد (8) العدد(1)، سنة 2005م، ص 4-5.
- 44 - ينظر: سيبويه، الكتاب، 4\127 وما بعدها.
- 45 - ينظر: المرجع السابق، 4\120-121.
- 46 - والردؤ يعني: الصاحب. انظر: المرجع السابق، 4\130.
- 47 - المرجع السابق، 4\129. والعل: المسن من كل شيء؛ والدقيق الجسم النحيف، وغير ذلك من المعاني. ينظر: المعجم المعاني الإلكتروني.
- 48 - ينظر: ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله، المساعد على تسهيل الفوائد، تحقيق: محمد كامل بركات، جامعة أم القرى-مكة المكرمة، د ط؛ 1890م، 4\321.
- 49 - ينظر: الشنقيطي، أحمد بن الأمين، الدرر اللوامع على همع الهوامع، عني به: أحمد السيد، المكتبة التوفيقية-القاهرة، د ط؛ د ت، 2\584-585.
- 50 - الأشموني، علي (أبو الحسن)، منهاج السالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق: عبد الحميد السيد، المكتبة الأزهرية للتراث-القاهرة، د ط؛ د ت، 4\356.
- 51 - ينظر: الكتاب، 4\130.
- 52 - المرجع السابق، 4\127.
- 53 - سيبويه، الكتاب، 4\130.
- 54 - المرجع السابق، 4\132.
- 55 - عبد التواب، رمضان، المدخل إلى علم اللغة، مكتبة الخانجي-القاهرة، ط 3: 1997م، ص 31.
- 56 - أنيس، إبراهيم، في اللهجات العربية، الأنجلو المصرية-القاهرة، ط 8: 1992م، ص 149.
- 57 - شاهين، عبد الصبور، أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، مكتبة الخانجي-القاهرة، ط 1: 1987م، ص 406.

دور العلوم العربية في استنباط الأحكام الشرعية النحو والصرف والبلاغة نموذجاً

إعداد:

الدكتور حامد أدينوي جمعة

Dr Amidu Adinoyi Jimoh

قسم الدراسات العربية والإسلامية، جامعة ولاية كوغبي، أينغبا، نيجيريا

الملخص

يهدف هذا البحث إلى إبراز دور العلوم العربية في استنباط الأحكام الشرعية من خلال محاولة استقصاء جوانب التأثير والتأثر بينهما، وكشف قيمة الأحكام التي أسهمت علوم العربية في استنباطها ومن هذه العلوم القيمة الإفتائية التي ساهم بها العلوم العربية في استنباط الفتوى من معرفة النحو والصرف والمعاني والبيان والبدیع والإطلاق والإجمال والإعمال والإهمال والعام والخاص، لأنّ الوقوف على الأحكام الشرعية لا تتم فائدته إلا من خلال فهم الآيات والأحاديث الدالة على مقاصده ومعانيه وفقاً لفقهاء العلوم العربية التي نزل بها القرآن الكريم وسجل بها الحديث النبوي وإدراك البناء اللغوي حسب السياق العربي بأنواعه المختلفة، وإذا كان المفتي في الشريعة الإسلامية غير مدرك بالعلوم العربية تعذر عليه استنباط الأحكام الشرعية من القرآن الكريم والسنة النبوية.

Abstract

This research aims to highlight the role of Arab sciences in devising legal Laws by attempting to investigate aspects of the influence and influence between them, and to uncover the Laws value that Arab sciences contributed to deriving the fatwa from knowledge of grammar, morphology, meanings, statement, decency, release, syntax, business, neglect, public and private, because standing on

Laws Legitimacy is only useful to whom Except through understanding the verses and hadiths that indicate its aims and meanings according to the jurisprudence of the Arab sciences in which the Noble Qur'an was revealed and the prophetic hadith was recorded in it and the perception of the linguistic structure according to the Arab context of its various types. And the Sunnah of the Prophet.

مقدمة البحث

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيّدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين، أما بعد،

فالبحث في دور العلوم العربية في استنباط الأحكام الشرعية، من الأمور القديمة المعاصرة، لتوقف الأحكام على معرفة العلوم العربية؛ لأنّه من الأعمال الدينية والعربية من خلال معرفة النحو والصرف والبلاغة والأسلوب لفهم القرآن الكريم والحديث الشريف، وهما يشملان كل قضايا الحياة الإنسانية بمختلف جوانبها، ما كان منها وما سيكون، وما من نازلة في هذه الحياة إلا وفي القرآن الكريم والحديث الشريف حكمها، ولا يعرفه إلا الراسخ في العلوم العربية وأسرارها، ولكون القرآن أنزل بالعربية والأحاديث سجلت بالعربية.

سبب اختيار الموضوع هو أنّه يبحث في العلوم التي تمهد طرائق الفتوى للمفتي، وبها تتم معرفة أسرار الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، إذ لا يمكن لمن لم يطلع على هذه العلوم العربية الخوض في القرآن ومعانيه والأحاديث ودلالاتها.

لم يجد الباحث الدراسات السابقة في مجال دور العلوم العربية في استنباط الأحكام الشرعية ولكن وجد نظيراً لها في مجال العقيدة كبحث الدكتور محمد عزيز علي خالد محمد الموسوم (أثر البلاغة في تقرير المسائل العقديّة) نشره مجلة العلوم الإسلامية العدد التاسع، السنة 2006م، وفي مجال الأصول كبحث الدكتور كمال أحمد المقابلة الموسوم (أثر المباحث الأصولية في أصول النحو العربي) نشره المجلة الأردنية للدراسات الإسلامية المجلد الحادي عشر، العدد الثاني، السنة 2015م، وفي مجال الفقه كبحث الأستاذ الشارف لطروش الموسوم (أثر الفقه وأصوله في الدرس النحوي العربي)

نشره مجلة حوليات التراث العدد الخامس، السنة 2006م، وبحث الأستاذ عبد الله علي الموسوم (أثر علوم اللغة في الاستنباط الفقهي)، نشره المجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث، العدد الأول، المجلد الأول، السنة 2018م، وبحث الدكتور خالد بن سليمان بن مهنا الكندي الموسوم (بين الفقه

والنحو: وشائج قديمة ورؤى حديثة) نشره مجلة كلية الآداب والعلوم الاجتماعية بجامعة السلطان قابوس، وفي مجال أصول الفقه ككتاب الإمام جمال الدين الإسنوي الموسوم (الكوكب الدرّي فيما يتخرج على الأصول النحوية من الفروع الفقهية) حققه الدكتور محمد حسن عواد، ونشره دار عمار، في سنة 1985م، وكتاب محمود سعيد الموسوم (مباحث التخصيص عند الأصوليين والنحاة) نشره دار المعارف، الإسكندرية في سنة 1988م، وكتاب هارون ربابعة الموسوم (أثر النحو والبلاغة في الأحكام الفقهية) نشره دار كنوز المعرفة، عمان، 2008م.

منهجية البحث، يتمثل هذا البحث في المنهج الوصفي القائم على وصف العلوم العربية التي لها علاقة متينة باستنباط الفتوى الشرعي، والمنهج التحليلي القائم على إجراء الدراسة التحليلية لعلوم النحو ولعلم الصرف ولعلم البلاغة وبيان دورها في فهم آيات القرآن الكريم وأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم، ويحتوي البحث على النقاط التالية:

- علوم اللغة العربية وأنواعها ووظيفتها.
- مجال علوم العربية في استنباط الأحكام.
- دور النحو في فهم القرآن والحديث.
- دور الصرف في فهم القرآن والحديث.
- دور البلاغة في فهم القرآن والحديث.
- الخاتمة.

أولاً: علوم اللغة العربية وأنواعها ووظيفتها

تحتل العلوم العربية مكانة عالية في استنباط الحكم من النص القرآني والحديث النبوي، إذ لا يمكن فهم القرآن والسنة خارج نطاق العلوم العربية، ومن ذلك قول صاحب كتاب النداء في اللغة والقرآن بأنّ وضع رسوم يعرف بها الصواب من الخطأ في الكلام خشية دخول اللحن وشيوعه في تلاوة القرآن الكريم،

فجمعت اللغة ووضع النحو وكان علما اللغة والنحو¹. يتحدث الباحث في هذا المبحث عن وظيفة العلوم العربية وأنواعها عند الباحثين كما يلي:-

لا شك أنّ الوظيفة الأساسية للعلوم العربية هو حماية اللسان من الوقوع في اللحن عند تلاوة القرآن الكريم وقراءة الأحاديث النبوية ومعرفة التعبير الصحيح والاطلاع على الأسرار اللغوية في الآيات القرآنية والسنة النبوية، وكيفية تبليغ الأفكار إلى الآخرين بالعربية، ومن ذلك ما ورد في البحث الموسوم "اللغة العربية تخصص واحد" بأن علوم اللغة العربية انبثقت من هذا الكتاب العزيز، من أجل توظيفها في خدمته، تبيانا لمبانيه ومعانيه، وكشفاً عن إعجازه ومراميه، وجعلت العلماء يميلون إلى جعل الكتاب العزيز ميدان درسه، بعد أن يكتمل لهم تحصيل علوم اللغة العربية².

ومن ذلك ما ورد في كتاب مصادر اللغة بأن القرآن الكريم هو الدافع الأول لرواية اللغة، وابتعث ماضيها وبقائها حيّة. والقرآن الكريم أكثر المصادر طمأنينة وتوثيقاً للعناية التي صاحبت نزوله، فقد تفرغ نفر من الصحابة رضوان الله عليهم يتلقونه عن النبي صلى الله عليه وسلم حرفاً حرفاً، لم يهملوا منه حركة وسكوناً، ولا إثباتاً ولا حذفاً، ولا دخل عليهم منه شك ولا وهم³.

ومن أهم وظائف العلوم العربية ما يلي:-

- الحماية من وقوع اللحن اللغوي

يرى الباحث الوقوع في اللحن المتكرر لمن لم يتقن قواعد العلوم اللغوية؛ لأنّ للغة العربية خصائص لغوية تنفرد بها كرفع الفاعل والمبتدأ واسم "كان" وخبر "إن" ونصب المفعول والحال وخبر "كان" واسم "إن" وخفض اسم المجرور والإضافة، ومن ذلك ما ورد في البحث الموسوم "قضية اللحن في اللغة العربية" بأنّ الغرض الأساسي الذي دفع كثيراً من الدارسين إلى التأليف في اللحن، هو أن يتجنب المتحدثون باللغة العربية الأخطاء اللغوية إن كانت وقعت منهم، محافظة على سلامة اللغة من انتشار اللحن وشيوعه في آدابها⁴

- معرفة التعبير الصحيح

انتشر التعبير باللغة العربية غير صحيحة بدخول الشعوب الأعجمية إلى الإسلام ومن ذلك قول صاحب كتاب لحن العوام، بأنّ العرب العاربة لم تزل في جاهليتها وصدر من إسلامها، تنزع في نطقها بالسجية، وتتكلم على السليقة حتى فتحت المدائن ومُصرت الأمصار ودونت الدواوين فأختلط العربي بالنبطي، والنقيّ الحجازي بالفارسي، ودخل الدين أخلاط الأمم وسواقط البلدان، فوقع الخلل في الكلام⁵.

يتضح أنّ من أتقن العلوم العربية أخرج عن دائرة الذين تشكل عليهم الألفاظ القرآنية والنبوية، و الذين يصعب عليهم بيان الأرجح من الراجح، و الذين يُغلق عليهم ما هو واضح عند أهل الاختصاص، وأما الذين يتقنون علوم اللغة العربية يستطيع أن يفارق بين التعبيرات الصحيحة وغيرها كما في الجدول التالية:-

| ملحوظة | صحيح | غلط |
|---|-----------------------------|-----------------------------|
| والهمزة الاستفهامية لطلب التصور والتعيين وليس لطلب المعنى | لم يذّر أ حامد جاء أم أحمد؟ | لم يذّر أ جاء حامد أم أحمد؟ |
| "أنّ" ظرف الزمان مبني على الفتح | مِنَ الآن | مِنَ الآن |

ومن الأقوال التي تؤكد العلاقة بين علوم اللغة العربية والعلوم الشرعية لاستنباط الأحكام الفقهية:-

- قول ابن حزم في كتابه الإحكام في أصول الأحكام بأنه لا يحل لمن لا يعرف العربية أن يفتي في مسائل الدين، فلا للفقيه أن يكون نحوياً لغوياً، وإلا فهو ناقص لا يحل له أن يفتي بجهله بمعاني الأسماء وبعده عن الأخبار⁶.
- قال ابن خلدون في مقدمته: "أنه لا بدّ من معرفة العلوم المتعلقة باللسان لمن أراد علم الشريعة، وتتفاوت في التأكيد بتفاوت مراتبها في التوفية بمقصود الكلام حسبما يتبين في الكلام عليها فناً فناً،

والذي يتحصل أن الأهم المقدم منها: النحو، إذ به تتبين أصول المقاصد بالدلالة، فيعرف الفاعل من المفعول، والمبتدأ من الخبر، ولولاه لجهل أصل الإفادة⁷.

قال الشاطبي في كتابه الموافقات: "أن الشريعة عربية، وإذ كانت عربية فلا يفهمها حق الفهم إلا من فهم اللغة العربية حق الفهم، لأتهما سيان في النمط ما عدا وجوه الإعجاز، فإذا فرضنا مبتدأ في فهم العربية، فهو مبتدأ في فهم الشريعة، أو متوسطاً فهو متوسط في فهم الشريعة، فإن انتهى إلى درجة الغاية في العربية كان كذلك في الشريعة، فكان فهمه فيها حجة كما كان فهم الصحابة وغيرهم من الفصحاء الذين فهموا القرآن حجة، فمن لم يبلغ شأوهم، فقد نقصه من فهم الشريعة بمقدار التقصير عنهم، وكل من قصر فهمه لم يعد حجة، ولا كان قوله فيها مقبولاً"⁸.

قال ابن قتيبة: "أن من يعرف فضل القرآن من كثرة نظره واتساع علمه، وفهم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب، فتعلم العربية وإتقانها يبقى أمراً لا محيد عنه لفهم القرآن الكريم والسنة النبوية"⁹.

يقول الغزالي في معرض كلامه عن شروط المجتهد: "فعلم اللغة والنحو أعنى القدرة الذي يُفهم به خطاب العرب وعاداتهم في الاستعمال إلى حد يميز بين صريح الكلام وظاهره ومجمله وحقيقته ومجازه وعامه وخاصه ومحكمه ومتشابهه ومطلقه ومقيده ونصه فحواه ولحنه ومفهومه والتخفيف فيه أنه لا يشترط أن يبلغ درجة الخليل والمبرد"¹⁰.

ثانياً: أنواع العلوم العربية

تعدد أنواع العلوم العربية؛ إلى العلوم المختلفة لمعرفة أسرارها ونظمها وأنها ليست محصورة بالقواعد والإعراب وأهمها:-

- علم اللغة Linguistic هو العلم الذي يبحث في اللغة ويتخذها موضوعاً له، فيدرسها من النواحي الوصفية والتاريخية والمقارنة، كما يدرس العلاقات الكائنة بين اللغات المختلفة، أو بين مجموعة هذه اللغات، ويدرس وظائف اللغة وأساليبها المتعددة، وعلاقتها بالنظم الاجتماعية المختلفة¹¹.

- علم النحو Syntax هو العلم المستخرج بالمقاييس المستنبطة من استقراء الكلام الموصلة إلى معرفة أحكام أجزائه التي اختلفت منها¹²
- علم التصرف Morphology هو العلم الذي يبحث في أبنية الوحدة اللغوية وتلوناتها، على وجوه وأشكال عدة، وبما يكون لأصواتها من الأصالة، والزيادة والحذف والصحة والإعلال والإدغام والإمالة، وبما يعرض لتواليها من التغيرات، مما يفيد معان مختلفة¹³
- علم المعاني Meanings هو العلم الذي يبحث أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال، مثل التعريف والتنكير والذكر والحذف والإظهار والإضمار وغير ذلك، ويتبين كيف تكون هذه الأحوال واقعة في الكلام موقعاً تطابق دواعي النفس¹⁴.
- علم البيان Statement هو العلم الذي يبحث في مجموعة القواعد والضوابط والقوانين التي يعرف بها إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة كقواعد التشبيه وضوابط الاستعارة والمجاز المرسل¹⁵
- علم البديع Rhetoric هو العلم الذي يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة¹⁶.
- علم الدلالة Semantics هو العلم الذي يدرس المعنى والشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادراً على حمل المعنى¹⁷.
- علم الأصوات phonology هو العلم الذي يدرس التغيرات والتحويلات التي تحدث في أصوات اللغة نتيجة تطورها¹⁸
- علم العروض Prosody هو العلم الذي يكشف به صحيح الوزن الشعري من مختله، متناولاً البحور وتفعيلاتها وكل ما يتعلق بها¹⁹، أو العلم بالأصول التي يعرف بها صحيح أوزان الشعر العربي وفاسدها وما يطرأ عليها من الزخافات والعلل²⁰.
- ومن تأمل في هذه العلوم اللغوية يرى أن العلوم الشرعية مبنية عليها عند استنباط الفتاوى الإسلامية كاختلاف الإعراب وأثره في استنباط الأحكام، والمثال على ذلك هو رواه الإمام أبو داود عن

رسول الله صلى الله عليه وسلم (قلنا يا رسول الله، ننحر الناقة ونذبح البقرة والشاة فنجد في بطنها الجنين، أنلقيه أم نأكله؟ فقال: كلوه إن شئتم، فإن ذكاته ذكاة أمه) سنن أبي داود رقم الحديث 7282، وكلمة "ذكاة" الثانية زويت بالرفع في أكثر الطرق، ورويت بالنصب ولذا اختلف الفقهاء في حكم جنين الحيوان المذبوح أمه على أقوال هي:-

القول الأول:- هو قول جمهور الفقهاء القائل بجواز أكل الجنين الميت، إذا ذُكِيَتْ أمه، سواء خرجت الجنين بشعر أو بدون شعر، ويرجح هذا الرأي أمور منها²¹:

1- أكثر الروايات على رفع "ذكاة" الثانية ورفعها يدل على أن ذكاة الجنين من ذكاة أمه، فلا حاجة إلى تذكيتها بعد تذكيتها.

2- نصب "ذكاة" الثانية فهي منصوبة على الظرفية وتقديرها (ذكاة الجنين حاصلة وقت ذكاة أمه) أو منصوبة بنزع الخافض على تقدير (ذكاة الجنين داخله ذكاة أمه).

القول لثاني:- هو قول الإمام أبي حنيفة القائل بعدم جواز أكله مالم يخرج حياً فيذكي، لأن ذكاة حيوان لا تكون ذكاة حيوان آخر²²، إذ قام بتأويل الحديث إلى معنى آخر هو (ذُكُوا الجنين كما تذكون أمه).

القول الثالث:- هو قول الإمام مالك القائل باشتراط أن يكون الجنين تام الخلق وأن يظهر عليه الشعر ليحل بذكاة أمه²³.

ثالثاً: مجال العلوم العربية في استنباط الأحكام

تحظى العلوم العربية بأهمية واسعة في مجال الإفتاء، لأن استنباط الفتوى متوقف على معرفة العلوم العربية كالنحو والصرف والبلاغة، وبها يتم فهم الخطاب الشرعي، حيث لا تظهر ثمرة استنباط الفتوى على الأحكام الشرعية إلا بفهم الخطاب الشرعي وهما القرآن الكريم والسنة النبوية.

رابعاً: دور النحو في فهم القرآن والحديث

يعدّ النحو عاملاً أساسياً في فهم القرآن الكريم والحديث النبوي، إذ اتجه بعض النحاة إلى دراسة القرآن والأحاديث وفهم منيهما اتجاهاً نحويًا، ومن ذلك قول صاحب كتاب دراسات في القرآن، بأن النحاة كانوا من أوائل الدارسين الذين لفتوا إلى اعتماد على اللغة في التفسير، ما دام القرآن نزل بهذه اللغة²⁴.

كان النحاة يحرصون على جانب المعنى للقرآن الكريم وللحديث النبوي، بقدر ما كانوا يحرصون على جانب الصناعة، وذلك من خلال تصوير المعنى القرآني والنبوي بعبارة تستوفي شرائط الصحة اللغوية والنحوية، والدليل على ذلك كان العرب يُجرون في كلامهم شعراً ونثراً، وفي كتابتهم قبل الإسلام، ثم نزل القرآن الكريم فزاده وضوحاً وتحقيقاً واستعمالاً.

يرى الباحث مجالات للدراسات النحوية في القرآن الكريم منها:-

- "لا" نحويًا في القرآن

"لا" من الحروف المشتركة الداخلة على الأسماء والأفعال، فحكمها أن لا تعمل في واحد منهما، لكونها ضعيفة قياساً على الحروف المختصة، ودليل ضعفها أنها تقع بين الجار والمجرور، فلا تحجب عنه العمل، نحو: جلسْتُ بلا مقعدٍ، تقع بين الناصب والمنصوب ويبقى عمله، نحو قوله تعالى (لَكَيْلًا يَعْلَمُ من بَعْدِ عِلْمٍ شَيْنًا)²⁵، وهي لا تعمل إلا بشروط ذكرها النحاة كالاتي²⁶:-

- 1- أن يكون اسمها وخبرها نكرتين، فلا تعمل في معرفة
- 2- أن لا يفصل بينها وبين اسمها، ولو كان الفاصل جاراً ومجروراً
- 3- أن لا يدخل عليها جار، فإذا دخل عليها بطل عملها، ولا يجب تكرارها
- 4- أن تكون نافية للجنس نصّاً، لا على سبيل الاحتمال

- "ذو" نحويًا في القرآن

ورد "ذو" في القرآن الكريم على المواقع الإعرابية المختلفة منها:-

- وردت مرفوعة في خبر المتبداً في قوله تعالى (رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ)²⁷، وفي هذه الآية جاءت "ذو" خبراً ثانياً مبتدأ محذوف تقديره هو

- وردت فاعلاً مرفوعاً في قوله تعالى (وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ)²⁸، وفي الآية جاءت "كان" تامة و"ذو" فاعلاً لفعل ماضي.

- وردت نائب الفاعل مرفوعاً في قوله تعالى (وَمَا يُلْقَمُهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ)²⁹، وفي الآية الكريمة جاء الفعل المضارع مبني للمجهول، وجاءت "ذو" نائب الفاعل للفعل المضارع.

- وردت خبراً منصوباً في قوله تعالى (وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّوْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)³⁰، وفي هذه الآية جاءت "ذو" خبراً ل"كان"

- وردت مفعولاً منصوباً في قوله تعالى (وَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّر تَبْذِيرًا)³¹، في هذه الآية "ذو" مفعول لفعل الأمر "أت"

- وردت مضاف إليه مجروراً في قوله تعالى (وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ)³²، في هذه الآية جاءت "ذو" مضاف إليه ل"كل" مضاف

- وردت اسماً مجروراً في قوله تعالى (وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ)³³، في هذه الآية جاءت "ذو" اسماً مجروراً ب"باء"

من تأمل في النحو العربي يرى أن له علاقة وطيدة بالفقه والإفتاء من حيث المصطلحات وغيرها كمصطلح التعددية الذي يستخدمونه الفقهاء عند إثبات حكم مثل حكم الأصل في الفرع، وكذلك مصطلح النسخ الذي يعني إبطال العمل بالحكم الشرعي بدليل متراخ عنه، ويدل على إبطاله

صراحة أو ضمناً، ويظهر النسخ عند النحويين في كان وأخواتها، وظن وأخواتها وقد تدخل على المبتدأ والخبر ويتغير من حكمها، وتلك الأفعال نواسخ والعملية نسخ.

يؤكد البحث أن المباحث النحوية أساس في استنباط الأحكام الفقهية كأثر دلالة "من" في قوله تعالى (وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ)³⁴، وقد اختلف الفقهاء عن بيان ما يتيمم به لأثر دلالة "من" في الآية الكريمة، إذ ذهب أبو حنيفة إلى جواز التيمم بكل ما هو من جنس الأرض، لأنه جعل "من" لبيان الجنس، وبذلك أجاز للمتيمم الجص والنورة والزرنخ والطين والكحل والياقوت والزمود والفيروزج³⁵ بينما ذهب الشافعي إلى عدم جواز بكل ما هو من جنس الأرض إلا التراب لأنه حمل "من" على التبويض من جهة قياس التيمم على الوضوء.

وكذلك أثر دلالة "إلى" في قول الرجل لزوجته، "أنت طالق من واحدة إلى اثنتين أو من واحدة إلى ثلاث، وللفقهاء ثلاثة أقوال في ذلك:-

- 1- ذهب الحنفية إلى أن عدد الطلقات التي تقع في جملة الطلاق الأولى واحدة، ويقع في جملة الطلاق الثانية طلقتان، إذ لا يدخل ما بعد "إلى" في حكم ما قبلها.
- 2- ذهب الشافعية إلى عدم وقوع أي من الطلقات في الجملة الأولى، وفي الثانية تقع طلقة واحدة، إذ لا يدخل ما بعد "إلى" في حكم ما قبلها في جملة الثانية.
- 3- ذهب الحنابلة إلى وقوع طلقتين في الجملة الأولى وثلاث طلقات كاملات في الجملة الثانية، إذ يدخلان ما بعد "إلى" في حكم ما قبلها.

خامساً: دور الصرف في فهم القرآن والحديث

يرى الباحث بعض الآيات القرآنية مشتملة على الصيغ الصرفية المختلفة منها:-

- صيغة "فُعِلَ" بضمّ الفاء وسكون العين، وقد تمثل "هُود" هذه الصيغة في القرآن الكريم، كقوله تعالى (وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا)³⁶.

- صيغة "فُعَل" بضم الفاء والعين، وقد تمثل "النُدْر" هذه الصيغة، كقوله تعالى (كَدَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّدُر)³⁷.

- صيغة "فُعَل" بضم الفاء وفتح العين، وقد تمثل "جُدَد" هذه الصيغة، كقوله تعالى (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُود)³⁸.

- صيغة "فِعَل" بكسر الفاء وفتح العين، وقد تمثل "بِيع" هذه الصيغة، كقوله تعالى (الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتِنَتِ صَوْمُعٌ وَبِيعَ وَصَلَوْتُ وَمَسْجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ)³⁹.

- صيغة "مَفْعَل" بضم الميم وفتح الفاء وتضعيف العين، وقد تمثل "مَبْدَر" هذه الصيغة، كقوله تعالى (إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا)⁴⁰.

- صيغة "مَفَاعِل" بضم الميم وفتح الفاء، وقد تمثل "مُهَاجِر" هذه الصيغة، كما في قوله تعالى (فَأَمَّا لَه لُوطُ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)⁴¹.

- صيغة "مُفْتَعَل" بضم الميم وتسكين الفاء، وقد تمثل "مُقْتَدِر" هذه الصيغة، كما في قوله تعالى (وَوَاضَعُ رَبِّي يَمَانًا مَثَلِ الْوَيْدِ الْأَنْبِيَاءِ كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا)⁴².

ومن تأمل في هذه الصيغ الصرفية يرى أنها ترتبط بمعاني صرفية وظيفية، إذ البنية الصرفية للاسم تختلف عن بنية الفعل، وتوجد جملة من المعاني الوظيفية التي تتفرع عن وظيفة الاسم الصرفية، فصيغة الاسم المفرد تختلف عن صيغة المثني، تختلف عن صيغة الجمع، ولكل منها علامة تميّزها، وكذلك صيغة التأنيث تختلف عن صيغة التذكير، والحديث عن الأسماء من المستقاة يوضح عن تلك الوظائف الصرفية الدلالية.

وقد استفاد الفقهاء من الصرف العربي في استنباط الأحكام الأحكام الإسلامية بالصيغ الصرفية التالية:-

صيغة الفعل المضارع

اختلف اللغويون والأصوليون والفقهاء عن دلالة صيغة المضارع على أربعة مذاهب وهي:-

الأول: أنه حقيقة في الحال ومجاز في الاستقبال

الثاني: أنه حقيقة في الاستقبال ومجاز في الحال

الثالث: أنه حقيقة في الحال ولا يستعمل في الاستقبال أصلاً لا حقيقة ولا مجازاً

الرابع: أنه حقيقة في الاستقبال ولا يستعمل في الحال أصلاً لا حقيقة ولا مجازاً

تطبيق ذلك في مجال الإفتاء هو أن يقول الزوج لزوجته: طلقي نفسك، فقالت: أطلق، فلا يقع في الحال شيئاً، لأن مطلق الاستقبال، وكذلك إذا قال شخص: أقسم بالله لأفعلن، أطلق (وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَضْتُمْ بِهِ - مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُؤَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْرِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ)⁴³، فالأصح أنه يكون يميناً ولا يحمل على الوعد، وكذلك إذا قيل للكافر آمن بالله أو أسلم لله، فأتى الكافر بصيغة المضارع فقال: أومن أو أسلم فإنه يكون مؤمناً فلا يحمل على الوعد⁴⁴

- صيغة الفعل الماضي

اتفق اللغويون والأصوليون والفقهاء على أن الفعل الماضي إذا وقع شرطاً انقلب إلى الإنشاء، وتطبيق ذلك في مجال الإفتاء هو إذا قال الزوج لزوجته، إن قمت فأنت طالق، فلا يحمل على قيام صدر منه في الماضي إلا بدليل آخر

- صيغة فعل الأمر

اتفق اللغويون والأصوليون والفقهاء على أن فعل الأمر له معان متعددة في استنباط الأحكام الفقهية والدلالات اللغوية ومنها:-

1- الوجوب كما في قوله تعالى (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ)⁴⁵، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم (فما أدركنم فصلوا وما فاتكم فاتموا)⁴⁶. استنبط الفقهاء من الآية الكريمة والسنة النبوية دلالة على وجوب الصلاة لكل مسلم ومسلمة.

2- الندب كما في قوله تعالى (فَكَاتِبُهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا)⁴⁷ استنبط الفقهاء من الآية الدلالة على مندوبية المكاتبه.

3- الإرشاد كما في قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ)⁴⁸، استنتج الفقهاء من فعل الأمر في الآية الكريمة المنافع في تسجيل الديون بالكتابة لما فيل حفظ الحقوق في الدنيا.

4- الإباحة كما في قوله تعالى (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)⁴⁹، استنتج الفقهاء من فعل الأمر في الآية لكريمة جواز السعي في طلب الزرق بعد أداء صلاة الجمعة في يوم الجمعة.

– فعل النهي

اتفق اللغويون والأصوليون والفقهاء على أن فعل الأمر له معان متعددة في استنباط الأحكام الفقهية والدلالات اللغوية ومنها:-

1- التحريم كما في قوله تعالى (وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ)⁵⁰، استنبط الفقهاء من صيغة النهي في الآية الكريمة تحريم قتل النفس البشرية بالظلم والعدوان

2- الكراهية كما في قوله تعالى (وَلَا تَعَزَّمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ)⁵¹، استنبط الفقهاء من صيغة النهي في الآية الكريمة كراهة عزم عقدة النكاح.

3- التحذير كما في قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ - وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)⁵² استنبط الفقهاء من صيغة النهي في الآية الكريمة التحذير من الموت على الدين غير الإسلام.

سادساً: دور البلاغة في فهم القرآن والحديث

يرى الباحث أنّ للدرس البلاغي دور في فهم النص القرآني والنبوي؛ لأنّه مفتاح لمعرفة أسرار الكلمات القرآنية والنبوية من تقديم وتأخير وإظهار وإضمار وذكر وحذف وتكرار وغيرها ومن ذلك قول صاحب كتاب البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري بأنّ التطبيقات في الدرس البلاغي ليست أمراً هيناً؛ لأنّها هي حياته ونماؤه، وتتركز فيها على قدرة البليغ ومهارته، فقواعد البلاغة وأصولها يمكن أن تجمع في الصفحات، والمهم هو التطبيق والنظر في النصّ المدروس وتحليل تركيبه وإبراز محاسن صياغته ودلالات خصوصيته⁵³

ومن أهم الدراسات البلاغية في استنباط الأحكام الفقهية ما يلي:-

- التقديم والتأخير

اهتم الفقهاء بالتقديم والتأخير للحصول بالأحكام الفقهية في كثير من الآيات القرآنية كقوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَآسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)⁵⁴ والشاهد في الآية الكريمة هو تقديم الصلاة مفصلة لغرض التعليم وجاءت قبل أمر العبادة لبيان وجوبها وأنها من التكاليف.

- الحذف والذكر

اهتم الفقهاء في تحديد بعض الأحكام الفقهية كوقوع الحذف لكون المحذوف معلوماً بحكم العادة كما في قوله تعالى (إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ)⁵⁵ وتقديره: إذا قمتم من المضاجعكم يعني النوم وعليه يقوم مجرد القيام إلى الصلاة غير موجب للوضوء لأنه إذا وجب من النوم لم يكن القيام إلى الصلاة بعد ذلك موجباً.

- الوصل والوصل

استخدم الفقهاء أسلوب الوصل والفصل للوصول إلى الأحكام الفقهية كما في قوله تعالى (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهََ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا)⁵⁶ الشاهد في الآية الكريمة هو أن الجملة الأولى (لا تعبدون) إنشائية بينما الجملة الثانية (بالوالدين إحساناً) خبرية، لكنهما إنشائيتان بمعنى: اعبدوا الله وحده وأحسنوا للوالدين، ووجود العطف في الآية قرر التشريك في الحكم، بحيث أظهر المكانة التي أولاها الإسلام ببر الوالدين لما يترتب على ذلك من مصالح اجتماعية.

- الحقيقة ولمجاز

جعل الفقهاء الحقيقة والمجاز موضع الاهتمام عند استنباط الأحكام الفقهية من الآيات القرآنية لما للمجاز من تغيير الحكم في النص الإلهي كما في قوله تعالى (وَأَتُوا آلِيَتَّحَىٰ أَمْوَالَهُمْ)⁵⁷، والشاهد في الآية الكريمة هو اختلاف الفقهاء في حمل اليتيم على الحقيقة أو لمجاز، فمن حمل على الحقيقة فقال: أن يأتوا اليتامى ما يلبسون ويأكلون في حال صغرهم، ومن حمل على المجاز فقال: أن يطلق اليتيم على الصغير والكبير

- الكناية

جعل لفقهاء الكناية موضع الاهتمام في استنباط الأحكام الفقهية من النصوص القرآنية إذ لا يثبت الحكم بها إلا عند وجود القرينة أو النية الدالة على الحال، بأن يعلم السمع أو المتكلم أنه نوى من كلامه أحد معانيه، ولا بد من وجود دليل يزول به التردد ويترجح به بعض الوجوه وينبني على ذلك مايلي:-

-1 لا يثبت بالكناية ما يندري بالشبهة كالحدود والكفارات

-2 كناية الطلاق تحتاج إلى نية، وهي تفيد البينونة عند الخنفية، وتقع الرجعية عند الشافعية

خاتمة البحث

- 1- أثبتت البحث بأن علوم اللغة العربية جميعها، جاءت لخدمة القرآن الكريم والحديث النبوي وبُنيت على نصوصهما، إذ كانا المرجع الأساسي للفتاوى الشرعية.
- 2- ذكر البحث أنواع العلوم العربية وظائفها في حماية اللسان عن وقوع في اللحن، وتحديد الشروط التي يجب أن تتوفر في التعبير الصحيح، وينتج من ذلك الفهم السديد للفتاوى الشرعية المستخرجة من القرآن الكريم والأحاديث النبوية.
- 3- حدد البحث مجال العلوم العربية في فهم القرآن والحديث منها كالنحو ودوره في فهم القرآن والحديث، والصرف ودوره في القرآن والحديث، والبلاغة ودوره في فهم القرآن والحديث، إذ لا تستغني العلوم العربية عن استنباط الأحكام الشرعية.
- 4- أحاط البحث الألفاظ العربية ودلالاتها ومعانيها حسب السياق في حالة الأفراد والتراكيب والإطلاق والتقييد والعام والخاص والأمر والنهي والإعمال والإهمال.
- 5- كشف البحث علاقة العلوم العربية مع استنباط الأحكام الشرعية من خلال فهم النصوص القرآنية والنبوية، لأنّ الخطاب الشرعي الذي يعدّ أصل الاستنباط ومرجع الفتوى لا يعلم المراد منه ولا يدرك دلالاته إلا بمعرفة معاني مفرداته وألفاظه والوقوف على أساليبه وتراكيبه.
- 6- أكد البحث أن مصطلحات أصول النحو متأثرة بمصطلحات أصول الفقه من حيث الدلالات وغيرها
- 7- أبان البحث تقارب الآراء بين اللغويين والفقهاء في بعض المسائل في الدلالات اللغوية والفروع الفقهية
- 8- أظهر البحث أن علاقة علوم اللغة العربية بالعلوم الشرعية علاقة قديمة ومتجددة منذ نزول القرآن الكريم إلى عصرنا هذا.

الهوامش والمراجع:

- ¹ فارس، أحمد محمد، النداء في اللغة والقرآن، ط1، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1409هـ/1989م، ص10.
- ² باجودة، محمد حسن، اللغة العربية تخصص واحد، مجلة الموسم الثقافي لكلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1416هـ-1417هـ، ص58.
- ³ السلفاني، عبد الحميد، مصادر اللغة، المنشأة العامة للنشر، طرابلس، ص12.
- ⁴ الصافي، إشرافه نور الدين، قضية اللحن في اللغة العربية حتى نهاية القرن الرابع الهجري، رسالة الماجستير، جامعة الخرطوم، السودان، 2010م، ص57.
- ⁵ الزبيدي، لحن العوام، تحقيق: رمضان عبد التواب، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2000م، ص59.
- ⁶ الأندلسي، علي بن حزم، لإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: محمد تامر، دار الثقافة، بيروت، ج1، ص232.
- ⁷ ابن خلدون، عبد الرحمن، مقدمة، دار القلم، بيروت، ص453.
- ⁸ الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق: مشهور حسن سليمان، دار ابن عفان، ط1، 1997م، ج5، ص35.
- ⁹ ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ط3، مكتبة المدينة المنورة، 1981م، ص12.
- ¹⁰ الغزالي، أبو حامد، المستقصى من علم الأصول، تحقيق: سليمان الأشرف، ط1، مؤسسة الرسالة، 1997م، ج1، ص393.
- ¹¹ عبد التواب، رمضان، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1417هـ/1997م، ص7.
- ¹² الأسعد، عبد الكريم محمد، الوسيط في تاريخ النحو العربي، ط1، دار الشواف، الرياض، 1413هـ/1992م، ص15.
- ¹³ عبد الجليل، عبد القادر، علم الصرف الصوتي، دار أزمنا، 1998م، ص37.
- ¹⁴ أبو موسى، محمد، خصائص التركيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، ط4، مكتبة وهبة، القاهرة، 1416هـ/1996م، ص75.
- ¹⁵ فيود، بسيوني عبد الفتاح، علم البيان دراسة تحليلية لمسائل البيان، ط2، مؤسسة المختار، القاهرة، ص11.
- ¹⁶ عكاوي، إنعام فؤال، المعجم المفصل في علوم البلاغة، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، ص257.
- ¹⁷ عمر، أحمد مختار، علم الدلالة، ط5، دار عالم الكتب، القاهرة، 1998م، ص11.
- ¹⁸ عمر، أحمد مختار، أسس علم اللغة، ط8، دار عالم الكتب، 1419هـ/1998م، ص46.
- ¹⁹ مايو، قدرى، المعين في العروض والقافية، ط1، دار عالم الكتب، بيروت، 1412هـ/2000م، ص5.

- ²⁰ فوتيه، جبريل مخائيل، البسط الشافي في علمي العروض والقوافي، مطبعة القديس جاورجيس، بيروت، 1890م، ص5.
- ²¹ الشوكاني، محمد بن علي، إرشاد الفحول، ط1، إدارة المنيرية، القاهرة، ج2، ص168.
- ²² البياقلائي، محمد بن طيب، التقريب والإرشاد، تحقيق: عبد الحميد بن علي، ط1 و مؤسسة الرسالة، بيروت، ج2، ص198.
- ²³ الحصري، أحمد، استنباط الأحكام من النصوص، ط2، دار الجبل، بيروت، 1997م، ص264،
- ²⁴ خليل، سيد أحمد، دراسات في القرآن، دار النهضة، بيروت، 1969م، ص70.
- ²⁵ سورة الحجّ، الآية 5.
- ²⁶ سيويوه، الكتاب، ج2، ص296.
- ²⁷ سورة غافر، الآية 15،
- ²⁸ سورة البقرة، الآية 280
- ²⁹ سورة فصلت، الآية 35.
- ³⁰ سورة الأنعام، الآية 152.
- ³¹ سورة الإسراء، الآية 26.
- ³² سورة الأنعام، الآية 146.
- ³³ سورة النساء، الآية 36.
- ³⁴ سورة المائدة، الآية 6.
- ³⁵ الكاساني، بدئع الصائغ، ج1، ص181.
- ³⁶ سورة البقرة، الآية 111.
- ³⁷ سورة القمر، الآية 23.
- ³⁸ سورة الفاطر، الآية 27.
- ³⁹ سورة الحجّ، الآية 40.
- ⁴⁰ سورة الإسراء، الآية 27.
- ⁴¹ سورة العنكبوت، الآية 26.
- ⁴² سورة الكهف، الآية 45.
- ⁴³ سورة البقرة، الآية 236.
- ⁴⁴ الأسنوي، جمال الدين، التمهيد في تخرّج الفروع على الأصول، تحقيق: مجمد سليمان الأشقر، ط4، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1987م، ص235.

⁴⁵ سورة البقرة، الآية 43.

⁴⁶ أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب لا يسعى إلى الصلاة وليأت بالسكينة والوقار، رقم 636، وأخرجه مسلم في كتاب

المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب إتيان الصلاة بوقار وسكينة، رقم 151.

⁴⁷ سورة النور، الآية 33.

⁴⁸ سورة البقرة، الآية 282.

⁴⁹ سورة البقرة، الآية 10.

⁵⁰ سورة الإسراء، الآية 33.

⁵¹ سورة البقرة، الآية 235.

⁵² سورة ال عمران، الآية 102.

⁵³ أبو موسى، محمد حسنين، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، دار الفكر العربي، القاهرة، ص 5 – 6.

⁵⁴ سورة الحج، الآية 77.

⁵⁵ سورة المائدة، الآية 6.

⁵⁶ سورة البقرة، الآية 83.

⁵⁷ سورة النساء، الآية 2.

دارسة صرفية إحصائية لاسم الفاعل في الدواوين الستة للشيخ إبراهيم إنياس

إعداد:

إبراهيم شعبان¹ ومت طيب بن فا² وأحمد عارفين بن صفر³
قسم اللغة العربية ولغات الشرق الأوسط، جامعة مالايا. مليزيا

الملخص:

تقوم هذه المقالة بدراسة اسم الفاعل في الدواوين الستة للشيخ إبراهيم إنياس الكولخي، من الناحية الصرفية وفق أبواب الفعل الثلاثي والرباعي المجردين ومزيديهما معللة في ذلك بآراء علماء اللغة قدماء ومحدثين، ومبرهنه بأ مثله حية مقتبسة من هذه الدواوين الستة وقد تنوعت أوزان اسم الفاعل في هذه الدواوين المذكورة إلى قسمين؛ الأول: اسم الفاعل من الفعل الثلاثي المجرد وهو على وزن (فَاعِل)، والثاني: من الفعل الثلاثي المزيد بأنواعه، ومن الرباعي المجرد والمزيد بأوزانها المتعددة، وكذلك ما جاء من أسماء الفاعل على غير بابه، وسوف تكشف لنا هذه الدراسة عن مغذى توارى اسم الفاعل وفحوى تنوع أوزانه وصيغه مع ملاحظة دقة مؤلف هذه الدواوين الستة في اختيار صيغ اسم الفاعل واستخدامها في المواضع اللاتقة في هذه الدواوين الستة إن شاء الله.

ABSTRACT:

This article is a morphological and analytical inductive study examines the active participle contains in the six collections/Diwans of Shaikh Ibrahim Inyass al-Kaulakhi, al-Senegalese, according to the two set forms of Trilateral Unaugmented Verb and the forms of Trilateral augmented verbs, the paper highlighted views from classical and contemporary scholars of linguistics and theorem of a nice

¹ sharifibrahimshaaban@gmail.com

² mattaib@um.edu.my

³ arifin@um.edu.my

examples quoted from the six collections of these Diwans, it discusses about the type of active participle scales and from quadrant verbs and it's multiple scales, this study revealed the feed of active participle and the content of the diversity of it's different scales and formulas, noting the accuracy of the author of the Diwans in selection and use of the active participle in the appropriate subject in these six selection.

مقدمة:

إنّ التصريف فنٌ حامٍ لحيوية اللغة العربية وموحٍ بصلابتها تجاه التيارات اللغوية السائرة وصلاحيتها في مواكبة التطورات اللغوية الحديثة، فهذه المقالة تتطرق إلى جانب أساسي في اشتقاق اسم الفاعل من المجرد الثلاثي والرباعي ومزيدهما، كما أنّها تكشف عن العلاقة بين أبواب الفعل المجرد الثلاثي الستة وأسماء الفاعل؛ مشيرة إلى الصحيح والمعتل من تلكم الأسماء في الدواوين الستة للشيخ إبراهيم إنيس مع مسح وبسطٍ وجيزٍ عن دلالتها الفاعلية.

نبذة عن حياة مؤلف الدواوين الستة:

هو الشيخ إبراهيم بن عبد الله، ينتهي نسبه إلى الصحابي الجليل عقبة بن نافع بن عبد القيس بن عقيل بن عامر (يعقوب الغاني، د.ت). ولد يوم الخميس بعد العصر بقريّة طَبِيبةٍ أنيسين بإقليم سين سألوم في جمهورية السنغال في منتصف شهر رجب سنة 1320هـ/أكتوبر 1900م. (عبد الله موسى دوظو، 2002 م).

نشأ الشيخ إبراهيم تحت رعاية والده الداعية المخلص والمتفتن في مختلف العلوم، فربّاه وأدبه وغذاه بعلومه وسقاه بمعارفه، وقد حفظ القرآن الكريم وهو لم يجاوز السابعة من عمره، وقرأ على والده الفقه والحديث واللغة والتاريخ والتفسير، (عبد الواحد النظيفي القرموي، 2012م).

وقد أكّدت الوثائق التاريخية أنّه لم يتعلّم إلا من والده، وله قول مشهور: "ما قرأت إلا على والدي"، ولقد اكتمل نموّه وظهر نبوغه في العشرين من عمره، وعُدّ من الشخصيات الفذة الذين سخّروا طاقاتهم لنشر التراث العلمي والأدبي، واستعمل قلمه ولسانه ودقّته في ميدان الأدب-وكان شغوفاً به- وفي حقل

الصوفية والدعوة والإرشاد، وقد ألف كتابه الأول (روح الأدب) وهو ابن إحدى وعشرين سنة وذلك بعد وفاة والده بسنة، وله أكثر من سبعين مؤلفاً نثرية وشعرية، والتحق بالرفيق الأعلى بالمستشفى في (لندن) يوم الأحد 37 يوليو 1975م، ودفن وراء مسجده في مدينة كولخ جمهورية السنغال، وترك أكثر من سبعين ولدا كلهم حفظة لكتاب الله، ودعاة إلى الحنيفية السمحاء. (الغاني، د ت).

اسم الفاعل من الثلاثي في التواوين السنتية:

تعدّ صيغة "فَاعِل" من أكثر الصيغ شيوعاً في اللغة العربية، ومن مسوغات كثرة استعمال صيغة من أخرى، أو استخدام لفظٍ وتفضيله؛ بل وإهمال غيره، يعود ذلك طلباً للخفة، فكلماً خفّ اللفظ كثر استخدامه في اللغة العربية، (سيبويه، 1982م). وأما كثرة صيغة (فاعل) بكسر العين فراجعة إلى وظيفتها الصرفية لكونها هي: "اسم الفاعل"، (بلقاسم بلعرج، 2005م).

يأتي اسم الفاعل من الفعل الثلاثي على وزن "فاعل" قياساً، ولا فرق في ذلك بين أوزانه (الفعل الثلاثي) المختلفة، وفيما يلي نماذج لاسم الفاعل من تلك الأوزان:

أولاً: وزن "فَعَلَ" المفتوح العين في الماضي؛ وينقسم هذا الوزن إلى ثلاثة أقسام:

أ] "فَعَلَ يَفْعُلُ" المفتوح العين ماضياً ومضمومها مضارعاً، وقد أشار ابن عقيل على قياسية اسم الفاعل من هذا القسم، (ابن عقيل، 1974م). كما أنّ اسم الفاعل منه يأتي لازماً، (ابن جني، 1954م). ومتعدّياً، (ابن عصفور، 1998م)، وقد ورد في هذه التواوين كثيراً، مثل: [ساكت، العالي فائح، ناصر، تاركا] في قول الشيخ إنياس:

ح/ع: "وَهَامَتْهُ عُظْمَى لِسَعْرِ تَرْجُلٍ *** وَخَافِضُ طَرْفٍ (سَاكِتٌ) فَهَوَ يَخْشَعُ".^{47/2}

ح/ف: "أَبُوبَكْرٍ (العَالِي) الإِمَامُ وَسَيِّدِي *** أَبُوخَفْصِ الْفَارُوقِ حَبِيٍّ مَنْ صَفَى".^{50/2}

ح/ح: "لَقَدْ فَاحَ لِي مِنْ نَشْرِ أَحْمَدَ (فَائِحٌ) *** فَحَرَمَنِي نَوْمِي الدُّمُوعُ السَّوَافِحُ".^{35/2}

ح/ف: "بِخَمْسَةِ آلَافٍ أَتَوْهُ بِشَارَةً *** وَ(نَاصِرُهُ) مَوْلَى الْبَرَايَا وَقَدْ كَفَى".^{50/2}

ح/ل: "عَزَمْتُ عَلَى فِعْلِ الْأَوَامِرِ (تَارِكًا) *** جَمِيعِ النَّوَاهِي وَالْفُؤَادِ بِكَ ائْكَلُ".^{85/3}

ويأتي هذا القسم من الأنواع التالية:

1- الصَّحِيحُ السَّلَامُ: مثل [شامخ، ناسخ،] في قوله:

ح/خ: "خِصَالُ الْمُعَالِي قَدْ حَوَيْتَ جَمِيعَ مَا *** تَفَرَّقَ فِي الْأُرْسَالِ فَأَلْمَجْدُ (شَامِخٌ)" 69/3

ح/خ: "حَدِيدٌ ثَوَى بِالْبَابِ وَالْحُبُّ رَاسِخٌ *** بِقَلْبٍ لَهُ وَهُوَ الْمَدَائِحُ (نَاسِخٌ)" 69/3

2- المهموز: مثل [الأئبون، أخذات] في:

ح/م: "سَلَامٌ عَلَيْهِ مِنْ بَرِيَسٍ وَقَدْ عَلَا *** لَدَى مُرْسَلِيَا (الْأَيْبُونَ) عَلَى الْقَمَمِ" 179/6

ح/ع: "فَتِيكَ فَتِيكَ مَا سَبَانِي غَيْدَهَا *** فَغُرُّ الْمُعَالِي (أَخْدَاتٌ) بِمَجْمَعٍ" 172/6

3- الأجوف: مثل [فائز، قائل، صائم] في:

ح/ز: "زَمَانِي سَعْدٌ مِنْهُ فَوْزٌ (لِفَائِزٍ) *** لِمَدْحِ هُمَامٍ مُجَزَّلٍ لِلجَوَائِزِ" 127/5

4- الناقص: [عَادٍ، رَاجِيًا].

ح/ع: "عَلَيْهِ صَلَاةُ اللَّهِ ثُمَّ سَلَامُهُ *** وَالِ وَصَحْبٍ كُلُّ (عَادٍ) وَرَائِحٍ" 110/4

ح/ألف مقصورة: "ضَمِنْتُ لَهُ سَرْدَ الْمَدَائِحِ (رَاجِيًا) *** قَبُولَ ثَنَائِي وَالزِّيَادَةَ وَالْحُسْنَى" 117/4

5- المضعف:

نحو: "لِرَادِكَ، جَانَّ،" ولم أقف على مثله في هذه التواوين الستة.

وبعد ما تقدّم في أفعال هذا الباب من صحّة واعتلال وتعدّد ولزوم، نفهم أنّ السماع هو الأصل في أبواب الأفعال الستة المذكورة عند الصّرفيين، والتأكد من ضبط عين المضارع يلزمنا العودة إلى المعاجم العربية، وخاصة في الماضي المفتوح العين؛ فقد تجد عين مضارعه محتملة أكثر من حركة، نحو: "فَاتِيكَ: وَفَتَكَ بِهِ يَفْتِكُ وَيَفْتِكُ بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ"، (ابن منظور، 2003م).

ب) وزن "فَعَل-يَفْعَل" مفتوح العين في الماضي ومكسورها في المضارع؛ ويأتي اسم الفاعل منه لازماً، (ابن جني، 1954م). ومتعدّياً: (ابن عصفور، 1998م)، ومن أمثلة اللازم ما يلي:

نحو: [عاكف، عاجز] في قول الشيخ:

ح/و: "وَأَصْلِحْ شُئُونَ الْمُنتَمِينَ لِجَزِينَا *** بَدَوْا فِي الْفَلَا وَالْأَرْضِ أَمْ كُلُّ (عَاكِفٍ)" 12/1

ح/ز: "وَيَذْكُرُهُ مَيِّ جَنَابِي وَلَقَلْبِي *** فَلَا أَكُ يَوْمًا عَنُّ ثَنَاهُ (بِعَاجِزٍ)".^{127/5}

وأما المتعدّي فهو كالآتي: [كاشف، خافض]. في:

ح/م: "صَبْرْتُ لِمَا أَلْقَى وَرَبِّي (كَاشِفٌ) *** جَمِيعُ كُرُوبِي يَا تُرَى رَبِّ نَادِمٍ".^{89/3}

ح/ع: "وَهَامَتْهُ عَظْمَى لِشَعْرِ تَرْجُلٍ *** وَ(خَافِضٌ) طَرْفٍ سَاكِبٌ فَهُوَ يَخْشَعُ".^{47/2}

ويأتي اسم الفاعل من هذا القسم على:

1- الصحيح السّالم: مثل [الماسكين، غارف] في:

ح/و: "وَصُوبٌ جَمِيعٌ (الْمَاسِكِينَ) بِحَبْلِيَا *** تَحَقَّقَهُ مَنْ لَمْ يَكْدِبْ بِرِيًّا".^{101/4}

ح/ف: "وُجُودُكَ يُدْسِينِي نَوَالًا سَوَاءَهُ *** وَمَا الْجُودُ إِلَّا مِنْكَ وَالْكُلُّ (غَارِفٌ)".^{83/3}

2- المهموز الناقص: كل [الآتي] في:

ح/س: "لَهُ الْيَوْمُ مَيِّ مِثْلُ مَا الْأَمْسِ قَبْلَهُ *** كَذَلِكَ الْعَدُوُّ (الْآتِي) لِجِيٍّ وَمَلْمَسِي".^{41/2}

3- المثال: كل [واصل، واصف]. في قوله:

ح/ه: "فَأَنْتَ مُرَادُ الْكُلِّ وَالْكُلُّ (وَاصِلٌ) *** فَمَهْمَا دَرَاكَ الْعَبْدُ نَالَ مَنَاهُ".^{184/6}

ح/ف: "وَإِنِّي لَتَعْرُوبِي إِذَا لَاحَ هِرَّةٌ *** كَذَلِكَ إِنْ يَنْطِقُ بِوَصْفِكَ (وَاصِفٌ)".^{83/3}

4- الأجوف: مثل [السائرين] في:

ح/ي: "فَإِنِّي وَرَاءَ (السَّائِرِينَ) وَأَرْتَجِي *** تَذَكَّرَ خَيْرَ الْخَلْقِ مِنْهُ أَمَامِيًّا".^{93/3}

5- الناقص: مثل [الجاري، العاصي] في:

ح/ج: "ضَبَاؤُكَ مِنْهُ الْكُونُ قَدْ يَتَبَلَّجُ *** وَمِنْ فَيْضِكَ (الْجَارِي) الْبِحَارُ تَمَوْجٌ".²³⁴

ح/م: "وَمَا أَسْوَأَ (الْعَاصِي) مَصُونًا مُنَعَمًا *** يُعَارِفُ نَوْعًا مِنْ دُنُوبٍ وَلَوْ لَمَّ".^{179/6}

6- اللفيف: مثل [الواشون] في:

ح/ص: "وَذَلِكَ بِحِيٍّ لِلْأَمِينِ وَذِكْرِهِ *** وَقَدْ خَجَلَ (الْوَاشُونَ) مِمَّنْ تَرَبَّصًا".^{109/4}

ج) "فَعَلَ - يَفْعَلُ": المفتوح العين في الماضي والمضارع، وهذا الباب مخصوص عند اللغويين بحلقي العين أو

اللام؛ نحو: يذهب، يرفع، يسمح، يبعث، يسأل، يمضغ، يسلم، يقرأ، (قباوة، 1994م).

ورد اسم الفاعل من هذا الباب في ديواوين الشيخ على النحو التالي:

1- الصَّحِيح السَّالِم: نحو: [فاتحا] كقوله:

ح/ع: "نَبِيُّ أَتَانَا (فَاتِحًا) وَهُوَ خَاتِمٌ *** عَلَيْهِ ثَنَائِي الدَّهْرُ كَيْمَا بِهِ أَرْضِي".^{20/1}

2- المهموز: نحو: [سائلًا]، كقوله:

ح/ق: "أَسَائِلُ رَبِّي (سَائِلًا) بِجَلَالِهِ أَفْ *** تَفَاءَ مَا لَذِي حَالَةَ الْجَمْعِ وَالْفَرْقِ".^{52/2}

3- المثال: نحو: [واضعا] كقوله:

ح/ن: "فَأَرْفَعُ عِلْمًا لِلْجَهَالَةِ (وَاضِعًا) *** وَأَكْبِرُ زَايَاتِ الصَّلِيبِ وَأَذْفِنُ".^{135/5}

4- الناقص: نحو: [صاليا] كقوله:

ح/ي: "رِيَاضُ أَرِيضَةٌ دِيَارُ أَحَبِّي *** وَأَذْكُتُ نِيَارَ الشُّوقِ لِلْقَلْبِ (صَالِيًا)".^{60/2}

ولم يقف الباحثون على اسم فاعل: "أجوف أو ليف أو مضغف" في هذه الدواوين الستة من صيغة (فَعَلَ - يَفْعَلُ)، مفتوح العين في الماضي والمضارع.

يتضح من دراسة باب "فَعَلَ" أنها صيغة أكثر ورودًا واستعمالاً في هذه الدواوين الستة على سائر الأبنية والأبواب، ولعل السر في ذلك كونها أكثر شيوعاً الكلام العربي. وقد قام إبراهيم أنيس بدراسة إحصائية موضحة لذلك، حيث تحقق أن صيغة "فَعَلَ" بفتح العين هي الأكثر شيوعاً في الأسلوب القرآني، فقد حصل على حوالي "107" أفعالاً ماضويةً صحيحةً من صيغة "فَعَلَ"، وحوالي "24" من صيغة "فَعِلَ"، (إبراهيم أنيس، 1984م).

ثانياً: وزن "فَعَلَ يَفْعَلُ" بضم العين في الماضي والمضارع، واسم الفاعل من (فَعَلَ) بضم العين لا يأتي إلا سماعاً وهو الباب قليل الاستعمال في الكلام العربي، لدلالته على الطبيعة والسجية والغريزة، وهي صفات صيرته لازماً غير متعدٍ، وذلك لملازمة الغريزة صاحبها دون تعدية إلى غيره.

وقد أكد سيبويه ذلك فعده "ضرباً رابعاً لا يشركه فيه ما يتعداك، وذلك نحو: فَعَلٌ يَفْعُلُ نحو: كَرَمٌ يَكْرُمُ، وليس في الكلام فَعُلْتُهُ متعدياً"، (سيبويه، 1982م). وما تعدى من ذلك فهو شاذُّ، يقول ابن الحاجب: "وشدَّ رحبتك الدار أي رحبت بك"، (ابن الحاجب، 2010م). لتضمّن (رَحِبَ) معنى (وَسِعَ) فتعدى إلى مفعول فهو شاذُّ، "والأولى أن يقال: "إنما عداه لتضمّنه معنى وسع، أي وسعتكم الدار".

يقول ابن مالك: (شرح ابن عقيل، 1964م).

"وَهُوَ قَلِيلٌ فِي فَعُلْتِ وَفَعِلَ # غَيْرُ مُعَدٍّ، بَلْ قِيَاسُهُ فَعِلٌ".

وقال ابن عقيل: إنه قليلٌ إتيان اسم الفاعل من (فَعِلَ) بضمّ العين على وزن (فَاعِلٍ) كقولهم (حَمَضَ) فهو (حَامِضٌ)، (شرح ابن عقيل، 1964م).

ولم يقف الباحثون على اسم فاعل من هذا الوزن في الدواوين الشتى للشيخ إنياس.

ثالثاً: "فَعِلَ-يَفْعَلُ" المكسور العين ماضياً ومفتوحها مضارعاً:

أ-باب (فَعِلَ-يَفْعَلُ): يعدّ هذا الباب من دعائم الأبنية في اللغة العربية؛ لكثرة استعماله، ولاختلاف حركة العين منه ماضياً ومضارعاً، وذلك هو الأصل، (شرح ابن عقيل، 1974م)، و(بلقاسم بلعرج، 2005م). ومنه اللّازم والمتعدّي على حدّ سواء، فاللّازم نحو: مرض، فرح، وحول، وحزن، وحمر، وييس،..... والمتعدّي نحو: شرب، وفهم، وعلم.... وتمتاز صيغة (فَعِلَ) من حيث الدلالة بصفة عامة على الأفراح والأحزان والألوان والعلل والعيوب، واسم الفاعل منه سماعي إذا كان لازماً.

وتطرّد القاعدة أن (فَعِلَ) دائماً يقابله (يَفْعَلُ)، (سيبويه، 1982م) و(ابن جني، د. ت.). وقد برهنت الدّراسات القرآنيّة وأكّدت أقوال العلماء في مجيئ (فَعِلَ) مقابلاً بالمضارع (يَفْعَلُ) -في القرآن الكريم- ولم يشدّ عن ذلك فعل من الأفعال، وذلك كلّه على رواية حفص، (إبراهيم أنيس، 1984م). بغضّ النظر عن الشّواذ، (قباوة، 1994م). نحو: فَضِلْتُ تَفْضُلُ، وَمِتَّ تَمُوتُ، وَدِمْتُ تَدُومُ، على: (يَفْعَلُ).

ورد اسم الفاعل من هذا الباب في دواوين الشيخ على النحو التالي:

1-الصّحيح السّالم: نحو: [راحم، لابت].

ح/م: "إِلَهَ الْبَرَايَا الْعَدْلُ ذَا الْبَطْشِ فَاقْهَرْنُ *** جَمِيعَ الْعِدَى وَلْتَكْفِنِي خَيْرَ (رَاحِمٍ)". 88/3

ح/ث: "صَلَاةٌ وَصَوْمٌ وَالزَّكَاةُ فَرِيضَةٌ *** وَحَجٌّ وَتَرْوِيجٌ فَذَا الدِّينُ (لَا يَبُثُّ)" 157/6

2- المثال: نحو: [واسع]

ح/ع: "وَأَنْجَلُ عَيْنٍ أَهْدَبُ السَّفَرِ (وَاسِعٌ) *** جَبِينُ رَسُولِ اللَّهِ وَالْخُلُقُ أَوْسَعُ" 46/2

3- اللّفيف: نحو: [غاؤ]

ح/خ: "وَكَانَ رَسُولًا حِينَ آدَمُ طِينَةٌ *** وَمَاءٌ فَمَا الْجَدْوَى (لِغَاؤٍ) وَمَا الْخَبْطُ" 115/4

4- المهموز:

أ= مهموز الفاء: [أمنا]،

ح/ن: "تَسْتَرْتُ عَنْ ذَهْرِي بَطَّةً مُحَمَّدٍ *** وَمَنْ كَانَ لِلْمُخْتَارِ مَا أَنْفَكَ (أَمْنَا)" 58/2

ب= مهموز العين: نحو: [بأس]

ح/س: "فَلَيْسَ رَجَائِي فِي تَمَامِ وَصَالِهِ *** قَوِيًّا وَإِنِّي لَسْتُ عَنْهُ (بِيَأْسِي)" 78/3

ج= مهموز اللّام: نحو: [باري]

ح/ز: "كَلَامٌ قَدِيمٌ لَيْسَ حَرْفًا وَإِنَّهُ *** لَوْحِي (بَارِي) الْعَالَمِينَ مُشِيرٌ" 162/6

5- النّاقص: نحو: [راض]،

ح/ن: "فَأِنِّي (رَاضٍ) شَاكِرٌ الْقَلْبِ دَائِمًا *** وَلَمْ يُغْنِي نَيْلٌ عَنِ الْوَصْلِ عَارِفًا" 108/4

ب- (فَعِلٌ-يَفْعَلُ) وقد أكّد العلماء أن كسر العين ماضيًا ومضارعًا نحو: (فَعِلٌ- يَفْعَلُ) شاذٌّ ونادرٌ، (ابن

قتيبة، 1982م). وقد حدّد العلماء هذه الأفعال في بضعة عشر مثالاً معتلةً كوارثٍ ووالٍ وواثقٍ.

وندره المشتقات من هذا الباب (فَعِلٌ يَفْعَلُ) راجعة إلى كونه سماعيًا وليس بناؤه أصليًا بل نقل من باب

(فَعِلٌ يَفْعَلُ) والقياس في مضارعه الفتح لا الكسر، (الرضي، 1966م). وجاءت مشتقات هذا الباب على

صنفيين:

مكسور العين في الماضي، وجائز الكسر والفتح في المضارع مثل: حسب، ووبق، ويئس، وصنف واجب كسر عينه ماضيًا ومضارعًا، ك: ولي، وثق، وورث، وورع، ولا تتجاوز هذه الأفعال ثلاثين (30) مشتقًا في الإحصاء، (السيوطي، د. ت.). ويرى بعض النحاة إيجاب كسر عين (فَعِل) في تلك الأفعال المحصورة طلبًا للخفة، (ابن الحاجب، 2010م). وهذا الباب (فَعِل يَفْعِل) كثير في المعتلّ وقليل في الصّحيح، (الحملوي، 1964م). ومثاله: [وامق. وارث]،

ح/ط: "عَلَيْهِ صَلَاةُ اللَّهِ ثُمَّ سَلَامُهُ *** صَلَاةٌ بِهَا أُزْوِي ظَمًا كُلِّي (وَامِقِي)" 104/4

ح/ث: "سَعِدْنَا بِدَا الْإِيمَانِ حِينَ شَقِيْتُمْ *** بِتَثْلِيْتِكُمْ رَغَمًا فِدِينِي (وَارِثٌ)" 157/6

ثانيًا: اسم الفاعل من الثلاثي المزيد:

يصاغ اسم الفاعل من غير الثلاثي على وزن مضارعه المبني للمعلوم، بإبدال حرف المضارعة ميماً، مع إيجاب كسر ما قبل آخره وإن كان مفتوحاً في المضارع؛ نحو: يتربّص، يتحرّف: متربّص، متحرّف.

يقول ابن مالك: (ابن عقيل، 1964م).

"وَزِنَةُ الْمُضَارِعِ اسْمٌ فَاعِلٌ *** مِنْ غَيْرِ ذِي الثَّلَاثِ كَالْمُوَاصِلِ"

"مَعْ كَسْرٍ مَتَلَوِ الْأَخْبِرِ مُطْلَقًا *** وَضَمِّ مِيمٍ زَائِدٍ قَدْ سَبَقَا."

أولاً: الثلاثي المزيد بحرف واحد، وهو على ثلاثة أوزان كالآتي:

أ- المزيد بالهمزة: (أَفْعَل يَفْعِل) واسم الفاعل منه على وزن (مُفْعِل).

ويأتي اسم الفاعل من هذا الباب صحيحاً سالمًا، وناقصًا، ومهموزًا، ومضعفًا، ولفيفًا، ومثلاً، وأجوفًا، وقد سبق أمثلة ذلك في الثلاثي المجرد وفيه كفاية عن الإعادة، كما يأتي لازماً ويغلب تعديةً، (ابن عصفور، 1998م). إمّا لواحد أو اثنين، نحو: مرضعة، ومرشد، وموسع، ومفلح، ومؤمن.

وجاءت هذه الصيغة لأغراض ومعانٍ تربو على أربعة وعشرين معنى: كالتعدية غالبًا، والكثرة، والتّمكن، والصّيرورة، والدّعاء، والسّلب، والتّعريض، والإستحقاق، والدّخول في الشّيء زمانًا ومكانًا أو حكمًا....، (هنري بن فلايش، د. ت.). وشدّد من هذه القاعدة ألفاظ على وجهين:

1=ألفاظ جاءت بفتح ما قبل الآخر، وهي: مُسَهَّب من أسهب، ومُحْصَن من أحصن، ومفلج من أفلج.

2=وألفاظ أخرى جاءت على (أَفْعَلَ فَاعِلٍ)، نحو: أعشب المكان فهو عاشب، وأيفع الغلام فهو يافع، وأورس فهو وارس، (إبراهيم أنيس وآخرون، 1985م). وأمحل البلد فهو ماحل، إذا أجذب. (المراغي أحمد ومحمد سالم، د.ت.).

وصيغة (مُفْعِلٍ و مُفْعَلٍ) تختص بالصفات باستثناء بعض الأسماء كمُخْدِعٍ، فقد وردت على وزن (مُفْعِلٍ)، (ابن عقيل، 1964م).

كقوله: [منشدا، مدرك]:

ح/أ: "أَبَيْتُ بَلِيلَ التِّمِّ سَهْرَانَ (مُنْشِدًا) *** لِيَذْكُرَ الَّذِي قَدْ طَابَ بَدُنًا وَمَخْتَمًا" 4/1

ح/و: "عَلَيْهِ صَلَاةُ اللَّهِ ثُمَّ سَلَامُهُ *** يَهْدِينِ لَمْ يُدْرِكْ لَنَا [مُدْرِكٌ] شَأْوَى" 127/5

(ب)-المزيد بالتضعيف: [فَعَلٌ يُفْعِلُ: مُفْعِلٍ]،

ويأتي هذا الوزن لازماً ومتعدياً، (ابن جني، 1954م). وقد شاع استعماله على التكثر غالباً، كقولك: "كسرتُ السَّيِّءَ وَقَطَعْتُهُ، فإذا أردت كثرة ذلك العمل فتقول: كسرته وقطعته ومثل ذلك: جرحته، أي: أكثرت الجراحات في جسده." (سيبويه، 1982م)، (ابن عصفور، 1998م). وقد نصَّ على ذلك ابن جني مصرحاً بأن تكرار العين دليل على تكرار الحدث، فقال: "ومن ذلك أنهم جعلوا تكريرالعين في المثال [يعني: البناء] كقولهم: كسّر، وقّع، وفتح، وغلق؛ دليلاً على تكرير الفعل لدلالة الألفاظ على المعاني، فأقوى اللفظ مقابل لقوة الفعل، فالعين أشد وأقوى من الفاء واللام"، (ابن جني، د.ت.).

ويأتي اسم الفاعل من هذا الباب: صحيحاً سالماً، ومهموزاً، وناقصاً، ولفيفاً، ومضعفاً، وأجوقفاً، وقد سبق أمثلة ذلك وكفى.

وقد جاء في الدواوين الستة: [المبْلَغُ، المضلَّل]:

ح/غ: "غِنَايَ بِهَا عَيْشِي بِهَا لَدَّتِي بِهَا *** أَتَاهَا رَسُولُ الْعَالَمِينَ (المْبَلُغُ)" 172/6

ح/ن: "كَذَا شَيْخُهُ بَابًا (المُضَلَّلُ) يَفْتَرِي *** إِلَهًا سِوَى الْبَارِي فَكَيْفَ يَكُونُ" 181/6

ج) فَاعِلٌ يُفَاعِلُ: مُفَاعِلٌ،

تطرد صيغة (فَاعِلٌ) من الثلاثي المزيد بألفٍ بعد الفاء، وقد أشار سيبويه أنّ زيادة الألف ثانياً في الأفعال لا تكون إلا في (فَاعِلٌ)، (سيبويه، 1982م). و يأتي هذا الوزن- أيضاً- لازماً والتعدي فيه أغلب، (ابن عصفور، 1998م).

وصيغته- دائماً- تدلّ على المشاركة بين اثنين،³ (فَاعِلٌ يُفَاعِلُ مُفَاعِلٌ)، وقد تدلّ على التّكثير مثل: (فَعَلَ) مثل: ضَاعَفْتُ الشّيءَ، أي: كَثُرَتْ أضعافه، وكذا يعيى بمعنى (جَعَلَ) نحو: صاعر خدّه أي: جعله ذا صَعْرٍ، وعاقبتُ فلاناً أي: جعلته ذا عُمُوبَةٍ، وعاقاك اللهُ أي: جعلك ذا عَاقِفِيَةٍ. (الرضي، 1966م).

ويأتي صحيحاً ومعتلاً، ثم إنّه لجدير بالذكر أنّ أسماء الفاعل الناقصة (المعتلة اللام) من هذا الوزن (مُفَاعِلٌ) ك(مجارٍ ومبارٍ وممارٍ) من الأفعال: جَارِي، وَبَارِي، وَمَارِي، تأتي منونةً محذوفةً اللام العليّة في حالتها الرّفْع والجرّ فقط، أمّا التّصّب فلا بدّ من إثبات الياء وفتحها، فتقول: مجاريًا، ومباريًا، ومماريًا.

وجاء في الدواوين السنتية: [مباح، منازع]:

ح/ل: "فَمَنْ بَايَعَ الْمُخْتَارَ فَهُوَ (مُبَايِعٌ) *** لِرَبِّي إِلَهَ الْعَرْشِ ذَلِكَ أَشْمَحُ" 17/1

ح/ك: "فَأَعْطَاهُ مَا أَعْطَاهُ دُونَ (مُنَازِعٍ) *** يُنَازِعُهُ عِنْدَ الْجَلِيلِ وَمَا مَلَكَ" 131/5

ثانيًا: الثلاثي المزيد بحرفين، وهو على أوزانٍ خمسة هي:

أ) افْتَعَلَ يَفْتَعِلُ: مُفْتَعِلٌ:

تطرد هذه الصيغة في اسم الفاعل الثلاثي المزيد بألفٍ قبل فائه وبتاءٍ بعدها، ووزن (افتعل) غالبًا يأتي للمطاوعة، نحو: أَمَرْتُهُ فَأَتَمَّرَ، جَمَعْتُهُ فَاجْتَمَعَ، وَهَدَيْتُهُ فَاهْتَدَى، وَعَدَلْتُهُ فَاعْتَدَلَ، ويأتي بمعنى الإِتخَاذ، نحو: اخْتَتَمَ زَيْدٌ أَي: اتَّخَذَ خَاتَمًا لِنَفْسِهِ، والمبالغة في الفعل، نحو: اقتدر وارتدّ أي: بالغ في القدرة والرّدة، والطلب والإجتهاد، نحو: اكتسب واكتتب، أي: اجتهد في طلب الكسب والكتابة. (الحملوي، 1964م).

وذكر ابن عصفور أنّ اسم الفاعل من هذا الباب يأتي لازماً ومتعدّياً، (ابن عصفور، 1998م). وهكذا يأتي صحيحاً ومعتلاً.

وجدير بالذكر- أيضًا- أنّ واويّ العين، ويأتيها من هذا الوزن ك: (مُشْتَوِقٌ وَمُخْتَبِلٌ) تُقْلَبُ عينه أَلْفًا لحركتها وانفتاح ما قبلها فيصير: (مُشْتَقًا وَمُخْتَالًا).

وقد جاء في الدواوين الستة: [المقتدي، المقتفين]،

ح/م: "عَلَيْهِ صَلَاةُ الْحَقِّ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ *** مَعَ الْأَلِّ وَالْأَصْحَابِ وَالْمُقْتَدِيِّ بِهِ" ^{18/1}

ح/ع: "وَلِلَّهِ عِزٌّ بَعْدَهُ لِرَسُولِهِ *** وَلِلْمُؤْمِنِينَ (الْمُقْتَفِينَ) لِشَارِعٍ" ^{137/5}

ب) انْفَعَلَ يَنْفَعِلُ: مُنْفَعِلٌ:

يأتي وزن: (مُنْفَعِلٌ) صيغةً لاسم فاعل ثلاثيٍّ مزيد بحرفين، وهما الألف والتون قبل فاء الكلمة وتنصّ الكتب الصرفية أنّ هذه الصيغة دالة على المطاوعة غالبًا، (ابن الحاجب، 2010م). ولازمة، ومطاوعتها للمجرّد المتعدّي إلى مفعول واحد في الأفعال العلاجية، (ابن الحاجب، 2010م). وهي الظاهرة للعيون كالكسر والقطع والجذب، نحو: كَسَرْتُهُ

فَأَنْكَسَرَ فَهُوَ مُنْكَسِرٌ، وَحَطَّمْتُهُ فَأَنْحَطَمَ فَهُوَ مُنْحَطِمٌ، وَقَطَعْتُهُ فَأَنْقَطَعَ فَهُوَ مُنْقَطِعٌ، وَمُنَشَوٌ وَمُنْعَمٌ مِنْ أَنْعَمَ وَأَنْشَوَى، (سيبويه، 1982م). ودالة على المبالغة نحو: انسلَى وانداح، والإغناء عن المجرّد نحو: انكدر وما انفك، (قباوة، 1994م).

وتأتي هذه الصيغة: (مُنْفَعِلٌ) لازمةً كما سبق، وكذلك صحيحةً ومعتلةً، أمّا في القرآن فلم ترد هذه الصيغة إلا صحيحة. حنان جميل عابد، (2011م).

وجاء في الدواوين الستة: [منفصل]:

ح/ل: "تَرَانِي مَعَ الْعِلَاتِ يَقْبَلُ أَحْمَدُ *** وَصَالِي أَرَانِي بِالْكَبَائِرِ مُنْفَصِلٌ" ^{178/6}

ج) تَفَعَّلَ يَتَفَعَّلُ: مَتَفَعَّلَ:

يأتي وزن: (مُتَفَعَّلَ) صيغةً لاسم فاعل ثلاثيٍّ مزيد بحرفين: التاء قبل فائه، والتضعيف في عينه، ولهذه الصيغة: (مُتَفَعَّلَ) معانٍ عدّة في كتب اللّغة، (سيبويه، 1982م). ومن أهمّها: الدلالة على التكلّف غالباً، (ابن عصفور، 1998م). كتصبّر، أي: تكلّف الصبر، والمطاوعة وهي قبول تأثير الغير، (الحملوي، 1964م). كما أكّد ذلك الرّضي قائلاً: " وَتَفَعَّلَ لِمَطَاوَعَةِ فَعَّلَ نَحْوُ: كَسَّرْتَهُ فَتَكْسَرُ"، (ابن الحاجب، 2010م).

والتخاذ، كتوسّد ثوبه، أي: اتّخذ ثوبه وسادة، والتجنّب، كتحرّج، أي: تجنّب الحرج، والتدرّج، كتجرّع الماء، أي: شربه جرعة بعد جرعة. وهكذا، (الحملوي، 1964م)، وتأتي صيغة (مُتَفَعَّلَ) لازمة ومتعدّية وصحيحة ومعتلة.

وجاء في الدواوين الستة: [متدرّعا، متمسك]:

ح/ه: "عَلَيْهِ صَلَاةُ اللَّهِ ثُمَّ سَلَامُهُ *** صَلَاةٌ أَرَى دَهْرِي بِهَا (مُتَدَرِّعًا)" ^{100/4}

ح/ن: "كَرِيمٌ عَفِيفٌ زَاهِدٌ (مُتَمَسِّكٌ) *** بِعُرْوَةِ دِينٍ اصْطَفَيْتُهُ قُرُونٌ" ^{182/6}

د) أَفَعَلَ يَفْعَلُ: مُفْعَلٌ:

يأتي وزن (مُفْعَلٌ) صيغةً لاسم فاعل ثلاثيٍّ مزيد بحرفين، الألف قبل فائه وتضعيف اللّام، وهو لا يأتي إلّا لازماً، وفي القرآن قال تعالى: "ويوم القيامة ترى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وجوههم مسوّدة" [الزمر:60].

والأغلب مجيئه في الألوان أو العيوب الحسيّة اللازمة، (ابن الحاجب، 2010م)- الّتي لاتوزل-، ويأتي صحيحاً وعلياً. ولم يقف الباحثون على هذا المثال في الدواوين الستة.

ه) تَفَاعَلَ يَتَفَاعَلُ: مُتَفَاعَلٌ:

يأتي وزن (مُتَفَاعَلٌ) صيغةً لاسم فاعلٍ ثلاثيٍّ مزيد بحرفين، وهما التاء والألف يتوسطهما حرف الفاء وقد ذكرت كتب

اللغة أنّ هذه الصيغة تدلّ على المطاوعة، (ابن عصفور، 1998م). والمشاركة بين اثنين، (ابن الحاجب، 2010م). ولا فرق بين الصيغتين (فَاعَل تَفَاعَل) في الدلالة، فكلاهما دالٌّ على المشاركة في شيء بين اثنين فصاعداً.

وقال (ابن الحاجب، 2010م): "وتفاعل لمشاركة أمرين فصاعداً". ولهذه الصيغة معانٍ أخرى ذكرتها في كتب اللغة، كالتظاهر بالفعل دون حقيقته، نحو: تعامى، وتناوم، وتغافل، أي: أظهر العى والنوم والغفلة، وهي منفية عنه، كما يدلّ على المطاوعة، نحو: باعدته فتباعد، شاورته فتشاور، نافسته فتنافس"، (الحملوي، 1964م) وتأتي صيغة (تَفَاعَل) لازمة ومتعدية وصحيحة ومعتلة.

وجاء في الدواوين السنتّة: [متواضع، متواتر، متواضع]،

ح/ح: "جَمِيلًا جَلِيلًا مُنْفِقًا (مُتَوَاضِعًا) *** وَلَمْ يَكُ فَظًّا لَا وَلَيْسَ بِظَالِمٍ" 103/4

ح/ر: "وَحَيِّي صَحِيحٌ ثَابِتٌ (مُتَوَاتِرٌ) *** قَفُوْتُ أَبِي قَاسَاهُ وَهُوَ كَبِيرٌ" 164/6

ح/ن: "جَوَادٌ شَجَاعٌ لَيْنٌ (مُتَوَاضِعٌ) *** حَلِيمٌ رَحِيمٌ دُو صَفَا وَمَتِينٌ" 182/6

الثلاثي المزيد بثلاثة أحرف:

(أ) اسْتَفْعَلَ يَسْتَفْعِلُ: مُسْتَفْعِلٌ:

يأتي وزن (مستفعل) صيغةً لاسم فاعل ثلاثي مزيد بثلاثة أحرف قبل الفاء، (است)، وهذه أقصى زيادة يصل إليها الفعل، (بلقاسم بلعرج، 2005م). وتفيد الطلب والسؤال غالباً، (ابن جني، د.ت.). ويأتي هذا الطلب حقيقة نحو: أستغفر الله أي: أطلب منه المغفرة، ومجازاً نحو: استخرج المعدن واستنبط الرأي، وقد حوت كتب اللغة، (سيبويه، 1982م). معاني أخرى لصيغة (استفعل)، فإنها تدلّ على التحوّل حقيقة، كاستخجر الطين واستخصن المهر أي: صار حجراً وحصاناً، أو مجازاً نحو المثل العربي: "إنَّ البُعَاثَ بِأَرْضِنَا يَسْتَنْسِرُ"، يصير كالنسر قوةً. واختصاراً في حكاية شيء، نحو: استرجع، أي: قال: "إنّا لله وإنا إليه راجعون"، ولمطاوعة (أفعل) نحو: أقمته فاستقام، أحكمته فاستحكم، وقد يأتي بمعنى (أفعل)، نحو: أجاب واستجاب"، (الحملوي، 1964م).

وتأتي صيغة (مُسْتَفْعِل) لازمة ومتعدية وصحيحة وعليلة.

وجاء في الدواوين الستة: [مستحيلا، المستقيم]،

ح/ض: "تَرْفَى رُقِيًّا مُسْتَحِيلًا لِغَيْرِهِ *** دَتَى فَتَدَلُّ نَيْلَ خَيْرٍ حَبَاءٍ".^{21/1}

ح/س: "وَهَادٍ إِلَى خَيْرِ الصِّرَاطِ صِرَاطِكَ الْوَجَلِي (المُسْتَقِيمِ) النَّهْجِ غَيْرِ مُدَلِّسٍ".^{42/2}

(ب) أفعالٌ يَفْعَلُ: مُفْعَالٌ.

يأتي وزن (مُفْعَالٌ) صيغةً لاسم فاعل ثلاثي مزيد بثلاثة أحرف، ألف قبل الفاء وبعد العين ثم تضعيف اللام، ولا يأتي هذا الوزن إلا لازماً، ويكون في الألوان. ولم يقف الباحثون على هذه الصيغة في الدواوين الستة.

ثالثاً: اسم الفاعل من الرباعي المجرد والمزيد:

(أ) اسم الفاعل من الرباعي المجرد:

ذهب علماء اللغة والصرف إلى أنّ للرباعي المجرد صيغةً واحدة فقط وهي: (فَعْلَلٌ يَفْعَلِلُ: مُفْعَلِلُ)، نحو: ححصص دحرج زحج وذربخ أي: طأطأ، (ابن الحاجب، 2010م). ويتضح من هذا أنّ للرباعي أصلاً مبنياً متكوّناً من صوامت أربعة ملونة بصائت واحد متمثل في الفتحة، ولخفة هذا التلوين الصوتي كان مختاراً دون غيره، وذلك لانفتاح الفاء واللام الأولى والثانية في الرباعي المجرد. (مطهري صفية، 2002م).

وقد يصاغ الرباعي مركباً باختصار الحكاية، (الحملوي، 1964م). نحو: بسمل أي: قال بسم الله الرحمن الرحيم.

وجاء في الدواوين الستة: [مقلنسا، المهيمن]:

ح/ي: "وَجِيَّ وَزِيرِ الْبَدْرِ بَابِ عُلُومِهِ *** عَلِيَّ أَبِي السَّبْطَيْنِ لَيْثًا مُقْلِنِسًا".^{15/1}

ح/ب: "عَلِيهِ صَلَاةُ اللَّهِ ثُمَّ سَلَامُهُ *** وَيَشْكُرُ سَعْيِي وَ(المُهَيْمِنُ) لِي يُرْبِي".^{123/5}

الرباعي المزيد: (أ) تَفْعَلَلٌ يَتَفَعَّلِلُ: مُتَفَعَّلِلُ:

إذا زيد في الفعل الرباعي حرف واحد جاء اسم الفاعل منه على صيغة (مُتَفَعَّلِلُ) ك: متدحرج، ومتزحج.

وجاء في الدواوين الستة: [المتجمجم]:

ح/م: "فَعَبْدٌ تَجَلَّى سَيِّدَ الْكَوْنِ يَا لَهُ *** تَحَايَّرَ فِيهِ خَاطِرُ (الْمُتَّجِمِّمِ)" 55/2.

(ب) اَفْعَلَلَّ يَفْعَلِّلُ: مُفْعَلِّلٌ، اَفْعَلَّلَ يَفْعَلِّلُ: مُفْعَلِّلٌ:

وإذا زيد فيه حرفان يأتي منه بناء ان كما سبق نحو: احرنجم أي: اجتمع فهو مُحْرَنْجِمٌ، وافرئع أي: تفرق فهو مُفْرَنْعٌ، واخرنطم أي: استكبر فهو مُخْرَنْطِمٌ، واطمأن مُطْمَئِنٌّ، ومُضْمَجِلٌ ومُشْشَعِرٌ (قباوة، 1994م).

وجاء في الدواوين السّنة: [مطمئنة]:

ح/د: "وَتَجَعَلَ مِصْرِي هَذِهِ (مُطْمَئِنَّةً) *** تَسُوسُ بِأَدَّ اللَّهِ لَمْ يَنْحُهَا كَرَبٌ" 99/4.

الخاتمة:

لقد نصبت المقالة على كثرة صيغة: (فَاعِلٍ)؛ وتزليت بسرد أبواب الفعل المجرد الثلاثي السّنة متدللة في طياتها بذكر العلاقة الوطيدة بين أسماء الفاعل وأبواب الفعل الثلاثي المجرد السّنة المعروفة وكشفت عن ساقها لتُبْرِهِنَ عن الصّحيح والمعتل من أسماء الفاعل خلال أسفارها بنماذج حيّة تُزيل القذى والغبار عن أعين القارئ ومسالكهم في معاشة هذه المقالة وأقرت بتضافر الأوزان وصيغ اسم الفاعل المتدققة والمتفتحة في هذه الدواوين السّنة للشيخ إبراهيم إناس الكولخي السنغالي مزدهرة بمرونة الشيخ إبراهيم إناس في استخراج واستخدام أسماء الفاعل في قوارب صرفية وغنيّة الدلالة على المعنى المراد من صياغتها مجردة أو مزيدة ثم توشّحت واختتمت بمسك فائح عبير بأسماء الفاعل الواردة على غير بابه وعنيده بأوزان وصيغ غير القياسية لكتّهم مصرّة ومصممة الدلالة على أسماء الفاعل أينما نبتت في هذه الدواوين السّنة بل وفي غيرها من الحقول والبساتين العربيّة.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.

- 1- إبراهيم أنيس، (1987)، من أسرار اللغة، ط6، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
- 2- إبراهيم أنيس، (1984)، الأصوات اللغوية، ط6، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
- 3- إبراهيم أنيس، (1984)، في اللهجات العربية، ط6، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة..
- 4- إبراهيم أنيس وآخرون، (1985)، المعجم الوسيط، ط3، مجمع اللغة العربية، القاهرة.
- 5- إبراهيم عبدالله، الشيخ، (2009)، الدواوين السّنة، دارالفكر، بيروت-لبنان،

- 6- ابن جني، أبو الفتح عثمان، (د.ت)، الخصائص، تح: محمد علي النجار، ط4، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد.
- 7- ابن جني، أبو الفتح عثمان، (1954)، المصنف، ط1، تحقيق إبراهيم مصطفى، مطبعة الباي، مصر.
- 8- ابن قتيبة، (1982)، أدب الكاتب، تح: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، ط1،
- 9- ابن الحاجب، (1983)، الإيضاح في شرح المفصل، تح: د.موسى بناي العلي، مطبعة العاني، بغداد.
- 10- ابن عصفور، أبو الحسن علي بن مؤمن الإشبيلي، (1982)، شرح جمل الزجاجي، تح: د. صاحب جعفر أبو جناح، مؤسسة دار الكتاب، الموصل.
- 11- ابن عصفور، الإشبيلي، (1978)، الممتع في التصريف، تح: فخر الدين قباوة، ط3، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- 12- ابن عقيل، (1964)، شرح ابن عقيل، على ألفية ابن مالك، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ط14، مطبعة السعادة، مصر.
- 13- ابن مالك، (1974)، شرح التسهيل، تح: عبدالرحمن بن محمد السيد، مط: سجل العرب، القاهرة.
- 14- ابن مالك، (1977)، شرح عمدة الحافظ وعدة الالفاظ، تح: د.عدنان عبد الرحمن الدوري، مطبعة العاني، بغداد.
- 15- ابن منظور، (2003)، لسان العرب، طبعة مصححة، دار الحديث، القاهرة.
- 16- ابن السراج، (1973)، رسالة الإشتقاق، تحقيق مصطفى الحدري ومحمد علي الدرويش، دمشق.
- 17- ابن هشام، الأنصاري، (1960)، شرح شذور الذهب، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ط8، مطبعة السعادة، مصر.
- 18- ابن هشام الأنصاري، (1963)، شرح القطر الندى، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ط11، مطبعة السعادة، مصر.
- 19- ابن يعيش، (د.ت.) شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت.
- 20- أبو حيان الأندلسي، (1984)، ارتشاف الضرب، تح: د. مصطفى أحمد النماس، ط1، مط: المدني، مصر.
- 21- أبو حيان، الأندلسي، (1978)، البحر المحيط، دارالفكر، بيروت، ط2.
- 22- أحمد، علي الحملاوي، (1964)، شذا العرف في فن الصرف، ط15، مط: مصطفى الباي الحلبي.
- 23- بلقاسم بلعرج، (2005)، لغة القرآن الكريم، (دراسة لسانية للمشتقات في الربع الأول)، الجزائر.
- 24- تمام حسان، الدكتور، (1979)، اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- 25- حافظ ياسين، (2009)، التحليل الصرفي، ط1، دار العصماء، دمشق.
- 26- حامد، أحمد حسن، وجبر يحيى عبد الرؤوف، (1999)، الواضح في علم الصرف، الدار الوطنية للترجمة والطباعة، نابلس.
- 27- حنان جميل عابد، (2011)، الصيغة الصرفية ودلالاتها في ديوان عبد الرحيم محمود، جامعة الأزهر، غزة.

- 28- خديجة الحديثي، د. (1965)، أبنية الصّرف في كتاب سيبويه، ط1، مكتبة النهضة، بغداد.
- 29- سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر (1995)، الكتاب، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 30- عبد الله موسى دوظو، (2002)، تقريب الرجال في حل رموز تحفة الأطفال في حقائق الأفعال، للشيخ إبراهيم إنيس الكولخي، د.م.
- 31- عبد الواحد النظيفي، (2005)، تحفة الأكياس في سيرة الشيخ إبراهيم إنيس، مخطوط.
- 32- قباوة، فخر الدين، (1994)، تصريف الأسماء والأفعال، ط2، مكتبة المعارف، بيروت.
- 33- مطهري صفية، (2002)، الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية، مخطوط، جامعة وهران اللسانية.
- 34- ناصر حسن علي، (1989)، الصيغ الصرفية مجردة ومزيدة اشتقاقاً ودلالة، المطبعة التعاونية، دمشق.
- 35- هنري بن فلايش، (د.ت.)، العربية الفصحى، (نحو بناء لغوي جديد)، تعريب وتحقيق: عبد الصبور شاهين، ط2، دار المشرق-بيروت.
- 36- وسيمة المنصور، (1984)، أبنية المصدر في الشعر الجاهلي، الكويت.
- 37- الأزهرى، خالد بن عبد الله، الجرجاوي، (د.ت.)، شرح التصريح على التوضيح، مط: دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
- 38- الأسمر، الراجي، (1993)، المعجم المفصل في علم الصرف، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 39- الإسترابادي، رضي الدين، (1975)، شرح الشافية، تح: محمد نور الحسن وآخرين، ط1، بيروت.
- 40- الأشموني، محمد بن علي الصبان، (1997)، حاشية الصبان على شرح الأشموني، على ألفية ابن مالك، بيروت، الكتب العلمية.
- 41- الأشموني، شرح الأشموني، منهج السالك إلى ألفية ابن مالك لأبي الحسن، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي.
- 42- الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد، (1982)، الإنصاف في مسائل الخلاف، دار الجمل، بيروت.
- 43- البغدادى، عبد القادر، (1975)، شرح شافية ابن الحاجب، تح: محمد نور الخضري، الشيخ محمد، (د.ت.) حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، طبع دار الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركائه، د.ت.
- 44- الراجعي، عبده، (1999)، التطبيق الصرفي، ط1، مكتبة المعارف، الرياض.
- 45- الرازي، محمد بن أبي بكر، (1995)، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت.
- 46- الزجاجي، أبو القاسم، (1988)، الجمل في النحو، تح: علي توفيق الحمد، دار الأمل، ط4، الأردن.
- 47- الزمخشري، أبو القاسم محمد بن عمر، (2004)، المفصل في علم العربية، ط1، دار عمار، عمان.

- 49- السمراي، فاضل صالح، (1981)، معاني الأبنية في العربية، ط1، جامعة الكويت، الكويت.
- 50- السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، (1976)، الإقتراح، تح: محمد علي البنا، القاهرة.
- 51- السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، (1964)، بغية الوعاة، تح: الفضل، القاهرة.
- 52- السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، (د.ت.)، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، ط1، مطبعة الحلبي، مصر.
- 53- السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، (د.ت.)، همع الهوامع، دار المعرفة، بيروت.
- 54- العيني، بدر الدين محمود بن أحمد، (2007)، شرح المراح في التصريف، ط1، مؤسسة المختار، القاهرة.
- 55- الغلابي، مصطفى، (2000)، جامع الدروس العربية، دار الحديث، القاهرة.
- 56- الغاني، يعقوب، (د.ت.)، إتحاف الإخوان بمآثر غوث الزمان، مكتبة ومطبعة الشمال.
- 57- المراغي، أحمد ومحمد سالم، د.ت. تهذيب التوضيح، ط9، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.

البحور الشعرية في ديوان أمير المؤمنين محمد بلو دراسة عروضية تطبيقية لقصائد مختارة

إعداد:

الدكتور يوسف ليمن

قسم اللغة والدراسات الإسلامية بجامعة ولاية صكتو، نيجيريا¹

والدكتور سراج محمد صكتو

قسم اللغة العربية بجامعة الفدرالية، غسو²

الملخص

تناولت المقالة البحور الشعرية في ديوان أمير المؤمنين محمد بلو دراسة عروضية تطبيقية لقصائد مختارة، ذكرت المقالة التعريف بالشاعر، من حيث النشأة والتعلم والشيخوخة، وقصاري جهده في قرض الشعر على منوال العرب القدامى وتنوعه في استخدام الأغراض الشعرية، وفي الأخير تحدثت المقالة عن بعض البحور الواردة في الديوان، ودراستها دراسة عروضية تطبيقية.

ABSTRACT:

This is about the usage of weight and rhymes of some selected poems of Sultan Muhammadu Bello, the paper taught about the biography of Muhammadu Bello from his early life and became a scholar, during the research the researchers discuss about the critical analysis based on the guiding of prosodies scholars. However, the paper also taught about the weight and rhymes according to Arabic guide lines.

¹ 08060987291

² Sirajosok15@gmail.com / 07032197734

المقدمة :

لقد تاقنت نفس الباحثين في إثثار العنوان الذي يمثل البحور الشعرية واحد من كبار العلماء والشعراء في نيجيريا، وذلك لما يري الباحثان من إبراز مقدرة الشعراء النيجيريين الذين فاقوا في ايجاد الشعر واتقانه فوافق الباحثان على فحل من فحول الشعراء في القرن التاسع عشر وهو أمير المؤمنين محمد بلو، وهذه المقالة عبارة عن البحور الشعرية في ديوان محمد بلو دراسة عرضية تطبيقية، وهي على

المنوال التالي:

- 1- التعريف بالشاعر
- 2- دراسة البحور على حسب ما ذكره علماء العروض.
- 3- دراسة البحور الواردة في الديوان دراسة تطبيقية.
- 4- الخاتمة.

التعريف بالشاعر

هو محمد بلو بن عثمان المجد بن محمد الملقب بـ"بُؤدِي" (ومعنا الفقيه) بن عثمان بن صالح بن هرون بن محمد بن جَبُّ بن محمد سنبل بن ماسران ابن أيوب بُوبَ بَابَ بن أبي بكر موسى جكل². مولده: ولد أمير المؤمنين محمد بلو يوم الأربعاء في شهر ذي القعدة سنة خمس وتسعين ومائة بعد ألف³ (1195هـ) الموافق (1780م) وذلك بقرية طغل⁴.

نشأته: نشأ محمد بلو في رعاية والده وبين أجداد وجداته في سيرة حسنة، وحالة حميدة، واشتغل بطلب العلم، وله موهبة الفطنة والحفظ والإدراك التام وقوة الحفظ وحدة العارضة وفصاحة القول ونصاعة الألفاظ، وسعة البلاغة مالم يؤت غيره، فأدرك من الزمان مالم يدركه غيره من الأحقاب المتطاول⁵

اشتهر محمد بلو بالذاكرة القوية وسرعة الإدراك في حلم ووقار وصدق وأمانة، وكان شديد الإلتزام على مطالعة كتب الأقدمين، وقد ورد هذا القول في كتابه شفاء الأسقام في معرفة مدارك الأحكام نقلا عن كتابه الطب الهيبين "ووقفت مطالعة وقراءة على كتب لا تحصى حتى عدتها في بعض الأيام عشرين ألفا بعد ثلاثمائة"⁶ ومن صفاته أيضا الممارسة في شئون الحرب، وقيادة الجيوش، والبسالة العسكرية، وهو أيضا جريء في مواجهة الكفار، وقاد الحروب عدة مرات، وله رزانة العقل، وقوة العارضة وحكمة باهرة.

وقد ذكر أمير المؤمنين محمد بلو في كتابه شفاء الأحكام في مدارك الأحكام أنه تعلم الأصول والفروع العالي والنازل في الفروع والأصول، وتحقق بالقواعد الأصلية والفرعية.

تكلم في هذا الكتاب أنه أخذ التفسير للكتاب من والده، وأنوار البيضاوي بأسره، ومدارك التنزيل، وتفسير البغوي، وأحكام التنزيل، وتبع مواضع التفسير في السنن، وأخذ عن والده سنن الترمذي، وابن ماجه قراءة وإجازة، وطالع على أبيه فتح الباري شرح للعسقلاني، وصحيح مسلم، وأبي داود والنسائي والمصابيح للبغوي.

وقرأ على عمه الأستاذ عبد الله بن فودي علوم العربية، منها النحو وقرأ عليه الألفية للسيوطي ولامية الأفعال، وشرحها الجامع للأمثال، وشرح شذور الذهب، وقرأ أيضا على عمه الأستاذ عبد الله كتب البلاغة.⁷

وفاته :

توفي محمد بلو في موطن رباطه وُرُئو⁸ لما يرجو من الأجر والثواب لكل من توفي في موضع رباطه أنه لا يطوى سجله ويكتب ما كان يكتب له حيا من الأجر والثواب إلى يوم القيامة. وروى أنه مكث سبعة أشهر في مرضه قبل أن يلحق بالرفيق الأعلى عشية الخميس الخامس والعشرين من رجب الفرد من سنة ثلاث وخمسين ومائتين بعد ألف 1253هـ/ الموافق 1837م.⁹

وكان آخر كلامه في الدنيا لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات ثم قرأ ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾¹⁰ ودفن في ورنو، وما زال ضريحه يزار هنالك تغمده الله برحمته أمين وقاد الناس في مدة إحدى وعشرين سنة.

يتطرق الباحثان في هذا المبحث توضيحات شافية عن الموسيقى الخارجية التي يعنى بها الأوزان أو البحور الشعرية، ثم يحاول الباحثان تطبيقها على الديوان. للبلوغ إلى هذا الأمل سيدور الحوار حول هاتين النقطتين: الموسيقى الخارجية من البحور لدى أمير المؤمنين محمد بلو.

للوزن الشعري أهمية كبرى تؤدي إلى إجراء النغم والموسيقى ولذا يعتبر البحر أقوى من أركان الشعر العربي، وأولها أهمية في قرض الشعر وهو مشتمل على القافية وغيرها من أجزاء الشعر¹¹. الرجز أول وزن ظهر من تلك الأوزان وهو الوزن الذي ينشده العرب في أثناء حداثهم للإبل كأنهم يحاكون بما فيه من جرس وأصوات وقع أحفاف الإبل على بساط الصحراء ومن هنا يدرك الأوزان المتنوعة التي اكتشفها الخليل¹² فالشاعر تناول في شعره الأوزان التقليدية المعهودة في الشعر القديم وما حاد عنها في نظمه، فاستخدم البحور الشعرية التقليدية كبحر الطويل، والكامل، والوافر، والبسيط، والمتقارب، والرمل، وغيرها.

والأوزان المذكورة صالحة لكثير من الأغراض مثل الفخر والمدح والحماسة والوصف، صاغ أفكار قصائده مستخدماً هذه البحور، وأتقن في استخدام الأوزان الملائمة في فكرة قصائد الديوان، هذا مما أحسنه النقاد في استعمال البحور مطابقتها للفكرة. لقد آن الأوان أن يتصفح الباحثان قصائد ديوان أمير المؤمنين محمد بلو لمعرفة مطابقتها بالعنوان.

أ البحر الطويل:

البحر الطويل أشهر البحور الشعرية وأجزؤها وأفخمها، وقد نُظمت فيه درر القصائد العربية، كمعلقات امرئ القيس، وزهير بن أبي سلمى، وطرفة بن العبد، وغيرهم من عيون الشعر العربي، ويصلح للفخر والحماسة والوصف والعتاب والشكوى والتاريخ و شعر الحرب ومنه معلقات امرئ القيس وزهير وطرفة وغيرهم. يتكون هذا البحر من هذه التفعيلات: فَعولن مفاعيلن فَعولن مفاعيلن مرتين، وقد استعمله كثير من فحول الشعر الجاهلي في الوصف والفخر والحماسة وغيرها. استمع إلى امرئ القيس الكندي يصف فيه فرسه:

وَقَدْ أَغْتَدِي وَطَطِيرُ فِي وَكُنْتُهَا** بَمَنْجَرٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكِلِ
فَعولن مفاعيلن فَعولن مفعول مفاعيلن فَعول مفاعل

مِكْرٍ مَفْرٍ مُهْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعاً** كَجَالْمُودِ صَخْرٍ حَطَه السَّيْلُ مِنْ عَلِيٍّ¹³

فعلن مفعّل فعّلن فعل مفاعّلن فعول مفاعّل فعولن مفاعّل

ويفهم في البيت الأول أن السبب تام والوعد تام وكذلك الفاصلة إلا أن ضرب غير صحيح، وكذلك العروض دخل فيه القبض والحذف وإن دل هذا على شيء فإنما يدال على أن الضرب في القطعة غير تام وصحيح، وكذلك في البيت الثاني دخل فيه الضرب والحذف.

لقد سلك أمير المؤمنين محمد بنو مسلك القدامى من الشعراء في اختيار الوزن الجيد يحسن فيه الوصف، فاختر البحر الطويل يصف فيه المعارك التي وقعت بينهم وبين الكفار. لقد عثر الباحثان خلال تصفحه قصائد الديوان على قصيدة يصف بها غزوة فافرا تبلغ أربعة وعشرين بيتاً قائلاً:

ألاهل أتاها أن غزوة فافرا ** شقاً سقما في القلب من حين أخيرا
شفى النفس ادبار التوارق يومها ** فخابت ظنون أغنبل ثم أدبرا

إلى قوله:

تداعى أولوا الإسلام حين تزامروا ** بكل حسام يفرق الهام مُشْهَر
وكلّ رديني اسمر قعضي ** على كل أجرد من نجائب بريرا
ورجلهم يهبي سهاما كأنها ** ندى صاب في جوّ النهار فأمطرا
فغادر خيل الله للنصر هامهم ** بمعترك والكفّ والرجل قد فرا
فخلوا لنا أزوادهم ومتاعهم ** وأموالهم نفلأ زرقا ميسراً¹⁴

يدرك القارئ من الأبيات السابقة ما صاغه الشاعر من الأفكار التي توحى لنا كيف دارت رحى الحرب بين المسلمين وجيوش الكفار والمضاربة الحربية من استخدام السلاح القويّة والخيل النجيبة. وأمطروا على الأعداء مطر السهام وقتلوا من قضى عليهم الموت وفرّ الباؤون وتركوا أموالهم غنيمة للمسلمين.

اقرأ قصيدة الشاعر محمد بنو حيث يصف بها غزوة جات، والقصيدة تبلغ خمسة وعشرين بيتاً يصف فيها ما وقع على أعداء من شدة الدمار حيث قال:

ألم تر أن الله أبلى عباده ** بلاء عزيزاً والحروب تسعر
بما أنزل الكفار دار بوارهم ** فلاقوا هوانا والحوادث تخطر

إلى قوله:

فسل عن قريب يوم أحمل راية ** إلى جات والأنباء تجري وتذكر
قتلنا جميع الكفر ما الله يحصيه ** ويدر به والتقريب فيه مسطر
فباك¹⁵ قتلناهم وثنوا بأوبها ** وباناغ¹⁶ قتلنا وفي جات¹⁷ أكثر¹⁸

وصف الشاعر في الأبيات السابقة الحرب التي وقعت بين المسلمين بزعامة المجدد عثمان بن فودي وجيش جات، وأجاد الصياغة حيث صاغ الفكرة على الوزن الطويل على نمط القدامى من الشعراء. يدرك القارئ من مضامين هذه الأبيات ما للغر من الشجاعة والقوة الحربية حيث قتلوا الأعداء إلى آخرهم .

لم يقف الشاعر هنا بل استمر في تعداد من قتلوا من الأعداء في جات وبانغ وكركي، اقرأ معي ما يقول:
ففي باك أربعة وخمسون قتلوا ** وفي ثانو أربعة وعشرون يذكر ثلاثون عدة أهل بانغ¹⁹ أمة ** على
الشرك ارديناهم فتعضروا

وفي جات قتلنا بها مائة وشئ ** وأبنالكاري هناك معسكر²⁰
ولأمير المومنين محمد بلو قصيدة أخرى في فتح قلنين قرضها في البحر الطويل سيدرك القارئ ما فيها من
وصف الحرب، اقرأ معي ما يقول في هذا السدد:

فحمدا لمولى لم يزل متفضلا ** علينا بأنواع الأيادي ومجزلا

استمر الشاعر إلى أن شرع في وصف غزوة قلنين قائلا:

أياساتلا عن غزونا لعدونا ** وفيما جرى عبر لمن قد تأملا
وردنا على كتي²¹ وأرغُنغ²² بعدها ** فصارت فرائصهم مهبا وأفطلا
بذي لجب لا يخفض الرز جحفل ** يثير على الأركام إن صار قسطلا
وردنا قلنين وما راع أهلها ** سوى الخيل فالأرجاء كاليل أليلا
فسمناهم سلما وهم قد تكبروا ** وطاغوتهم قد شاط غيظا وأذبلا²³

تعدى الشاعر إلى أبيات أخرى في وصف ما وقع بقلنين، ومما يراعى القارئ في الأبيات التي سلف ذكرها التصريح في مطلع القصيدة وهذا من الموسيقى الخارجية يعتني به الشعراء القدامى.

ومما تطرف الشاعر للبحور الملائمة بمدلولات القصائد الواردة في الديوان قصيدته الدالية أرسلها إلى كنت قائلا:

ألا هل إلى مبروك إن شئت مرشدا ** تنوخ بجزعها تنل كل مجتدا
من الدين والعلم الصميم لأنها ** محل الأساة القائسين ذوي الهدا

إلى قوله:

ذووا ندأة²⁴ من كل علم فكلهم ** سبيل نجاه للبراسا من الودا
وأرجح أعمار لذا قد تودءوا ** على العلم ودّاءون للناس من هدا
وهم قصر الأنساب في العلم والتقى ** فدل علوم عندهم كان متلدا²⁵

مما سبق من الأبيات يدرك القارئ أن الشاعر وصف العلماء بالعلم والدين والتقى وأنهم ذووا نور يقتبس من نورهم.

فمهما يكن من أمر، وهذه بعض القصائد التي وردت في ديوان أمير المؤمنين محمد بلو في بحر الطويل مطابقاً لإختيار فحول الشعراء من القدامى في العصر الجاهلي وغيره من العصور. الوصف والفخر وغيرهما من الأغراض، لا يمكن للباحث أن يذكر كلها خشية الإطالة والملل. والقصائد الواردة في الديوان جلها من بحر الطويل وكثير منها تصف الحرب، وبلغ عددها عشرين ونيفا قصيدة.

ب البحر البسيط:

البحر البسيط من البحور الطويلة له ثمان تفعيلات وهي: مستفعّلن فاعلن مستفعّلن فاعلن، مرتين. والبسيط أقرب من الطويل من غيره، إلا أنه لا يتسع لاستيعاب المعاني مثله، ولا يلين لينته للتصرف مع تساوي أجزاء البحرين ولكنه أرق من الطويل في قرض الشعر.²⁶ وقال محمد ضياء الدين: "يلائم هذا البحر الوصف والغزل."²⁷ ونظم في البسيط كثير من الشعر الذي أجاده العموديون، وهاك ما قالته الخنساء في هذا البحر ترثي أخاها صخرا:

يوما بأوجد مني يوم فارقتي ** صخر وللدهر احلاء وإمرار
مستفعّلن فعّلن مستفعّل فاعلن مستفعّلن فاعل مستفعّل فاعل

فإن صخرًا لوالينا وسيدنا ** وإن صخرًا إذا نشتوا لنحار²⁸
مستفعلن فاعلن مستعمل فعل مستفعلن فاعل مستفعلن

وفي البيت الأول والضرب غير تام من فاعل إلى فعل، وكذلك مجزوعة مقطوعة حيث يصير مستفعلن مفعولن.

والآن يشع الباحثان في تتبع القصائد الواردة بهذا البحر في ديوان الشاعر لإثبات مدى علاقتها وصلتها بالبحر بكل موضوع من مضامين القصائد. وقد جاء هذا البحر في قصيدة محمد بنو متسع المعاني وجزيل الألفاظ، بل هو أجزل البحور الواردة في الديوان، اختار الشاعر هذا الوزن فقرض لاميته يمدح بها الغزاة من أصحابه وإن كان هذا الغزل يتمشى أحياناً مع الوصف والحماسة استمع إليه يقول:

أبلغ بلادي وخير القول أصدقه ** أنا رجعنا بحمد الله بالسول
إذ قد نصرنا على الأعداء كلهم ** وقد بلغنا به من كل مأمول²⁹

افتتح الشاعر القصيدة بإخبار بلاده عن عودتهم من المعرك سالمين غانمين منتصرين على الكفار حامدين لله العظيم، ثم استمر بذكر ما لأصحابه من الشجاعة والجرأة بقوله:

نعم الفوارس لا ميل ولا عزل ** قوم الجهاد رجال الله في الجيل
فتيان صدق غداة الروع تلقهم ** أسداً بعثراً أو من جنة الغول
قد صابروا أهل آهز في ثغورهم ** حتى شفوا في الحشا كل العقابيل
سموا بكُمّ ودهم تمتطى لهم ** من بينها شقرة أو ذات تحجيل³⁰

ومما ضمنته هذه الأبيات نعوت هذه الغزاة حيث وصف الشاعر القرآن بالفوارس لا يدبرون عن المعرك لشدة المضاربة ومواجهة الأعداء، قدا ستمر الشاعر في وصف المشقات التي واجهها الغزاة في المعرك قائلاً:

أسد بأيدهم سمر معلبة ** وكل غضب حسام غير مفلول
كم غادروا جمع أعداء بمعترك ** ما بين منجدل منهم ومغلول
والخيل تعلم والأعداء أنهم ** عند اللقاء أولوا بأس وتنكيل

لو لا مقامهم رقت عشائهم** وصار فاضلهم من جنس مفضول
ليسوا كقوم عهدتهم وهمتهم** تحصيل لذلك منكوح ومأكول³¹

يلاحظ القارئ أن الشاعر في هذه الأبيات وصف تلك الغزاة بالشجاعة الفائقة والجرأة البالغة ويشتم فيها رائحة الحماسة ومن هنا يتكهن الباحثان أن القصيدة مطابقة بالموضوع على نمط العموديين، ولم يكتف أمير المومنين بهذه القصيدة بل نظم قصيدة أخرى في بحر البسيط يمدح بها العالم الرياني البوصيري، وإن كانت في المدح، فإن مضمونها العام ووصفا له، لما حازه من الأخلاق الحميدة، إقرأ معي أيها القارئ العزيز ما يقول:

أعظم بما نال من مجد ومن كرم** ومن عطايا من المولى ومن نعم
هو المحب الكبير الشأن إن له** في العاشقين مقامًا راسخ القدم
حب النبي وخدمه وشاعره** في العشقين مقاما راسخ القدم
أخي لحسان ما قد أملكته يدا** دهر فنال به فخرا على الأمم³²

ويراعى من مضمون هذه القصيدة ما ذكره أمير المومنين محمد بلو من صفات صاحب البردة من أنه ماجد كريم محب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وخدمه وعشقه حتى عقد الأخوة بينه وبين حسان بن ثابت شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قام به البوصيري من مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومهما يكن من شيء إن الشاعر قد بذل قصارى جهده في اختيار الوزن الملائم بموضوع القصيدة فذلك لأن بحر البسيط يصلح لكثير من المعاني المتعددة والمضامين المختلفة.

ت البحر الكامل:

والبحر الكامل من البحور الشعرية الطويلة يتكون من ستة تفاعيل: متفاعلن متفاعلن متفاعلن مرتين، وهذا البحر يصلح لكثير من الموضوعات وهو في الخبر أجود منه من الإنشاء وأقرب رقة من غيره مع كونه عذبا سلسا، فهو سهل نسبيا، فإن اقترن بقافية سهلة كالنون مثلا ازدادت سهولته.³³ وقال محمد ضياء الدين الصابوني: "يلائم هذا البحر شعر الحكمة والحوار والثناء."³⁴ وقرض فيه كثير من فحول الشعراء الجاهليين ومن ذلك قول عنتره بن شداد في الفخر:

إني امرؤ من خير عبسٍ منْصبي** شطري وأخي سائري بالمنْصل³⁵

وفيه قال زهير بن أبي سلمى:

إن الرزية لا رزية مثلها ** ما تبتغى غطفان يوم أضلت

إن الركاب لتبتغى ذا مرة ** بجنوب نخل إذا الشهور أحلت³⁶

والآن يطبق الباحثان البحر على القصائد الواردة في ديوان أمير المؤمنين محمد بلو لإبراز مدى علاقته بالموضوعات التي قيلت فيها. ولأمير المؤمنين محمد بلو قصائد متنوعة قرضها في هذا البحر يأخذ الباحثان أولاً قصيدته التي يقول في مطلعها:

هلا عرضت إلى شيوخى حسبة ** مني رسولا فزت بالأمال

أن يهجروا البلد القبيح فعاله ** ويبادروا التحويل في استعجال³⁷

فاستمر الشاعر يبدي أفكاره قائلاً:

إناسنوقع فيه غارات لها ** نقع يثير قتامها كالئال

فالحزم شأني والمقام وركنه ** والبيت والعرفات ذي الأجدال

كلا ولسن من الدناءة حامل ** إن الدناءة حمل ذي الأثقال

وإذا أذيت ببلدة ودّعتها ** فلم أقيم بغير دار حلال

إن الإقامة في مقام مذلة ** عجز ولوم غير فعل كمال³⁸

يرجو الباحثان أن يوافقهما القارئ بأن الشاعر أحسن في اختياره البحر المناسب للقصيدة باستقراء الأبيات السابقة من ألفها إلى يائها. ومن إيجاده في البحر قصيدة قرضها يرثي عمّه الأستاذ عبد الله بن فودي تغمده الله برحمته وقال في مطلعها:

إنّ الرزية لا رزية مثلها ** رزء غدا الإسلام منثلما به

خطب جليل حلّ من فقد الندي ** في العلم ليس له أخ من مشبه³⁹

ربما يوافق الباحثان القارئ في القول بأن الشاعر أجاد في إثارة البحر الكامل ليرثي فيه عمه. والشاعر يتأسى بمصيبة التي حلّت عليه، ألا وهي فقد عمّه العزيز الأستاذ عبد الله، والقصيدة حوت سمات الرثاء الثلاثة وهي البكاء وتعداد المناقب والدعاء للمتوفى عنه، وهذه السمات فيما يلي من الأبيات:

وعفت مدارس للعلوم وأوحشت ** أركانها من فقد قاضي نحبه
تبكي فنون الشرع من فقدانه ** لاسيما التفسير جاد بسكبه
فالناس فوضى ما لداء جهالة ** راق لهم أو من يطب بطبه
بل أفقرت منه المساجد زانها ** بصلاته فيما يؤم بصحبه⁴⁰

وهذه الأبيات تمثل البكاء وتمثل تعداد المناقب للمرثى وحازت صفات المرثى له الكريمة والمجهودات التي بذلها في توطيد دعائم العلم وتدريب الطلاب في فنون شتى، وختم مرثيته بالدعاء للمرثى له حيث قال:

فالله يغفر للجميع بفضله ** ويجود فضلا للجميع بوهبه
فله المحامد والفضائل والعلى ** وصلاته أبدا لحائز قربه
ولآل شيعته الكرام وصحبه ** والصادقين القائمين بحبه⁴¹

ومن هنا يدرك القارئ النغمة والصوت الذي كان للبحر الكامل لكاملته وجزالته في استخدام الكلمات والمعاني الملائمة، ويوحيك أيضا الواسطة السهلة والجزائية وهذا مما يوافق الكامل حسب ما وضعه علماء العروض.

ث البحر الوافر:

وهذا البحر يتكون من ثلاث تفعيلات وهي: مفاعلتن مفاعلتن فعول ** مفاعلتن مفاعلتن فعول. قال أحمد الشيبان: "والبحر الوافر ألين البحور يشهد إذا شدته ويرق إذا رققته، وأكثر ما يوجد به النظم في الفخر وفيه تجود للمراثي." وأضاف إلى قوله محمد محي الدين الصابوني: "يلائم هذا البحر الشعر الوطني والقومي والمناجات، ويصلح أيضا في الإستعطاف، والبكائيات وإظهار الغضب في معرض الهجاء والمدح.⁴² لقد قال كثير من الشعراء القدامى في هذا البحر. استمع إلى عبيد بن الأبرص يفتخر ببراعته في الشعر قائلا:

سل الشعراء هل سبحوا كسبحي ** بحور الشعر أو غاصوا مغاصي
لساني بالنثر وبالقوافي ** وبالأسجاع أمهر في العياص
من الحوت الذي في لج بحر ** تحيد السبح في لجج قلاص⁴³

استخدم الشاعر الوزن في الفخر والحماسة وصاغ فكرة مناسب للبحر على شاكلة قوله قصيدته باستخدام هذا البحر، قالها بتبليغ جوابه إلى عزاله قائلاً:

أصحي بلغوا عني الجوابا ** إلى العذال قولاً مستطاباً
بأني لا أزال إلى المعالي ** أرقى لست من أهوى الربابا
واني ماجد سمح حبي ** وضرغام إذا سمت الضرابا
فابلغ زدي مع هود يهودي ** توقع وارقب مني سبابا
ومغزي من مبات⁴⁴ إلى مكد⁴⁵ ** فأوقع في بلادكم الخرابا
بجند يملأ الأركان طرا ** ويكسو السهل والحزن النشابا⁴⁶

بإمعان النظر والتفكير في مضامين هذه الأبيات إنها توحى إلى فخر الشاعر وحماسه وشجائته بقومه وذلك حين يذكر أنه ماجد سمح وضرغام، وهذه الألفاظ تمثل الفخر وأجاد الشاعر في الصياغة حيث صاغ فكرته في البحر الوافر وقد أجاد الشاعر البحر مطابقاً لإختيار بعض فحول الشعراء القدامى كما سبق.

د- مجزوء البحر الوافر:

مجزوء الوافر هو البحر الذي حذفت تفعيلته الأخيرة من السطر الأول ونظيرتها من السطر الثاني ولهذا يسمى مجزوء قصارت تفعيلاته كالأتي:

مفاعلتن مفاعلتن ** مفاعلتن مفاعلتن،

وشابه هذا البحر كثيراً من البحور القصيرة من حيث التفعيلات، وقرض في هذا البحر كثير من الشعراء القدامى، ونظم أبو العتاهية في هذا البحر شعرا يحذر نفسه والناس عن الدنيا وغرورها قائلاً:

فُنُونُ رَدَاكِ، يَا دُنْيَا ** لِعَمْرِي فَوْقَ مَا أَصْفُ
فَأَنْتِ الدَّارُ فِيكَ الظَّلْمُ ** وَالْعُدْوَانُ وَالسَّرْفُ

لقد تصفح الباحثان ديوان أمير المؤمنين محمد بلو من ألفه على يائه فوجد قصيدة واحدة منظومة في هذا البحر يرثي بها أخته وبقية إخوانه الماضين رحمة الله تعالى عليهم يوردها الباحثان ليرى القارئ مدى مطابقتها بالبحر الوافر المجزوء، إستمع إليه يقول:

أ يا دهر لنا عات ** تويى بالرزايات
 فرقا بالقواري ** رقلوب كالبليات
 وهت أعشارها طرًا ** بوقع من ملمات⁴⁷

يلاحظ القارئ في مطلع القصيدة الإيحاء والتنبيه لإفتتاح قصيدته بـ (أيا) وكذلك التصريح حيث قفى قصيدته بالتاء وبعد الإيحاء استمر الشاعر يغوص في البحر يبكي ويظهر خزنه للمفقودين قائلا:

ولا درت ليالينا ** تبكينا بعبرات
 وقد ذهبت بئأباء ** وأخوان وأخوات
 وأعماء وعمات ** وأخوان وخلات
 وذى القربى وذى رحم ** وجيران وجيرات
 فإن الموت أفناهم ** فأضحوا بين أموات⁴⁸

والأبيات السابقة تمثل سمة من سمات الرثاء فهي البكاء في قوله: تبكينا بعبرات، ثم عقب بسمة أخرى من سمات الرثاء وهي تعدد مناقب المتوفى عنهم حيث قال:

فطوبى لامرء ولى ** إلى الأخرى بنيات
 وأعمال له صلحت ** وأخلاق نقيات⁴⁹

ولما انتهى عن تعداد مناقب الماضين انطلق إلى اختتام قصيدته بالدعاء لهم بالجنات العالية والنظر إلى وجه الله الكريم يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، إقرأ مع الباحثان ما يقول:

ويجمعنا وموتانا ** بجنات رفيعات
 فراديس عليات ** وكتبان عليات
 ويحظينا بنظرات ** إليه من الزيادات⁵⁰

هكذا اختتم أمير المؤمنين محمد بلو تائيته بالدعاء لهؤلاء. باستقراء ما سبق يدرك القارئ أن الشاعر محمد بلو اختار البحر الطويل في الفخر والحماسة ووصف الجهاد وغيرها من الأغراض وعلى هذا البحر نظم معظم القصائد الواردة في الديوان ولا غرو أن هذا البحر الطويل سيد البحور وهو البحر الذي ساد في العصور الذهبية فأتى منه نحو ثلث الشعر العربي القديم، ويتبع الطويل البحر الكامل في الرفعة بين

البحور الشعرية ويناسب بالخبر والمعاني واستعمل الشاعر بعد ذلك الوافر لأنه يُستعمل في الرقة والشدة وأكثر ما يوجد به النظم في الفخر وفيه تجود للمراثي. هذا، لعل القارئ يوافق الباحثان بلا أدنى ريب أن أمير المؤمنين محمد بلو شاعر عمودي. اقتدى الشاعر أمير المؤمنين محمد بلو بالشعراء القدامى في اختيار البحور الشعرية الموزونة بوزن شعري موافق لما وضعه علماء العروض لوزن جودة الشعر رداً لها ومهما يكن من أمر، فإن الشاعر أجاد في إثارة البحور الملائمة في قرص البحور الشعرية.

الخاتمة:

قد مرّ القارئ أن المقالة عبارة عن البحور الشعرية في ديوان أمير المؤمنين محمد بلو دراسة عرضية تطبيقية لقصائد مختارة، وفي هذه العجالة تكملت المقالة عن سيرة ذاتية للشاعر، وصدرت المقالة بذكر البحور الطويل ومعانيه وما قيل عنه من صياغته ونغماته وعذوبته في الشعر.

وكذلك مرت المقالة على البحور الوسيط وما قيل عنه في المعاني والنغمات ثم مثلت بأبيات من أبيات لتطبيق البحر في قصائد الشعر وعلاقة القصائد بالبحر البسيط، وضايفه على ذلك أن المقالة لفت النظر عن البحر الكامل ومدى تأثيره في القصائد العربية وكيف دار الشاعر في اختياره هذا البحر وتطبيقه في أنظمتها وفي الأخير ختمت المقالة بإيراد بحر الوافر ومجروئه دراسة نظرية وتطبيقية. ومن هنا أنتجت المقالة ما يلي:

- 1- معرفة السيرة الدائرية للشاعر وتضلعه في قرص الأنظمتها والأقارض الشعرية.
- 2- ذكاء الشاعر في نظم القصائد حسب الشعراء القدامى على وزن واحد وروى واحد في بعض القصائد.
- 3- تأثير بالقدامى أمثال عنتر بن شداد وامرئ القيس.
- 4- موافقته في الأخذ عن المعاني والكلمات الرائعة في الشعر.

الهوامش والمراجع:

¹ - كلمة فلاتية تعني الفقيه

² - الوزير جنيد بن محمد البخارى، نيل المرام، مخطوط موجود في مكتبة الباحث الخاصة. ص: 1

- 3 - المرجع السابق نفس الصفحة.
- 4 - محمد بلو عثمان، التحليل البلاغي الأدبي لبعض أشعار أمير المؤمنين محمد بلو بن الشيخ عثمان، رسالة الدكتوراه، إلى قسم اللغة العربية، جامعة عثمان بن فودي، سنة: 1423هـ م 2002م، ص: 15
- 5 - أبوبكر جومي ترجمته لمحمد بلو في إنفاق الميسور لمحمد بلو ص: 27.
- 6 - محمد بلو: الطب الهين طبع على نفقة محمد طن اغي ظامير يرو صكتو نيجيريا، ص: 5.
- 7 - محمد بلو الطب الهين، المرجع السابق، ص: 5
- 8 - وهي قرية في شرقي صكتو تعدل ثلاث وثلاثين ميلاً
- 9 - محمد بلو إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، تصحيح جامعة عثمان بن فودي، مركز الدراسات الإسلامية، سنة 1424هـ، مطبعة اقرأ للطباعة والنشر، ص: 23
- 10 - سورة النحل الآية: 61
- 11 - ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر، تحقيق عبد الواحد سعلان، مكتبة الخارج بالقاهرة بلا تاريخ، ص: 218.
- 12 - شوقي ضيف، في النقد الأدبي، مكتبة الدراسات الأدبية، الطبعة التاسعة، مطبعة دار المعارف، بلا تاريخ، ص: 99-100.
- 13 - ديوان عنتر بن شداد، ج: 2، ص: 98
- 14 - الوزير جنيد، إفادة الطالبين، مخطوط موجود في مكتبة الباحثين الخاصة، ص: 25
- 15 - اسم بلد تقدم بيانه.
- 16 - اسم بلد تقدم بيانه.
- 17 - اسم بلد تقدم بيانه.
- 18 - الوزير جنيد، إفادة الطالبين، المرجع السابق، ص: 6
- 19 - اسم بلد في حكومة محلية مرّ ولاية زَنَقَر حاليًا في نيجيريا
- 20 - الوزير جنيد، إفادة الطالبين، المرجع السابق، ص: 5-6.
- 21 - اسم بلد
- 22 - اسم بلدة في ولاية كَب في نيجيريا
- 23 - الوزير جنيد، إفادة الطالبين، المرجع السابق، ص: 22
- 24 - أي كثرة
- 25 - الوزير جنيد، إفادة الطالبين، المرجع السابق، ص: 49-51
- 26 - أحمد أحمد بدوي، أسس النقد، دار النهضة مصرى للطبع والنشر، ص: 344.
- 27 - الصابوني، ضياء الدين، الموجز في البلاغة، مطبعة طار الفكر دمشقي، ص: 108.

- 42²⁸ - دواوين الشعر العربي على مر العصور، المرجع السابق، ج: 15، ص: 3
- 29 - الوزير جنيد، أفادة الطالبين، ص: 20
- 30 - الوزير جنيد، المرجع السابق، في نفس الصفحة
- 31 - الوزير جنيد، المرجع السابق، ص: 21
- 32 - الوزير جنيد، إفادة الطالبين، ص: 36
- 33 - البشير عصام أبو محمد المراكشي، دروس مختصرة عن علم العروض، ج: 1 ص: 43
- 34 - محمد ضياء الدين الصابوني، المرجع السابق، ص: 113
- 35 - ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، المرجع السابق، ص: 178
- 36 - مصطفى السقا، الشعر الجاهلي، المرجع السابق، ج: 1، ص: 68
- 37 - الوزير جنيد، أفادة الطالبين، المرجع السابق، ص: 4
- 38 - الوزير جنيد، إفادة الطالبين، المرجع السابق، في نفس الصفحة
- 39 - الوزير جنيد، إفادة الطالبين، المرجع السابق، ص: 32
- 40 - الوزير جنيد، إفادة لطالبين، ص: 22-23
- 41 - الوزير جنيد، إفادة الطالبين، ص: 34.
- 42 - عبد الله الطيب (البروفيسور)، المرشد إلى فهم أشعار العرب ص: 333.
- 43 - مصطفى السقا، الشعر الجاهلي، المرجع السابق، ج: 2، ص: 49.
- 44 - اسم مكان أو بلد
- 45 - اسم مكان أو بلد
- 46 - الوزير جنيد، إفادة الطالبين، المرجع السابق، ص: 13-14
- 47 - الوزير جنيد، المرجع السابق، ص: 30
- 48 - الوزير جنيد، إفادة الطالبين، المرجع السابق، ص: 30
- 49 - الوزير جنيد، إفادة الطالبين، المرجع السابق، في نفس الصفحة
- 50 - الوزير جنيد، إفادة الطالبين، ص: 31

تعدد وجهات نظر البلاغيين في التضمن البديعي

إعداد:

عبد الحكيم عبد الرحمن

طالب الدراسات العليا (دكتوراه)، قسم اللغة العربية والتربية، جامعة ولاية بوشلي، غطو¹

الملخص

البلاغة العربية من العلوم التي قام عليها أساس اللغة العربية، وهي الذريعة التي تُوصل إلى معرفة دقائق أساليب القرآن العظيم وأسرار معانيه. فالتضمن من الموضوعات البلاغية البديعية التي يكثر الكتاب والشعراء استعمالها لما فيها من الطرف الأسلوبية والخصائص الفنية التي تكسو الخطاب روعةً وجلالاً. ولم يفتأ علماء البلاغة يخوضون في دراسة هذا الموضوع لمكانته السامي في اللغة العربية. ولقد وجّه البلاغيون عنايتهم وشغلوا أقلامهم في البيان والتفصيل عن التضمن مما أدى إلى تعدد وجهات نظر فيه لديهم. وكذلك حاول النقاد إزالة اللبس بينه وبين السرقة الأدبية. وهذا التعدد يحدث الالتباس في ظاهرة التضمن ويوقع الأفكار في حيرة شديدة في إحاطة جوانبه وتحديد معناه. وهذه المقالة تكشف للقراء ماهية التضمن ومدى خوض البلاغيين في البيان فيه كما تتناول تعدد وجهات النظر علماء البلاغة في تعريف التضمن وفي بيان صورته وأنماطه ودلالته في اللسان العربي. وهذه المحاولة البسيطة تسلط الأضواء على أوجه الفرق بين التضمن والسرقة الشعرية.

ABSTRACT

Arabic rhetoric is among the branches of knowledge on which Arabic language is built. It is also a medium to attain details about artistic styles in Quran and its secret meanings. Embodiment (tadmeen) is among rhetorical topics they deal with

1 AnnahwyalMubarak1@yahoo.com phone number: 08034338925

figures of speech which are regularly used by prolific writers and genius poets due to its novelty's styles and artistic features which shroud speech with beauty and clarity. Scholars of rhetoric incessantly discuss this topic (tadmeen) due to its high rank in Arabic language. They channelled their efforts and engaged the services of their pens to elucidate and expanciate tadmeen. This efforts later generated divergent opinions among them as well as the critiques endeavoured the ambiguity between embodiment (tadmeen) and plagiarism. These divergent opinions have caused intricacies in this phenomenon and drag people into deep confusion which hinder them from encompassing all areas of tadmeen in their studies and also restrict its meaning. This paper reveals to the readers facts about embodiment (tadmeen) and the extent which rhetorical scholars has reached on this topic.it also discuss their different opinions on the meaning of embodiment, its kinds and its meaning in Arabic language. This little effort will shed light on disparities between embodiment and plagiarism.

المقدمة

التضمين مصطلح له شركة عنان بين النحويين والبلاغيين والعروضيين في الدلالة على معاني مختلفة حسب ما يُستخدم في كل مجال من هذه المجالات العلمية. وفي علوم البلاغة التي هي مدار هذه المقالة، فالتضمين على قسمين: قسم يتناوله علم البيان وهو التضمين البياني، والآخر يتناوله علم البديع وهو التضمين البديعي. فالأول أن يقصد بلفظ معناه الحقيقي ويلاحظ معه معنى لفظ آخر يناسبه ويدل عليه بذكر شيء من متعلقات الآخر لفظ 1. والثاني يقصد به إقحام كلام في كلام آخر بحسن الاستعمال دون تكلف.

فالتضمين البديعي عمل مشروع في البلاغة العربية وفي مجال الأدب العربي لأن الشاعر أو الناثر الذي ضمّن كلامه بكلام الغير لا يدعي بأن الكلام المضمّن هو قوله، بل يأتي به لأغراض كثيرة نبيلة منها الإعجاب بالكلام المأخوذ لأنه يوافق كلامه شكلاً ومضموناً يتميّ لو أنه هو قائله. ومما يلجأه إلى التضمين المهارة التي يلاحظها الآخذ في الكلام المأخوذ.

ولقد اشترط النقاد الإشارة إلى الكلام المضمّن إن لم يكن مشهوراً ليدفع عنه تهمة السرقة ومعرفة الانتحال، لأن إخفاء ما أخذ عن الغير وكتمانته سلوك غير مرضي عنه في مجال الأدب والبلاغة.

وجهات نظر البلاغيين في التضمين البديعي

يُعدّ التضمين البديعي محسّناً من المحسنات المعنوية في البلاغة العربية التي تكسو المعاني رونقا وبهاء وتضيف إلى الدلالة جلاء وظهورا. وهذه المقالة تتناول بالتحديد تعدّد وجهات نظر البلاغيين في التضمين البديعي. ولقد قام علماء النقد والبلاغة بتحديد معنى التضمين البديعي كي لا يشوبه التلبس ولا يتلبّد آفاقه غيم الاشتباه بالتضمين النحوي. وهذا التحديد جعل وجهات نظر البلاغيين تختلف بعضها بعضا، ويبدو هذا الاختلاف من خلال تعريفات متنوعة تُطلق على التضمين لدى علماء البلاغة. ويمكن رؤية وجهات نظر البلاغيين المتقدمين منهم والمتأخرين فيثلاثة محاور وهي :

المحور الأول: قَصْرُ التضمين في الفن الشعري فقط.

المحور الثاني: تناوُل التضمين في الشعر والنثر معا.

المحور الثالث: عدمُ التفريق بين التضمين والاقتباس.

الأول: قصر التضمين في ميدان الشعر فقط دون النثر

أَيُّ هو أخذ الشاعر من الكلام المنظوم المنسوب إلى غيره، ومن أنصار هذا الرأي ابن سلام الجمحي وابن رشيق القيرواني ومحمد البغدادي والشريشي وسعد التفتازاني وعبد الفتاح بسيوني وعبد العظيم المطعني.

لعل ابن سلام الجمحي (ت. 232هـ) أول من تكلم عن التضمين – فيما عرف الباحث - في كتابه المشهور "طبقات فحول والشعراء" الذي يُعدُّ من أوائل الكتب النقدية. تحدّث عنه في مواضع كثيرة من هذا السفر الجليل لكنه لم يسمه تضمينا، بل سمّاه احتذاءا حين يقول: "لما نفذ شعر أبي متمام بن نويره جعل ابنه متمام يزيد في الأشعار ويصفها وإذا كلام دون كلام متمام، وإذا هو يحتذي على كلام كلامه (أي أبيه). فيذكر المواضع التي ذكرها متمام والوقائع التي شهدها فلما توالى ذلك علمناه أنه يفتعله" 2. وفي موضع آخر أطلق عليه مصطلح "الاستزادة" حيث ذكر أن خلف الأحمر سأل بن حبيب عن نسبة البيت التالي:

تعدو الذئاب على من لا كلاب له وتتقي مريض المستنفر الحامي

فقال : هو للنايعة، أظن الزبرقان استزاده في شعره كالمتمثل حين جاء موضعه لا مجتلبا له. وقد تفعل ذلك العرب ولا يريدون به السرقة³ وابن سلام لم يعد هذه الصنعة سرقة بل عده من عادات العرب حين قال : "وقد تفعل ذلك العرب لا يريدون به السرقة".

وقد أطلق عليه اسما آخرا وهو "السرقة" كما بدى في كلامه حيث ذكر أن جريرا روجع في شعره، فقيل له: زعم أنك سرقت من عمرو بن لجأ، فقال جرير: وهل أنا محتاج أن أسرق قول عمر. وهو ضعيف الشعر 4. إن ورود هذه الألفاظ المختلفة لتؤدي معنى التضمين البديعي دلالة على أنه مألوف لدى متقدمي أرباب هذه الصناعة لكن الفرق بين التضمين والسرقة لم يكن واضحا عندهم لأن كلاً منهما يتناول تأثر المتأخر بالمتقدم.

ومن أقدم الذين ذكروا التضمين دون إتيان تعريفه الخليفة عبد الله بن المعتز (296هـ) بحيث أورد بعض الأمثلة في حسن التضمين منها :

قول الأخطل :

ولقد سما للخرمي فلم يقل يوم الوغى: "لكن تضايق مقدمي"

وقوله "لكن تضايق مقدمي" هو تضمين لقول عنتره:

إذ يتقون بي الأسنة لم أحم عنها ولكني تضايق مقدمي 5

إن إيراد الأمثلة في الأبيات الشعرية لدى ابن سلام الجمعي وابن المعتز يدل على أن التضمين لديهما يقع في الشعر دون النثر.

أما ابن رشيق القيرواني الأزدي (ت. 456هـ) فالتضمين عنده يكون بالأخذ من البيت بأكمله أو الجزء منه. وأثر أن لا يكون في البيت المضمّن تنبيه إن كان مشهورا. لقد أبدى ملاحظته على ما نبّه به محمود بن الحسين كشاحم الكاتب في تضمينه لما قال:

"أذكرتني قول ذي لب وتجربة في مثله لك تأديب وتقريع" 6

قال ابن رشيق : "فهذا جيد في بابه, وأجود منه أن لو لم يكن بين البيت الأول والآخر واسطة, لأن الشاعر قد دل بذلك على أنه متهم بالسرقة أو على أن هذا البيت غير مشهور, وليس كذلك بل هو كالشمس اشتهارا, ولو أسقط البيت الأوسط لكان تضمينا عجيبا"⁷

اتضح من ملاحظة القيرواني أن تضمين الشعر المشهورة نسبتته إلى قائلٍ معيّن معروفٍ لا يحتاج إلى تنبيه حال تضمينه, وعدم التنبيه يجعل ذلك التضمين أجود وأفضل كما قال القيرواني : "وهذا عند الحدّاق أفضل التضمين" ⁸

والأفضل من الأنف الذكر عند ابن رشيق أن يغيّر الشاعرُ الأخذُ معنى البيت المأخوذ إلى معناه ويكتفي بألفاظ الشعر. قال في هذا الصدد : وأجود منه أن يصرف الشاعر المضمن وجه البيت المضمن عن معنى قائله إلى معناه"⁹. وهذا النوع عدّه ضياء الدين ابن الأثير 10 وعبد العزيز الجرجاني 11 من أنواع السرقات المحمودة. ومن الأمثلة التي أوردها ابن رشيق في هذا النوع قول ابن الرومي :

| | |
|--------------------------|---------------------------------------|
| وسائلة عن الحسن بن وهب | وعما فيه من كرم وخير |
| فقلت: هو المذهب غير أي | أراه كثير إرخاء الستور |
| وأكثر ما يفنيه فتاه | حسين حين يخلو بالسرير |
| فلولا الريح أسمع من بحجر | صليل البيض تفرع بالذكور ¹² |

لقد أخذ ابن الرومي معنى الشعر من المهمل.

ومثل هذا النوع يندرج تحت معنى التضمن, إذ التضمن أن يضمن الشاعر في شعره شيئا من نظم الغير, وإدخال هذا النوع في باب التضمن يفرّق بين التضمن والسرقة الشعرية. ومما سجلته كتب البلاغة من أقوال البلاغيين عن التضمن البيدي قول الشاعر الأديب أبي طاهر محمد بن حيدر البغدادي {ت.517هـ}, حين تعرّض للتضمن في مصنفه الشهير "قانون البلاغة" بتعريف لا يختلف عن ما قاله القيرواني . التضمن عنده إيراد الشاعر شعر غيره في نظمه إما بيتان أو بيت واحد أو ما دونه. قال : "وأما التضمن فقد لهج به جماعة من المتأخرين , واستكثروا منه, فمنهم من يورد البيت بأسره والبيتين, ومنهم من يقتصر على الأنصاف, ومنهم من يأتي بالأرباع وبما دون ذلك". ¹³ أراد البغدادي أن يشير إلى أوجه

التضمين دون التعرض إلى تبسيط القول عنه. وذكر الشريشي التضمين بأنه يكون في بيت وفي شطر بيت، والشعراء تتولع به كثيرا وهو من صنعة البديع. 14

أما الخطيب القزويني (ت.739هـ) فهو من علماء البلاغة في القرن الثامن لم يختلف كلامه عن كلام السابقين الذكر، قصر مفهوم التضمين الأخذ في الشعر دون النثر، وقال في تعريفه: هو أن يضمن الشاعر شيئا من من شعر الآخرين مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهورا عند البلغاء. ومن أمثله قول الحريري:

على أي سأنشد عند بيعي أضاعوني وأي فتى أضاعوا

المصراع الأخير قيل: للعرجي، وقيل: لأمية بن أبي الصلت، وتمام البيت: "ليوم كرهة وسداد ثغرا" 5

فتضمين ما دون البيت ضربان عند القزويني، ضرب لا يحتاج إلى تقدير باقي البيت لأن المعنى لا يتم بدونه كما في قول الحريري السابق ذكره، وأما الضرب الثاني فهو يحتاج إلى تقدير باقي البيت لأن المعنى لا يتم إلا به. ومثله قول ابن خلكان:

قد قلت لما اطلعت وجناته حول الشقيق الغض روضة آس
أعداره الساري العجول ترفقا ما في وقوفك ساعة من باس

المصراع الأخير لأبي تمام:

كنا معا أمس في بؤس نكابده والعين والقلب منا في قذى وأذى
والآن أقبلت الدنيا عليك بما تهوى فلا تنسني إن الكرام إذا

أشار إلى بيت أبي تمام ولا بد من تقديره.

يقول بسيوني عبد الفتاح فيود، أحد أساطين البلاغة في هذا العصر: "أما التضمين فيختلف عن الاقتباس بأنه لا يكون من القرآن ولا الحديث، بل يكون من كلام آخر غيرهما، كما لا يكون في النثر بل في الشعر خاصة" 17

وفي هذا القسم من أضاف إلى التضمين وجه آخر وهو أخذ الشاعر من قصيدته نفسه وتضمينه في قصيدة أخرى له. قال الدكتور عبد العظيم المطعني: فإذا أنشأ شاعر قصيدة ووضع فيها أقوالاً من شعر غيره أو شعر نفسه من غيرها سمي هذا العمل تضميناً". 18 وهذا الوجه لم يكن مذكوراً في التضمين البديعي عند البلاغيين لأنه من ضمن أعمال الأخذ، والتضمين يختص بعمل الغير.

الثاني: تناوُل التضمين في الشعر والنثر معاً. وأصحاب هذا القول هم الذين توسعوا في قضية التضمين بأنه يمسّ القنّين الأدبيين الشعر والنثر، وهم يعدّون أخذ شاعرٍ من شاعرٍ آخر أو أخذ ناثِرٍ من ناثِرٍ آخر أو أخذ شاعرٍ من ناثِرٍ تضميناً بديعياً، وأما الأخذ من القرآن والحديث فهو اقتباس. ومن هؤلاء البلاغيين جلال الدين السيوطي وأحمد مطلوب ووليد إبراهيم القصاب وعبد الرحمن الميداني وعبد الباقي أغاكا النيجيري.

يحتمل قول السيوطي (ت.911هـ) أنه من أولئك النفر الذين يرون التضمين في الشعر والنثر حين يقول: التضمين إدراج كلام الغير أثناء الكلام لقصد تأكيد المعنى أو ترتيب النظم، وهذا من النوع البديعي 19. فلفظ "الكلام" لفظ عام يطلق للدلالة على الشعر والنثر معاً. يُفهم من كلام السيوطي أن التضمين لا يُستعمل إلا للفائدة التي لا تحصل إلها إلا بها، مثل التوكيد وترتيب النظم.

قال الأستاذ الدكتور أحمد مطلوب (ت.2018م): "وفي رأينا أنه لا بد من تخصيص مصطلح الاقتباس بما يؤخذ من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وجعل المصطلح التضمين قاصراً على ما ينتزع من فنون الأدب شعراً ونثراً، وذلك دفعاً للاقتباس بينهما وحسب الأهمية كل منهما على ميدان البلاغة" 20.

ويرى عبد الرحمن الميداني أخذ المتكلم كلام الغير نثراً أو شعراً وتضمينه في كلامه من الاقتباس. يقول في تعريفه: هو أن يضمن المتكلم كلامه من شعر أو نثر كلاماً لغيره بلفظه أو بمعناه. وهذا الاقتباس يكون من القرآن أو من أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم أو من الأمثال السائرة أو من الحكم المشهورة أو من أقوال كبار البلغاء والشعراء المتداولة، دون أن يعزو المقتبس القول إلى قائله 21.

ومن البلاغيين المعاصرين الدكتور وليد إبراهيم قصاب، فهو يرى المشابهة بين التضمين والاقتباس وليس بينهما اختلاف إلا في المادة المأخوذة حيث يكون الأخذ من القرآن والحديث اقتباساً والأخذ من غيرها

شعرا أو نثرا تضمينا. يقول القصاب عن التضمين: " أن يضمن الشاعر في شعره شيئا من نظم غيره، أو من النثر، أو الحكم المأثورة..."²²

ويُفهم من كلام البلاغي النيجيري الأستاذ الدكتور عبد الباقي شعيب أغاكا ما يحتمل أن مفهوم التضمين عنده هو الأخذ من الشعر أو النثر. قال في بيانه عن شعر الأستاذ عبد الله بن فودي: " وقد اقتبس فيما عددا من آي الذكر الحكيم الذي ظل في المرتبة الأولى، ويليه الحديث النبوي الشريف، والتضمين بأنماط من النصوص الأدبية الراقية..."²³. وأنماط النصوص الأدبية الراقية قد تكون شعرا أو نثرا.

الثالث: عدم التفرقة بين التضمين والاقْتِباس. وأنصار هذا الرأي يذهبون إلى أن بين الاقتباس والتضمين شركة عنان، وأن كلاهما في مفهوم واحد. ويرى كلُّ من ابن الأثير والنويري وابن الإصبع المصري الأخذ من القرآن والحديث تضمينا.

إنَّ رأي ضياء الدين ابن الأثير في عدم التفريق بين التضمين والاقْتِباس أشمل وأبعد من غيره، وفرق بين تضمين كلام الله وكلام رسوله من تضمين غيرهما من النثر والشعر. وجعل التضمين نوعين²⁴:

النوع الأول وهو الأخذ من آيات القرآن والأحاديث النبوية. وهذا التضمين الحسن، وهو إما كلي أو جزئي. فأما التضمين الكلي فهو أن تذكر الآية والخبر بجملة، وأما التضمين الجزئي فهو أن تدرج بعض الآية والخبر في ضمن الكلام فيكون جزءاً منه. ومذهب ابن الأثير في هذا النوع الأول هو عدم أخذ الآية القرآنية بكمالها إذا لم يقصد به التضمين، وأما إذا قصد به التضمين فهي تُؤخذ بكمالها.

وقال في تعريف النوع الثاني: "هو أن يضمن الشاعر شعره والنثر نثره كلاما آخر لغيره قصد الاستعانة على تأكيد المعنى المقصود، ولو لم يذكر ذلك التضمين لكان المعنى تاما، وربما ضمن الشاعر البيت من شعره بنصف بيت، أو أقل منه"²⁵. وبعد أن أتى بأمثلة كثيرة من الشعر مثل للنثر بقول الخطيب عبد الرحمن ابن نباتة رحمه الله حين يقول: " فيأبها الغفلة المطرقون، أما أنتم بهذا الحديث مصدقون، فما لكم منه لا تشفقون، فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون" وعلق ابن الأثير قائلا: "ألا ترى إلى براعة هذا التضمين الذي كأنه قد رصع في هذا الموضع رصعا"²⁶.

وتجد النويري لم يفرق بين النص القرآني والنص النبوي من غيرهما في التضمين كما هو واضح في قوله :
"وأما حسن التضمين فهو أن يضمن المتكلم كلامه كلمة من آية أو حديث أو مثل سائر أو بيت من
الشعر" 27.

ولعل ابن الإصبع المصري نقل تعريفه للتضمين من النويري مع تغيير يسير. قال عن تعريف التضمين :
"أن يضمن المتكلم كلامه كلمة من بيت أو من آية أو معنى مجردا من كلام أو مثلا سائرا أو جملة مفيدة أو
فقرة من حكمة" 28. وذكر أمثلة كثيرة عليه من القرآن والحديث والشعر.

ويتضح من خلال الأمثلة التي ذكرها هؤلاء البلاغيون أنهم لا يعدون التضمين سرقة , وذلك لوروده من
القرآن لكريم وكلام النبي صلى الله عليه وسلم, إضافة إلى أنه ليس مما يحاول الأخذ إخفاءه من المأخوذ
منه, بل إنه يدخل في إطار تبادل الأفكار في الشعر والنثر.

ولقد نجد من بعض البلاغيين إطلاق اسم آخر للتضمين كما أطلق ابن حجة الحموي عليه لفظ
"الإيداع", وذلك في قوله : "والإيداع الذي نحن بصددده هو أن يودع الناظم شعره بيتا من شعر غيره, أو
نصف بيت أو ربع بيت بعد أن يوطئ له توطئة تناسبه بروابط متلائمة بحيث يظن السامع أن البيت
بأجمعه له". ومن أمثله قول شهاب الدين محمود 29:

| | |
|-----------------------------|-----------------------------------|
| وبتنا على حكم الضبابة مطمعي | زفيري وأشجاني وشربي المدامع |
| وخلي يعاطيني كؤوس ملامة | وينشدني والهيم للقلب صادع |
| أتطمع من ليلي بوصل وإنما | تقطع أعناق الرجال المطامع |
| (فبت كأني ساورتي ضئيلة | من الرقش في أنيابها السم ناقع) 30 |

وإطلاق لفظ "الإيداع" على التضمين من باب إطلاق الخاص على العام, فلا عيب فيه إذ الاعتبار بالمادة
المأخوذة وليس بالمصطلح. فالتضمين عند الحموي هو الأخذ من شعر الغير وإيداعه في شعر آخر.

شروط التضمين

ومن البلاغيين من لم يجعل التنبيه على المادة المأخوذة شرطا في التضمين, وهذا شأن كثير من البلاغيين
المتقدمين ومنهم من جعله شرطا, وهذا شأن كثير من المتأخرين. واشترط البلاغيون المتأخرون في الكلام

المضمّن التنبيه والاشارة إن لم يكن مشهورا. قال الخطيب القزويني في التضمين : "أن يضمّن الشعر شيئا من شعر الغير مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهورا عند البلغاء" 31. ومثل بقول عبد القاهر بن طاهر التميمي:

ذا ضاق صدري وخفت العدى تمثلت بيتا بحالي يليق
فبالله أبلغ ما أرتجي وبالله أدفع ما لا أطيق 32

وأوضح التفتازاني في كلام القزويني بقوله : " وأما التضمين فهو أن يضمّن الشعر شيئا من شعر الغير بيتا كان أو ما فوقه أو مصراعا أو ما دونه مع التنبيه عليه أي على أنه من شعر الغير إن لم يكن ذلك مشهورا عند البلغاء، وإن كان مشهورا فلا احتياج إلى التنبيه، وهذا يتميز عن الأخذ والسرقة". 33 وإذا لم يُشِرِ الشاعر فيما ضمن به شعره من كلام الغير يُعد سرقة وانتحالا. يقول المطعني : " فإن كان النص المأخوذ مشهورا عن قائله ومعروفا أنه لغير المضمّن قامت تلك الشهرة إلى ما هو ذاتي الشاعر، وما هو منقول عن الآخرين. أما إذا جهل أمره، ولم يكن له من الشهرة نصيب فإن على الشاعر المضمّن أن ينبه عليه، وإلا عد عمله سرقة وانتحالا..." 34.

تأمل أيها القارئ العزيز في بيان الدكتور أحمد مطلوب عن التضمين : "استعارتك الأنصاف والأبيات من غيرك وإدخالك إياه في أثناء قصيدتك" 35. وهذا دليل على أن بلاغة التضمين تكمن في قدرة الشاعر على معرفة أدبيات غيره وتمكنه في ربطها بشعره نفسه. واستعمال لفظ "استعارتك" في هذا التعريف يوحي بأن التنبيه على الكلام المضمن غير المشهور أمر مطلوب وبه يتميز التضمين البديعي عن السرقة الأدبية.

ويرى الدكتور القصاب جواز التنبيه والإشارة في الكلام المضمن وذكر بعض الألفاظ الموحية للأخذ من عمل الغير، وذلك عند قوله " يكون في الكلام المضمّن ما يُنبئ القارئ أنه مأخوذ وذلك بوجود ألفاظ تدل على القول والحكاية مثل {قال- أنشد- غنى...} وما شابه ذلك. وقد يخلو الكلام مما يدل على المأخوذ ولا مما ينبه القارئ نحو الكلام" 36

صور التضمين

قد خاض علماء البلاغة في تقسيم التضمين نظرا إلى شهرة الكلام المضمن إلى صور مختلفة:

1- تضمين المصراع مع التنبيه. ومثاله قول الحريري:

على إني سأنشد عند بيعي { أضعاعوني وأي فتى أضعاعوا} 37

المصراع الأول له وأما المصراع الثاني فليس له بل هو مأخوذ من بيت العرجي:

أضعاعوني وأي فتى أضعاعوا ليوم كرمهة وسداد ثغر

وقد نبه الحريري على ذلك بقوله "سأنشد"

2 – تضمين المصراع مع عدم التنبيه، ومثاله قول الشاعر:

قد قلت لما اطلعت وجناته حول الشقيق الغض روضة أس

أعذاره الساري العجول ترفقا ما في وقوفك ساعة من بأس 38

فإن المصراع الأخير من البيت الثاني ليس الشاعر أبا عذره بل أخذه من شعر أبي تمام:

ما في وقوفك ساعة من بأس نقضي حقوق الأربيع الأدراس

3- تضمين البيت مع التنبيه. ومثاله قول شاعر المديح للرسول صلى الله عليه وسلم الشيخ إبراهيم إنياس الكولخي:

وأذكر بيتا قيل قبلي وإنه مقالتي وحالي حالة الضيق والضحك 39

إذا كانت الأقدار من مالك الملك فسيان عندي ما يسروما يبك

فقوله {وأذكر بيتا قيل قبلي} دليل صريح على أن البيت ليس للشاعر وإنما لغيره قد سبقه إليه.

4- تضمين بيت كامل بغير التنبيه لشهرته. ومنه قول ابن التلميذ الطيب النصراني:

كانت بلهنية الشيبية سكرة فصحوت واستبدلت سيرة مجمل

وقعدت انتظر الفناء كراكب عرف المحل فبات دون المنزل 32

البيت للأخير لمسلم بن الوليد الأنصاري لكن الشاعر اللاحذ ضمنه إلى شعره دون التنبيه لشهرة نسبته إلى قائله.

5- قد يجتمع التنبيه مع الشهرة في الكلام المضمن، فتكون فائدة التنبيه هي التأكيد كقول أبي تمام:

كأنه كان محويا على أحن ولم يكن في قدم الدهر أنشدني

إن الكرام إذا ما أسهموا ذكروا من كان يألفهم في المنزل الخشن 40

أنوع التضمين

قسم البلاغيون التضمين نظرا إلى كمية المادة المأخوذة من كلام الغير إلى نوعين :

1. الاستعانة : وهي أن يكون الكلام المضمن بيتا أو أكثر كقول أبي فراس الحمداني:

أيها الملزمي جرائر قومي بعدما قد مضت عليها الليالي

"لم أكن من جناتها علم الله وإني بحرهما اليوم صالي" 41

فقد أخذ الشاعر البيت الثاني من شعر الحارث البكري في حرب البسوس وضمّنه في شعره هذا

2. الإيداع أو الرفو : وهو أن يكون المأخوذ مصراعا فما دونه، مثل قول الحريري :

على أي سأنشد عند بيعي "أضاعوني وأي فتى أضاعوا" 42

ضمن الحريري في شعره مصراعا من شعر أمية بن أبي الصلت:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريمة وسداد ثغر 43

ومن تضمين ما دون المصراع قول الشاعر:

عود لما بي ضيفا له أقراصه بخلا بياسين

فبت والأرض فراشي وقد غنت "قفا نيك" مصاريني 44

أخذ الشاعر أقل من المصراع من كلام غيره وضمّنه في شعره. والقول المضمن من شعر امرئ القيس :

"قفا نيك من ذكرى حبيب ومنزل"

أما ابن حجة الحموي فإن له رأيا مغايرا لتعريف البلاغيين أمثال القزويني في تعريف الإيداع، حيث أطلق

على التضمين اسم الإيداع. فالتضمين والإيداع عنده تحت مفهوم واحد. قال : "والإيداع الذي نحن

بصدده هو أن يودع الناظم شعره بيتا من شعر غيره أو نصف بيت أو ربع بيت بعد أن يوطئ له توطئة

تناسبه بروابط متلائمة بحيث يظن السامع أن البيت بأجمعه له" 45.

التضمين بين القبول والرفض عند البلاغيين

التضمين في وجهات النظر المختلفة لدى البلاغيين يدور حول قطبين: قطب يرى فيه حسنا وروعة وقطب لم ير فيه شيئاً سوى التقليد ونوع من السرقة الأدبية الخفية.

أما الذين يعدونه محسناً بلاغياً من الجانب المعنوي فإنهم ذهبوا إلى أن للشاعر مغزى في تضمين شعره شعر غيره ولهذا التضمين لطائف بلاغية رائعة تضيف إلى الشعر إبداعية وتجديداً، وهذا المغزى يظهر خلال التتبع والاستقصاء كما تظهر اللطائف البلاغية في الدراسة والتحليل في العمل الأدبي. وهؤلاء يعتقدون أن التضمين البديعي من الفنون البيانية التي تكسو العمل الأدبي رونقا وروعة كما أنه يحقق مدى ملازمة الشاعر لأدب الغير. 46 وأمثال هؤلاء البلاغيين ابن الرشيقي لقبيرواني والخطيب القزويني، وعبد العظيم المطعني ووليد إبراهيم قصاب.

ولم ير بعض البلاغيين في التضمين أي حسن أدبي سوى أنه لون من التقليد الممقوت الذي يقصم ظهر صاحبه من القيام بالعمل الإبداعي. وهذا ما يراه الدكتور السامرائي حين يقول: "إنه لون من ألوان التقليد ولا نظن أن الشاعر المبتكر يستعين بهذه الوسيلة في فنه" 47. وقال في موضع آخر: "... ولم يلجأ إلى هذه الوسيلة إلا الشعراء المتخلفون الذين حرّموا الابتكار والتجويد" 48.

والدكتور السامرائي غير موقّفي رفضه للتضمين وإنكاره للجانب الإبداعي فيه، وذلك على أن الشعراء الفحول قد وشحوا قصائدهم ببعض الأفكار والمعاني المتضمنة في أعمال الغير في أساليب يديعة تزيد الشعر إبداعاً وحسناً. واستطاع هؤلاء الفحول أن يميزوا بين التضمين الذي يكسو الشعر روعة وبين السرقة الشعرية التي تجرد من الشعر إجادة وروعة، لذلك رأينا النقاد أمثال عبد العزيز الجرجاني في وساطته يفيض الكلام في السرقة المذمومة ويميزها عن الأخذ المحمود*، وكذلك ابن الأثير في كتابه "المثل السائر" إلا أنه أسرف في السرقة المذمومة بإدخاله فيها ما ليس منها*.

ومما ينبغي لفت الأنظار إليه أن إدراج شاعر كلام شاعر آخر في شعره لدلالة صريحة على لباقة ذلك الشاعر الأخذ وسعة ثقافته وكثرة اطلاعه. فتشابه المعاني مع اختلاف الصياغة لا يُعد سرقة. قد يكون التشابه في المعنى من أجل توارد الأفكار لأن المعاني مطروقة على الشوارع يعرفها العالم والعامي كما في

قول جاحظ. وفي النقد الحديث قد اندرج مصطلحا التضمين والاقْتباس تحت مصطلح التناص، وهو تداخل النصوص بعضها في بعض. 49.

بلاغة التضمين

لقد ثبت أن القدماء والمعاصرين خضبوا أعمالهم الأدبية بطرف بلاغية متنوعة من أعمال الغير لتكسوا كلامهم منتهى روعة وغاية الحسنغير أن أقدام المتأخرين أعمق غرقا في التضمين البديعي من القدامى. وهذا لا يدل على أن المتأخرين أرهف حسا وأفطن ذهنًا وأبعد نظرا من المتقدمين، لكن مبعث شدة ولوعهم من التضمينهو الوصول إلى أغراض بلاغية لا تحصل إلا به وإلا يُعدّ خطواتهم تجاوزهم إلى أخذ أعمال الغير سرقة أدبية. وما هذه الأغراض؟

يمكن الحصول على هذه الأغراض خلال ما كتبه هؤلاء العلماء في كتبهم. فابن الرشيقي القيرواني تعرض للتضمين فوجده في أنواع مختلفة، أما الحسن منه فيكمن في وجهين :

الوجه الأول: موضع البيت المضمن كما في شعر محمود بن الحسين كشاحم حيث ضمن بيتا كاملا لشعره:

يا خاضب الشيب والأيام تظهره هذا شباب لعمر الله مصنوع

أذكرتني قول ذي لب وتجربة في مثله لك تأديب وتقريع

إن الجديد إذا ما زيد في خلق تبين الناس أن الثوب مرقوع50

فقال معقبا: هذا جيد في بابه، وأجود منه أن لو لم يكن بين البيت الأول والآخر واسطة.

والوجه الثاني في صرف معنى البيت المضمن عن معنى قائله.

أما لدى الخطيب القزويني فحسن التضمين يكمن في زيادة البيت المضمن بنكتة لا توجد في الأصل كالتورية والتشبيه. قال: وأحسن وجوه التضمين أن يزيد المضمن في الفرع عليه في الأصل بنكتة كالتورية والتشبيه كما في قول صاحب التعبير ابن أبي الأصبع مضمنا قول شاعر آخر لمعنى يغير ما قصده الشاعر:

إذا الوهم أبدى لي لهاها وتغرها تذكرت ما بين العذيب وبارق

ويذكرني من قدها ومدامعي
مجر عوالينا ومجرى السوابق 51

فالمصرعان الأخيران لأبي الطيب المتنبي حين يمدح سيف الدولة:

تذكرت ما بين العذيب وبارق
مجرّ عوالينا ومجرى السوابق

ضمن ابن أبي الإصبع بيت المتنبي على سبيل التورية فأخذ لفظ "العذيب" لمعنى عذوبة ريق صاحبه، وأخذ من لفظ "بارق" البريق الذي يرى من ثغرها.

أما ابن حجة الحموي فهو يوافق القزويني في أن التضمن الحسن ما يصرف عن معنى البيت المضمن إلى معنى جديد. 52 وأبرز ابن الأثير قيمة التضمن في العمل الأدبي قائلاً أنها تكمن في زيادة المعنى وتوكيده. فالمعنى قبل التضمن تام ويزداد به توضيحاً وتوكيداً. يقول حين يعلق شعر عن بيت شعر:

قم فاسقنيها يا غلام وغني
ذهب الذين يعاش في أكنافهم

يقول ابن الأثير: "ألا ترى إنه لو لم يقل في البيت "ذهب الذين يعاش في أكنافهم" لكان المعنى تاماً لا يحتاج إلى شيء آخر 53. فإن قوله "قم فاسقنيها يا غلام وغني" فيه كفاية إذ لا حاجة إلى ذكر تعيين الغناء لأن في ذلك زيادة على المعنى المفهوم لا على الغرض المقصود".

وذكر السيد أحمد الهاشمي بأن حسن التضمن يزداد بتنبيه الشاعر الأخذ على الكلام المضمّن إن لم يكن مألوفاً مشهوراً لدى النقاد كما اتضح هذه النقطة في تعريفه للتضمن حيث قال: أن يضمن الشاعر كلامه شيئاً من مشهور شعر الغير مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهوراً لدى النقاد، وذوي اللسان، وبذلك يزداد شعره حسناً" 54.

لم يجز الدكتور المطعني التضمن فحسب لكنه نوه بمنزلة استعماله وأبرز مكانه في الأعمال الأدبية حين قال: "فالتضمن عمل مشروع في مجال الأدب لأن الشاعر المضمن لا يدعي أن ما ضمنه شعره هو، بل يأتي به لأغراض أخرى كالمهارة في جعل قصيدته متناسقة في التأليف مع صياغات السابقين" 55.

وما أجمل قول الدكتور إبراهيم القصاب في بلاغة التضمن والدواعي التي تحفز إلى استعماله "للتضمن بلاغته وجماله إذا استعمل في موضعه، ولم يتكلفه الشاعر تكلفاً، أو يستكثر منه، وكان مناسباً للمقام الذي ورد فيه. وهو يشبه ما يسميه النقاد المحدثون (التناس) وهو أن يستحضر القائل جو النص

الشعري الذي أخذه، أو أن يحسن الربط بين المناسبات المختلفة، أو أن يكون في موضع الرد على من تقدمه، أو نقضه، أو تأييده، أو البناء عليه، أو ما شاكل ذلك من اعتبارات وملاحظات" 56

إن مفهوم التناص قد عرفته الدراسة العربية منذ بعيد، وخاض في بيانه وتحليله البلاغيون والنقاد باسم التضمين، وليس هناك فرق بينهما في المفهوم إلا في العنوان. وقد قام علماء اللغة بإخراج التضمين من السرقات الأدبية وقرروا على أن توارد الأفكار وتبادل التأثر بين أدبي ما ونصوص أدبية أخرى مقبول ومحمود لا يُعدّ من السرقة. قال الجرجاني: ولست تعد من جهايزة الكلام ولا من نقاد الشعر حتى تميز بين أصنافه وأقسامه، وتحيط علماً برتبة منازلها، فتفصل بين السرقة والغصب، وبين الاغارة والاختلاس، وتعرف من الملاحظة، وتفرق بين المشترك الذي لا يجوز ادعاء السرقة فيه والمبتذل الذي ليس واحد أحق به من الآخر، وبين المختص الذي حازه المبتدئ فملكه، واجتباها السابق فاقتطعه. 57

الخاتمة

لقد ظل التضمين ملمحاً هاماً من الملامح البلاغية التي يستخدمها الكتاب والشعراء في أعمالهم الأدبية لذلك بذل البلاغيون جهودهم المضنية على البحث العميق عن التضمين. وهذا البحث أفضى إلى اختلاف وجهات النظر في صورته والفرق بينه وبين الاقتباس وفي جوازه ورفضه كي لا يختلط بالسرقة الشعرية.

ويتبين من خلال هذا العرض البسيط أن اختلاف البلاغيين حول مفهوم التضمين البديعي يرتكز على التسمية والاصطلاح وعلى المضمون والمحتوى. وأرباب البلاغة منهم من قصر التضمين في الشعر دون النثر، ومنهم من عدّ الأخذ من الكلام المنظوم والمنثور تضميناً سوى الأخذ من القرآن والحديث فإنه اقتباس، ومنهم من لا يرى الفرق بين الاقتباس والتضمين.

وينبغي لمن يضمن كلامه بكلام الغير أن يكون ذلك الصنع لأغراض معينة منها للرد على المادة المأخوذة أو لنقدها أو لتأييدها أو للبناء عليها أو ما ضار ذلك من الأغراض والاعتبارات.

الهوامش والمراجع

1. بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، (2001) البرهان في علوم القرآن، دار الفكر، بيروت، ج3، ص 388.
2. ابن سلام الجمعي، (د.ت)، طبقات فحول الشعراء، جدة، ج 2، دار المدني، ص 78.
3. المصدر السابق ص 80.

- 4- المصدر السابق ص 80.
- 5- أبو العباس عبد الله بن المعتز، (2012) كتاب البديع، ت. عرفان مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ص 81.
- 6- ابن رشيق القيرواني، (2006)، العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده، ج2، القاهرة، دار الطلائع، مصر، ص 73.
- 7- المرجع السابق، ص 73.
- 8- المرجع السابق، ص 73.
- 9- المرجع السابق ص 73.
- 10- ضياء الدين ابن الأثير، (1995)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، (ت محمد معي الدين عبد الحميد)، المكتبة العصرية، بيروت، ص 359.
- 11- القاضي علي عبد العزيز الجرجاني، (2010) الوساطة بين المتنبي وخصومه، المكتبة العصرية، بيروت، ص 165.
- 12- ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده، ج2، ص 74.
- 13- محمد حيدر البغدادي، 1981، قانون البلاغة في نقد النثر والشعر، (ط1) مؤسسة الرسالة، بيروت، ص 130.
- 14- أبو العباس الشريشي، (1979) شرح مقامات الحريري، ت. محمد عبد المنعم خفاجي، القاهرة، ج3 ص 187.
- 15- الخطيب محمد بن عبد الرحمن أبي العجلي القزويني، (1990)، الإيضاح في علوم البلاغة، (ت عبد الحميد هنداوي)، القاهرة، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، مصر، ص 353.
- 16- المرجع السابق ص 353.
- 17- بسيوني عبد الفتاح فيود، (2004)، علم البديع، القاهرة، مؤسسة المختار، مصر، ص 227.
- 18- عبد العظيم إبراهيم المطعني، (2002)، البديع من المعاني والألفاظ، القاهرة، مكتبة وهبة، مصر، ص 169.
- 19- جلال الدين عبد الرحمن أبو بكر السيوطي، (1988)، معترك الأقران في إعجاز القرآن، دار الكتب العلمية، لبنان، ج1، ص 302.
- 20- أحمد مطلوب، (د.ت)، البلاغة والتطبيق، مطابع بيروت الحديثة، لبنان، ص 443.
- 21- عبد الرحمن حبنكة الميداني، (1996) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، دار القلم، دمشق، ج2، ص 535.
- 22- وليد إبراهيم قصاب، (2014) علم البديع، دار الفكر، دمشق، ص 120.
- 23- عبد الباقي شعيب أغاكا، (2008) أساليب بلاغية في ديوان الأستاذ عبد الله بن فودي، مكتبة دار الأمة لوكالة المطبوعات، كنو، ص 333.
- 24- ضياء الدين ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ص 323.
- 25- المرجع السابق ص 323.
- 26- المرجع السابق ص 326.

- 27- حمد بن عبد الوهاب النويري، (د.ت)، نهاية الأرب في فنون الأدب، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة، ص 126.
- 28- ابن الأصبغ المصري، (1963) تحرير التحبير، ت. حفني محمد شرف، إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ص 140.
- 29- ابن حجة الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب، بيروت، دار القاموس، لبنان، ص 377.
- 30- المرجع السابق ص 140.
- 31- الخطيب القزويني، (1990)، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 354.
- 32- المرجع السابق ص 354.
- 33- سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، (2013) المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، ت. محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 727.
- 34- عبد العظيم إبراهيم المطعني، (2002)، البديع من المعاني والألفاظ، ص 169.
- 35- أحمد مطلوب، (د.ت)، البلاغة والتطبيق، مطابع بيروت الحديثة، لبنان، ص 443.
- 36- وليد إبراهيم قصاب، (2014) علم البديع، دار الفكر، دمشق، ص 122.
- 37- عبد العظيم إبراهيم المطعني، (2002)، البديع من المعاني والألفاظ، ص 170.
- 38- المرجع السابق ص 170.
- 39- إبراهيم بن عبد الله الكولخي، (د.ت) الدواوين الست، دار الفكر، بيروت، ص 22.
- 40- عبد العظيم إبراهيم المطعني، (2002)، البديع من المعاني والألفاظ، ص 171.
- 41- المرجع السابق ص 171.
- 42- الخطيب القزويني، (1990)، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 356.
- 43- المصدر السابق ص 356.
- 44- المصدر السابق ص 356.
- 45- المصدر السابق ص 356.
- 46- ابن حجة الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب، بيروت، دار القاموس، لبنان، ص 377.
- 47- عبد العظيم إبراهيم المطعني، (2002)، البديع من المعاني والألفاظ، ص 169.
- 48- إبراهيم السامرائي، (1983)، فقه اللغة المقارن، دار العلم للملايين، بيروت، ص 153.
- 49- المصدر السابق ص 153.
- *القاضي علي عبد العزيز الجرجاني، (2010) الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص 160.
- *ضياء الدين ابن الأثير، (1995)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج2، ص 350.
- 50- أبو عثمان الجاحظ، (1374هـ) البيان والتبيين، ت هارون. ص 350

- 51- ابن رشيح القيرواني، (2006)، العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده، ج2، ص 73
- 52- الخطيب القزويني، (1990)، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 355.
- 53- ابن حجة الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب، بيروت، دار القاموس، لبنان، ص 377.
- 54- ضياء الدين ابن الأثير، (1995)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ص 326.
- 55- أحمد الهاشمي، (2010)، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، دار الفكر، لبنان، ص 309.
- 56- عبد العظيم إبراهيم المطعني، (2002)، البديع من المعاني والألفاظ، ص 170.
- 57- وليد إبراهيم قصاب، (2014)، علم البديع، دار الفكر، دمشق، ص 122.
- 58- القاضي علي عبد العزيز الجرجاني، (2010) الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص 170

دلالات كناية في صور جناس نماذج من أحاديث نبوية

إعداد:

د. مصباح تجاني رابع

قسم اللغات، أكاديمية الدفاع النيجيري، كدونا، نيجيريا.¹

الملخص:

لم يكن الحديث النبوي ليذرج ثانيا بعد كتاب الله العزيز من حيث الاعتناء واهتمام الباحث لما يحتويه من الشرائع والحكم، أو لكونه هو الشارح الأول لكتاب الله فحسب، بل يحتل الحديث النبوي هذه الصدارة من حيث الاعتناء واهتمام الباحثين لما يحتويه أيضا من فصاحات ونكات مشبعة بلطائف بلاغية رشيقة. فالمقالة عبارة عن دراسة لتداعي الألفاظ والمعاني ماذج مختارة من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم اختطفها الباحث من كتاب "الجامع الصغير" لمؤلفه عبد الرحمن السيوطي. الكتاب عبارة عن مجموعة أحاديث جمعها المؤلف فيما يفتقر إليه الإنسان من الأحاديث والحكم النبوية في المواعظ وآدب، وحكم، ورفائق، وأحكام وتتناول المقالة بالذات المعاني الكنائية المصوغة في صور جناس الاشتقاق. والغرض من الدراسة هو الوقوف على ما تزخر به هذه الأحاديث من الجمال البلاغي من ناحيتي الشكل والمضمون. وتنتهج الدراسة في إيراد نصوص الحديث ثم الشرح والتحليل البلاغي كما اقتصر الباحث لصورتي الكناية والجناس بصورة عامة فقط بدون إسهاب الكلام عن أقسامها. وفي الخاتمة ملاحظات عامة عن هذه الصور البلاغية في الأحاديث النبوية.

¹ Misbahutijjanirabiu1966@gmail.com. Phone number: 08028407128, 08096241424

Abstract

Metonymy is one of those metaphorical styles prevalent in Arabic literature both the spiritual and mundane. It is enormously more glaring in the prophetic traditions (Ahadith), always regarding as the undisputable second most important source of Arabic rhetorics with much attention accorded to it by different researchers and scholars. The paper deals with an aspect of metonymy in some selected prophetic traditions. Samples were drawn from "kitab jami'il sagir" by Abdurrahman El-Suyudi. The metonymy styles in these traditions are unique in the sense that, they are rendered in the form of (Al-Jinas) homony, through beautification, and embellishment of words. The aim of the paper is to bring to light the exceptional glamour and beauty of this kind of metonymous style. In treating the subject matter texts were cited and they are followed by general explanation and then the rhetorical analysis follows. In the conclusion general observations and findings are mentioned regarding homonymous metonymy in particular and the unique position of prophetic tradition in uplifting the Arabic Rhetorics in general.

المدخل:

إن جميع الأحاديث النبوية بدون استثناء لجديرة بمزيد من الاهتمام والاعتناء لاستخراج خباياها البلاغية، والأدبية، واللغوية، حتى تكون الاستفادة منها استفادة تامة، وبلاغته صلى الله عليه وسلم كانت ولا تزال أنصع بلاغة عرفتها العرب بعد كتاب الله العزيز. وتتمثل هذه البلاغة النبوية خير مثال في خطبه. وأحاديثه المشبعة جميعها بعناصر البلاغة والفصاحة شكلا ومضمونا، كما تمثل سلاحا نافذا وصارما في نشر الدعوة الإسلامية وذلك عن طريق الإقناع البلاغي الذي لا يقتصر على رشاقة الألفاظ وحسن اتساقها فحسب، بل يشتمل أيضا نزاهة المضمون وسمو المعاني.

ومن أجود ما قيل في بلاغة الرسول صلى الله عليه وسلم قول الزيات: "إنها بلاغة الرسول" موسومة بالطابع البياني والإلهام، والعبقرية. نشأته في قريش واسترضاعه في بني سعد، وهي أفصح القبائل العربية وتضلعه من لغة القرآن، واطلاعه على لغة العرب، وقدرته الفطرية على ابتكار الأساليب العالية، ووضع الألفاظ الجديدة لما استحدثت من المعاني الدينية والفقهية"⁽¹⁾.

ومما قاله أحمد الاسكندري في هذا المضمرة: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أفصح العرب لهجة وأبلغهم حجة وأحلامهم كلاماً، وأصدقهم حديثاً، فلا جرم أن يكون المأثور عنه من الحديث صفوة اللغة وحلية البيان بعد القرآن، يقتبس الأديب من لفظه وينتفع البليغ بصوغه، ويستمد مفسر القرآن من أثره، ويستكمل الفقيه الأحكام الشرعية من نصه، ويشيد اللغوي صرحاً للغة من كلمة. ويستظهر الحكيم بحكمه. ولرسول الله صلى الله عليه وسلم من مجازات اللغة كلمات لم يسبق إليها"⁽²⁾.

فإن دراسة نص من أحاديثه صلى الله عليه وسلم لتكشف للباحث جواهر الأساليب ونوادرها من ناحية الثروة اللغوية، والبلاغية، ما قد لا تجدها في لغة أخرى وخاصة فيما يتعلق بالدلالات البيانية في صورها البديعية، كما يتمثل فيما يتناوله الباحث في هذه الدراسة، وتحتوى الدراسة على المحاور الآتية:

- موجز عن الدلالة
- نبذة عن الكناية والجناس
- دلالة كناية في صورة الجناس في الأحاديث.
- الخاتمة.

1- موجز عن الدلالة:

نظراً إلى أن الكناية تنتمي إلى علم البيان فإنه من الجدير أن نتعرف عليه أولاً وقد عرفه البلاغيون بأنه علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة مع مطابقتها لمقتضى الحال³، ومن هذا التعريف يلاحظ أن قضية الدلالة هي العمود الفقري لعلم البيان، حيث كرس علماء البيان كثيراً من جهودهم في تفصيل الكلام عنها، فهذا السكاكي (626) يجعل لها مبحثاً خاصاً في كتابه مفتاح العلوم، ويقسمها إلى ثلاثة:

أ- دلالة المطابقة، وهي دلالة اللفظ أو الكلمة على ما وضع لها، كدلالة كلمة "البيت على مجموع الديار والسقف. وهو ما اصطلح في اللغة المألوفة بالحقيقة.

ب- دلالة التضامن، وهو دلالة اللفظ على جزء ما وضع له مثل دلالة البيت على الجدار أو السقف. وهو ما عرف بإطلاق الكل والمقصود به جزئه.

ج- دلالة الإلتزام، وهي دلالة اللفظ على مسماه لازم له كدلالة السقف على البيت لأنه لازم له. ويدخل في هذا دلالة السبب على المسبب أو الدلالة الازمية أو الملزومية⁽⁴⁾.

ودلالة المطابقة هي الدلالة الوضعية المألوفة، وهي المعنى المفهوم من ظاهر الكلمة الذي يفهم بدون جهد. وأما الداللتان، التضامن والالتزام فيعتبران من الدلالة العقلية لاعتمادهما كثير على أعمال الفكر والعقل والذوق وفيه يفهم من الألفاظ معنى يؤدي ذلك المعنى إلى معنى آخر فرعي. فكلما ذكر البيانين الدلالة فيقصودون به غالبا الدلالة العقلية. وهي لا تعدو عندهم مخالفة ظاهر اللفظ معناه الأصلي. وهي السمة البارزة لفنون علم البيان من الاستعارة والكناية والمجازين المرسل والعقلي، والقوام المعتمد عليه لفهم هذه الأساليب البيانية، هو ملاحظة العلاقة بين المعنيين الأصلي الحقيقي، والفرعي البلاغي. وبينما تكون العلاقة في الاستعارة منحصرة على المشابهة فلا تتجاوزها فهي في المجازين المرسل والعقلي مطلقة ومتنوعة. فتبلغ هذه العلامات في المجاز المرسل بوجه خاص حد التعقيد حيث تبلغ عند بعض الباحثين حوالي سبعا وعشرين علاقة⁽⁵⁾ وتعود العلة في هذا العدد الهائل إلى أن هذه العلاقات ليست كلها على طراز واحد من حيث ملابستها، لأن الملابسة بين المعنى الوضعي الحقيقي والمعنى الفرعي البلاغي فهي كما تكون ظاهرة في بعض العبارات، تجدها في بعضها خفية، وعلى هذا يرى الباحث أنه يمكن احتمال كثير من علاقات المجاز المرسل من علاقات الكناية بل يمكن تقاسم هذه العلاقات بينهما، وبوسع القارئ أو السامع النظر إلى الكلمة أو اللفظ باعتبارات مختلفة، كلما كانت العلاقة غير المشابهة. وقد ذهب ابن قتيبة إلى أن قوله تعالى: {وثيابك فطهر} (المدرثر:5) أن المقصود من الثياب هنا هو البدن والآية مجاز مرسل، والعلاقة بين الثياب والبدن كما رأى ابن قتيبة هي المجاورة التي بين الثياب والبدن، في حين أن جار الله الزمخشري ذهب إلى أن الآية كناية⁽⁶⁾ لعلاقة اللازم والملزوم بينهما، فكلما الرأيين صحيح عند الباحث فالأمر يعتمد على الذوق، فهو باب مفتوح لأنواع التخمينات والافتراضات والذوق على العلاقة الملحوظة بين الأصلي الوضعي والفرعي البلاغي. إلا أنه يجب أن يبادر أن الكناية تختلف عن المجاز المرسل

بأنها قد يجوز فيها أحيانا إرادة المعنى الأصلي مع المعنى الكنائي أحيانا إلا في أماكن مخصوصة صونا لحرمة الله والعقيدة.

2- نبذة عن الكناية والجناس:

عرف البلاغيون الكناية بأنها لفظ اطلق وأريد به لازم معناه مع قرينة لا تمنع من إرادة المعنى الأصلي⁽⁷⁾ غالبا وذلك مثل قوله تعالى: (وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها) كهف: 42. كناية عن الندم والخسارة

ويستثنى من هذا أحوال خاصة تمس الموضوع مثل قوله تعالى: {والسماوات مطويات بيمينه} (الزمر: 67). وقوله تعالى: {الرحمن على العرش استوى} (طه: 5) كناية عن كمال قوله تعالى وتمكنه العزيز على خلقه وهيمته التامة على أموره. واعتباره كناية هنا هو الأحسن⁸.

الكناية ميدان من ميادين البلاغة وأودية من أودياتها، وهي غاية بلاغية يصل إليها الأديب بالطبع اللطيف والقريحة الصفية. وطريق يلجأ إليه الأديب للتعبير عما يدور في نفوسهم من المعاني ويجيش في صدورهم من الخواطر وسيلة قوية من وسائل التأثير والتأثر والإقناع. وهي في الأحاديث النبوية كالزهرة الجميلة في الروضة الفيحاء تضيء إليها جمالا وسحرا وتكسوها رونقا وجمالا. تبهر العقول وتذيب النفوس تأثرا لجمالها، تتراقص العواطف وتتحرك الأحاسيس لأجلها⁽⁹⁾، وخاصة إذا كانت الكناية مزينة بالحسن اللفظي مثل الجناس.

والجناس هو تشابه اللفظين نطقا واختلافهما معنى⁽¹⁰⁾، وهو أنواع فيمتاز جناس الاشتقاق من أنواعها في أن اللفظين فيه يرجعان إلى أصل واحد في اللغة. ومن أمثلته في القرن الكريم قوله تعالى: {ثم اصرفوا صرف الله قلوبهم} فقد جونس بالانصراف من الذكر صرف القلب عن الخير وأصلهما من مصدر واحد⁽¹¹⁾

والجناس بصورة عامة من أعرق الأساليب الكلامية العربية، كان العرب يعمدون إليها منذ القديم لتحسين كلامهم. والجناس النموذجي هو الذي ينهض الكلام ولا يقتصر على الرنق اللفظي فحسب بل

هو أيضا من مستدعاة الكلام كما أشار إلى ذلك عبد القاهر الرجاني: (471) "إنك لا تجد تجنيسا مقبولا إلا إذا كان المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحوه حتى تجده لا تبغى به بدلا ولا تجد عنه حولا"⁽¹²⁾.

والجناس في الأحاديث النبوية من أنصح الجناس تعرفه اللغة العربية من حيث الملائمة لتداعي المعاني وروعيتها كما تتمثل أمام القارئ في هذه الأحاديث.

3- دلالات كناية في صور الجناس في الأحاديث:

عن صهيب: "من وطئ على إزار خيلاء وطنه في النار"⁽¹³⁾

والحديث نهى وزجر عن الكبر والتباهي وخاصة التواطؤ على الإزار وهو أن يعلاه الإنسان برجله مما يدل على التبذير والتعالي على الناس، ويعتبر هذا من الكفر بنعمة الله، يزجر الحديث عن هذا الصنيع ويهدد فاعله بأنه في غضب الله وأن مصيره إلى العذاب. وقد كنى عن الجزاء المناسب له ودخوله النار بنوع الفعل الذي اقترفه في الدنيا بقوله وطنه في النار. وهذه العبارة من باب إطلاق الملزوم وأريد به لازمه. فإن التعبير وطنه في النار، يستلزم تحقق دخول النار. كما أنه يمكن حمله على المعنى الحقيقي، من ارتداء مثل ذلك الثواب الذي كان يبذر به تبذيرا في الدنيا فسوف يجره أيضا في نار جهنم جزاء لتعاضمه في الدنيا. كما يلاحظ أن الكناية في هذا الحديث تفيد المبالغة الحسنة في إبراز المعنى لأنه عبر عن المعنى الكنائي بتابع له. وفيه من متانة وتأكيد الكلام ما ليس في التعبير باللفظ الموضوع له أصلا لكونه. يبرز الدعوى بدليلها. وفي هذه الكناية تجسيد معنى وإبرازه في صورة محسوسة مشاهدة فكلمة "وطن" الأولى تفيد معنا مألوفاً و"وطن" الثانية كناية

عن ابن عمر: "إن الله تعالى لا يجمع أمتي على ضلالة ويد الله على الجماعة ومن شذ شذ إلى النار"⁽¹⁴⁾.

التحليل:

الحديث دليل على أن السير مع الجمهور والانضمام إلى الجماعة وخاصة أمة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم واجب على المسلم. لكونها أمة لا تجمع كلها على ضلالة وقد كرمها الله بأنها هي خير أمة أخرجت للناس. لذلك يجب على كل مؤمن بالله أن لا يشذ عنها. لذلك اقتضت الحكمة حفظها. وقد بشر

الله في نصوص دينية أخرى بأن الذين يسرون مع الجماعة هم الفائزون. وذكر ما تتمتع به هذه الجماعة من العناية الريفانية. وأما من انشق وانفرد وشد عن الجماعة فقد سلك طريقا غير منجى يؤديه إلى الهلاك والخذلان والخبية حيث تكون العاقبة الشقاوة التامة فيكون مأواه النار، فقد كنى عن هذه الحقيقة بقوله: "شد إلى النار" على سبيل المجانسة. مقابلا للشذوذ والانفصال عن الأمة الإسلامية على سبيل الجناس. والعلاقة بين الشذ عن الجماعة وبين الدخول في النار هو علاقة التلازم الذي يرجع إلى ما عرف عن الشاذ. فقد عرف أنه إذا شد يلقى نفسه في المهلكة.

عن ابن مسعود: "لتنهكن الأصابع بالطهور أو لتتنهكنها النار"⁽¹⁵⁾

التحليل:

يدعو الحديث إلى إسباغ الوضوء عند الوضوء، وتعميم الأعضاء وقد خصت الأصابع في هذا الحديث بالكلام حيث أوجب الشارع على كل متوضئا أن يباليغ في إيصال الماء إليها فإن التقصير في هذا مما يوجب غضب الله وعذابه وأنه لا محالة، فيما أن يتقن وضوء أو لتبالغن نار جهنم في إحراقها، وهو وعد شديد وزجر. والنكتة هنا هو كلمة "لتنهكن"، الثانية بمعناها الكنائية في حين أن "لتنهكن" الأولى جاءت لتدل على معنى حقيقي، وكلاهما من أصل واحد وإن كان معناه مختلف

عن ابن عمر: "اجتنبوا هذه القاذورات التي نهى الله عنها. فمن ألم بشئ منها. فليستتر بستر الله وليتبت إلى الله فإنه من يبدي لنا صفحته نقم عليه كتاب الله"⁽¹⁶⁾.

التحليل:

ينهى الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين عن ارتكاب أي عمل من الأعمال الرذيلة تبعد صاحبها عن ربه. وعلى صدارة هذه الرزايا الزنا، وصفت بأنها قاذورات. والنهي عنها نهي تحريم وأما من قاربت المعصية وغلبت عليه نزغات الشيطان وارتكب شيئا من هذه القاذورات، فيستتر نفسه عن أعين الناظرين. وأن يبادر بالرجوع إلى الله والتوبة النصوح إليه تعالى نادما على فات بنية الإقلاع والعزم على عدم العودة. ومما يؤكد حسن التستر أو قبح التظاهر بالمعاصي أن من يبدي سيئاته في حال كونه بوسعه أن يسترها عن الناس وإلا فحليق أن تقام عليه الحدود أو التعذير. كما يفهم من الحديث أن التجسس واتباع عورات

الناس لهتك أعراضهم من استراق السمع ليسمع أحد صوت الأوتار أو استنشاق رائحة الخمر أو التجسس على الجيران بقصد إيذائهم.

وقد كنى عن المخبأ من الدار والمحيطان وغيرهما بستر الله لعلاقة اللازم مع الملزوم. مجانسة اشتقاقية تجانس قوله "فليستتر" كما أنه يجوز حمل "ستر الله" على معناه الحقيقي فالتعبير جناس اشتقاق من أصل واحد مع أن المعنى مختلف إذ الأول "فليستتر" معنى مألوف والآخر "بستر الله" معنى كنائي.

عن أبي هريرة: "ثلاثة لا يريحون رائحة الجنة، رجل ادعى إلى غير أبيه ورجل كذب علي، ورجل كذب على عينيه"⁽¹⁷⁾

هنا ثلاثة أصناف من الناس، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم إنهم مبعدون عن رحمة الله، لا يجدون إليها سبيلا فيسعدوا بها، لكونهم لا يلتزمون بأسبابها. لأن التمسك بسببها من شأنه أن يقرهم إليها ويشموا رائحتها. وهي بهذا محرمة عليهم وما عسى أن يكون هؤلاء الأصناف من الناس؟ فقد ذكرهم الحديث. وأولهم: الإنسان الذي غرته الدنيا حتى احتقر أبويه فازدراهما واشمأز أن ينتسب إليهم، استصغارا لحالهم ومكانتهم الاجتماعية، والإنسان الذي يكذب على النبي صلى الله عليه وسلم، يقول كلاما وينسبه إلى الرسول الأعظم كذبا وبهتاناً، ثم الأخير الذي يكذب على الله، وهو الذي يدعي رؤية لم يره الله تعالى. كذبا على الله. وقد عبر عن الكذب على الله بالكذب على العينين، لأن الرؤيا لا تكون إلا في النوم. فالصورة البيانية هنا صورة كنائية. مقابلة لما قبلها، حيث أن الكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم تدل على المعنى الحقيقي المألوف، في حين أن الكذب على الله جاءت في صورة بيانية كنائية، وهو قوله كذب على عينيه... ومن وجوه البلاغة في هذا الحديث، التجريد حيث جرد العين من صاحبها كأنها ليست جزءاً منه، وجعله يكذب عليها. "

عن عائشة "خذوا من العمل ما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى تملوا"⁽¹⁸⁾.

الحديث إرشاد وبيان لرحمته تعالى مع خلقه ولطفه لعباده في جميع ما أمرهم من أنواع الطاعات، حيث أنه لا يكلفهم من الأوامر إلا ما يطيقونه. وقد وعدهم جزائه الحسن ما دام أنهم مستقيمون على الطريقة

التي رسمها لهم، لم يفرطوا، أو يفرطوا فيما أمرهم به، فإن الإفراط بوجه خاص مما يولد السأم، ويكلل الهمم، ويجعل العزائم تفتت، وهذا مما يمقته الشرع، فالأجدر أن يأخذ كل ما يطيقه من أنواع التطوعات والنوافل، حتى تكون متواصلة على الدوامه بدون الإنقطاع، فيجنى ثمرات أعماله ويفوز بمرضاة الله، وأما إذا اعترى هذه المطوعات والتقربات والنوافل شيء من السأم المتولد من التشديد على النفس فقد يوجب هذا انقطاع رحمته وعنايته تعالى. وعبر عن انقطاع رحمته وعنايته (بالمثل)، وهو السأم فالتعبير في قوله إن الله لا يمل حتى تملوا، من باب جزاء الفعل بمثله، وهو هنا كناية ومن باب ذكر اللازم والمراد به ملزومه إذ انقطاع رحمته من ملتزمات السأم والسأم وقوله "لا يمل حتى تملوا"، جناس لفظي وكناية أيضا.

عن أسماء بنت أبي بكر: "أنفقي ولا تحصي فيحصى الله عليك، ولا توعي فيوعي الله عليك" (19)

التحليل:

إن هذا الحديث وإن كان موجهاً إلى أسماء بنت أبي بكر فالدرس المستفاد منه يعم جميع المسلمين، إنه درس محمدي يرشد الأمة إلى ما يصلح ذات بينهم عن طريق بسط اليد وبذل العطايا للمحتاجين، وأنه مهما كان الإنسان حريصاً في البخل إعداداً لتجمع وتوفر المال، فإن هذا لا ينفع. وليس التكاليف في تكاثر الأموال هو الذي يجلب الرزق. بل قد يكون هذا سبباً في إتلافه ولا يبخل أحد بأمواله خوفاً من الفقر إلا أتت العواصف على ما يدخر ويتلفتها.

الكناية هنا في قوله: "فيحصى الله عليك" والمراد به يضيق الله عليك ويغلق عنك أبواب الرزق مجانسة لقوله "لا تحصى"، فهو تهديد وقرع وتحذير إلى البخل. وهو من قبيل تسمية الجزاء باسم الفعل كناية من قبل تسمية جزاء الفعل بإسم الفعل وهو يجانس قوله "لا توعي" الذي يفيد المعنى الحقيقي. والمجانسة هنا جاءت كناية.

الخاتمة:

المقالة عبارة عن استدراقات لأمثلة كثيرة ومتبعثرة لأساليب الكناية الواردة في جناس الاشتقاق في الأحاديث النبوية كثيرة فهي تمتاز بإيجاز لطيف لا يكاد يستطيع محاكاتها أرباب الفصاحة والبيان من بني

الإنسان. كما تتسم هذه الأساليب بجمال التعبير والكنائية في الأحاديث النبوية تحوز قصب السبق. كما أنها تقرب الفكرة المجردة من الصور المحسنة فتستحيل المبالغة في الكلام بلاغة كما يصير التهويل فيه تخيلاً. وتمتاز أيضاً بنظمها البديع وتأليفها الفريد. فمعناها لا يؤدي بغير لفظها، كما أن لفظها لا يصلح إلا لمعناها ويكاد أحد يقع في ورطة كلما حاول التفريق بينهما فيتحير أيهما التابع وأيها المتبوع. فهي كما جاءت في صور الجناس يجد فيها القارئ التجاوب الموسيقي، الناشئ عن تجانس الحروف والكلمات الذي تتلذذ به الأذان وتعشقه القلوب كما تتجلى بوضوح من خلال البحث أهمية الجناس في التجاوب الموسيقي وخاصة فيما بين الألفاظ من وشائع التنغيم.

كما أن الدراسة تؤكد أن الفنون البلاغية متداخلة بعضها في بعض ولا يستغنى ببعضها عن بعض أثناء الدراسة التحليلية البلاغية الصحيحة. ومن وجه آخر يلاحظ أن البلاغة من العلوم العربية التي لا يستغنى عنها أحد في الفهم الصحيح للنصوص الدينية من الآيات والأحاديث.

الهوامش والمراجع:

- 1- الزيات، أحمد حسن. تاريخ الأدب العربي للمدارس الثانوية والعليا ط4 دار المعرفة بيروت، 1997م. ص: 73
- 2- الإسكندري، أحمد. المفصل في تاريخ الأدب العربي للمدارس الثانوية، مكتبة النهضة القاهرة، 1977. ج1، ص: 100
- 3- الهاشمي، السيد أحمد. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع. المكتبة العصرية. 2013/ز بيروت، لبنان، ص: 216
- 4- السكاكي، أبو يوسف، مفتاح العلوم. تحقيق الدكتور محمد الهنداوي. دار الكتب العلمية. القاهرة، ص: 201
- 5- حمدان، موسى. العلاقات والقرائن في التفسير البياني. بمكتبة الوهبيية. القاهرة. ص: 460
- 6- المرجع السابق، 94
- 7- فيود، الدكتور بسيوني عبد الفتاح. علم البيان ط2 مؤسسة المختار، القاهرة، ص: 76
- 8- الهاشمي، المرجع السابق، ص: 288
- 9- هندواي، دكتور أحمد هلال. المجاز المرسل. مكتبة وهبة بيروت، 1998.
- 10- بسيوني، عبد الفتاح علم البديع ط2 مؤسسة المختار، القاهرة، ص: 232
- 11- شيخون، الدكتور محمد السيد. الأسلوب الكنائي، نشأته تطوره، وبلاغته، ط2 دار الهداية. القاهرة. 1994م. ص: 3
- 12- الجرجاني، عبد القاهر- أسرار البلاغة، ط8، دار المعرفة-بيروت، 1971، ص: 103

- 13- عبد الرؤوف المناوى، عبد الرؤوف فيض القدير. شرح الجامع الصغير للحافظ جلال الدين السيوطي، ط2 ج3 مكتبة مصر الحديثة، رقم 9080
- 14- المرجع السابق، الحديث رقم 1818
- 15- السيوطي، عبد الرحمن الجامع الكبير 16245/1 رقم الحديث 1290
- 16- المرجع السابق، الحديث رقم 196
- 17- المناوى، عبد الرؤوف. فيض القدير. شرح الجامع الصغير للحافظ جلال الدين السيوطي، ط2 ج3 مكتبة مصر الحديثة. ، الحديث رقم 3032
- 18- المرجع السابق، الحديث رقم 2890
- 19- السيوطي، المرجع السابق، الحديث رقم 105

ظاهرة الطباق في سورة غافر: دراسة أسلوبية

إعداد:

الدكتور محمد منصور جبريل

قسم اللغة العربية، جامعة بَايْرُو كَنُو-نيجيريا¹

الملخص

تُمثّل ظاهرة الطباق خاصية أسلوبية تهدف إلى إبراز العلاقة الضدية بين اللفظين، وكانت هذه العلاقة تمت بصلة إلى حقل تحسين المعنى، مما يعين على كشف الإعجاز البياني في النص القرآني كما سيُلمس ذلك من الظواهر الطباقية الواردة في سورة غافر، حيث عاجلت السورة سياقات من صور الطباق بنمطيّه الإيجابي والسلبي، على نسق بياني واضح في المطابقة بين الاسمين أو الفعلين، أو الظرفين، أو المطابقة بين الاسم والفعل وفقاً لمنهج هذه السورة في نقل الرسالة إلى المتلقي. وتتضح أهمية البحث في دراسته لأنماط من الدلالات الثنائية بين المتضادين من الألفاظ بغية كشف الغطاء عن جماليات النص المدروس على المستوى الدلالي، ما يدل على بلاغة آي الذكر الحكيم من حيث البيان والأسلوب. وبما أن البحث يعالج الخاصية الدلالية في سورة غافر، فما موضوع هذه السورة؟ وما أنماط الطباق الواردة فيها؟ وكيف أسهمت هذه الأنماط في تشكيل النص؟ وما دورها في نقل الرسالة إلى المتلقي؟ وسيوظف البحث المنهج الوصفي، وفقاً لمتطلبات الدراسة الأسلوبية.

الكلمات المفتاحية: ظاهرة، الطباق، خاصية، أسلوبية، دلالية، النص.

¹ jibrilumhammad123@gmail.com /phone number: +2348097204746

ABSTRACT

The antithesis phenomenon represents a stylistic semantic characteristic in that it reveals the opposite relationship between the two words, and this relationship was related to the field of improvement of meaning, which helps to reveal one of the angles of the graphic miracle in the Qur'anic text as will be seen from the stratified phenomena mentioned in Surah Ghafir, where The surah has dealt with contexts of antithesis in its positive and negative patterns, in a graphic format represented by the matching between the two names or verbs, or adverbs, or the matching between the name and the verb according to the method of the surah in conveying the message to the recipient. The importance of the research is evident in its study of patterns of semantics connotations between the two opposing terms in order to uncover the aesthetics of the text studied at the semantic level, which indicates the eloquence of the studied text in term of statement and style. Since the research deals with the semantic feature of a surah from the Noble Qur'an, what is the topic of this surah? What are the styles contained therein? How did these patterns contribute to the formation of the text? What is its role in conveying the message to the recipient? The research will employ the descriptive approach, in accordance with the requirements of the stylistic study.

Keywords: *phenomenon, antithesis, characteristic, stylistic, semantic, text.*

المقدمة

نزل القرآن الكريم متعدد الإعجاز من حيث فصاحته وبلاغته، وأصواته وتراكيبه، ومحكمه ومتشابهه. وقد تحدى العرب على الإتيان بمثله فلم يستطيعوا، فضلا عن أن يأتوا بعشر سور مثله أو أقصر سورة منه فعجزوا؛ على الرغم من أنه نزل بلسانهم، لسان عربي مبين، وهم أهل عكاظ وأرباب الفصاحة والبيان، امتلكوا ناصية الكلام وسحر القوافي، وأساليب تحسين الشكل والمضمون، ومع ذلك نزل القرآن، فأعجزهم عن مضاهاته شكلا ومضمونا، وأعلمهم أنه كلام الخالق، وليس بقول مخلوق من الشعراء والسحرة والكهان.

هذا، وقد تناولت سورة غافر سياقات من ظواهر الطباق الكاشف عن الثنائية الضدية المتمثلة في العلاقات الدلالية بي اللفظين المقابلين، وقد تكون العلاقة بينهما اسمية أو فعلية، أو اسمية وفعلية، أو

ظرفية، وفقا لورودها في النص المدروس. وتتمثل أهمية البحث في كونه يكشف الغطاء عن دور المطابقة في تقريب دلالة النص القرآني إلى المتلقي. وهذا مما يعين على إبراز ناحية كبيرة من نواحي الإعجاز البياني للقرآن الكريم.

التعريف بالسورة ومفهوم الطباق:

سورة غافر مكية، وآياتها خمس وثمانون آية. وموضوعها الرئيس هو تقرير التوحيد وعقيدة البعث والجزاء، وتوضيح عاقبة الكفار والملحدين؛ وقد بينت السورة أن القرآن الكريم منزل من عند الله تعالى على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وبذلك تقررت نبوته ورسالته عليه الصلاة والسلام.

وقد أوضحت السورة إفضال الله تعالى على العباد، إذ يريهم آياته لهدايتهم، ويرزقهم وهم يكفرون به؛ كما بينت السورة وجوب إخلاص الدعاء وسائر العبادات لله وحده ولو كره المشركون. وقد أوضحت السورة كذلك مشروعية السَّيْرِ في البلاد للعظة والاعتبار، تَقْوِيَةً للإيمان. واختتمت السورة تبين أن الماديين من الناس يفترون بمعارفهم ليستغنوا بها عن العلوم الروحية في نظرهم، إلا أنها لا تُغني عنهم شيئاً عند حلول العذاب بهم في الدنيا والآخرة.

ومن الجدير بالذكر، أن هذه السورة تتسم بمقومات البنية الجمالية المتمثلة في براعة المطلع وحسن التخلص والخاتمة، حيث افتتحت بالدعوة إلى التوحيد الذي هو موضوعها الرئيس، كما هو ظاهر في أساليب السور المكية. وكان المطلع جذاباً يلفت الانتباه نحو السماع إلى أي الذكر الحكيم والانقياد إلى تعاليمها، بعد محاولة الكفار لدحض إخوانهم عن سماع كتاب الله تعالى، خوفاً عليهم من الأخذ بهديه. قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ فصلت: 26

وقالوا كلام ساحر، وقول كاهن، وأبيات شاعر، فرد الله سبحانه وتعالى على زعمهم في افتتاحية هذه السورة الكريمة: ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ غافر: 2 بمعنى أن القرآن الكريم، ليس بقول كاهن، ولا كلام شاعر، بل هو كتاب منزل من عند الله العزيز العليم، ما يدل على براعة القرآن في التصاحب اللغوي، ومراعاة النظير.

وقد تخلص السياق نحو الدعوة إلى توحيد العبادة، إذ أنه سبحانه وتعالى غافر الذنب لمن تاب وأتاب إليه، وأخلص في عبادته، وأنه شديد العقاب لمن تمرد واستمر على عصيانه بعد الذِّكْرِ، قال تعالى:

﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطُّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ غافر:3

واختتمت السورة بأحوال الماديين الذين يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم غافلون عن الآخرة، وكان دأبهم في أن يفرحوا بما أوتوا من العلم بأسباب المعيشة، وهم عن الآخرة مشغولون، وقد تناسوا بأن هذه الحياة الدنيا بجميع حطامها لا تغني عنهم شيئا من عذاب الله، وإنما يتقبل الله من المتقين.

مفهوم الطباق:

كلمة الطباق من مادة (طبق). والطبق غطاء كل شيء، والجمع أطباق. يقال: طابقه مطابقة وطباقا. وتطابق الشيئان، بمعنى: تساوايا. والمطابقة: الموافقة، وطابقت بين الشيئين إذا جعلتهما على حذو واحد وألزقتهما¹. ويرى الفيروزآبادي أن الطبق من كل شيء: ما ساواه، وقد طابقه مطابقة وطباقا.. وطبقة: امرأة عاقلة تزوج بها رجل عاقل. ومنه قولهم: "وافق شئ طبقة"².

يتضح بنا مما سبق أن المطابقة من المنظور اللغوي تعني التساوي بين الشيئين، إلا أن الفيروزآبادي يكاد يلمس شيئا من مدلول الكلمة الاصطلاحي، حيث يرى أن اللفظة (طبقة) تعني: زواج امرأة عاقلة برجل عاقل، ومن هنا تكاد تظهر دلالة المزوجة بين الضدّين (رجل وامرأة).

أما ابن الأثير، فقد أوضح مدلول الطباق وفقا لما تراكمت عليه أقلام اللغويين وأساطين الفصاحة، إذ يقول:

"وقد أجمع أرباب هذه الصناعة على أن المطابقة في الكلام، هي الجمع بين الشيء وضده، كالسواد والبياض، والليل والنهار، وخالفهم في ذلك قدامة ابن جعفر الكاتب، فقال: المطابقة: إيراد لفظين متساويين في البناء والصيغة مختلفين في المعنى. وهذا الذي ذكره هو التجنيس بعينه"³.

يُستنتج مما سبق أن ابن الأثير استدرك على قدامة بن جعفر في خروجه عما ذهب إليه سواد أهل اللغة في تعريفهم للمطابقة بأنها تتمثل في الجمع بي الضدين كما هو سالف الذكر، حيث جانبه الصواب بأن إيراد لفظين متساويين في الشكل ومختلفين في المضمون من باب التجنيس.

ويرى الباحث أن ما ذهب إليه ابن الأثير في أن المطابقة تتمثل في الجمع بين الشيء وضده أقرب إلى الصواب، بدليل أن التجنيس عبارة عن اتفاق اللفظين في البنية الشكلية واختلافهما في المعنى المراد.

أما الشيخ عبد الرحمن السيوطي فقد عرف الطباق بأنه ضرب من أضرب تحسين المعنى، ومن ألقابه: المطابقة والتضاد، وهو عبارة عن الجمع بين المتقابلين، سواء أكان تقابل ضدين أو نقيضين، ويكون بلفظين من نوع اسمين، نحو (أيقاظا ورقود) من قوله تعالى: ﴿وَتَحَسَّبُهُمْ أَيْقَاطًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَلَّيْتَ مِنْهُمْ رُعبًا﴾ الكهف:18

أو فعلين، نحو: (يحيي ويميت) من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى أَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ آل عمران:156

أو حرفين نحو: "لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت" من قوله تعالى: ﴿لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لِيَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ البقرة:286

أو من نوعين (الاسم+الفعل)، نحو: "أو من كان ميتا فأحييناه". مأخوذ من قوله تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الأنعام:122

واستمر يوضح بأن الطباق نوعين: طباق الإيجاب كما مُثِّل، وطباق السلب: وهو الجمع بين فعلين من نوع واحد، أحدهما مثبت، والآخر منفي، أو أحدهما أمر والآخر نهي. ومثال الأول: "ولكن أكثر الناس لا يعلمون. يعلمون ظاهراً" فيُلَمَس النفي من السياق الأول (لا يعلمون) ، والإثبات من السياق الثاني (يعلمون ظاهراً) ، كما ورد ذلك من قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾. يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ ﴿الروم:6-7

أما الأمر والنهي، فمن ذلك: "فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَآخِشُوا" من قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَابُ] أُرِي مَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَآخِشُوا النَّاسَ وَآخِشُوا النَّاسَ وَلَا تَشْتَرُوا بِبَنَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ المائدة:44

ففي قوله تعالى "فلا تخشوا الناس واخشون" توظيف جملي نهي وإثبات لأن مفاد كلتا الجملتين مقصود نهي عن مخافة غير الله وإثبات مخافة الله، وهذا من خصائص المؤمنين، فأما المشركون فهم يخشون شركاءهم وينتهكون حرمة الله لإرضاء شركائهم، وأما أهل الكتاب فيخشون الناس ويعصون الله بتحريف كلمه، ومجاراة أهواء العامة، وفي قوله "واخشون" أمر بخشية الله وحده.⁴

دراسة تطبيقية لأنماط الطباق الواردة في السورة:

يُمثل الطباق دورا دلاليا إيجابيا في تحسين المعنى عبر الإتيان بلفظ وما يقابله؛ وتكمن الخاصية الفنية في المنهج القرآني لهذه الظاهرة في فتح باب الخيار أمام المتلقي، حيث يأتي السياق باللفظين المقابلين بغية التبشير والتنذير، فتتوفر للقارئ حرية خيار أحد الضدين: إما شاكرا وإما كفورا، وله الانتماء إلى أصحاب اليمين، أو أصحاب الشمال. وأحيانا يكون التوظيف لفتح باب الموعدة والدعوة التأملية كما في ﴿وَالِى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ... وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ الغاشية: 18-20.

ومن الجدير بالاعتبار، أن النص القرآني يقدم ظاهرة الطباق في أسلوب دعوي بحيث يوفر للمتلقى حرية التفكير حتى يميز بين الحلال والحرام، والطاعة والمعصية، والحسنة والسيئة، لمهلك من هلك عن بينة.

ويحيا من حي عن بينة. وفيما يمت بصلة إلى أساليب الطباق الواردة في سورة غافر، يُستنتج ورود هذه الظاهرة على النحو التالي:

1. المطابقة بين الاسمين (اسم\اسم):

وردت المطابقة بين الاسمين في سورة غافر في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ غافر:5

يُستنتج ظاهرة المطابقة بين الاسمين المتضادين (الباطل) و (الحق) للدلالة على أن جماعة من قوم نوح والذين أتوا بعدهم اتبعوا أهواءهم، وكذبوا رسلهم عن طريق أخذ الباطل وسيلة لهم للسيطرة والقضاء على الحق، فأخذهم الله بذنوبهم. ففي تقديم الباطل على الحق دلالة على الاهتمام بذكر المقدم وتقريبه إلى فاعله، بمعنى أنهم اهتموا بالأعمال الباطلة واتخذوها وسيلة لهم ينتصرون بها على الحق، وهذا سبب هلاكهم.

وقد وردت كذلك ظاهرة المطابقة من هذا النوع في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ غافر:7

يلمس المطابقة من هذه الآية الكريمة بين اللفظين (رحمة) و (عذاب)، وقد وردت للدلالة على أن من تاب وأناب إلى ربه، فإنه يتوقى من عذاب أليم، لأن رحمته تعالى وسعت كل شيء. ففي تقديم (رحمة) دلالة على الاهتمام بالمقدم، إذ أن الله سبحانه وتعالى رحيم، فلا يعذب من عباده أحدا، إلا من كفر وأشرك في عبادته أحدا، أو عصى ربه وألحَّ على عصيانه، وأما الذين تابوا واتبعوا سبيله فإنه سبحانه وتعالى يُجرهم من عذاب الجحيم.

ومن الطباق بين الاسمين في سورة غافر قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ غافر:28

وردت المطابقة بين اللفظين: (كاذبا) و (صادقا) ، وتتمثل الخاصية الدلالية للصورة الطباقية في كبح جماح إرادة الظالم، بالحجة البليغة بغية تمحيص الحق وإظهاره، وهذا من باب نصره المظلوم وكف الظالم عن الجور.

ومن تجليات المطابقة بين الاسمين في هذه السورة قوله تعالى: ﴿يَقُومُ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعَ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ غافر:39

تتضح صورة المطابقة بين اللفظين (الدنيا) و (الآخرة)، حيث قُدِّمَ (الدنيا) على (الآخرة) لتقليل شأنها، وهذا ما توحى إليه كلمة (متاع) ، وفي التقديم كذلك دلالة على أن الدنيا مكان لطلب الآخرة، فمن عمل صالحا فلنفسه، ومن أساء فعليها.

ومن المطابقة بين الاسمين قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ غافر:40

وتظهر صورة المطابقة بين اللفظين: (سيئة) و (صالحا). والاسمين: (ذكر) و (أنثى) ، ففي المطابقة دلالة على أن الجزاء من جنس العمل، وأن المرأ لايجني من الشوك العنب. وكذلك يُستنتج من التضاد، أن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا؛ سواء ذكرا كان أو أنثى.

ومن المطابقة بين الاسمين في هذه السورة قوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ غافر: 57

يُلمس ظاهرة الطباق بين اللفظين: "السموات" و "الأرض" ، وتتمثل الخاصية الدلالية لهذه الصورة في الدعوة التأملية نحو الكون العلوي والسفلي، إذ أن السماوات خلقها الله سبحانه وتعالى بغير عمد يراها الإنسان في حالة ظعنه وفي حالة إقامته، وكذلك الأرض التي دحاها الله تبارك وتعالى وسخرها للبشر ينتشرون فيها ابتغاء من فضله، فهي لهم مكان للزرع والحصاد، وهي كذلك مصدر للمعادن؛ ولعل ذلك يكون للناس آية على قدرة الخالق المعبود بالحق.

2. المطابقة بين الفعلين (فعل\فعل):

كما تكون المطابقة بين الاسمين لإبراز خاصية دلالية وفقا لورودها في السياق النصي في القرآن الكريم، تكون المطابقة كذلك بين الفعلين لإبراز خواص دلالية ملموسة في أي الذكر الحكيم، منها ما يلي:- قال تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَخْيَبْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾ غافر: 11

يُستنتج ظاهرة المطابقة بين الفعلين في الآية الكريمة، من قوله تعالى: "أمتنا" و "أخيبتنا"، بحيث يُلمس من اللفظين طباق الإيجاب المتمثل في العلاقة الضدية بين الفعلين (أمت) و (أخيا). فالطباق هنا يوجي بالندم والتحسر عن طريق ذكر الحالة، حيث يعترف الكفار بأن الله سبحانه وتعالى خلقهم في الدنيا وأوجدهم بعد العدم، وأحياهم مدة من الزمن ليعبدوه ولا يشركوا به شيئا، ولكنهم أساءوا وما ظفروا بتدبير أوقاتهم فيما يُجدي، وبذلك لم تنفعهم الحياة الدنيا، إذ ألهمهم عن الطاعة حتى أخذهم الله بذنوبهم.

ويُلمس مزيد من الخاصية الدلالية في انقياد الكفار رغم أنفهم إلى الاعتراف بأن حق الإحياء والإماتة لله وحده "أمتنا اثنتين وأخيبتنا اثنتين" ما يدل على خضوعهم نحو التوحيد الربوبية على الرغم مما ظهر من تمردهم عن توحيد العباداة. ومنه قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَخُدَّهِ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ غافر: 12

تتمثل ظاهرة الطباق في الآية الكريمة، بين اللفظين "كفرتم" و "تؤمنوا" وفي الطباق دلالة على العلة وسبب تعذيب الملحين، ويكون السبب بأنهم يكفرون بالتوحيد ويؤمنون بالشرك، وقد تناسوا أن الحكم والقدرة على تدبير الأمور بيد الله العلي الكبير، فلا يغيب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض.

ومن الطباق بين الفعلين في سورة غافر قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ غافر: 25

وتتمثل ظاهرة الطباق بين اللفظين في الآية الكريمة من الفعلين: (اقتلوا) و (استحيوا). والخاصية الدلالية لهذه الظاهرة تبرز الإشعار بالسيطرة وإظهار القدرة على الغير. وعن ابن عباس رضي الله عنهما في

قوله تعالى "قالوا اقتلوا" بمعنى: أعيدوا عليهم القتل كالذي كان أولاً، يريد أن هذا قتل غير الأول. فجعل الله كيد فرعون وأعدائه في ضياع⁵.

ومن ظواهر المطابقة بين الفعلين في هذه السورة قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسَلِّمَ لِلرَّبِّ الْعَلَمِينَ﴾ غافر: 66

يُستنتج ظاهرة المطابقة بين الفعلين: (نُهِيتُ) و (أُمِرْتُ)، وتتمثل الخاصية الدلالية للطباق في هذا الصدد في أن السياق يبرز المنهج القرآني في إصدار الأمر والنهي، وأن الأمر والنهي في هذه العجالة عام، ولم يكن خاصاً به صلى الله عليه وسلم، لأن التوحيد عقيدة عامة لجميع الأنبياء والرسل، وقد أمروا قومهم بالسير على منوالها.

ومن المطابقة بين الفعلين في سورة غافر قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ غافر: 68

وتتمثل ظاهرة الطباق في الآية الكريمة، بين الفعلين: (يحيي) و (يميت)، ففي الطباق دلالة على أن الإماتة والإحياء بيد الحق سبحانه وتعالى، وأنه إذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون، فلا يحتاج في تكوينه إلى عُدَّةٍ وتجشم كلفة⁶.

ومن صور المطابقة بين الفعلين في السورة قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ غافر: 84

يُستنتج من الآية الكريمة ظاهرة المطابقة بين الفعلين: (ءامنا) و (كفرنا)، وتتمثل الخاصية الدلالية للطباق في هذا الصدد، في إبراز الاعتراف الزائف الذي لا يُجدي، حيث نطق الكفار بكلمة الإيمان بعد مشاهدة الهلاك والتيقن من عدم الانفلات منه "فلما رأوا بأسنا" أي شدة عذابنا، ومنه قوله تعالى "بعذاب بئيس"، وعندئذ "قالوا آمنا بالله وكفرنا بما كنا به مشركين" وهذا الإيمان لا يغني عنهم من عذاب الله من شيء، لعدم إخلاص النية فيه، وإنما يتقبل الله من المتقين⁷.

3. الطباق المزدوج (فعل\اسم، وسطحي\عميق):

ترد صورة الطباق أحيانا مزدوجة بين الفعل والاسم، أو بين الاسم والفعل، أوبين البنيتين: إحداهما سطحية والأخرى عميقة، كما سيتضح ذلك في النص المدروس. ومن صور الطباق المزدوج في النص المدروس قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُولُوتُ مُدَبِّرِينَ مَا لَكُمْ مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ غافر: 33

وتتمثل ظاهرة المطابقة في الآية الكريمة بين اللفظين المختلفين (يُضِلِل) و (هاد) ، فالكلمة الأولى فعل مضارع، والثانية اسم فاعل. وتظهر الخاصية الدلالية من هذه الآية في توضيح أن الهداية بيد الله، ومن أضله الله فلا هادي له. ورد في الآية الحديث عن أهوال يوم القيامة "يوم التناد" والكلمة (التناد) من نداء البعير: إذا هرب، وبهذا المعنى فسر ابن عباس والسُّدِّي هذه الآية. وروت هذه الفرقة حديثا في هذا المعنى: أن الله تعالى إذا طوى السموات نزلت ملائكة كل سماء، فكانت صفًا بعد صف مستديرة بالأرض التي عليها الناس للحساب؛ فإذا رأى الخلق هول القيامة، وأخرجت جهنم عنقا إلى أصحابها، فرَّ الكفار وندُّوا مدبرين إلى كل جهة، فتردهم الملائكة إلى المحشر: لا عاصم لهم، والعاصم المنجي.⁸

ومن ظواهر المطابقة بين اللفظين المختلفين في هذه السورة قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَخَاوُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعْفُؤُا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ﴾ غافر: 47

يُستنتج من الآية الكريمة تجليات المطابقة بين اللفظين المختلفين:(الضعفؤ) و (الذين استكبروا) ، فالأول اسم ظاهر، والثاني جملة الصلة بعد الموصول يراد بها الرؤساء، وتكون المطابقة هنا بين (الضعفاء) و (الرؤساء) ، وتتمثل الخاصية الدلالية لهذه المطابقة في توضيح الحوار العقيم بين التابع والمتبوع. والمعنى: أذكر يا محمد لقومك إذ يتحاجون، أي يحاجج بعضهم بعضا، ثم شرح خصومتهم، وذلك أن الضعفاء يقولون للرؤساء "إنا كنا لكم تبعًا" قال الزمخشري: تبعًا كخدم في جمع خادم، أو ذوي تبع، أي أتباع، أو وصفا بالمصدر "فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار"، أي فهل تقدرتون على أن تدفعوا أيها الرؤساء عنا نصيبا من العذاب.⁹

ومن تجليات المطابقة بين اللفظين المختلفين في سورة غافر، قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾ غافر:58

وتتجلى صورة المطابقة في هذه الآية الكريمة بين جملي الصلة بعد الموصول (الذين ءامنوا وعملوا الصلحت)، والتي تظهر بمعنى (المطيعون)، واسم فاعل (المسيء)، أي ما يستوي الأعشى الذي لا يبصر شيئاً، وهو مثل الكافر الذي لا يتأمل حجج الله بعينيه، فيتدبرها ويعتبر بها، فيعلم وحدانيته وقدرته على خلق ما شاء من شيء، ويؤمن به ويصدق. والبصير الذي يرى بعينيه ما شخخص لهما ويبصر، وذلك مثل للمؤمن الذي يرى بعينيه حجج الله، فيفكر فيها ويتعظ، ويعلم ما دلت عليه من توحيد صانعه، وعظيم سلطانه، وقدرته على خلق ما يشاء.¹⁰

4. المطابقة بين الطرفين:

ويعني الباحث هنا بالطرفين: وجود التطابق بين الطرفين بغض النظر عن كونهما زمانيين أو مكانيين؛ فقد يكون اللفظ ظرف زمان ويكون ضده ظرف مكان أو العكس، وقد ترد صورة الطباق بين الطرفين الزمانيين، كما قد تكون بين الطرفين المكانيين.

لاحظ الباحث ورود المطابقة بين الطرفين في سورة غافر من قوله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ غافر:46

لقد وردت صورة الطباق في الآية الكريمة بين الطرفين الزمانيين (غُدُوًّا) و (عَشِيًّا) للدلالة على تعيين المرة والحالة الزمنية. يقول الله سبحانه وتعالى مبيناً عن سوء العذاب الذي حل بالأشقياء من قوم فرعون، ذلك الذي حاق بهم من سوء عذاب الله: النار يعرضون عليها لما هلكوا وأغرقهم الله. جعلت أرواحهم في أجواف طير سود، فهي تعرض على النار كل يوم مرتين "غدوا وعشيا" إلى أن تقوم الساعة.¹¹

ومن المطابقة بين الطرفين في هذه السورة قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ﴾ غافر:55

تتمثل ظاهرة المطابقة في الآية الكريمة بين الطرفين (العشي) و (الإبكار) ، وقد وردت الصورة الطباقية للدلالة على تعيين زمن العبادة للرسول صلى الله عليه وسلم، بمعنى: وصل بالشكر منك لربك "بالعشي" وذلك من زوال الشمس إلى الليل، و(الإبكار)، وذلك من طلوع الفجر الثاني إلى طلوع الشمس. وقد وجه قوم الإبكار إلى أنه من من طلوع الشمس إلى ارتفاع الضحى، وخروج وقت الضحى، والمعروف عند العرب الأول.¹²

5. طباق السلب:

سبقت الإشارة إلى أن الطباق هو الجمع بين الضدين من نوع واحد، أو نقيضين أحدهما مثبت، والآخر منفي، أو أحدهما أمر والآخر نهي. ويسمى النمط الثاني طباق السلب، وقد ورد هذا النمط من الطباق في سورة غافر من قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ غافر: 20

تتمثل ظاهرة طباق السلب بين الفعلين: الفعل المثبت وهو (يقضي) والفعل المنفي وهو (لا يقضي) ، والمستوى الدلالي لهذه الصورة يُبين أن الله يحكم بالعدل، بخلاف الذين يعبدهم المشركون من أصنام وأوثان، فإنهم "لا يقضون بشيء" لأنهم لا يسمعون، ولا يبصرون، وهم لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له. قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ الحج: 73

وقد يُستنتج من جملي "والله يقضي بالحق"، وجملة "والذين يدعون من دونه لا يقضون" إثبات الحكم الحق لله عز وجل، ونفيه عن غيره من الأوثان، حيث ورد قصر القضاء على الله تعالى دون الأصنام.¹³

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ غافر: 78

تتجلى المطابقة في الآية الكريمة بين الفعلين: الفعل المثبت (قصصنا) والفعل المنفي (لم نقصص) ، وتتمثل الخاصية الدلالية للمطابقة في إبراز التسلية للرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم، حيث يخبر

تعالى رسوله بأنه أرسل من قبله رسلا كثيرين منهم من قصه الله خبرهم. ومنهم من لم يقصص. قال ابن كثير معبرا عن الرسل الذين لم يقصص القرآن أخبارهم، بأنهم أكثر ممن ذُكر بأضعاف أضعاف، إذ لم يذكر في القرآن إلا خمسة وعشرون نبيا ورسولا.¹⁴

والجدول التالي يوضح شكل الطباق، ونوعه وكمّ وروده والنسبة المئوية، ثم المجموع الكلي لهذه الظواهر الواردة في سورة غافر:

| شكل الطباق | نوعه | عدد وروده | النسبة المئوية | المجموع الكلي |
|-----------------------|---------|-----------|----------------|---------------|
| 1. الطباق بين الاسمين | الإيجاب | 8 | 26,7% | 30 |
| 2. الطباق بين الفعلين | " | 6 | 20,0% | " |
| 3. الطباق المزدوج | " | 3 | 10,0% | " |
| 4. الطباق بين الظرفين | " | 2 | 6,7% | " |
| 5. النفي والإثبات | " | 2 | 6,7% | " |

يُستنتج من الجدول السابق أن ظاهرة الطباق بين الاسمين أكثر ورودا بنسبة 26,7%، ما يدل على أن منهج السورة في توظيف الطباق يميل إلى الجانب الذهني العقلاني، ولا غرابة في ذلك، لأن القرآن الكريم يخاطب البشر العاقل، وهو المكلف إليه الأوامر والنواهي، والمُلزمّ عليه الطاعة وترك المعاصي وفقا لما ورد في التشريع الإسلامي، سعيا إلى تحقيق القيم الإنسانية للوصول إلى سعادة الدارين. تليها بالدرجة الثانية في الشيعوع، ظاهرة الطباق بين الفعلين بنسبة 20,0%، وهو عدد متوسط، يُلمس منه مدى اهتمام القرآن بالجانب الحركي الانفعالي، لأن العبادات تتطلب الحركة والمثابرة للقيام بالعمل الصالح؛ تليها بالدرجة الثالثة في الورد كل من ظاهرة الطباق المزدوج بني الاسم والفعل، أو بين اسم الفاعل وجملة الصلة بعد الموصول، حيث وردت بنسبة 10,0%، ثم ظاهرة الطباق بين الظرفين بنسبة 6,7%، كما

وردت ظاهرة الطباق بين النفي والإثبات بنفس الكمية 6,7%، ولعل السبب لذلك يرجع إلى عناية السورة بالحيز الزمني الذي تتم منه أداء الصلوات المفروضة، أضف إلى ذلك ما امتازت به السورة من توظيف الأساليب الخبرية، والتي تتماشى في سياقاتها مع الإثبات والنفي.

الخاتمة

ورد الطباق بنمطيه الإيجابي والسلبي في أشكال مختلفة في سورة غافر. وكان منهج السورة في توظيف الطباق يمثل دوره في تحسين النص القرآني، كما يبرز خاصية دلالية وفقاً لوروده في سياق هذه السورة، لما فيه من التبشير والتنذير، أو الإخبار عن حادثة، أو إصدار الأوامر والنواهي.

وقد وردت ظاهرة الطباق في النص المدروس مختلفة الصور، عبر المطابقة بين الاسمَيْن، أو الفعلَيْن، أو الظرفَيْن، وقد تكون مزدوجة بين الفعل والاسم، أو بين البنيتَيْن السطحية والعميقة على حسب ورودها في السورة، لإبراز خاصية دلالية معينة.

وتتمثل هذه المستويات الدلالية في إظهار العلاقة بين اللفظَيْن المتضادَيْن، وغالبا ما توحى هذه العلاقة إلى أن الجزء من جنس العمل، وقد عبرت كذلك عن الدعوة التأملية، وتعيين المرة وزمان الحدث إن ظهرت المطابقة بين الطرفين. وقد وردت جميع هذه الصور وفقاً لمتطلبات الدراسة الألسنية النصية من توظيف أساليب خبرية أو إنشائية.

هذا، وقد توصل البحث إلى نتائج منها ما يلي:

1. تعددت أشكال الطباق في سورة غافر بنمطيه الإيجابي والسلبي
2. أسهم الطباق في تشكيل البنى الدلالية وفقاً لوروده في النص المدروس
3. ورد الطباق بين الاسميين بنسبة كبيرة، ما يدل على أن منهج السورة في توظيف الظاهرة يميل إلى الجانب الذهني العقلاني
4. امتازت السورة بتوظيف الأساليب الخبرية، والتي تتماشى مع الظواهر الطباقية في سياقاتها إثباتاً ونفياً.

وأخيراً، يوصي الباحث إخوته الدارسين، بأن يشمروا عن سواعد الجد في البحث والتنقيب عن ظاهرة الطباق، وغيرها من الظواهر الأسلوبية الواردة في القرآن الكريم، بغية كشف ما امتاز به الأسلوب القرآني من نواحي الإعجاز البياني، ما يبرز القيم التعبيرية البليغة والمتميزة الواردة في أي الذكر الحكيم.

الهوامش والمراجع:

- ¹ ابن منظور، لسان العرب، مادة (طبق) ، ط1، دار صادر، بيروت، (د.ت): 485\10
- ² الفيروزآبادي، القاموس المحيط، المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني (مادة طبق): 485\3
- ³ ابن الأثير الكاتب، المثل السائر في آداب الكاتب والشاعر، المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني: 1\251
- ⁴ التونسي، ابن عاشور، التحرير والتنوير، المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني: 6\243
- ⁵ الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (جار الله) ، الكشاف، المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني: 6\104
- ⁶ البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد (ناصر الدين) ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني: 5\134
- ⁷ العمادي، محمد بن محمد بن مصطفى (أبو السعود) ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني: 6\46
- ⁸ الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف (أبو زيد) ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني: 3\344
- ⁹ الرازي، أبو عبد الله محمد بن الحسين (فخر الدين) ، مفاتيح الغيب، المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني: 13\343
- ¹⁰ الطبري، محمد بن جرير بن يزيد (أبو جعفر) ، جامع البيان في تأويل القرآن، المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني: 21\405
- ¹¹ المصدر نفسه: 21\395
- ¹² المصدر نفسه: 21\403
- ¹³ الجزائري، أبوبكر جابر (الشيخ) ، أيسر التفاسير، ط1، دار لينا، دمنهور، 1423هـ-2002م: 1172
- ¹⁴ المصدر نفسه: 1186

رثاء الزوجة في العصر السلجوقي الطغراني نموذجاً "دراسة أسلوبية"

إعداد:

إبراهيم داود

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، كلية اللغة العربية، ماجستير الأدب والبلاغة

ملخص البحث:

فإن شعر الرثاء يعد مجالاً رحباً في التعبير عن مكنون النفس؛ إذ تذهب نفس الرائي على المرثي حسرةً وحرزناً، وتتفاوت درجات التَّحسر والحزن؛ نظراً لقرب المفقود وبعده من الرائي، ورثاء الزوجة منذ أن عرفه الأدب العربي صار غرضاً متطوراً ينمو مع نمو المجتمع والحياة ويُصور الحالات النفسية التي يعانيتها الشاعر ويقاسيها من فقدان زوجته يخلد ذكرها ومحاسنها، ويبكيها في أدق تصوير، والطُّغْرَانِي (1) من أشجع الشعراء الذين لم يمنعهم الحياء على الإقدام على رثاء زوجته، ولعل هذه الدراسة تكون نبراساً تظهر من خلالها سمة رثاء الزوجة في العصر السلجوقي (2)

Abstract

The poetry of elegy is a wide field in expressing the hidden core of the soul; for the soul of the poet goes on the elegies with sorrow and grief, and the degrees of such sorrow and sadness vary; due to the position of the deceased to the poet, and the wife's elegy since it was known by the Arabic literature has become an evolving purpose that grows with the growth of society and life, it portrays the psychological states that the poet suffers from the loss of his wife, living behind her good memories and merits, expressing his weep and sorrow in the most accurate portrayal. At-tugra'i is one of the bravest poets who was not prevented by shyness from embarking on the elegy of his wife. Perhaps this research will illustrate the feature of wife's elegy in the Seljuk era.

المقدمة:

يشتمل هذا البحث على النقاط التالية:

1- المقدمة:

أ - التعريف بالشاعر وحياته وشعره.

ب - التعريف بالعصر السلجوقي ومرتبة الرثاء فيه.

2- المستوى المعجمي الدلالي.

3- المستوى التركيبي.

4- المستوى التصويري.

5- المستوى الإيقاعي.

أ - التعريف بالشاعر: الطغراني: حياته وشعره.

هو أبو إسماعيل الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصّمد، وله ألقاب كثيرة وهي: السيد، مؤيد الدين، العميد، الأستاذ، المنشي، الأصبهاني، ولكنه اشتهر ب (الطُّغْرَائِي) (3). وولد عام 435هـ في جيّ من أصفهان في عائلة شريفة مجيدة، من ولد أبي الأسود الدُّؤلي، وكان كاتباً شاعراً حسن النّظم والنّثر، عارفاً باللّغة والأدب، فكان يعمل في ديوان الإنشاء، وعُرف بالطُّغْرَائِي(4)

وكما كان الطُّغْرَائِي شاعراً مجيداً وسياسياً من الصدر الأوّل، بل وزيراً، كان إماماً في صنعة الكيمياء، وأنه لفخور بذلك دائماً⁽⁵⁾.

شعره:

وللطُّغْرَائِي ديوان شعر جيّد، جمعه بنفسه، ولم يترك غرضاً من أغراض الشعر العربي التقليدي إلا طرقه من مديح، ورتاء، وفخر، وله فيها مشاركة جيدة، ومن محاسن شعره قصيدته المعروفة بلامية العجم، وكان عملها ببغداد في سنة خمس وخمسمائة يصف حاله ويشكو زمانه، ومطلعها(6):

أَصَالَهُ الرَّأْيِ صَانَتْهُ عَنِ الْخَطَلِ وَحَلِيَّةُ الْفَضْلِ زَانَتْهُ لَدَى الْعَطَلِ.
مَجْدِي أَخِيرًا وَمَجْدِي أَوْلَا شَرَعُوا وَالشَّمْسُ زَادَ الضُّحَى كَالشَّمْسِ فِي الطَّقَلِ

"وأتصل بالسلطان مسعود (7) بن محمد السلجوقي (صاحب الموصل) فولاه وزارته، ثم اقتتل السلطان مسعود وأخ له اسمه السلطان محمود فظفر محمود وقبض على رجال مسعود، وفي جملتهم الطغراني، فأراد قتله ثم خاف عاقبة التّهمة عليه، لما كان الطغراني مشهوراً به من العلم والفضل، فأوعز إلى من أشاع اتهامه بالإلحاد والزندقة فتناقل الناس ذلك، فانخذه السلطان محمود حجّة، فقتله في سنة خمس عشرة وخمسمائة"⁽⁸⁾.

ب - التعريف بالعصر السلجوقي ومرتبة الرثاء فيه.

تُعد بداية هذا العصر بدخول (طغرل بك السلجوقي (9) بغداد وقضائه على البويهيين، سنة 447هـ، وشمل ملكه بقعة واسعة تضم العراق وبلاد العجم إلى أن توفي سنة 455هـ فتتابعت بعده السلطنة من آل سلجوق وربما آخرهم (محمود) الذي بدأت سلطته سنة 515هـ - 525هـ ولقد شهد العصر السلجوقي بعض خلفاء بني العباس: منهم المسترشد الذي بدأت ولايته سنة 512هـ. 529هـ ولضعف نهاية الخلافة العباسية وسيطرة الأتراك على المناصب المدنية والعسكرية، وكثرة البدع والفرق، والأحزاب السياسية لما طلب السلاجقة من الخليفة (القائم بأمر الله) الاعتراف بقيام دولتهم في عام 432هـ فإنه لم يتردد في إعلان اعترافه بهم وفي دعوة أول سلطانهم إلى زيارة بغداد⁽¹⁰⁾.

"وتعد هذه الدولة أي (دولة السلاجقة) من أهم الدول التي ظهرت على مسرح التاريخ الإسلامي، وأدت دوراً مهماً في توجيه سير الأحداث في كثير من بلاد الشرق الأدنى والأوسط في خلال مدة تزيد على قرنين من الزمان"⁽¹¹⁾، وينتسب السلاجقة إلى قبيلة من القبائل التركبية التي كثر تنقلها لقلّة الموارد الاقتصادية، والظروف السياسية.⁽¹²⁾

مكانة الشعر في العصر السلجوقي.

وكان للأدب مكانته من العصر، وكثرة الشعراء كثرة مدهشة وزاول الشعر خلق كثير بما فهم الخلفاء

والموزاء، ومن أشهر شعراء العصر السلجوقي: الطغراني، الباخريزي، ابن الشَّبل، البارغ، وحاشية السلاطين أكثر عنايةً بالشعراء منهم، وقد قرَّب الكندي الشعراء ومنحهم المال. وكان الطُّغراني أشدَّ الشعراء قرباً من السُّلاطين، ومدح بعضهم بقصائد راقية (13).

منزلة الرثاء في العصر السلجوقي.

لقد أبدع الشعراء في غرض الرثاء وقالوا فيه أصدق الشعر في معانيه وأكثره حسن جيد، ومراثي الطغراني خير شاهد على ذلك، ويرى الدكتور علي جواد الطاهر: بأن المراثي التي وصلت إلينا من هذا العصر تكاد تكون محدودة معدودة. ومن المراثي ما كان في الأساتذة والفقهاء ممن تربط الشاعر بهم رابطة التلمذة أو العاطفة الدينية، ومن ذلك رثاء الباخريزي للجويي، وابن نايقا للشيرازي، ومنهما ما كان في الأقارب، وتحتل مراثي الطغراني لزوجته مكاناً علياً بين مراثي العصر كلها (14).

المستوى المعجمي الدلالي.

يقول الطغراني في رثاء زوجته (15):

| | |
|-------------------------------------|--|
| أعيثي جوداً بالدماء وأسعداً | فقد جلاً قدُر الرُّزء عن عبْرَةٍ تجري |
| أدُم جفوني أن تضيئ بدُخْرِها | وأمقتُ قلبي وهو يهدأ في صدري |
| بنفسي من غاليتُ فيها بمهجتي | وجاهي وما حازتُ يداي من الوُفرِ |
| وغايظتُ فيها أهل بيتي فكُلُّهم | بعيدُ الرِّضَا يطوي الضُّلوعَ على غمِّرِ |
| وفُزْتُ بها من بعدِ يأسٍ وخَيْبَةٍ | كما استخرج الغَوَّاصُ لؤلؤةَ البحرِ |
| فجاءتُ كما شاء المُتَى واشتهى الهوى | كمالاً ونُبلاً في عَفافٍ وفي سِثْرِ |

لقد استعمل الشاعر في هذه القصيدة معجماً رثائياً بكائياً ساند حقل الحزن والبكاء والتحسر في كل من الألفاظ التالية:

| | |
|-------------------------------|--|
| غَالَ الرَّدَى مِنْ أُحِبُّهُ | فَنَافَسَنِي الْمِقْدَارُ فِيهَا وَلَمْ يَدْعُ |
|-------------------------------|--|

| | |
|----------|-----------------|
| أعيئيّ - | جُودا بالدماءِ |
| الرُّزءُ | عَبْرَةٌ تجري - |
| جفوني | بنفسيّ |
| بمهجتي | وأمقتُ قلبي |
| مقلتيّ | حسرتا |

وقد سار على هذا النهج في كل قصائده التي رثى بها زوجته، وكوّن لنا معركة معجمية متأججة؛ لأنّ "المعنى المعجمي هو الأساس للكلمة، وهو المصدر الأول لدلالاتها، وذلك يكون تحليل الكلمات طريقاً للفهم العميق والدقيق لطبيعة التراكيب اللغوية؛ للكشف عن دلالاتها اللغوية والاجتماعية"⁽¹⁶⁾؛ وعلى هذا أقول إنّ شاعرية الطغراني تظهر من خلال هذه المعاجم الفنية في رثاء زوجته؛ إذ توحى بأن الشاعر يملك قدرة معجمية فائقة في هذا الغرض الشعري مما يعطي قيمة فنية لنصوص الشاعر؛ حيث إنه لم يغفل معجم الجاهليين الذين طرّقوا هذا الباب وأبدعوا فيه، انظر إلى الطغراني في قوله: (أعيئيّ جُودا بالدماءِ وأسعدًا) كيف شارك الخنساء ثم زاد كلمة (وأسعدا) وكأنه صانع اللغة من جديد، وجمع بين رصانة القديم و أناقة الجديد مما أنتج لنا هذه القصيدة الرائعة.

لغة الشاعر: سهلة تناسب رثاء الزوجة، وتواكب العصر، كما امتازت بالسلاسة أيضا، مثل: (وقُزْتُ بها من بعدِ ياسٍ وخَيْبَةٍ)، كذلك معاني القصيدة هي معان واضحة، وقد جعلها بعض الإيحاءات التي أكسبتها قراءات متنوعة مثل: قوله: (وجاهي وما حازتُ يداي من الوُفْرِ)، وقوله: (بعيدُ الرِّضَا يطوي الضُّلُوعَ على غَمِّي).

وكما أنّ كل شاعر مجيد يحاول أن يستخدم اللغة الشعرية المنسجمة مع السياق النفسي ومع تجربته الداخلية، فإن الطغراني لم يهتم بالانزياح الاستبدالي، أو العدول اللغوي، ومخالفة السائد المألوف في رثاء زوجته؛ ولعل سبب هذا تركيزه الشديد على بثّ عاطفته الحزينة التي تستدعيه هذا الغرض الذي طرقه؛

لأن اللغة الشعرية غالباً ما ترتبط بثقافة الشاعر وبمرجعياته الفكرية وبالعوامل الموضوعية والذاتية التي تساهم في تجاربه الشعرية، وفي رأي المتواضع أن الطغراني هنا لا تسعفه قريحته لأن يَبُتَّ لنا همومه وأحاسيسه، ولوعة فقده إلا بالتزام السائد المؤلف.

المستوى التركيبي:

يقول الطغراني في رثاء زوجته:

| | |
|--|----------------------------------|
| وَيَبْسُطُهَا وَالْعَيْنُ تَرْنُو وَتُطْرِقُ | ولم أنسها والموت يقبض كقها |
| جَنَى نَرْجِسٍ فِيهِ النَّدى يَتَرَفَّرُ | وقد ديمعت أجفائها وكأنها |
| بثوبِي من وجدي بها تتعلَّقُ | وما زُرْتُهَا إِلَّا توهمت أئها |
| تعي من وراء التُّرْبِ قولي فتَنطِقُ | وأحسبها والحجُّبُ بيني وبينها |
| فَيَرْجِعُ مرتاباً به لا يُصَدِّقُ ⁽¹⁷⁾ | وأشعرُ قلبي اليأسَ عنها تصبُّراً |

وهذه القصيدة في تركيبها وجملها تناسب الرثاء، واللافت أن الشاعر بثَّ هذه الروح في أغلب قصائده.

الجمل:

لقد نوع الشاعر في رثاء زوجته بين جمل فعلية وجمل اسمية؛ إلا أنه في الفعلية أكثر منها من الاسمية، وهذا مما يدل على تجدد الحزن والحسرة عند الشاعر.

الجمل الفعلية.

ولم أنسها/ يقبضُ/ ويَبْسُطُهَا/ ترنو/ تُطْرِقُ/ يتَرَفَّرُ/ توهمتُ/ تتعلَّقُ/ فتَنطِقُ/ تُطْبِقُ/ أحنُ إليها/ وأبكي عليها/ تدانى/ أشهقُ/ وأبليسُ/ تدورُ بيَ/ وأصعقُ/ وألصقُها/ وأشتفي/ وأمسخها/ فيرجعُ.

استخدام المضارع:

وقد اتكأ الشاعر على الفعل المضارع كثيراً في رثاء زوجته كما يظهر جلياً في الإحصائية: استحضاراً للصورة وإحياء للمشهد؛ لما فيها من استمرارية الحزن والأسى على الفقيده.

الجملة الاسمية:

الموتُ/ العين/ الحُجْبُ/ النَّدى/ التُّرْبُ/ قلبي/ اليأس.

الضمائر:

والقراءة الإحصائية تثبت هيمنة الضمير المتكلم؛ حيث بلغ عدده 43 ضميراً مثل قوله: (قلبي - وفُزْتُ - وأمقتُ قلبي - وأشعرُ قلبي اليأس) وكأنَّ الشاعر يُشعر القارئ بأن هذه المصيبة تخصه هو الشاعر، ولعل تكرار هذا الضمير يناسب هذا المقام (من فقد زوجته). وبعد ضمير المتكلم تأتي الضمائر الغائبة من حيث الكثرة؛ إذ بلغ عددها 39 ضميراً وكلها ضمائر عائدة إلى الفقيده، مثل الهاء في قوله: (أنسها/ ويَبْسُطُها/ وأبكي عليها/ إلخ. وهذا مما يؤكد لنا أنَّ التجربة التي يعانها الشاعر تجاه زوجته يقينية، وأن مصيره حتميٌّ، ولا أمل له في عودة الفقيده.

الأساليب الخبرية والإنشائية:

لقد أكثر الشاعر في رثاء زوجته من استخدام الأساليب الخبرية، بقوله: (والموتُ يقبضُ كَفَّها)، (ويَبْسُطُها والعينُ ترنو وتطرقُ)، "وقد يُلقي الخبزُ لأغراض كثيرة تفهم من السياق منها إظهار التحسر"⁽¹⁸⁾؛ ولا شك أن غرض الشاعر هنا هو إظهار الحزن والأسى والتحسر، وذلك أنه لا يقصد مجرد الإخبار بالموت، أو إعلام المخاطب، وإنما أراد إظهار تحسُّره على الفقيده.

ومن الأساليب الإنشائية ما يأتي:

- الاستفهام.

ومن جميل هذا الأسلوب وروعته عند الطغراني أنه يأتي في ثنايا نصوصه فيستفرغ شحنة عاطفية شديدة، ويحشد وراء استفهاماته مثل قوله (وَمَنْ ذَا الذي يُعْدي على نُوبِ الدَّهرِ)، وقوله: (وَمَنْ ذَا الذي يرضى إن اعتاضَ كَفَّه). كما خرجت بعض استفهامات الطغراني عن معناها الأصلي إلى الإنكار، مثل قوله: (أَأَبْقَى حُطَّامًا باليَا)، وقوله: (أَتَبَدَّلُ لي)، وهذا الإنكار مما يدل على أنَّ الشاعر لا يستطيع قبول الواقع لشدة ما أصابه من الحزن بعد فراق زوجته.

النداء: لم يكثر الشاعر من استخدام أدوات النداء في رثاء زوجته كما أكثر منها في مراثيه الأخرى؛ لكن القليل الوارد عنده تظهر فيه شدة الحزن والتحسر، مثل قوله: (وَيَا صَبْرُ زُلِّ عَيْيَ ذَمِيمًا وَخَلِي)، ويا حسرةً من أين حُمَّ التفرُّقُ / ويا موتَ الحقي بها غير غادر)؛ حيث يتمنى الشاعر في ذلك أن يلحق بالفقيدة فلا يرى فائدة في البقاء بعدها.

المستوى التصويري

فقد استعان ببعض الصُّور التَّشْبِيهِيَّة ليضيف على أسلوبه مسحةً من جمالٍ تشدُّ التَّفُوسَ والقلوبَ، ومن هذه الصُّور التَّشْبِيهِيَّة قوله يرثي زوجته:

وَفُزْتُ بِهَا مِنْ بَعْدِ يَأْسٍ وَخَيْبَةٍ كَمَا اسْتَخْرَجَ الْغَوَاصُ لُؤْلُؤَةَ الْبَحْرِ⁽¹⁹⁾

حيث شبه حاله حين البحث عن زوجته بحال الغواص الباحث عن اللؤلؤ، وشبه زوجته باللؤلؤ، وهذا تشبيه مجمل؛ لأنه لم يصرح بوجه الشبه فيه، ومن مزاياه الإيجاز. لقد اعتمد الشاعر على الصدق العاطفي في رسم مكانة زوجته عنده، وقد تنوعت عاطفة الشاعر وصدق مشاعره نحو زوجته، غير أننا نرى عاطفة الحزن تغلب على الشاعر في كثير من الأوقات إذ كان يقول:

وَيَا مَوْتَ الْحَقِينِي بِهَا غَيْرَ غَادِرٍ فَإِنَّ بَقَائِي بَعْدَهَا غَايَةُ الْعَدْرِ

وَيَا صَبْرُ زُلِّ عَيْيَ ذَمِيمًا وَخَلِينِي وَلَوْعَةً وَجُدِي وَالْدُمُوعَ الَّتِي تَمْرِي

وَلَا تَعِدَّتِي الْأَجْرَ عَنْهَا فَإِنَّهَا أَلْدُّ وَأَحْلَى فِي فُؤَادِي مِنَ الْأَجْرِ

أَتُبَدِّلُ لِي حُورَ الْجِنَانِ نَسِيئَةً⁽²⁰⁾ وَتُؤَخِّدُ نَقْدًا مِنْ وِرَائِي وَفِي خِدْرِي

فالتأطر في هذه الأبيات يجدها موحية على الحزن؛ حيث رسم الشاعر صورة متكاملة عن حزنه على الفقيدة وكيف يصير حاله بعد موتها إذ يتمنى الشاعر مرافقة الفقيدة إلى دار الآخرة؛ ولا يرى فائدة في البقاء بعدها بل ذهب إلى أبعد من ذلك؛ حيث يرى البقاء بعدها خيانةً وعدم الوفاء لها. بقوله: (فإنَّ بقائِي بعدها غايَةُ العَدْرِ). وهذا مما يوحي أنَّ عاطفة الحب تحوَّلت إلى عاطفة حزن لدى الشاعر بسبب فقد

زوجته المحبوبة عنده.

الوحدة العضوية (الفنية):

ويقصد بذلك أن تكون القصيدة بنيةً حيَّةً تامَّة الخلق والتكوين، وكل بيت خاضع لما قبله، وبذلك تصبح القصيدة عملاً شعرياً تاماً، فالقصيدة ليست مجرد أفكار تُجمَع من هنا وهناك، وإنما هي خبرة تامة للشاعر بمجموعة من المشاعر والأفكار والاحاسيس من خلال موضوع معين من موضوعات الحياة⁽²¹⁾. وعلى هذا نقول لقد تحققت الوحدة الفنية، ووحدة الموضوع في قصائد الطغرائي التي رثى بها زوجته؛ إذ إنه لم يستطرد إلى وصف الأطلال والديار والنسيب؛ بل بدأ مباشرة بالعرض الذي قصده وهو رثاء زوجته؛ حيث تدور القصيدة كلها حول حزن الشاعر على فقد زوجته، وإظهار لوعة الفقد ووحدة الجو النفس المتمثلة في عاطفته الجياشة، يقول:

ويا موتُ الحَقْنِي بِهَا غَيْرَ غَادِرٍ فَإِنَّ بَقَائِي بَعْدَهَا غَايَةُ الْغَدْرِ

ويا صَبْرُ زُلِّ عَتِي ذَمِيمًا وَخَلِّني وَلَوْعَةً وَجُدِي وَالذُّمُوعَ الَّتِي تَمْرِي

انظر إلى هذه الصلة الوثيقة بين هذا البيت والذي قبله، وجاءت الأفكار الجزئية مرتبة ومترابطة، وقد نعى هذا المنحى في جميع نصوصه التي رثى بها زوجته، ولك أن تتأمل قول الطغرائي راثياً زوجته:

بِنَفْسِي مَن أَوْ دَعْتُهَا التُّرْبَ رَاغِمًا أَعْضَ مِنَ الْغُصْنِ الرَّطِيبِ وَأَنْعَمَا

أَلَا لَيْتَ أَنَا مَا اصْطَحَبْنَا وَلَمْ نَبِتْ قَرِينَيْنِ فِي خَفْضِ مِنَ الْعَيْشِ تَوَامَا

وَلَمْ نُرْزَقِ الْوَصَلَ الَّذِي عَادَ فُرْقَةً وَلَمْ نَعْبُدِ الْعُرْسَ الَّذِي صَارَ مَأْتَمَا

وَعِشْتُ صَحِيحًا سَالِمًا بَعْدَ يَوْمِهَا وَحَسْبِي دَاءٌ أَنْ أَصِحَّ وَأَسْلَمَا

وَلَوْ خَيْرُونِي بَيْنَ كَفِّي وَبَيْنَهَا لِأَثَرْتُ أَنْ تَبْقَى وَأُصْبِحَ أَجْدَمًا⁽²²⁾

المستوى الإيقاعي:

الإيقاع في الشعر عمليّةٌ جوهريّةٌ ضروريّةٌ، ويعد كذلك عنصراً مهماً من عناصر تكوين القصيدة⁽²²⁾، إذ لا يمكن لُغَةٍ أن تنهضَ وحدها في التّشكّل الشعري بدون الإيقاع. ويُعد ابن طباطبا العلوي أول ناقد عربي يستعمل هذا المصطلح (الإيقاع)؛ حيث يرى أنّ حدّ الشعر بالإيقاع لا بالعروض بقوله: "وللشعر الموزون إيقاع يضطرب الفهم لصوابه وما يرد عليه من حسن تركيبه واعتدال أجزائه، فإذا اجتمع للفهم مع صحّة وزن الشعر صحّة وزن المعنى وعذوبة اللفظ فصفا مسموعه ومعقوله من الكدر ثم قبوله له، واشتماله عليه، وإن نقص جزء من أجزائه التي يكمل بها - وهي اعتدال الوزن، وصواب المعنى وحسن الألفاظ كان إنكار الفهم إياه على قد نقصان أجزائه"⁽²³⁾، إنّ الإيقاع المعروف حسبما هو معروف ينشأ من عنصريّين هما الإيقاع الداخلي والخارجي⁽²⁴⁾. إذ الإيقاع مدرك صوتيّ ذو أهمية عظيمة في بثّ الحالة النَّفسية⁽²⁵⁾.

وبما أنّ الإيقاع عنصر يميّز الشعر عمّا سواه، سوف أكتشف فيما يأتي عن الإيقاع في رثاء الزوجة للشاعر الطغراني وأحدد أنواعه وقيّمته.

الموسيقى الخارجية:

القالب أو البحر الشعري:

لقد أكثر الشاعر من استخدام البحر الكامل، والطويل وهما من البحور الفخمة الأكثر شيوعاً، ترى قول الطغراني يرثي على البحر الطويل قائلاً:

أَقُولُ وَقَدْ غَالَ الرَّدَى مَنْ أَحْبَبُهُ وَمَنْ ذَا الَّذِي يَعْدِي عَلَى نُوبِ الدَّهْرِ
أَبْقَى حُطَامًا بَالِيًا فَوْقَ ظَهْرهَا وَمِنْ تَحْتِهَا خُرْعُوبَةُ الْغُصْنِ النَّضْرِ⁽²⁶⁾

وهذا البحر شائع الاستعمال في الشعر العربي، نظم عليه ما يقارب ثلثه⁽²⁷⁾، ويتسع توظيفه في شتى الموضوعات التي تحتاج إلى النَّفس الطويل، ولا شك أن العاطفة الحزينة من أفقر الموضوعات احتياجاً إلى النَّفس الطويل؛ ليتيح للشاعر مجالاً واسعاً للإفصاح عما في داخله من الحزن العميق بأريحية؛ فلذا لقد وُفّق الشاعر في اختيار هذا البحر مما يتناسب مع غرض القصيدة، والشاعر المفلّق هو الذي يحسن

اختيار الوزن والقافية، ليكون متناسباً ومنسجماً مع موضوع القصيدة.

الروي:

إنَّ لحرفِ الرَّوِيِّ دلالاتٍ غير لفظية يتفطن إليها النقاد، ولذلك تجدهم يحكمون على الروي هل كان مناسباً للغرض أم لا؛ لأنه " الحرف الذي تبني عليه القصيدة وتنسب إليه"⁽²⁸⁾، وأغلب حروف روي الطغراني حروف قويّة تعبّر عن الحزن، وتجسّد حالته النفسية، مثل قصيدته:

ولم أنسها والموت يقبض كقبض كقها ويبسطها والعين ترئو وتطرق⁽²⁹⁾

فقد وُقِّق الشاعر في اختيار حرف الروي الذي هو حرف القاف؛ إذ هو من حروف القلقة، ومعناها الاضطراب، والذي يفقد زوجته يناسبه هذا الاضطراب، فبعدما كان اللقاء يجمعه بزوجه أصبح الفراق يحول بينهما، والبُعد عن الحبيب يكوّن حالة نفسية مضطربة متأزّمة، وبكى الشعراء قديماً هذا البعد، ووقفوا على الأطلال، سواء كان البعد هو الانتقال من مكان إلى آخر، أو الانتقال بمعناه الموت.

الإيقاع الداخلي:

الطباق:

يعد الطباق من المحسنات الصوتية التي لها أثرها البارز في إيقاع الشعر، وكثرة أسمائه عند النقاد تدل على أهميته، وهو كما يسميه النقد الحديث (الثنائيات الضدية) "ويعمل عمل السحر في تأليف المتباينين حتى يختصر لك بُعد ما بين المشرق والمغرب، ويجمع ما بين المشتم والمعرق، ويزيد التثام بين الأضداد، فيأتيك بالماء والنار مجتمعين، ويجعل الشيء من جهة ماءً ومن جهة ناراً"⁽³⁰⁾.

وقد اعتمد الطغراني هذا اللون البيدي بكثرته مذهلة لتشكيل موسيقى شعره؛ فجاء في شعره ملائمة مقبولاً، ومنه قوله يرثي:

فصارت يدي مألئ وعيني قريرةً بهما كيفما أصبحت في العسر واليسر⁽³¹⁾

فإن بين العسر واليسر طباق موجب، وهو من المحسنات المعنوية اللطيفة، والجمع بين المتضادين يكسب

الكلام حُسنًا، ورونقا وجمالاً.

إيقاع التصدير:

ويسمى رد الأعجاز على الصدور: وقد سمّاها ابن المعتز: "ردّ أعجاز الكلام على ما تقدّمها"⁽³²⁾، وهو ضرب من التّجنيس الصّوتي الذي يساهم في تشكيل الإيقاع الداخلي، ونوع من أنواع التكرار الذي يحقق نغماً موسيقياً، من خلال تكرار بعض الكلمات في صدر البيت وعجزه، ومن صورهِ البديعة في شعر الطُّغراني قوله يرثي زوجته:

ويا موتُ أَلِحِقْني بها غيرَ غادرٍ فإنّ بقائي بعدها غايةُ الغدرِ⁽³³⁾

فقوله (غادر) دل بلفظه على أنّ عجز البيت من مادة الغدر، وكذلك قوله:

سبعٌ وخمسونَ لو مرّت على حَجَرٍ لَبَانَ تأثيرها في صفحةِ الحَجَرِ⁽³⁴⁾

على حَجَرٍ، الحَجَرِ.

وقوله في رثاء زوجته أيضاً:

وكنْتُ إذا اعتراني الهمُّ أوي إلى بيتي فَيُنْسيْني الهمُّوما⁽³⁵⁾

الهمُّ، والهموما. ويُقال في هذه ما قيل في أختها.

الخاتمة:

تناول المقالة حياة الشاعر الطغراني وهو من أبرز أعلام العصر السلجوقي؛ حيث عالجت قضية فنية لدى الشاعر وهي (رثاء الزوجة)، واشتملت الدراسة على نقاط محددة ومركزة؛ وذكر الباحث نبذة وجيزة عن حياة الشاعر وعصره، كما قام بدراسة النصوص من جهة مستويات عديدة منها المستوى المعجمي الدلالي، والمستوى التركيبي، والمستوى التصويري، والإيقاعي، ثم خلّص بذكر بعض النتائج في نهاية البحث.

أهم النتائج:

- وضوح معجم الشعراء؛ إذ كان معجمًا رثائيًا بكائيًا ساند حقل الحزن والبكاء في كل ألفاظه وكلماته، كما أنّ لغته كانت سهلة ممتنعة في الطرح ناسبت لغة الرثاء مناسبة تاماً.
- وفي المستوى التصويري قد استعان الشاعر ببعض الصُّور، وتحققت عنده الوحدة العضوية الفنيّة، ووحدة الموضوع.
- وفي جانب الإيقاع قد اختار الشاعر البحور القديمة المعروفة عند القدامى والمحدثين، كما اعتمد على بعض المحسنات البديعية بكثرة مذهلة لتشكيل موسيقى شعره، وقد وُفق في ذلك أتمّ توفيق.

الهوامش والمراجع:

- (1) نسبة إلى من يكتب الطغراء وهي الطُّرّة التي تكتب في أعلى المناشير فوق البسملة بالقلم الجلي تتضمن اسم الملك وألقابه، وهي كلمة أعجميّة مُحَرَّفَة من الطرّة. ينظر: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي: معجم الأديباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ت: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1414 هـ، ص: 3/1106، تاريخ إربل: المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب اللخمي الإربلي، المعروف بابن المستوفي: 2/64.
- (2) نسبة إلى السلاجقة التي يأتي تعريفها عند الحديث عن العصر السلجوقي.
- (3) بضمّ الطاء المهملة وسكون الغين المعجمة وفتح الرّاء. ينظر: شمس الدين محمد بن علي بن خمارويه بن طولون الدمشقي الصالحي الحنفي: إنباء الأمراء بأنباء الوزراء، تحقيق: مهنا حمد المهنا، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، 1418 هـ، ص 60.
- (4) عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين ابن العديم: بغية الطلب في تاريخ حلب: تحقيق، د. سهيل زكار، دار الفكر، ص 6/2683.
- (5) ينظر: علي جواد الطاهر: الشعر العربي في العراق وبلاد العجم، في العصر السلجوقي: دار الرائد العربي، بيروت، ط1، 1405 هـ، ص 443.
- (6) ينظر: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي: وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ص 2/185،

- (7) هو: أبو الفتح مسعود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي، الملقب غياث الدين، أحد ملوك الدولة السلجوقية المشاهير: ينظر: وفيات الأعيان: 200/5.
- (8) خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: 1396هـ)، الأعلام: دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر/ مايو 2002 م. ص: 246/2.
- (9) هو: أول ملوك السلجوقية، واسمه: محمد بن ميكائيل بن سلجوق، وكان حنفيًا سنياً، يصوم الاثنين والخميس وتوفي سنة 455هـ، ينظر: كنوز الذهب في تاريخ حلب: 2/46.
- (10) ينظر: علي جواد الطاهر: الطغرثائي، حياته شعره لاميته: ص8. وحسنين، عبد النعيم محمد سلاجقة إيران والعراق: ص10.
- (11) ينظر: سلاجقة إيران والعراق: 1.
- (12) ينظر: رشيد عبد الله الجميلي: إمارة الموصل في العصر السلجوقي: ص33.
- (13) الطغرثائي حياته، شعره، لاميته: 10.
- (14) علي جواد الطاهر: الشعر العربي في العراق وبلاد العجم، ص: 392.
- (15) أبي إسماعيل الحسين بن علي، الطغرثائي: (ت 515هـ)، ديوان: تحقيق: د. علي جواد الطاهر، د. يحيى الجبور، منشورات وزارة الإعلام، الجمهورية العراقية. ص: 151-152.
- (16) فوزي خضر، عناصر الإبداع الفني في شعر ابن زيدون: ص 108.
- (17) ديوان الطغرثائي، مصدر سابق، ص: 264-265.
- (18) عمر بن علوي بن أبي بكر الكاف، البلاغة، المعاني والبيان والبديع: دار المنهاج، ط2، 1424هـ، ص50
- (19) ديوان ن الطغرثائي: مصدر سابق. ص: 347.
- (20) النسبنة: التأخير: وربما السبنة: هو الزيادة المشروطة التي يأخذها الدائن من المدين التأجيل، ينظر: القاموس الفقهي: 144. خدر: والخدر: ستر يمد للجارية في ناحية البيت ثم صار كل ما وراءك من بيت ونحوه: ينظر: لسان العرب: 4/230.
- (21) انظر: شوقي ضيف، النقد الأدبي، ط7، دار المعارف. ص: 163.
- (22) ديوان الطغرثائي، مصدر سابق، ص: 347.
- (23) ينظر: أحمد حساني: الإيقاع وعلاقته بالدلالة في الشعر الجاهلي: أطروحة دكتوراه، الجامعة

- الجزائرية، قسم الآداب واللغات، 2005-2006م، ص (54)
- (24) ابن طباطبا العلوي: عيار الشعر، تحقيق عبد العزيز بن ناصر المانع مكتبة الخانجي - القاهرة، ص 21.
- (25) سلام علي الفلاحي، البناء الفني في شعر ابن جابر الأندلسي: دار غيداء للنشر والتوزيع، ط 1، 2013م، ص 262.
- (26) ينظر: حازم بن محمد بن حسن، ابن حازم القرطاجني، أبو الحسن: منهاج البلغاء: تقديم وتحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، الدار العربية للكتاب، تونس، 2008م. ص 69.
- (27) ديوان الطغرثائي، مصدر سابق، ص: 151.
- (28) إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر: مكتبة أنجلو المصرية 1952م، ط 4، ص 59.
- (29) الخطيب التبريزي: الكافي: في العروض والقوافي: تحقيق: الحسانى حسن عبد الله، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 3، 1415 هـ، ص 149.
- (30) ديوان الطغرثائي: مصدر سابق، ص: 264.
- (31) ينظر: سمر الديوب: الثنائيات الضدية، دراسات في الشعر العربي القديم، ص 6.
- (32) ديوان الطغرثائي، مصدر سابق، ص: 152.
- (33) أبو العباس، عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباس: البديع لابن المعتز، دار الجيل، ط 1، 1410 هـ، ص 140.
- (34) ديوان الطغرثائي، مصدر سابق، ص: 153.
- (35) المصدر السابق: 163.
- (36) المصدر السابق: 346.

دراسة أسلوبية لنماذج مختارة من شعر سنوسي بابا بن هارون

إعداد:

محمود دن جمعة موسى

Mahmud Danjuma MUSA

قسم اللغة العربية، جامعة إلورن، إلورن، نيجيريا¹

الملخص

تعتبر مدينة لافيغي، ولاية كوارا، نيجيريا، من المدن النوبية التي حظيت بكواكب برّاقة تخدم اللغة العربية في صورتين التقليديّة والعصريّة. وعلى الرّغم من وجود هؤلاء الخدّمة فقد قلّ فيها النتاج الأدبي بصفة عامة والنتاج الشعري بصفة خاصة. وأمّا بروز القرن الحادي والعشرين فقد أصبحت آفاق هذه المدينة تتّعدّد بظهور شبان يتنافسون في قرض الشعر العربي المصطبغ بصبغة أدبيّة ولغويّة تسترعي عناية الباحثين. هذا، ومن هؤلاء الشعراء الشبان سنوسي بابا بن هارون، الذي أدرك الباحث أنّ له إنتاجات شعريّة عديدة أظهر فيها ملكاته اللغويّة والشعوريّة. وقد لاحظ الباحث أنّه تميّز في كثير من أشعاره بألوان من الظواهر الأسلوبية كالتضاد والترادف في المستوى اللفظي، كما لاحظ فيها تميّزه بكثرة الحذف في المستوى التركيبي. وسينظر هذا البحث في هذا الأسلوب الذي آثره سنوسي في شعره وما وراءه من الدلالات. وقد انقسم البحث إلى خمسة مباحث حيث المبحث الأوّل محتو على نبذة يسيرة عن سيرة الشاعر الذاتية، ويشمل المبحث الثاني ماهيّة الأسلوبية، ويتكوّن المبحث الثالث من دراسة التضاد، ودرس المبحث الرابع الترادف، وأمّا المبحث

¹ djmainy2k@gmail.com/musa.md@unilorin.edu.ng phone number +2347066723469

الخامس والأخير فهو عبارة عن دراسة الحذف في شعر سنوسي. وقد انطبع هذا البحث على المنهجين التاريخي واللغوي، فالأول موظف في الأحداث التاريخية بينما الثاني والأخير في دراسة أسلوب الشاعر ومعاملته مع اللغة في تكوين النصّ الأدبي ثمّ اختتم البحث بالنتائج والتوصيات.

ABSTRACT

Lafiagi, a town in kwara state is regarded as one of the Nupe towns that are clouded with scholars of Arabic language both in classical and modern forms. With regards to this, it is noticed that there are little literary works in general, and poetry output in particular produced in the town. However, with the inception of the 21st Century, the town witnessed the emergence of youth who compete in writing and publishing Arabic poems that are characterized with literary and linguistic features, among whom is Sanusi Baba Harun. Sanusi is an Arabic poet, whose linguistic and stylistic prowess, such as: antonyms, synonymy and ellipsis are showcased in his poems. Thus, the aforementioned linguistic features have attracted attention of the researcher and shall be subjected to stylistic analysis and their semantic implications. The paper is segmented into five sub-headings: the short biography of the poet, general overview on stylistics, analysis of the antonyms, analysis of the synonyms and analysis of the ellipsis. Historic and linguistic methodologies were adopted for the study. The study was concluded with findings and recommendations.

نبذة بسيرة عن سيرة الشاعر الذاتية

هو سنوسي بابا بن هارون من مواليد مدينة لافيغي عام 1987م. وتلقّى القرآن في دهليز بيت "مارنا" بلافيغي، وأخذ مبادئ الإسلام عن أبيه وكلية محي الدين بالورن. ودرس كتب التراث عند الشيخ عبد القادر جمعة جمّودو إالورن. ولقد درس وتخرّج في كلية اللغة العربية والشريعة الإسلامية بمدينة إالورن بتقدير جيد جدًا عام 2005م. والتحق بجامعة الحكمة، إالورن، حيث درس الإسلاميات وتخرّج فيها بتقدير ممتاز عام 2009م. وبعد تخلصه من خدمة الوطن في ولاية آدماول، وظّفته الجامعة محاضرا في قسم الدراسات الإسلامية عام 2011م. وقد حداه هذا الحظ النادر إلى مواصلة الدراسة بجامعة إالورن

على مستوى ماجستير وتخرّج عام 2013م. وهو في وقت إعداد هذا البحث يُعدُّ دكتوراه في قسم الأديان، كلية الآداب بجامعة إلورن، إلورن، نيجيريا.⁽¹⁾

ماهية الأسلوبية

إنّه لمن الأهمية بمكان، الحديث عن الأسلوبية التي هي أداة الدراسة للنماذج المختارة من شعر سنوسي، كما ينبغي الفرق بينه وبين مصطلح الأسلوب. فالأسلوب مصطلح قديم الاستعمال والنشأة تتعلق بالعناصر الأدبية، فقد تمّ ظهوره واستعماله في القرن الخامس عشر⁽²⁾. وأمّا الأسلوبية كما قال السمرى نقلا عن صلاح فضل، فلا يوجد تعريف موحد لها يتمتع بالقدرة الكاملة على الإقناع⁽³⁾، خلاف ما رآه فتح الله سليمان القائل "إنّ دراسة الأسلوبية تعني دراسة النصوص سواء كانت أدبية أم غير ذلك عن طريق تحليلها لغويًا بهدف الكشف عن الأبعاد النفسية والقيم الجمالية والوصول إلى أعماق فكر الكاتب من خلال نصّه"⁽⁴⁾. وتتفق كل الاتجاهات الأسلوبية على أنّ المدخل في أية دراسة أسلوبية ينبغي أن يكون لغويًا، فالأسلوبية تعني دراسة النصّ الأدبي من منطلق لغويّ⁽⁵⁾. وفي عبارة أخرى، هي تحليل الخصائص اللغوية، خاصة في النصّ الأدبي، وتأويلها لعزل ورصد مختلف المكونات التي تعطي للنصّ الأدبي طابعه الأدبي.⁽⁶⁾

فقد تجلّى ممّا سبق أنّ الأسلوبية هي دراسة النصوص الأدبية أو غيرها بأدوات أو خصائص لغوية تكمن في النصّ المدروس، فالدارس الأسلوبي لا بد له من سلاحين يستعين بهما في تحليل النصّ: السلاح اللغوي والسلاح الأدبي الرفيعين. ومن الخصائص اللغوية التي احتفلت بها أشعار سنوسي في المستويين المعجمي والتركيبي من المستويات الأسلوبية ما يلي: التضاد والترادف والحذف. وسيتناولها الباحث واحدًا بعد آخر في السطور التالية.

التضاد في شعر سنوسي

يتناول هذا المبحث تلك المواطن التي استخدم فيها الشاعر التضاد، ولكن يجدر بنا - قبل الخوض في التحليل- ورود مفهوم التضاد عند اللغويين لغة واصطلاحًا. وهو في اللغة كلّ شيء ضادّ شيئًا ليغلبه. وله معنيان كما قال ابن السكيت: الضدّ مثل الشيء، والضدّ خلافه.⁽⁷⁾ ومثل ابن فارس القائل: إنّ من سنن

العرب في الأسماء أن يسموا المتضادين باسم واحد، نحو الجون للأسود، والجون للأبيض.⁽⁸⁾ ومثال ذلك في القرآن، كلمة "أسر"، في معناها الأشهر، وقال تعالى: **لَاهِيَةً قُلُوبِهِمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصِرُونَ**. (الأنبياء، الآية 3). بمعنى كتموا. وقال في آية أخرى: **وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأُوا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**. (يونس، الآية 54). وقال أبو عبيدة "معناه أظهروا الندامة. واحتج أبو عبيدة بقول الفرزدق:

ولمّا رأى الحجاج جرد سيفه ** أسرّ الحروري الذي كان أضمر⁽⁹⁾

ومعناه أظهر. فكل ما ذكره الباحث عن ماهية التضاد، يخصّ اللغويين القدامى أكثر، ولكن المحدثين منهم يخالفون القدامى في مصطلح التضاد فيدرسونه تحت مصطلح *Antonymy* وهو يدلّ على لفظين مختلفين أي متضادين في المعنى مثل الليل والنهار، والبياض والسواد، والحسن والقبح، والشجاعة والجبن. وهذا ما يسميه لوريتوتود بالتضاد المتدرج الذي يشير إلى أزواج من الألفاظ، مثل حسن ورديء، وصغير وكبير⁽¹⁰⁾.

والعلاقة بين التضاد والطباق يكمن في أن التضاد لا يكون إلا بوجود كلمتين المتضادتين، عندما يكون الطباق في الكلمتين المتضادتين المباشرة أو بأداة السلب. والأول في العرف البلاغي هو ما يسمى بالطباق الإيجابي والآخر هو الطباق السلبي. فهذا المفهوم من التضاد هو ما يميل إليه هذا البحث للدراسة وليس الطباق البلاغي.

هذا، وقد جمع الشاعر سنوسي بين الشبع والجوع في قوله:

أتدري فيم أفلستا ** أتعصي الله مادمتا

شبيعا كنت أم جعتا ** وفي آياته ارتبنا

فلا فردوس إن متا⁽¹¹⁾

تكرّس هذا البيت في الرّقم الرابع من ضمن القصيدة التي أسماها الشاعر "أفق". قرضها صاحبها ليزجر الرّاقد الملمي المنغمس في حبّ الدنيا. ويلمس القارئ فيها التضاد بين اللفظين (الشّبع والجوع). والجوع في لغة العرب خلو المعدة من الطعام،⁽¹²⁾ بينما الشبع معناه امتلاء من أكل وغيره.⁽¹³⁾ وبهذا ثبت أنّ الشاعر

موقّق في توظيف الكلمتين المتضادتين لأنّ الشيع في العرف العربي ضده الجوع وبالعكس. إلا أنّ الأولى (شبيعا) أتت في النّصّ صفة اسمية والأخرى أتت على زنة الفعل الماضي (جعنا). والمتلقّي يشعر بأن صفة الشيع مستقرّة وثابتة في المخاطب لدلالة الاسم على الثبوت، بينما يشعر بأن المجاعة في المخاطب أمر عرضي غير مستقرّ لدلالة الفعل على المواصلة حيناً والمقاطعة حيناً آخر. وفي ذلك دلالة على أنّ نعمة الله في المخاطب أكثر استقراراً من نعمته فيه، ومع ذلك لا يحمد الله على ما آتاه من النعم. وهذا الذي حدا بالشاعر ليزجره مستعملاً الشعر المستميل الآذان والمسترعي الجنان. فلقد أثر هذا الأسلوب تأثيراً جمالياً في نفس المتلقّي لكشفه الواضح عن المعنى المراد. وقد جمع الشّاعر – في نفس المخطوطة أيضاً – بين اللّفظين الذنب والتّوبة في البيت السادس قائلاً:

فما صمت ولا قمتا** ولا أخلصت إن قلنا
وإن أذنبت لا تبتا** وعفو الله ما نلتا
فلا فردوس إن متا⁽¹⁴⁾

والذنب في لغة العرب، الإثم والجرم والمعصية وجمعه ذنوب، وذنوبات جمع الجمع.⁽¹⁵⁾ بينما التّوبة تعني الرجوع من الذنب، وفي الحديث: النّدم توبة والتّوب مثله. وقال الأخفش: التّوب مثل توبة ومثل عزمة وعزم.⁽¹⁶⁾ وفي القرآن قوله تعالى: غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ. (غافر، الآية 3).

وجدير بالذكر أن لكلمة التّوبة في المعجم القرآني معنى موسّعاً حيث يقول المولى القدير: إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا. (النساء، الآية 17). إذن، فالتّوبة تعني الرجوع عن المعصية المرتكبة عن خطأ أو جهالة. وأما 'الذنب' فهو ارتكاب أمر غير مشروع سواء عن جهالة أم لا. ويفهم من النصّ أنّ الشاعر يخاطب متلقّيه أنه يرتكب المعاصي عمداً، ويتجرأ على الله بعدم التّوبة والإنابة. إلى جانب ذلك من نصيحة الشّاعر لمتلقّيه بملازمة التّوبة سواء ارتكب الذنب عمداً أم بجهالة.

وجمع - الشّاعر بين السّرّ والعلن في موضع آخر من القصيدة الموسومة بـ'صاعقة الوشاة' وأبياتها تسعة عشر، حيث يقول:

واعبد إلهك في سرّ وفي علن ** ينجيك من شرّهم في كلّ أوقات⁽¹⁷⁾

ورد هذان اللفظان المتضادان في البيت الثالث من أبيات القصيدة المذكورة. والسّرّ في معناه المعجمي هو ما يُكتم ويُخفى، والأصل من كل شئ أكرمه وخالصه وما يسره المرء في نفسه من الأمور التي عزم عليها.⁽¹⁸⁾ والعلن إظهار الشئ والإشارة إليه.⁽¹⁹⁾

ففي القرآن قوله تعالى: يَعْلمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ. (التغابن، الآية 4). ويدل هذا على أنّ الشاعر موفق في الجمع بين اللفظين المتضادين، إلا أنه توجد في القرآن مواضع أخرى تتماشى كلمة 'الجهر' مع كلمة 'السّر' في التضاد. ومثال ذلك في قوله تعالى: وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى. (طه الآية 7). وفي قوله: وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ آجِرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ. (الملك، الآية 13). وأما المعنى العميق للبيت فهو أنّ الشاعر أراد باللفظين أيّ حال، أي ينصح مخاطبه بعبادة الله في كلّ وقت وحين. ومن الطرافة الأسلوبية كون اللفظان منكرين، فيأخذان بلبّ المتلقي إلى شؤون المخاطب الداخلية والخارجية مع ربه.

وعلى الرّغم من هذا الجهد المضني يبدو أنّ الشاعر ارتكب خطأ نحويًا في عدم جزم جواب الشرط في عجز البيت حيث يقول: ينجيك من شرّهم في كلّ أوقات. والصّواب (ينجك)، ولكن الوزن سينكسر، ولعلّ الشاعر مضطرّ إلى أن يبقى الفعل غير مجزوم ليستقيم الوزن.

وفي القصيدة الموسومة بأنّ ذات ظلامه جمع الشاعر بين الأمس واليوم' في البيت الثالث عشر منها حيث يقول:

بالأمس كانوا موسرين أعزة ** واليوم باتوا من ذوي الإجمام⁽²⁰⁾.

والأمس في عرف العرب ظرف من ظروف الزمان مبنيّ على الكسر، يُنكر ويُعرف، وهو اليوم قبل اليوم الحاضر⁽²¹⁾. بينما كلمة 'اليوم' تعني الوقت الحاضر أو مقدار دوران الأرض حول محورها، ومدته أربع وعشرون ساعة⁽²²⁾.

ويفهم من تعريف ابن منظور أن كلمة الأمس تعني اليوم الماضي القريب. والشاعر هنا أطلقه على الأيام الماضية البعيدة تأثيرا بالاستعمال القرآني دلالة على الأيام الماضية البعيدة في قوله جل ثناؤه: فَجَعَلْتَهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَعْنِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ. (يونس، الآية 24). أي في الأيام الماضية. والمعروف نحويا أن "أمس" إذا أتت مجردة من التنكير والألف واللام بقيت مبنية. ويقول النحويون: إنَّ أَمْسَ إِذَا تُكْرِمَتْ وَعُرِفَتْ إِذَا عُرِفَتْ تُكْرِمُ (23). ولقد أتى به الشاعر في النص معرفًا لفظًا ومنكرًا معنى لأنَّ الأيام المقصودة غير محدَّدة، ولأنَّه لا يعني الأمس القريب فحسب، بل يعني الأيام الماضية التي من ضمنها الأمس القريب. وهو يحمل في طياته دلالة العموم. والسِّيَاق الحالي يسهم في إيضاح المعنى المقصود أكثر من مساهمة السِّيَاق اللغوي في هذا الموقف. وأما المقصود بكلمة 'اليوم' هنا دلالتها الحاضر. وذلك إذا لم تدلَّ كلمة اليوم على المعنى المجازي الذي يدلُّ على الوقت ما قبل الليل كما في قولهم: اليوم واللييلة. ومن هنا ينطلق الباحث إلى المبحث الثاني من هذه الورقة، وهو الترادف.

الترادف في شعر سنوسي

ليس الهدف هنا ورود اختلافات العلماء قديما وحديثا عما يمسّ قضية الترادف، والحقيقة في ذلك أن الترادف كائن في جميع اللغات الحيّة. ولكنها دقيقة جدًا، ولا ينتبه إليها إلا المتخصّصون. لأنَّ أكثر الكلمات الواردة بصفة الترادف، إنّما هي شبيهات ومتقاربات له. (24) وعلى الرّغم من هذا، فلقد جمع الشاعر سنوسي في أشعاره بين أنواع من الألفاظ المترادفة وكان فيه بين الكمال والنقصان. يقول جامعا بين الداء والسقم في فصيدته الموسومة بـ'كَلِيَّةٍ مَحْيِي الدَّيْنِ':

وأزلت حجب الجهل عن أجفاننا ** وشفيت كلّ الداء والأسقام (25)

وقع هذا البيت في الرقم السّابع من القصيدة التي مدح بها الشاعر منبهه العلمي. والداء في اللغة المرض ظاهرا أو باطنا (26). والسقم المرض. (27) فالسين والقاف والميم أصل واحد وهو يقال سُقِمَ وسَقِمَ وسَقَام ثلاث لغات. (28) فهما لفظان مترادفان تمام الترادف. وعندما يقرأ القارئ هذا النص، فقد لا يرى الجدوى في الإتيان باللفظين المترادفين تمام الترادف، حيث يرى أنّ الشاعر مضطرٌّ إلى الجمع بينهما مراعاة للنظم، في حين يتمتع القارئ المتذوّق بحسن الانتقاء وتأکید المقصود وإيثاره لإزالة الشكّ عن فكر المتلقّي أنّ الشاعر وظّف الترادف الكامل تأكيدا لاستهجان الجهل بوصفه مرضا واستحسان إزالته، كما وظّفه أيضا

لاستحسان الدور الذي أدته الكليّة في تكوين شخصيته، وإعداده لتحديات المستقبل المتمثلة في إزالة الجهل الذي كان يغطيه، وتصقيل عقله الذي كان مشوبا باللوثة، وتوجيه عنايته نحو الصراط المستقيم. ومما يُسعف في إزالة الشك، تكرار اللفظ بما يرادفه.

ظاهرة الحذف في شعر سنوسي

إنه من أساليب سنوسي في قرص أشعاره توظيف ظاهرة الحذف، لكنه كثيرا ما يميل فيه إلى حذف المبتدأ، والفاعل والمفعول. وجدير بالباحث النظرة العلمية إلى هذه الظاهرة في الدرس اللغوي، ومنها أنّ سيبويه عدّ الحذف من الأعراس في قوله " هذا باب ما يكون في اللفظ من الأعراس، اعلم أنّهم ممّا يحذفون الكلم، وإن كان أصله في الكلام غير ذلك"⁽²⁹⁾. ومعنى هذا المقول المنقول هو أنّ الحذف ليس أصلا في الكلام بل فرع عرضي.

هذا، وليس سيبويه فريدا في تخصيص باب مستقلّ لظاهرة الحذف، فإنّ ابن جني خصّ بابا مستقلا لظاهرة الحذف في كتابه وأسماء باب شجاعة العرب.⁽³⁰⁾ ذلك الباب الذي عرض فيه جملة من الأساليب التي شاعت في كلام العرب وجرت مجرى الأمثال والأقوال المأثورة والعبارات الشائعة، وعدّها من الألوان الأسلوبية. وكان يريد بهذا العنوان التباهي بقدرة الفصحاء من العرب على التصرف بلغتهم كيف شاؤوا على وجوه طريفة تخالف الوجوه التقليدية في التعبير. والحذف عنده قد يكون حذف جملة أو مفرد أو حرف (حرف مبني) أو حركة، لكنّه اشترط فيه وجود دليل يدلّ عليه بقوله: "وليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه، وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته."⁽³¹⁾

هذا، وإن كان ابن جني قد يراه شجاعة فإنّ السكاكي يراه وسطية واقتصادا وأسماء متعارف الأوساط. والحذف عنده عبارة عن استجابة اللغة للعرب ومطابقتها إياهم في الوفاء بما يريدون التعبير عنه، من معان بصيغة فيها من الاقتصاد في العبارة، وتوفير المجهود الكلامي، مما يقتضيه تردد الاستخدام اليومي حيناً، أو اعتماد العبارة الموحية واللفظ الوجيز حيناً آخر.⁽³²⁾

ويلاحظ الباحث أنّ الذي أطلق عليه سيبويه الأعراس وأطلق عليه ابن جني الشجاعة، وأطلق عليه السكاكي الوسطية والاقتصاد، إنّما هو مخالفة العرب للقاعدة الأصلية واللجوء إلى قاعدة فرعية

مجازية، وليس ما قد يتوهمه القارئ من ارتكاب الخطأ من قبل الشاعر إمّا لجهله به أو لضرورة أصابته. وأمّا ما يشمّ من رؤية السّكّائي، فهو تحديد لدلالة الحذف – عند البلاعيين - المتمثّل في الإيجاز، أي عدم الإطناب في الكلام.

هذا، فيتناول هذا الجانب من البحث الغرض الدلالي وراء هذا الأسلوب. ويوجد ملمح ذلك، في فصيدته الموسومة بـ 'مع كَلِيّة محيي الدّين'

بطل يكرّ بسهمه يدعو إلى ** إثبات حق لا إلى الأثام⁽³³⁾

هذا البيت من ضمن أبيات قصيدة الشاعر المقولة عن كَلِيّة محيي الدّين المذكورة لمؤسّسها الشيخ عبد الله جبريل سحبان، وكان الشّاعر فيها يمدح أساتذته، ويعترف بفضيلهم، ويثني عليهم لحسن معاملتهم معه والطلّبة جميعاً. ويجد القارئ في ذلك البيت أنّ المبتدأ (هو) محذوف في صدره، وذلك يتجلّى في الأوصاف التي أتى بها الشّاعر في وصف المدير أنّه بطل يكرّ بسهمه... إلى آخر ما ورد. والحذف هنا يرمز إلى الدلالة أنّ الشّاعر مغمور بشرف الممدوح وعظمته وعلوّ مكانته بين سائر شيوخ الكلية وأساتذتها، لذلك استنقل ذكره تعظيماً لجلالته، وتفخيماً لشأنه المحترم، وتكريماً لمكانته المرموقة.

وقوله في نفس القصيدة:

وعميدنا عبد الصبور مكرّم ** ومنعم بعـجائب الإلهام
لسن فصيح عابد متواضع ** ومزّين بلطائف الأحكام
وأبو الحبيب مع الحبيبة منهم ** أستاذ تاج الدين ذو الأفهام
علّم الفرائض بعد موت رجالها ** فطن لبيب كاشف الإبهام

يُرى في البيت الثّاني والرّابع حيث حذف الشاعر المبتدأ عند محاولته مدح أساتذته المذكورين في الأبيات، وقد تمّ حذف المبتدأ في النّصّ لدلالته على شدّة وضوح الممدوحين لدى المتلقّي إذ أنّ البيتين اللذين تمّ منهما حذف المبتدأ تاليان مباشرة للبيتين اللذين تمّ ذكره فيهما، الأمر الذي ساعد في سرعة فهم المتلقّي للنّصّ. ومنه قوله:

صار التبرج سنة لنساءها ** أمر عجيب بل وشر نظام⁽³⁴⁾

حذف الشّاعر في هذا البيت المبتدأ في قوله "أمر عجيب"، كما يُرى في عجزه، لأنّ صدر البيت مكتمل المعنى، بينما عجز البيت محتو على جملة أخرى جديدة تحتاج إلى مقوّمات الجملة من مبتدأ وخبر وامتّماتها. والمحذوف هو التّبرّج، أي: التّبرّج أمر عجيب، والدّلالة الكامنة وراء حذف المبتدأ في مثل هذا الموقف التحقير والكره، بمعنى أنّ الشاعر حقّر التّبرّج وما يضاويه من الفحش والبغي وسائر المنكرات لما فيه من الفساد والخطورة المجتمعيّة.

ويوجد هذا الأنموذج أيضا في شعره حيث قوله:

قوم كريم أبوهم حين ننعتمهم ** طابوا فصاروا ذوي الآفاق في الرتب

قوم طبيعتهم تقوى الإله وإخ ** لاص المحبة للمختار ذي الأرب⁽³⁵⁾

ذاتك البيتان وردا في قصيدة سمّاها الشّاعر بـ 'المرأة المثالية' مدح بها الشاعر السيّدة رقيّة وهي معلّمة الأطفال مبادئ الإسلام، ومدرستها موجودة في بيت مَاجيسِن، بأديّتا، إلورِن. نسج الشّاعر القصيدة اعترافا بجميل الممدوحة، ومطلعها:

ماذا أقول وليس الشّعر أرفأ بي ** بم أرحب أمّ العلم والأدب؟⁽³⁶⁾

والقصيدة متألّفة من ستّة وعشرين بيتا، وأمّا البيتان اللذان يتناولهما الباحث بالدراسة ففي الرّقمين السّابع والثّامن. ويلاحظ أنّ الشّاعر لم يذكر في البيتين المبتدأ البتّة وأتى بصفة تشير إليه، ويكون الاحتمال كالآتي: 'قومها قوم كريم' أو 'نسبها قوم كريم'، أو 'شعبها قوم كريم'. والأوّل أقرب الاحتمالات إلى الصّواب. وهذا الحذف يدلّ دلالة واضحة على قصد البيان بعد الإبهام لأنّ الشاعر نفسه لم يذكر المبتدأ، ولم يرمز إليه بسياق لغوي حتّى يسهل للمتلقّي إدراكه، ولكنّ السّياق الموقفى يهدي إلى ذلك، فبه زال الإبهام وظلّ الغرض مفهوما. وقد لاحظ الباحثان في عجز البيت خطأ لغويّا شائعا حيث جرّد الشّاعر فعل "رحّب" من حرف "الباء" الذي يتعدّى به: فالعرب لا تقول مرحباك بل تقول مرحبا بك أو أرحّب بك، ولا تقول أرحّبك".

وقد حذف الشاعر المفاعيل في قصيدته التي أسماها 'أفّق' حيث قوله:

فما صمت ولا قمتا ** ولا أخلصت إن قلنا

وإن أذنبت لا تبتنا ** وفي آياته ارتبتنا

يتجلى للقارئ خلال نظرتة في هذا البيت الشعري نظرة فاحصة، حيث يجد المفاعيل فيها محذوفة لدلالة القرائن عليها. لكن تلك القرائن التي دلت على حذفها مختلفة، منها: قرينة لفظية ومنها حالية. ففي السطر الأول حيث قال: فما صُمت، فلا حاجة تستوجب ذكر المفعول لأنه مفهوم من فعله المذكور، أي: فما صمت صومًا، وكذلك في قوله: ولا قمت، والمفعول أيضا محذوف، وأما الذي دل على العلم به هو السياق المفهوم من العبارة السابقة، ألا وهو الليل، لأن الصيام غالبا ما يتبع بذكر القيام في السنة الناس وأقلامهم، فيقولون القيام والصيام. وبالعكس. وكذلك يفهم المفعول المحذوف في قوله: ولا أخلصت، بقرينة لفظية وهي قوله: إن قلت، أي: ولا أخلصت القول إن قلت".

وأما السطر الثاني، ففيه إعلان حذف مفعولاهما لكثرة تداولهما ولدلالة فعليهما على معنهما، ومن ذلك قوله: وإن أذنبت لا تُبنا. فلا داعي إلى ذكر مفعوليهما فيقول: وإن أذنبت ذنبا، لا تُبنت توبة. وإنما يُذكر مفعولاهما للتوكيد. نحو قوله تعالى: وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا. (الفرقان، الآية 71). فدلالة حذف المفاعيل في هذا البيت إنما تم لغرض الإيجاز، لأن الشاعر لا يرى الجدوي في ذكر ما سار عرفانه مسير الضوء في الآفاق.

الخاتمة

يتجلى مما سبق من الدراسة أنّ الشاعر سنوسي شاعر متضلع في اللغة العربية لعكوفه على مفرداتها ومن أساليبه الجمع بين مترادفاتهما ومتضاداتها بشكل جيد يثير العواطف ويمهّج المشاعر ويبعث في نفس المتلقي الجمال الفني والأسلوبي والدلالي. كما يتجلى في أسلوبه أنّ الجمع بين الألفاظ المترادفة يوحى بدلالة حسن الانتقاء والتوكيد والإيثار والاستحسان والاستهجان. كما يوحى الجمع بين الألفاظ المتضادة بدلالة الإيجاب والسلب أو الأخذ والرفض في وقت واحد، كما تنمّ الزيادة أو النقصان في معنى أحد اللفظين المتضادين عن التوسع الدلالي. ويتبين في توظيف سنوسي لظاهرة الحذف في شعره دلالة غير مألوفة هي التحقير خاصة حينما يرفض التبرّج، بالإضافة إلى الدلالات التي تجلّت في شعره من الإيجاز والإيضاح بعد الإبهام، وشدة العلم بالمحذوف وكثرة تداوله، فلا شك أنّ أسلوب الشاعر سنوسي معتدل

بين اللفظ ودلالته في المستوى اللفظي، وأتته من الشعراء الذين آثروا الحذف على الذكر في المستوى التركيبي. هذا ويوصي الباحث الدارسين في الحقلين اللغوي والأدبي بدراسة أشعار سنوسي دراسة فاحصة لإبراز ما فيها من اللآلي اللغوية والدرر الأسلوبية الفنيّة التي لا تسع طبيعة هذا البحث إخراجها.

الهوامش والمراجع

- 1- مقابلة شفهيّة بين الباحث والشاعر، 2016/7/2م.
- 2- أحمد درويش، (د: ت)، دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، ص17، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.
- 3- السمري، إبراهيم عبد العزيز، (2011م)، اتجاهات النّقد الأدبي في القرن العشرين، ص247، القاهرة، مدينة النصر، دار الأفاق العربيّة.
- 4- فتح الله احمد سليمان، (2004م)، الأسلوبية: مدخل نظري ودراسة تطبيقية، ص35، القاهرة، مكتبة الآداب.
- 5- صلاح فضل، (1998م)، علم الأسلوب مبادؤه وإجراءاته، ط1، ص46، القاهرة: دار الشروق.
- 6- Buffard Moret (Brigitte): *Introduction a la linguistique*. Nathan Universitie-Paris- 2000.
- 7- السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، (د:ت)، المزهرة في علوم اللغة وأنواعها، ص387، ط1، تح: محمد أحمد جاد المولى بك، ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد الجاوي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية.
- 8- ابن فارس، أحمد بن زكريا أبو الحسين، (1979م)، مقاييس اللغة، ص98، تح: عبد السلام محمّد هارون، بيروت، دار الفكر.
- 9- أبو الطيّب، عبد الواحد بن علي اللغوي، (1963م)، الأضداد في كلام العرب، تح: عزة حسن، دمشق، مطبوعات المجمع العلمي العربي.
- 10- تركي، فايز صبيح عبد السلام، (الدكتور)، (2010م)، مستويات التحليل اللغوي، رؤية منهجية في شرح ثعلب على ديوان زهير، ص298، لبنان، دار الكتب العلميّة.
- 11- هارون، بابا سنوسي، (2009م)، أفق، مخطوطة، في مكتبة الشاعر.
- 12- مجمع اللغة العربية، (1973م)، المعجم الوسيط، ط2، القاهرة، باب الجيم.
- 13- ابن فارس، المرجع السابق، كتاب الشين.
- 14- هارون، بابا سنوسي، (2009م)، المرجع السابق.

- 15- ابن منظور، جمال الدّين أبو الفضل محمّد بن مكرم، (1979م)، لسان العرب، تحقيق مجموعة من الباحثين، القاهرة، دار المعارف. باب الباء فصل النّال.
- 16- المرجع نفسه، باب الباء فصل التاء.
- 17- هارون، بابا سنوسي، (2008م)، صاعقة الوشاة، مخطوطة، في مكتبة الشاعر.
- 18- مجمع اللّغة العربيّة، المعجم الوسيط، (1973م)، ط2، القاهرة، باب السين.
- 19- ابن فارس، المرجع السابق، كتاب العين.
- 20- هارون، بابا سنوسي، (2007م)، المرأة المثاليّة، مخطوطة في مكتبة الشّاعر.
- 21- ابن منظور، المرجع السابق، باب السين فصل الهمزة.
- 22- مجمع اللّغة العربيّة، المعجم الوسيط، (1973م) ط2، القاهرة، باب الياء.
- 23- أحمد، مختار عمر، (2006م)، دراسات لغوية في القرآن الكريم وقراءاته، القاهرة، عالم الكتب.
- 24- أحمد، مختار عمر، (1997م)، علم الدّلالة، ص220، القاهرة: دار الكتب.
- 25- هارون، بابا سنوسي، (2007م)، المرجع السابق، مخطوطة في مكتبة الشّاعر.
- 26- مجمع اللّغة العربيّة، (1973م) المعجم الوسيط، ط2، القاهرة، باب الدال.
- 27- الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، (2005م) القاموس المحيط، ط8، تح: محمد نعيم العرقسوسي، بيروت - لبنان، مؤسسة الرسالة. باب الميم فصل السين.
- 28- ابن فارس، المرجع السابق، كتاب السين.
- 29- أيمن، محمود موسى، (2014م)، التوجيه الدلالي للظاهرة النحوية: دراسة في شعر ابن زيدون، ص43، القاهرة، عالم الكتب.
- 30- القزويني، الخطيب، (2007م)، الإيضاح في علوم البلاغة، تح: عبد الحميد الهنداوي، ص176، القاهرة مؤسسة المختار للنشر والتوزيع.
- 31- ابن جني، أبو الفتح عثمان، (1952م)، الخصائص، ص36، ج2، ط1، تح: محمد علي النجار، القاهرة، دار الكتب المصرية.
- 32- القزويني، الخطيب، المرجع السابق، ص176.
- 33- هارون، بابا سنوسي، (2007م)، مع كلية محي الدّين، مخطوطة في مكتبة الشاعر.
- 34- هارون، بابا سنوسي، (2009م)، 'أنت ذات ظلامه، مخطوطة في مكتبة الشّاعر.
- 35- هارون، بابا سنوسي، (2007م)، بكاء حزين، مخطوطة، في مكتبة الشاعر.
- 36- هارون، بابا سنوسي، المرجع نفسه، بائية.
- 37- هارون، بابا سنوسي، (2009م)، المرجع السابق،

رسالة الإمام المغيلي إلى سلطان كنو في تحقيق الأمن والسلام "دراسة أدبية"

إعداد:

د: شيخ عثمان أحمد

محاضر بقسم اللغة العربية، جامعة بايرو، كنو - نيجيريا¹

الملخص

يواجه العالم - بأجمعه - أخطارا عديدة، منها ما يتعلق بالدين والسياسة، والفكر، وقد أدى هذا إلى وجود طوائف متنوعة، وانحرافات مختلفة، حتى في الدين الإسلامي نفسه، كل يدعي بسلامة الفكر والعقيدة، ولا يقبل بل لا يرضى برأي الغير مهما كانت الحجة والبرهان، ولعل مما أدى إلى هذا هو فشو الجهل المختلط بين أمية الفرد، وفتوى غير الخبراء في المعاملات، والتلوث السمعي والبصري، والتلاعب بمشاعر الناس، والانتماء الطائفي، وضعف الهوية، فأدى ذلك إلى وجود وانتشار ظاهرة الإرهاب والتطرف والانحراف الفكري والخلقي، وبالتالي أحاط بالعالم اليوم ما تعانیه من العذاب والتحلف - وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون - وليست دولة نيجيريا بمنعزلة عن العالم، ولا هي في أمن وسلام. - وما أمر بؤكو حرام عنكم ببعيد - وبالأخص دولة نيجيريا - شبيهة بقرية كانت ءامنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون. ولو أننا أخذنا بالمبادئ الإسلامية التي ذكرها السابقون الأولون - منهم الإمام المغيلي في رسالته - لما كنا في هذه الورطة. ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح أولها. تهدف هذه الورقة إلى إبراز جمالية ألفاظ هذه الرسالة وتراكيبها وأساليبها

¹ suahmad.ara@buk.edu.ng GSM: +2348027324088

بغية ترسيخ الأمن وتحقيق السلام، وخلق التوازن بين الراعي والرعية، متخذة رسالة الإمام المغيلي نموذجا لدراساتها. وقد وضعت خطتها على النحو التالي: المقدمة، نبذة عن حياة المغيلي، ثم دراسة أدبية لمضمون الرسالة من حيث ألفاظها وجملها وتراكيبها وأساليبها وانسجام الموسيقى في فواصلها، وأخيرا الخاتمة والمراجع والهوامش.

ABSTRACT

It is no doubt that, the world is facing so many problems today, these include problems of Al-aqida Al-islamiyya, the way of thinking and political, these problems are spreading as a result of ignorant among the illiterate people, wrong fatwa, from the unexpert people in day to day activities; this lead and spread of terrorism in the world. What is happen in Nigeria especially the act of Boko Haram is not far away to us. If we adhere and fallow the ulama'u's advices especially what stated in al-Mugili letter to sultan of Kano, we could not find ourselves in these problems. This paper is intending to study and bring out the aestheticism, structure and concentration of the sentences of this letter. The prime work of this paper include introduction, biography of Al-Mugily, and critical analysis on what this letter contain.

المقدمة

كانت مدينة (كنو) إحدى المدن التي تقع في شمال نيجيريا في غرب إفريقيا، وكانت في التاريخ القديم والحديث أوسع جميع مدن شمال نيجيريا، وأرقاها وأكبرها وأغناها، ويرجع تأسيسها إلى القرن العاشر الميلادي⁽¹⁾. وكانت تقع على طريق القوافل المجتازة من المغرب إلى الشرق، مما أتاح لها الفرصة أن ترحب بالزائرين من العلماء، والوافدين من التجار، والقاصدين إلى بيت الله الحرام، وهي لم تزل تؤدي دورها الملموس تجاه الإسلام واللغة العربية. من خلال النشاطات الإسلامية، والمعاهد العلمية والجامعات والكليات.

ولعل مكانة هذه المدينة العلمي، وتمسكها بالمبادئ الإسلامية تمسكا شديدا من العوامل التي شجعت بعض العلماء المشهورين بالصلاح، المهتمين بشؤون المسلمين، زيارة هذه المدينة، حتى استوطنوها زمنا. ففي عهد محمد زُمفًا بن يعقوب (1463م/1499م) زار الإمام المغيلي هذه المدينة، ومكث فيها مدة للقضاء والإمامة.⁽²⁾ كما زارها الحافظ جلال الدين السيوطي، وجرى بينه وبين الإمام المغيلي مناظرة حول تعليم علم المنطق، فالسيوطي يحرم ذلك، ويرى إن المنطق من العلوم الدخيلة، بينما كان المغيلي من أنصار هذا العلم. فلما سمع إنكار السيوطي على ذلك كتب إليه قصيدته، والتي كان مطلعها:

سمعت يأمر ما سمعت بمثله
وكل حديث حكمه حكم أصله

فرد عليه السيوطي بقوله:

حمدت إله العرش شكرا لفضله
عجبت لنظم ما سمعت بمثله
وأهدى صلاة للنبي وأهله
أتاني عن حبر أقر بفضله⁽³⁾

وقد ذكر المؤرخون سبب زيارة الإمام المغيلي إلى مدينة كنو. فالمغيلي كان شديد الغيرة على الإسلام والمسلمين، ويخص بمن يتمسك بالقرآن الكريم وتعاليمه بحبه الخاص، "... وحاصله أن المغيلي لما سمع بصيت الإسلام في السودان - وهي في القرون الوسطى تشمل بلاد غرب إفريقيا - وشدة تمسك أهلها بالقرآن، ومحبة سلاطينها للعلم والعلماء، اتجه إليها بعد حادثة تمطيطة ليتمكن من التأثير على تلك الناحية لينشر فيها الدين والعلم".⁽⁴⁾ يقول المغيلي:

"كان هذا البطل يقوم برحلات في أنحاء وطنه، ويلقى المحاضرات العامة منتقدا
الأحوال السيئة التي يجد المسلمون أنفسهم فيها. فلما قوى عضده هاجم اليهود
وأعاونهم، ودمر كثيرا من أبنيتهم، جاء في القرن التاسع إلى ما يعرف اليوم بنيجيريا
عامة، وكشنا وكنو خاصة".⁽⁵⁾

ولاشك إن ما ستورده هذه المقالة من محتويات هذه الرسالة سيؤكد رسوخ الإمام المغيلي في العلوم الشرعية والعربية، وغيخته على الإسلام.

نبذة وجيزة عن تاريخ الإمام المغيلي:

هو الشيخ محمد بن عبدالكريم بن محمد المغيلي التلمساني، ولد في تلمسان التي تقع على أكبر الظن في الجزائر الحالية⁽⁶⁾، وأنه "خاتمة المحققين، وأحد أذكىاء العلم الذين أوتوا نصيبا في العلم والتقدم في الفهم"⁽⁷⁾ وهو منسوب إلى قبيلة مغيلة التي هي إحدى قبائل البربر في المغرب. "وكان فحلا من فحول الدين الإسلامي في القرن التاسع الهجري، وهو من شيوخ المغرب، قام بحركة دينية لإنقاذ المسلمين من الاستغلال الاقتصادي والسياسي بأيدي اليهود الذين استطاعوا أن يجدوا بعض العلماء المسلمين – أو الذين يدعون أنهم مسلمون – يتعاونون معهم في الاثم والعدوان."⁽⁸⁾

مشايخه ومعاصروه:

أخذ المغيلي عن أعلام كثيرين من علماء المغرب، منهم: الشيخ عبدالرحمن الثعالبي علامة المغرب الشهير، ويحيى بن بدير. وعاصر شيوخا عظاما، منهم محمد بن يوسف السنوسي، وجرى بينهما كتابات، كما عاصر الشيخ الحافظ التنسي، والشيخ الرصاع، والحافظ السيوطي.⁽⁹⁾

ومن مؤلفاته: البدر المنير في علوم التفسير، ومفتاح النظر في علم الأثر، ومصباح الأرواح في أصول الفلاح، ومختصر تلخيص المفتاح وشرحه، وشرح جمل الخونجي في المنطق، ومنح الوهاب، المشهور ب(رجز المغيلي في المنطق)، وتنبيه الغافلين عن مكر الملبسين بدعوى مقامات العارفين، وله قصيدة ميمية على وزن البردة في المدح النبي صلى الله عليه وسلم.⁽¹⁰⁾

أما غيرة المغيلي، فقد ذكر المؤرخون أن اليهود تسللوا إلى قرية من قرى المسلمين، حتى استطاعوا بناء كنيسة – وإن خالفه بعض العلماء – وبالفعل هدمها. توفي الإمام المغيلي عام (909هـ).⁽¹¹⁾

محتويات الرسالة:

توطئة:

وردت هذه الرسالة في كتب علماء نيجيريا عند تناولهم القضايا المثيرة سواء تتعلق بالأمور الشرعية أو بالإدارة السياسية، أو بتاريخ الأدب العربي النيجيري، فسجلها عبدالله بن فودي – علامة السودان – في

كتابه "تنبيه الإخوان" و"ضياء السياسات وفتاوى النوازل في فروع الدين من المسائل، كما أوردها الشيخ آدم عبدالله الإلوري في كتابه "الإمام المغيلي وأثاره في الحكومة الإسلامية في القرون الوسطى في نيجيريا".

تضمنت هذه الرسالة أحكاماً فقهية على مذهب الإمام مالك رضي الله عنه، وقد خصت مضامنها على الحكام والسلطين والقضاة فيما يجوز لهم في ردع الناس عن الحرام، وقد بدأ المغيلي يذكر اسمه، واسم من يرسل إليه الرسالة، وعن سبب كتابتها. "من عبدالله محمد بن عبدالكريم التلمساني إلى أبي عبدالله محمد بن يعقوب سلطان كنو". فإنك سألتني أن أكتب لك جملة مختصرة فيما يجوز للحكام في ردع الناس عن الحرام".⁽¹²⁾

وقد امتازت هذه الرسالة بإيجاز من غير خلل، في ذكر مقاصد الشريعة، وطرق ردع المفاصد الدينية والدنيوية بالمقامع الشرعية، فذكر المفاصد حوالي خمس عشرة مفسدة، أو بإزاء كل واحدة منهن ما يناسبها من الحكم أو العقوبة.

بدأ الإمام المغيلي بذكر أكبر مفسدة وهي الإشراف بالله حيث طلب سلطان كنو بمنع أهل بلاده عن جميع أنواع الشرك، وشرب الخمر، وكشف العورة وغير ذلك من الكبائر المحرمة. فيقول في هذا الصدد: "وامنع جميع أهل بلادك عن جميع الشرك، وكشف العورة، وشرب الخمر، وأكل الميتة والدم، وغير ذلك من المحرمات، وامنع كفار بلادك من أن يظهروا ذلك كله بين المسلمين في الأسواق والمنازل من المحلات، فإن لم يتركوا إظهار شرك أو شرب خمر أو فطروا في شهر رمضان، أو زنا أو غير ذلك من المنكرات وأنواع ضلالهم، لكان ذلك ذريعة لأن يفعل مثل فعلهم ضعفة العقل من العامة والنسوان والصبيان، لاسيما والغالب على أهل تلك البلاد الجهل والهوى، وأصلهم كان كذلك، وقد قال العلماء: الرجوع إلى الأصل يكون بأدنى سبب".⁽¹³⁾

ثم أردف الإمام على ذلك بذكر الحكم والعقوبة لمن يخالف ذلك الحكم، لكن حذار حذار – السلطين والحكام – أن تفعل بالمفسد ما هو أشد في ردعه، إلا إذا كان لا يرجع بغيره وقد أشار الإمام المغيلي على ذلك عند قوله: "..... وتوَعَّدُ بالعقوبة من فعله، ثم بعد ذلك عاقبُ بأقرب شيء يردعه ويردع مثله، وإن لم يكن ردعه ومنعه من ذلك إلا بقطع يده، أو رجله، أو نفيه، أو قتله، أو غير ذلك من الروادع الشرعية،

فأفعله لأنه ظالم والظالم أحق من يحمل عليه". (14) ولاشك أن الظلم الذي أحاط بالدنيا ويمارسه العالم من الأسباب التي أدت إلى انتشار الفوضى بين الناس، وظهور الطوائف والأحزاب المضللة، والانحراف الفكري والخلقي.

ومن محتويات هذه الرسالة - أيضا - وضع الميزان السوي بين الراعي والرعية، وبين القوي والضعيف، لأنهم أمام سياسة الشرع وإصدار الأحكام لا فرق بينهم، فهذا يؤدي إلى بناء المجتمع الصالح، وبه تتحقق العدالة وينتشر الأمن والسلام، يقول الإمام المغيلي: "... واعلم أن الناس في حكم الله ورسوله سواء، فلا تخرج من ذلك عالما ولا عابدا ولا شريفا، ولا أميرا، وأقم حق الله على جميع عباد الله بالتقوى لا بالهوى". (15)

وأكد في آخر الرسالة ما هو أخطر على الملوك والسلطين، فهناهم عن صفتين خبيثتين، اعتاد الملوك على فعلها، وهما: تغيير حكم الله تعالى هوى وظلما، وأخذ الرشوة. "... فلا تنس أن من غير حكم الله فقد كفر، ومن تغيير حكم الله ودينه أن يكون الظالم قاضيا"، "... فإن كان لا بد من أن تجعل بعض الظالمين حاكما، فلا تجعله باسم القاضي، فإن القاضي من صفات الرسول صلى الله عليه وسلم لا يوصف به إلا عالم تقي، لا يأخذ الرشا، ولا يحكم بالهوى". (16)

دراسة أدبية لمضمون الرسالة من حيث:

الألفاظ:

نوه النقاد بأهمية اختيار الكلمة لتكون معبرة عن المعنى المراد، ولتكون في الوقت نفسه ذات صفات جميلة تحقق الامتاع للمتلقى، يقول بعضهم: "أن الكلمة لا تفضل صاحبها منفردة في قاموس اللغة من حيث دلالة كل على معناه"، (17) بيد أن بعض الكلمات أسهل جريانا على اللسان من بعض، وإذا انتظمت هذه الكلمات في سلك فلاءمت ما قبلها وارتبطت بما بعدها اكتسبت جمالا.

وعلى هذا الأساس يتوقع أن يكون لكل أديب قاموسه اللغوي، وأسلوبه المتميز، يقول الجاحظ: "... ولكل قوم ألفاظ حظيت عندهم، وكذلك كل بليغ في الأرض، وصاحب كلام موزون، فلا بد من أن يكون قد لهج وألف ألفاظا بأعيانها ليديرها في كلامه".⁽¹⁸⁾

فألفاظ هذه الرسالة تبدو أنها سهلة مألوفة، فلا تجد فيها الغرابة والتكلف، فالألفاظ، على قدر المعاني، ولعل السبب، أنها تخاطب الحكام والسلاطين، وتراعي حالهم ومقامهم الثقافي والعلمي، ولاسيما الغالب على أهل تلك البلاد الجهل والهوى، وأكثر من هذا أنها تحاول بث الأمن والسلام – بتطبيق هذه الأحكام – ونشرهما بين العباد، فأثرت أسهل الطرق والألفاظ للوصول إلى الهدف المنشود.

فأول جمال يقرع أذن المتلقي من هذه الألفاظ، استعمال هذه الألفاظ لمعانيها الظاهرة، وليس للخيال، ولا للعقل تدبر، ولم يقصد بها التورية أو المجاز، فما للقارئ أو الحاكم إلا أن يستعملها كما وردت في النص – اقرأ مثلاً قوله: "... أنه لا بد من ردع المفسد الدينية والدنيوية بالمقامع الشرعية، على حسب الطاقة البشرية، ولا يجوز أن يترك مفسد على فساد، مع إمكان ردعه عنه بسبه، أو لعنه، أو حبسه، أو ضربه، أو صلبه، أو قتله، أو أخذ ماله، أو حرق بيته، أو غير ذلك من العقوبات الشرعية".⁽¹⁹⁾

ألا ترى أن هذه الألفاظ جاءت وهي حاملة معانيها الأصلية، فتؤدي ما يقصد الشارع من إقامة حقوق الله تعالى من دون إفراط ولا تفريط، فكأنها تقول بلسان الحال لكل مقام مقال، ولكل مقال مقام.

ويقول في مكان آخر: "... وكذلك من يتلقى ما يأتي من السوق من طعام وغيره، فيشتريه قبل وصوله إلى السوق أو بعد وصوله، ليكون بيعه على يده، وإن لم ينتهوا إلا بنفهم أو أخذ ذلك منهم فافعل، لأن مقصد الشارع في الروادع، درء المفسد، وجلب المصالح بحسب الإمكان في كل زمان ومكان".⁽²⁰⁾

آثر الكاتب في هذه الفقرة استعمال الفعل المضارع الذي يفيد الاستمرار والدوام، - يلتقي - يأتي - فيشتريه - ليكون - لأن هذه الأفعال تحمل من المعاني ما يدل على التكرار، وتشير إلى أمور متواجدة في كل مكان وزمان، نتيجة اتباع الهوى والظلم، فلما كانت الأمور السيئة تتكرر يوماً بعد يوم، وأن بعد أن في

العالم، أثر الكاتب استخدام ما يناسب ذلك من الفعل، جريا على مقتضى الظاهر، وتأكيدا على الأخذ بالمقولة المشهورة - مطابقة الكلام لمقتضى الحال والمقام.

التركيب والأسلوب:

فالتركيب والأسلوب من العناصر المهمة في صناعة الكلام، يرى العلماء أن اللفظ المفرد تبقى قيمته الجمالية عديمة التأثير إذا لم يوضع في تركيب يفجر هذه الطاقات الجمالية، وكان عبد القاهر الجرجاني ممن يرى أن النظم هو أساس الجمال في الشعر والنثر، وإن جودة النظم تتوقف على مراعاة معاني النحو، وذلك لأن تناسق الدلالات وتلاقي المعاني، وتعلق الكلام ببعضه ببعض يتم وفقا لأحكام النحو ومعانيه.⁽²¹⁾

ولما كان الأسلوب هو طريقة التفكير والتعبير التي يختارها صاحب النص بما يتناسب مع الموضوع، فيستعمل المنشئ الجمل والأسلوب استعمالا خاصا، فتؤدي هذه الجمل وظيفتها من الإشارة والإفهام، فعلى هذا الأساس ينبغي على المنشئ أن يستهل كلامه بما يدل على موضوعه، فإن خير الكلام ما دل بعضه على بعض، "فالعمل الأدبي الجيد هو الذي يوحى أو ينبئ منذ اللفظة الأولى بمكنونه وهو ما سماه العلماء - براعة الاستهلال -".⁽²²⁾ استهل الإمام المغيلي رسالته بالبسملة وذكر اسمه واسم من يرسل إليه الرسالة، ثم الدعاء والتضرع إلى المولى جل شأنه، بطلب العناية بأن يعين هذا السلطان على رعاية ما أولاه الله تعالى من أمور دينه، وأمور المسلمين، "سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد: فإنك سألتني أن أكتب لك جملة مختصرة فيما يجوز للحكام في ردع الناس عن الحرام، فاعلم أعاننا الله وإياك على رعاية ودائعه، وحفظ ما أودعنا من شرائعه".⁽²³⁾

لاشك أن الابتداء بهذه الصياغة من الأمور الأساسية التي يطالب المنشئ بها عند إنشاء الكلام، إذ إنها تنبع - منذ اللحظة الأولى - إن الرسالة جاءت جوابا لطلب سابق ولحل مشكلة فقهية تتعلق بمصلحة الراعي والرعية.

انظر موقع جملة (سلام عليكم ورحمة الله وبركاته). وقد استعملها استعمالا بارعا حيث أوقعها نكرة شاملة، لتستغرق جميع آلاء الله تعالى ونعمه الظاهرة منها والباطنة، ومن بينها الاستقامة على رعاية حقوق الله تعالى وأحكامه، وهو دعاء لم يترك الراعي ولا الرعية، ولم ينس المرسل منه والمرسل إليه، ومن إحياءها إفشاء المحبة وحب الخير على الغير، والشعور بالأمن والسلام على الفريقين.

ومن تقنية أسلوب هذه الرسالة استعمال الحكيم العربية - فلكل داء دواء - ولكل مقام مقال - الرجوع إلى الأصل يكون بأدنى سبب - وليس الخبر كالعيان - تحدث للناس أفضية بقدر ما أحدثوا من الفجور - درء المفاسد مقدم على جلب المصالح.⁽²⁴⁾

ولعل سهولة إدراك ما تحمله هذه الأمثال السائرة وغازرة معانها، وثقلها في الميزان الكلامي، ثم سرعة وصول هذا كله على المتلقي، فتتأثر فيه، ويتأثر بها، فينتج بعد ذلك ثمارا يانعة، تجعل الحياة في أمن وسلام، فينتشر هذا كله في العالم كانتشار هذه الأمثال والحكم السائر في المجتمع مما زاد على الرسالة جمالا ورونقا.

ونقطة أخرى ذات أهمية كبرى في بث الأمن والسلام في المجتمع ميل المغيلي إلى استعمال الجمل الاسمية، والتي تفيد في المصطلح البلاغي الثبوت والدوام، وتؤكد مضمون الخبر الوارد في النص، فلا يبقى للشك موضعا.

فكما اهتمت الرسالة بجانب الأسلوب الخبري في الجمل الإسمية، فكذلك راعت لمواطن التي تستحق الأساليب الإنشائية - فاعلم أعاننا الله وإياك - ولا يجوز أن يترك مفسد - لا تفعل بالمفسد - وأقم حق الله على جميع عباد الله - وكأنها أرادت باستعمال هذه الأساليب، تدريب هذا السلطان - وأمثاله - على أن يقوم بساعد الجد والمثابرة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيطبق ذلك كله من غير إفراط ولا تفريط، ويجبر أهل بلاده بالامتثال أو أمر الشريعة، واجتناب نواهيها، بغية تحقيق الأمن والسلام.

وعلى العموم فإن منهج الرسالة، هو منهج علمي، وذلك لأن الغاية منها إفهام المتلقي ما يترتب عليه من الواجبات من حقوق الله تعالى وحقوق عباده، فأبرز سيمة الرسالة الإيجاز المطاوع المنسجم، ولعلها مالت

إلى الإيجاز رغبة في حفظها، وتطبيق ما فيها من الأحكام، كما راعت حال المرسل إليه، فأوجز له القول لكونه ملكا وليس عالما.

موسيقى الرسالة:

لحاسة السمع وظيفه كبرى في حياة الإنسان؛ لأنها تنقل إليه ما في هذا الكون من جمال النغم والطرب، مما يجعل الحياة محببة. كانت هذه الحاسية من العوامل التي جعلت الموسيقى أن تكون من المقومات الأساسية في النثر، وذلك لأنها تنبع من تفاعلات الكلمات في سياق النص، وتعكس انفعالات المنثى، وترسم صورة لحرارة عاطفته، فتتأثر بإيقاعها عليه.⁽²⁶⁾ ومن هذا الجانب قول المغيلي: "ومن عارضك في شيء من ذلك فعاقبه بما فيه ردع له ومثله، ولكن بعد ثبوت وثبتت في ذلك كله، ومقابلة كل واحد بما يليق به، بحسب حاله من الخير والشر، والتواضع والطغيان، فتصرف في ذلك بالزيادة والنقصان، حتى يعتدل الميزان، وليس الخبر كالعيان، والله المستعان، وعليه التكلان"⁽²⁶⁾.

ويقول في مكان آخر: "فاعلم أعاننا الله على رعاية ودائعه، وحفظ ما أودعنا من شرائعه، أنه لا بد من ردع المفاسد الدينية والدنيوية بالمقامع الشرعية، على حسب الطاقة البشرية"⁽²⁷⁾.

آثرت هذه الفقرة انتهاء فواصلها بحرف (الهاء) و(النون)، وهما حرفان طبيعيان مهموسان يخرجان من الفم بسهولة، فساعدوا على انسجام أواخر الجمل نغما وطربا، قراءة وسمعا.

أما خاتمة الرسالة فقد ختمت على وفق القوانين المطلوبة من قبل النقاد في هذا الشأن، "وفي هذا القدر كفاية لمن سبقت له العناية، وكل ما نوصيك به من أمر دينك ودنياك تعرفه تماما، وإذا نسيت شيئا منه، فلا تنس أن من غير حكم الله فقد كفر، ... فطهر مقام الشريعة من الخبث، لأنه مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم لعل الله أن يغفر لك ذنوبك جميعا. والسلام على من اتبع الهدى"⁽²⁸⁾.

ألم تشر هذه الفقرة إلى ختام الرسالة، وهي تحاول تلخيص ما سبق ذكره من الأحكام في جملة – فلا تنس أن من غير حكم الله فقد كفر – وتؤكد رسوخ الإمام المغيلي في العلوم الدينية، حيث جعل آخر جملة فيها اقتباسا من كلام خير الناس "سلام على من اتبع الهدى".

فلاشك أن هذا الختام يناسب هذا المقام والحال والسياق، إذ المقام مقام الصراع بين العدل والاستقامة، وبين الظلم والطغيان، فناسب الختام بهذا الدعاء لكل الفريقين: أصحاب العدل والاستقامة، دعاء على أن يدوموا على حالتهم، وفرقة الظلم والطغيان بالرجاء من الله تعالى أن يهديهم سبل السلام، فيكفوا عن ذلك، يقول أبو هلال العسكري: "فهي - الخاتمة - آخر ما يبقى في النفس، فينبغي العناية بها، والاجتهاد في رشاقته وحلاوته وقوتها وجزالتها لأحكام بلوغ الغاية في التأثير، ولتكون قفلا حسنا لمحاسن الرسالة أو الخطبة، ولأنها ربما حفظت من دون سائر الكلام لقرب العهد بها".⁽²⁹⁾

الخاتمة:

((ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض، ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون)). هكذا كانت - ولا تزال - سنة الله، في الذين خلوا من قبل، ولن تجد لسنة الله تبديلا. فالعقل من اتعظ بغيره، وتمسك بأسباب النجاة، فنجا، والعاجز من اتبع هواه، وتمنى على الله الأماني فهلك.

اتخذت المقالة رسالة المغيلي نموذجا لدراستها، وذلك لمكانتها من ناحيتين: ناحية محتويات الرسالة، فلخصت أهم أحكام إدارة الحكومة الإسلامية. ومن ناحية المضمون والشكل حيث تناولت ألفاظ الرسالة وأساليبها وفواصلها بالدراسة، رجاء منها أن تنتج نتائج علمية يستفيد بها الناشئين، وهي ترجو أنها حصلت على النتائج الآتية:

ألقت المقالة ضوءا بسيطا عن بعض الطرق والوسائل التي لو تمسك العالم بها وعض عليها بالنواجذ لوجد الله أمامه مساعدا، وعلى آلامه ومصائبه منقذا، وبركاته ونعمه معطيا، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة. لتكن هذه المقالة بمثابة الذكرى لآثار الإمام المغيلي في نيجيريا والعالم عامة.

أدركت المقالة إهمال الناس أحكام الله تعالى. وأدركت أيضا أن ما تعانيه دولة نيجيريا من الانحراف الفكري، والأعمال الإرهابية، هو نفس ما يعانيه العالم لكثرة وقوعهم في المعاصي والظلم - وما ظلمهم الله، ولكن كانوا هم الظالمون -.

لاشك أن اللغة العربية ذات صدر رحب، تحفل بكل معنى جليل، يثري إثراء بيانيا، وفي الوقت نفسه ذات قدرة واسعة لأداء أي معنى يتعلق بالإنسانية. وأمنت المقالة بالأثر إيماننا جازما بأنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

الهوامش والمراجع :

1. الإلوري، آدم عبدالله (الشيخ): الإمام المغيلي وأثاره في الحكومة الإسلامية في القرون الوسطى في نيجيريا، ط/1، 1394هـ/1974م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي، ص: 39.
2. المرجع نفسه، ص: 29.
3. المرجع نفسه، ص:
4. المرجع نفسه، ص: 31.
5. شيخ عمر عبدالله: ضياء السياسة وفتوى النوازل في فروع الدين من المسائل. للشيخ عبدالله بن فودي (ت: 1244)، (العلامة)، حرره وحققه وعلق عليه وترجمه شيخ عمر عبدالله، (ب، م، ن)، ص: 11.
6. المرجع نفسه، ص: 11.
7. التمبكي، أحمد بابا: نيل الإبتاح بتطريز الديباج، ص: 177.
8. شيخ عمر عبدالله: ضياء السياسات، مرجع سابق، ص: 11.
9. الإلوري، آدم عبدالله: المغيلي، مرجع سابق، ص: 21.
10. المرجع نفسه، ص: 12.
11. المرجع نفسه، ص: 29.
12. صكتو، أمين بخاري: ضياء السياسات وفتاوى النوازل: للشيخ عبدالله بن فودي، ضبط وتحقيق: أمين بخاري، النهار للطبع والنشر والتوزيع، ص: 15.
13. المرجع نفسه والصفحة.
14. الإلوري والمغيلي وأثاره، مرجع سابق، ص: 43، وضياء السياسات، ص: 12.
15. المرجع نفسه.
16. المرجع نفسه.
17. بدوي طبانة: معجم البلاغة العربية، ص: 55.
18. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: الحيوان، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط/1، 1938م، 3/366.
19. عبد الله بن فودي، ضياء السياسات: مرجع سابق، ص: 15.

20. المغيلي وآثاره، مرجع سابق، ص: 44.
21. الجرجاني، عبدالقاهر: دلائل الإعجاز، ت: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، ط/6، 1984/1404م، ص: 81.
22. عرفة حملي عباس (الدكتور): نقد النثر النظرية والتطبيق، قراءة في نتاج ابن الأثير النقدية والإبداع مع وصلة بالدرس الأدبي الحديث، مكتبة الآداب القاهرة، ط/1، 1320هـ/2009م، ص: 278.
23. ضياء السياسات: مرجع سابق، ص: 15.
24. المغيلي: مرجع سابق، ص: 43-44، ضياء السياسات، ص: 12-13.
25. عرفة حملي عباس: مرجع سابق، نقلا من مقالة: بين اللفظ والنغم، لأحمد الجندي، مجلة الزيت، السعودية، المجلد (27)، العدد (3) 1399هـ، ص: 26.
26. المغيلي، مرجع سابق، ص: 45، ضياء السياسات، مرجع سابق، ص: 12.
27. المرجع نفسه.
28. المرجع نفسه.
29. أبو هلال العسكري، الحسن بن عبدالله بن سهل: كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، دار إحياء الكتب العربية، ط/1، 1952م، ص: 455.

الأمثال الحوسوية القريبة المعنى للأمثال العربية

إعداد:

رضوان بن هارون¹ وإبراهيم آدم سليمان²

قربة اللغة العربية -انغالا- نيجيريا قسم الدراسات الصيفية

الملخص:

في ثنايا الأمثال راحة، وفي معناها إشارة إلى المخاطب وقد تصدر من كل أفراد المجتمع إذا دعت الحاجة إليها ولم تختص بقوم دون آخرين ولا بكبير دون صغير أو رجل دون أنثى وإنما هي للجميع ولكل جميع اللغات العالمية، وسوف تناقش هذه المقالة ما يتعلق بالأمثال الحوسوية القريبة المعنى بالأمثال العربية وذلك بعد التمهيد والمقدمة وتعريف الأمثال ثم الخاتمة والنتائج.

ABSTRACT

In the meaning of proverbs relief and allusion to the next person. Already can came from each of the society, its not pertain for the one tribe with out others, or for the elder with not tenny, or for the man with out female, notify for all peoples, and for all tribes. Procrastinate this artcle what have related the Hausa proverb wich the very close the Arabic proverbs, all this came after preface and in advance guard and definition, them conclusion and fidback studys.

التمهيد:

تسعى هذه المقالة إلى تسليط الضوء على بعض الأمثال الحوسوية القريبة المعنى بالأمثال العربية. وذلك لما بينهما من تشابه في بعض الأحيان كما لها فارق كبير من حيث الصياغة. والأمثال على العموم لها دواعي كثيرة تختلف حسب الظروف الداعية لاستخدامها، فبعض الأمثال قديمة وبعضها حديثة أي يحدثها

¹ ridwanuh@gmail.com phone number +2347039361582

² ibrahimadamsuleiman@yahoo.com phone number: 08027602991

المراء فتنشأ من وقتها وتصحب الأيام. وهذا واقع لكل اللغات لأن الأمثال لا تخص لغة دون أخرى ولا أمة دون سواها.

ومن الجدير بالذكر أن اختلاف الأمم والشعوب والقبائل دواع كبير في اختلاف أمثالها، ولهذا ترى الأمثال تتفاوت قوة وضعفا حسب قوة الذكاء والإدراك لقائلها، فالأمثال البدوية قد تختلف عن أمثال المدنية لاختلاف الأماكن والطبيعة. ويصدق لهذا قول الله تعالى: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) ⁽¹⁾ وهذه الآية دالة على اختلاف الناس في لهجاتهم وأفكارهم وإدراكهم. وقد أخبر الله تعالى أن من آياته اختلاف الناس في ألسنتهم فقال جل وعلا: (ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم) ⁽²⁾

ويتبين من هاتين الآيتين أن الناس متباينون ومتفاوتون في لسانهم وصيغهم وتعبيرهم كما أنهم مختلفون في نطقهم وكلامهم، ولكل أمة أسلوب يخصها وأمثال اخترعتها وحكم تهدي بها.

المقدمة:

إن الدراسة الأدبية متنوعة بتنوع الموضوعات والمواد حسب ظروف الحياة، فإنها داعية إلى تنوع الأفكار وتهذيب العقل وإيصال الرسالة من المرسل إلى المرسل إليه، والأمثال أحد أهم موضوع الأدب لكل أمة وقبيلة، لما له من خلاصة تجربة الماضين في الحياة وما اشتملت عليه من القيم والحث على ما ينفع واجتناب ما يضر. وفي هذه المقالة بيان بسيط حول الأمثال الحوسوية القريبة المعنى للأمثال العربية.

أثرت اللغة العربية على الحوسا من نواح عدة، وليس ببعيد أن تأخذ الحوسا حذا وافرا من أمثال العرب وتصيغه في صياغة جديدة ملائمة أسلوبها. وذلك منذ فجر الإسلام إلى اليوم، ويستطيع القارئ أن يشم رائحة ذلك في الأمثال الآتية:

الأمثال الحوسوية القريبة المعنى للأمثال العربية

ومن هذه الأمثال قولهم: (Baki shi ke yanka wuya) ، بمعنى: يؤخذ الإنسان بلسانه. فيه رائحة (إنما المرء بأصغريه لسانه وقلبه) ⁽³⁾ وكذلك قول الشيخ أبي بكر المسكين: (والحر حر وإن أصيبا) ⁽⁴⁾ مأخوذ من قول العرب: (الحر حر وإن مسه الضر). ⁽⁵⁾

وكذلك من هذا النوع المثل السائر: (مصائب قوم عند قوم فوائد)⁽⁶⁾ ويوافقه: (Inda wani ya yi) ومن هذا الصدد أيضا. قول الحوساوي⁽⁷⁾: (Sauri ya haifi nawa) كاد أن يكون ترجما لمثل العربي: (رب عجلة تهب ريث)⁽⁸⁾ وكذلك ما قالت العرب: (من استرعى الذئب ظلم)⁽⁹⁾ يوافق المثل الحوسوي (Ba'a baiwa kura a ijiyar) (nama) ومن النوع: (ومن يشابه أبه فما ظلم)⁽¹⁰⁾ كان بمثابة: (Gado ba karamba ni ba)

وهناك كثير من الأمثال الحوسوية تحمل من خلال معاني الأمثال العربية كأنها مأخوذة من العرب إن لم تكن كذلك، منها قولهم: (Kai kayi koma kan mashekiya) عبارة عن: (رب سهم قصدت به غيرك وأصبت به نفسك) كما يدل على (من حفر لأخيه بئرا وقع فيها)⁽¹¹⁾

وقولهم: (Komai kayi da jaki sai ya ci kara) إنه بمعنى: (العبد عبد وإن ساعده الحظ)⁽¹²⁾ وكذلك : (Rana ba ta karya sai dai uwar diya ta yi kunya) فيه رائحة المثل: (إن غدا لناظره قريب)⁽¹³⁾ وقولهم: (Zuwa da kai ya fi sako) عبارة عن: (ما حك جلدك مثل ظفرك)⁽¹⁴⁾ وكلا المثلين يحثان على ملازمة الأمور والأخذ بأزمتهما كما يحثان على الجد والإجتهاد في الحياة وعدم التوكل على الغير.

وقد نظم الشيخ المسكين بعض الأمثال الحوسوية، منها:

قيل يضل عن عدم النداء*** جارحة الأبكم في البيداء.⁽¹⁵⁾ (Da rashin kira karen bebe ya bata) ، واعلم بأن من سعى إليكا*** لا بد أن يسعا عليكا⁽¹⁶⁾ (wanda ya kawo maka zancan wani wataran naka zai kai wa wani) ، وقال: واعلم بأن موضعا تقيم*** به العباد فيه تقوم.⁽¹⁷⁾ (Duk abinda ka yi shi za ayi maka) ، ومن قوله: لا يجتنى الإنسان غير غرسه*** وقد يصيب المرء خدش قوسه.⁽¹⁸⁾ (Abinda ka shuka shi zaka girba) .

ومن الأمثال الهوسوية: فالخيار متروك لمن سوف ينزل في البئر (Zabi ya rage wa mai shi ga)⁽¹⁹⁾ rijiya وثبت على قدميه.⁽²⁰⁾ Ya tsaya tsayin da ka ، وهو في مالا يعنيه⁽²¹⁾ Yayi shigar shugula. والطمع مفتاح البلاء⁽²²⁾ kwadayi mabudin wahala. ويشم رائحة المسك في الحنظلة:

Komai nisan dare gari zai: ومهما طال الليل فالصبح آت: (23) Kallon kitse ya ke yiwa rogo
.waye

ومنها قولهم: قضى الأمر فقد مات الزبيب يوم الزفاف (24) Shike nan batu ya mutu kuma ya
Bikin farar kaza balbela. وإلى احتفال البجعات، الدجاجة البيضاء لا تنتظر دعوة (25).
Abin nema ya samu (26) زوجة الشرطي أنجبت لصا
Karya fure ta ke ba ta (27) لكنه لا يثمر.
Rabon kwado ba ya hawa sama. (28) وإن علا سفل.

ومن أمثالهم: كذلك: التمر الصغير خير من الحجر الكبير (29) Karamin goro ya fi babban
dutse. وراء كل بلد بعيد بلد أبعد. (30) Komai ni san gari a kwai wani gaban sa. والصبر دواء
أمراض الدنيا. (31) Hakuri maganin zaman duniya. والغاية لا تتكون من شجرة مهما كبرت ولكنها
تتكون من عدة أشجار (32) Bishiya daya bata jeji, sai dai bushiyoyi masu yawa. وهل جزاء
الإحسان إلا الإحسان (33) Alheri danko ne ba ya faduwa kasa banza. ويتعرق الكذوب وإن كان
في الماء (34) Marar gaskiya ko a ruwa ya yi gumi. وقلة العلم معقل (35) Karamin sani
Ba a kin ta mutane anewa (36) (ماجاوزت أقوال الناس) فز. فقال: (36) kukumi ne
barawo ka gudu. وحصير الإفترض لا تطوى إلا بالجنون. (37) Tabarmar kunya da hauka
ake na de ta وعلمت أنه سيصعب (38)، عند ما سرق إزار المجنونة. Na san a rina wai an saci
zanen mahaukaciya. ومتى أتى الحين إلى الإنسان، عميت الأبصار والعينان (39) (Idan ajali ya zo
.da hankali da dabara duk sai su bace)

ومن أمثالهم:

دع الدجاجة في ريشها. (40) A bar kaza a cikin gashin ta و: (من أبي أقوال الناس لا يأبى رؤية
المكروه) Kowa ya ki ji, ba ya ki gani ba و: (لايحرق كتزه إلا من خبر أسواق الرماد) Duk wanda
ya kona rumbunsa ya san inda toka ta ke tsada.

و:(لايلعب الأعمى بالحجارة إلا إذا وطأ واحدة) Idan makaho ya ce mu yi wasan jifa ya taki
 duste:(أهل مكة أدرى بشعبيها) Mai daki shi ya san inda ya ke masa yoyo.و:(لايسمح
 العين بالدخيل)Ido ba ya son ba ko:و:(إن لم يصبك الرمي فلا تبال بمن وقع عليه) Idan jifa ta
 wuce kanka ta fada kan sarki.و:(بلد المحب قريب):Garin masoya ba ya nisa.و:(إذا وقع
 الحب عمي البصر):So hana ganin laifi.و:(طوق نفسه على المتعذر):Ya dau dala A kansa.و:
 لكل شجاع أشجع منه):kare ba ya limanci (لا يؤم الكلب الذئب) ko baba da babansa.و:
 ama sallacin kura.و:(لا يحمل الولد الولد):Yaro ba ya daukar yaro.و:(سرعان ما يبكي بعيد
 غور العين):Mai zurfin ido da wuri yake kuka.و:(لم أعرف سنة الأعمى):Ban gane
 gyangyadin makaho ba.و:(زوجة المرء لا بد منها):Matar mutum kabarin sa.و:(لا يجاوز
 المرء ظله) Mutum ba ya wuce inuwar sa.و:(من أحب فرخ الطير يتبعه بالرمية) mai son dan
 tsuntsu shi yake binsa da jifa.و:(القرم يعرف سعر الجنين):Wada shi yasan kudin jariri.و:
 (إنبساط الوجه أفضل من بسط الحصير):Shinfiidar fuska ya fi shinfiidar ta barma.و:(بكاء
 الحماحة وعظ):Kukan kurciya jawabi ne

هذا، وغيره من الأمثال المعروفة المتدواله بين العامة والخاصة، وقد كثرت أمثالهم وعظمت شأنها في
 نفوسهم حتى قيل: (ما أمسكت به الهوسا فلا يفلت منها) Duk abin da Hausa ta kama ba mai
 kwa ce mata. إشارة إلى تثبيت ما تتمثلوا به وتبتئوه في أمثالهم.

هذا أقل من قليل من أمثال كل لغة تنفرد بها عن غيرها وإن كان يشم رائحة الإختلاط من بعض الأمثال،
 إلا أن الباحث مع قلة إدراكه يراها كأنها منفردة غير مقتسبة من غيرها. هذا، والله سبحانه وتعالى أعلم.

الخاتمة والنتائج:

الأمثال من أي لغة كانت لها مغزى ومدلول تهدفه وقد تتوافق أمثال لغة ما بأمثال لغة أخرى كما مر في
 ثنايا هذه المقالة حيث وافقت أمثال لغة حوسا بعض أمثال اللغة العربية. وقد تتفق في الغرض وإن
 اختلفت في اللفظ والصياغة.

ما زال الباحثون قديما وحديثا يبحثون عن الأمثال العربية والحوسوية وذلك لأهمية الأمثال في حياة المجتمع. وقد أسفرت المقالة عن الأمثال الحوسوية التي قد تدل على بعض الأمثال العربية في معناها.

ومن النتائج التي وصل اليها الباحثان إليها:

- أن الأمثال قديما وحديثا لها أهمية كبرى من قبل المجتمع.
- اتفاق بعض الأمثال في مدلولها ببعضها مع اختلاف لغتهما.
- إمكانية الكتابة عن الأمثال في أي لغة وفي أي وقت وزمان.
- قد تكون الأمثال نظما كما كانت نثرا.

الهوامش والمراجع:

- 1- سورة الحجرات: الآية: 13
- 2- سورة الروم: الآية: 22
- 3- السيوطي، جلال الدين، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، الجزء الأول والثاني، الناشر، القدس، الطبعة الأولى سنة 1430 هـ 2009 م، ص/344
- 4- مسكين، أبوبكر (الشيخ): جامع الأمثال والحكم مكتبة ومطبعة جوهر القائد أمام جامعة الأزهر بالحسين - القاهرة ب/ت. ص، 35.
- 5- السيوطي، المزهري، المصدر السابق. ص/346
- 6- الزهراء للإعلام العربي. ديوان أبي الطيب المتنبي. ص/244، (د/ت).
- 7- عبد الله، خالد حسن (الدكتور) الأمثال والحكم في لغة الهوسا دراسة تقابلية، ص/ طبعة دار الحكمة للكتاب الإسلامي ب/ت
- 8- شاذلي، فهدود حسن (الدكتور) وآخرون الأدب، نصوصه وتاريخه، للصف الأول والثاني، وزارة المعارف المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة 1399 هـ 1979 م.
- 9- السيد أحمد الهاشمي. جواهر الأدب في إنشاء وأدبيات لغة العرب. الجزء الأول. ص/301. المكتبة العصرية بيروت-لبنان. 1432 هـ 2011 م.
- 10- المكتبة الشاملة الحديثة. كتاب شرح شواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية. الجزء 3، ص/39. لمحمد حسن شراب.

- 11- الشيخ جعفر طلحاوي، رابطة العلماء السوريين، تاريخ الدخول 23/سبتمبر 2020م الموافق 5 صفر 1442هـ.
- 12- السيوطي، المصدر السابق، ص/339
- 13- الهاشمي، المصدر نفسه، ص/295
- 14- د. محمد سبيل، البيان، تاريخ الدخول 2020/9/23م
- 15- جامع الأمثال والحكم، ص/33.
- 16- المصدر نفسه، ص/38.
- 17- المصدر نفسه، ص/38
- 18- المصدر نفسه، ص/38
- 19- رضوان بن هارون، السر البياني في أمثال الهوساوي، مخطوط: ص/48.
- 20- نفس المرجع ص/96.
- 21- المرجع السابق ص/95.
- 22- نفس المصدر ص/73.
- 23- المصدر نفسه، ص/73.
- 24- أحمد رابع، صور من أمثال شعب حوسا، مجلة اللوح، مجلة اللغة العربية والدراسات الإسلامية، العدد السابع يوليو/2010م، ص/71.
- 25- المصدر نفسه، ص/136، 137.
- 26- المصدر نفسه، ص/136-137
- 27- المصدر نفسه، ص/136، 137.
- 28- المصدر نفسه، ص/136، 137.
- 29- الإلوري، آدم عبد الله، موجز تاريخ نيجيريا، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت 1965م، ص/33.
- 30- المصدر نفسه، ص/33
- 31- المصدر نفسه، ص/33
- 32- المصدر نفسه، ص/33
- 33- سورة الرحمن، الآية:60

- 34- شريف، ذاكر محمد (الدكتور) الأمثال عند العرب والحوسا، مجلة العربية الصادرة عن قرية اللغة العربية بانغالا – نجيريا المجلد الأول، سنة 2007م.
- 35- Imam, Abubakar Ruwanbagaja publishing company (NNPC) p.g/8.
- 36- نفس المصدر ص/11.
- 37- نفس المصدر ص/20.
- 38- المصدر السابق ص/36.
- 39- جامع الأمثال والحكم، ص/17.
- 40- من هذا المثل إلى نهايتها محاولة من الباحثين فقط لم يسندوها إلى مصدر معين، وما وافقا فيه فتوفيق من الله، وما أخطأ فمن الشيطان الرجيم.

المذهب الأدبي الكلاسيكي ودوره في حفظ التراث العربي

إعداد:

محمد الجامع يعقوب

المحاضر بقسم اللغة العربية بكلية التربية لولاية كوارا، نيجيريا¹

ملخص البحث

ليس في شيء من الشك أن المذهب الكلاسيكي أحد المذاهب الأدبية المنبثقة من الاضطرابات الاجتماعية المتعددة الداعية إلى رؤى مختلفة للناس تجاه الأشياء عامة والبيئة خاصة، وهو يرفع الدعاية لسبيل الحفاظ على تراث القدماء والافتناء بثرواتهم الأدبية، فكأن صدق عليه ما يقال: "عليكم بالعتيق وإياكم والمحدثات، إذ يرى أصحاب هذا المذهب كل ما خرج من مشكاة القدماء غصًا طريًا يعضّ عليه بالنواجذ كل من أراد الصفاء لإنتاجه الأدبي والسلامة لبنات فكره والبقاء للغة الحضارة والثقافة اللغة العربية؛ لأن السبيل الأوحى إلى استبقاء مجد العربية الفصحى الاعتناء والاهتمام بالتراث.

ABSTRACT

There is no iota of doubt in the fact that the Classical School of thought is one of the literary schools of thought emanating from miscellaneous social befuddlement which led to people having divergent views regarding things generally and the milieu specifically. This school of thought undertook the propaganda in a view to preserving the ancient heritage and acquiring their literary resources. This seems true to the saying: "Hold onto the antiquity and beware of the novels" as the advocates of this school of thought see anything originality from the niche of

¹ imamjamiuqub@gmail.com phone number: +2348067673218

antiquity as succulent and supple, worthy of holding on to by he who aims at purity and originality for his literary products and eternity for the language of civilization and Arabic culture. That is true as the only way to preserve the glory of pristine Arabic is to cater and take care of Arabic heritage.

مقدمة

إن الحديث عن الأدب أو ما له صلة به لهو عين الحديث عن الحياة؛ إذ الأدب حياة بحذافيرها، وهذا يجعل الأديب بأيّ لسان ينفث وفي أيّ أرض نبت ابناً لبيئته ورسولاً لقومه يحمل مشاعرهم أينما حلّ وارتحل. ومن شدة ارتباط الأديب بالبيئة وامتزاجه بها امتزاج الماء بالراح، وأثر التأثر والتأثير بينهما الذي بمنزلة السوار للمعصم، جعل بعض الفنيين يتساءلون أنفسهم عن مدى العلاقة بين البيئة والأديب فأجابوا بإجابات شتى، من شأنها أنهم توصّلوا إلى نظريتين عظيمتين، وقضيتين من القضايا النقدية هما: نظرية الفن للمجتمع، ونظرية الفن للفنّ.

فدعاة نظرية الفنّ للفنّ يرفعون الدعاية لأن يكون الإبداع محبوباً على الأهداف الاجتماعية والأخلاقية حيث يكون مهمة الأديب إيصال الرسالة إلى بني جلدته، ملتبساً لتهديب النفس الإنسانية في مجتمعه، ومننداً لمثله العليا، فكأنه بذلك كله يعمل على حفاظ تراث مجتمعه بكافة أركانه وأنواعه، ويعيش له حاملاً همومهم ومشاعرهم، وترجع أصول هذه النظرية إلى الفلسفة الإغريقية ورائدة سقراط.

وأنصار نظرية الفنّ للفنّ يتغاضون عن شؤون الأديب الاجتماعية وهذا لا يعني أنهم غير مكترئين بالبيئة، وكيف يمكن ذلك وهم يؤمنون بأن الأديب ابن بيئته؟ وإنما يدعون إلى أن يكون الإبداع للذات حيث لا يلتفت إلى عامل خارجي، فالفن عند هؤلاء يكفي نفسه بنفسه، ولا هدف له إلا ذاته، وهدفه دائماً هو إثارة الجمال.

وعلى هذا يمكن القول أن المذاهب الأدبية لم تنشأ عفواً وإنما نشأت نتيجة الاضطرابات السائدة في المجتمع، والرؤية المتباينة لما في البيئة. وستناقش المقالة في السطور التالية مذهباً من المذاهب الأدبية وهو المذهب الكلاسيكي (الاتباعي) وذلك في المحاور الآتية:

- مفهوم المذهب الأدبي

- نشأة المذهب الأدبي وأنواعها
 - حول المذهب الكلاسيكي: مفهومه، مبادئه، أهم خصائصه، أبرز أدبائه، نماذج من إبداعاتهم.
 - دور المذهب الكلاسيكي (الاتباعي) في حفظ التراث العربي
- ثم الخاتمة تأتي إثر هذه الجولة كلها.

مفهوم المذهب الأدبي

المفهوم اللغوي:

فهذا المصطلح مركب وصفي وصف بأحدهما الآخر، مما يجعلنا نجزئه توسلاً بذلك إلى المقصد والغاية. فالمذهب من مادة (ذَهَبَ) كَمَنَعَ يَذْهَبُ ذَهَاباً بِالْفَتْحِ وَيُكْسَرُ مَصْدَرٌ سَمَاعِيٌّ وَذُهُوباً بِالضَمِّ قِيَاسِيٌّ مُسْتَعْمَلٌ وَمَذْهَباً فَهُوَ ذَاهِبٌ وَذُهُوبٌ كَصَبُورٍ : سَارَ أَوْ : مَرَّ. والمذهب: الطريقة يقال: ذهب فلان مذهبا حسنا أي طريقة حسنة، والمذهب الأصل، حكي اللحياني عن الكسائي: ما يدري له أين مذهب ولا يدري له مذهب أي لا يدري له أين أصله⁽¹⁾

الأدبي: فهو منسوب إلى الأدب⁽²⁾ يقال: قيمة أدبية تقدير معنوي غير مادي ومنه مركز أدبي وشجاعة أدبية وكسب أدبي وموت أدبي.

المفهوم الفني:

هناك تعاريف عدة لهذا المصطلح منها ما يأتي:

المذهب الأدبي هو إتجاه في التعبير الأدبي يتميز بسمات خاصة ويتجلى فيه مظهر واضح من التطور الفكري.⁽³⁾

هو الاتجاه الذي يأخذه مجموعة من الأدباء فيلتزمون بفلسفته وفنه متقيدين بتعاليمه ساعين إلى تحقيق الغاية منه.⁽⁴⁾

ولقد يبدو من هذين التعريفين أن المذهب الأدبي أيّاً كان نوعها ينبنى على اتجاه معين في الصياغة الأدبية مسائراً التطورات الفكرية، وعلى هذا كان المنتمون إلى مذهب من المذاهب الأدبية من الأدباء لا يخرجون

عن إطار مراسم هذا المذهب مؤمنين بفلسفته ومتقيدين بضوابطه وتعاليمه سعياً وراء تحقيق الهدف المنشود منه. إذاً فلا بدّ لمذهب أدبي من الضوابط والقيود ومسيرة والأهداف روح العصر تطوّراً.

نشأة المذهب الأدبي

فمن المسلم به في أوساط رجال الأدب أن الإنتاج الأدبي لا يعيش منعزلاً ومنزويّاً عن المجتمع، إذ الأديب يكتسب عطاءه الفني، وتجربته الأدبية عن طريق احتكاكه بالبيئة، وتفاعله مع المجتمع إلى حدّ أكبر، فالتأثر والتأثير في حياة الأديب بمنزلة الرأس من الجسد، حيث إن تأثيره بطبيعة بيئته بما فيها الجبال والسهول والبحار والهواء وغير ذلك مما ينتسب إلى الطبيعة يجعله يختلف عن غيره من حيثيات كثيرة، بل كلّ هذه الأشياء تخلقه خلقاً آخر وتنشئه نشأة أخرى بين إخوانه الأدباء، حيث يختلف عنهم فكراً ولغوياً وتعبيراً وسلوكياً ونفسياً، كما أنه يحدوه إلى أن يلجّي نداء ما يحدث في مجتمعه من تنوع وتقلب وتشعب وغير ذلك.

ومن هنا انطلق المذهب التاريخي النقدي الذي عني بدراسة البيئة ومدى تأثيرها في الآداب والفنون وتأثيرها بها ودلالة هذه الإبداعات على ملامح البيئة وتصويرها لتياراتها الخفية والظاهرة وإرهاصاتها المستقبلية، ومن هذا التأثير البيئي العام يتكون عفويّاً، على صعيدي الممارسة والإنتاج (المذهب) لا تتضح معالمه أول الأمر، بل يحتاج إلى مرور عشرات السنين حتى يأتي الدارسون والنقاد الذين يتأملون تلك الظاهرة وأسبابها وتجلياتها وتطورها ثم يخلصون إلى استخلاص قواعدها وفلسفتها وتحديد معالمها وأعلامها ومصطلحاتها وظروفها المكانية والزمانية، فإذا نحن أمام مدرسة نقدية كاملة تنشأ حول هذا المذهب أو ذلك.⁽⁵⁾

فالمذهب الأدبي إذا تكوّن جماعي لا يقتصر على فرد بعينه بل يشمل عدداً كبيراً من المبدعين جمعت بينهم ذوقية واحدة وأمزجة متشابهة لوقوعهم تحت تأثير مناخ بيئي عام، والمذهب لا يأتي فجأة فينسخ ما قبله، ولا يزول فجأة أمام موجة مذهبية جديدة، بل يتكون تدريجياً حيث تتعايش آثار المدرسة السابقة والمدرسة الراهنة، ثم تزول الآثار القديمة رويداً رويداً، ثم لا يلبث المذهب أن يتلاشى تدريجياً

أمام مدرسة لاحقة، وتزامن آثار المدرستين لدى كاتب بعينه، في بعض الأحيان، أو لدى عدد من الكتاب والمبدعين في فترة واحدة.⁽⁶⁾

ومن ندرك أن تنوع الظروف والثقافات والمستوى الحضاري والتفاعل مع التيارات الجديدة أو الغربية، واختلاف المواهب الأدبية للأدباء أو الشروط التي يخضع لها كل من الأدباء بذورا للمذاهب الأدبية وجرثومة لأشجارها وأساس لبنائها حتى أصبحت تتطور على ممر العصور استجابة لتغيرات كل عصر من العصور.

فالآن أعرض ما للمذاهب الأدبية من أنواع ثم يشع البيان على واحد منها لاحقاً وهو الكلاسيكي (الاتباعي) إن شاء الله تعالى:

- 1- الكلاسيكية (الاتباعية)
- 2- المذهب الرومانسي
- 3- المذهب الواقعي
- 4- المذهب الرمزي

المذهب الكلاسيكي: من حيث مفهومه، نشأته، خصائصه، أبرز أدبائه، ونماذج من إبداعاتهم. فالمذهب الكلاسيكي من أنواع المذاهب الأدبية ولها مفهومه وأسس ومبادئ ورجاله، وكلُّ مما ذكرنا يتم وضع اليد عليه بدء بالمفهوم.

فقد سبق أن سلطت الضوء على المذهب مما يجعلنا في غنى عنه في هذا الموضوع، إذ أترك الإشعاع على كلمة الكلاسيكي.

المدلول اللغوي: مشتقة من كلمة لاتينية (Classis) ومعناها وحدة في الأسطول، أو فصل مدرسي، أو طبقة.⁽⁷⁾

المدلول الاصطلاحي: المبادئ، أو الأساليب الملتزمة في آداب قدماء الإغريق والرومان، أو فنونهما.⁽⁸⁾

اتباع المعايير التقليدية كالبساطة والاعتدال وتناسب الأجزاء المعترف بها في كل زمان ومكان.⁽⁹⁾

فهمذين التعريفين نتوصل إلى أن هذا المذهب الأدبي يعني الرجوع إلى الأصل والمصدر والاحتكام إلى العقل دون إلغاء العاطفة وإشراك المجتمع في مضمون قصائدهم وإعطاء المصدر الولاء والتبعية بكل المقاييس دون الاستسلام لأيّ سيل أن يجرفه ولا لأيّ تيار عصري أن تطير به عنقاؤه.

نشأة المذهب الكلاسيكي:

ليس غريبا أن تكون الكلاسيكية أسرع ظهورا وانكشافا من المذاهب الأخرى، وسبب ذلك ميل الخلف على السجية إلى السلف. وارتباطهم بما ألفوا عليه آباءهم. فنشأت الكلاسيكية في أوروبا بعد حركة البعث العلمي التي ظهرت خلال القرن الخامس عشر الميلادي بعد سقوط القسطنطينية سنة 1453 على يد الأتراك تحت قيادة محمد الفاتح إذ رحل أدباء وعلماء القسطنطينية (بيزنطية) وهم يحملون معهم المخطوطات اللاتينية القديمة إلى إيطاليا ثم سرعان ما انتشر هذا المذهب بفرنسا. وقد ظهرت الكلاسيكية تلبية للظروف الفكرية التي عاش في كنفها الأدب الأوربي في القرنين 17م و 18م حيث كان للنزعة العقلية سلطان واسع على الإبداع الأدبي⁽¹⁰⁾

إن تأثير هذا المذهب في الأدب العربي غير بعيد المدى حيث إنه يتمثل في الشعر المسرحي، وذلك عندما اتصل كتاب المسرح العربي بالمسرح الفرنسي الكلاسيكي أمثال أحمد شوقي من مصر، ومارون النقاش من لبنان الذي قام بترجمة أعمال الأديب الفرنسي مولير كمسرحيتي (البخيل) و (الثرى النبيل) كما أن سليما النقاش ترجم مسرحية (هوارس) التي ألفها صاحبها كورناني سنة 1640، كما ظهر أثر هذا التأثير في عمل أحمد شوقي الأديب ك مسرحية (مصراع كليوباترا) و مسرحية (قمبيز) عوامل ظهور المذهب الكلاسيكي:

هذه هي جملة عوامل ساعدت على ظهور المذهب الكلاسيكي (الاتباعي): بروز تيارات فكرية كالحركات الإصلاحية، ووجود الصحافة وإحياء التراث والترجمة، ونشوء الوعي الوطني.

خصائصه:

ومن أبرز خصائص المذهب الكلاسيكي ما يلي:

1- الاهتمام باللغة وتجويد الأسلوب : إن مما يدور عليها قطب رعى المذهب الكلاسيكي الاعتناء التام باللغة الفصحى والإقبال عليها قلبا وقالبا في الشعر حيث لا يفتح أصحاب هذا المذهب الباب

للكاكة أن تنتاب كلمات شعرهم، ولا يتركون المجال للابتذال أن يسيطر على تعابيرهم وإنما يريدون ألفاظ شعرهم قويّة جزلة فخمة، وأسلوبهم متماسك رصين، يتسم بالترابط الموضوعي، يحترمون اللغة وأصولها بكل معنى الكلمة لكن لا على حساب المعنى الشعري، كما أنهم يلتزمون بالقواعد التزاماً فائقاً دقيفاً، علاوة أنهم يميلون إلى المحسنات البديعية والزخارف الكلامية.

ويمكن لنا أن نُعدّ الحقبة الممتدة بين نهاية القرن التاسع عشر، والرّبع الأول من القرن العشرين حقبة الكلاسيكية اتباعية في الأدب العربي الحديث، وإن لم تكن مذهباً كما هي في الغرب، وإنما هي مؤثرات وبعض التشابهات، فالاتباعية في الأدب العربي كما في الغرب امتداد لعصر النهضة من دون فواصل كما أنها وليدة ظروف اجتماعية معينة، وواكبت حالة التذمر الاجتماعي، والتملل السياسي، واستيقاظ الشعور القومي العربي.

وشهدت مرض الحكم العثماني ثم سقوطه، وكانت أيضاً تُعنى بالأصالة اللغوية بما يليق بمكانة اللغة العربية، وللوقوف في وجه تيار التتريك وغيره ودعا أربابها إلى رفع مكانة اللغة العربية وتحريها من قيود السجع والأغلال اللفظية، ووقفوا بحزم ضد الدعوات المشبوهة للاستغناء عن العربية الفصحى باللّهجات العامية.⁽¹¹⁾

2- الأدب الكلاسيكي أدب موضوعي، فليس للأديب أن يطلق العنان لأحاسيسه، ومشاعره؛ لأنها في جوهرها فريدة محضة، وهو لا يدرس الأعماق النفسية، وشخصية الأديب يجب أن تغيب في عمله لأنه يسجل ما هو عام مشترك بين الناس ((والشعر عندهم (لغة العقل) فلا بد أن يبرأ من الخيال الجامح والنزعات الفردية، والعواطف الجياشة، وعلى الشاعر ألا يسجل من خواطره في شعره إلا ما هو مشترك بين الناس كما يقتضيه المنطق والفكر. وخير الكتب عند الكلاسيكيين هي تلك التي يقرؤها فيرى فيها أفكاره حتى ليعتقد أنه كان يستطيع تأليفها)).

ولا يعني هذا أن الكلاسيكيين قد تجاهلوا تماماً العواطف، أو دعوا إلى كبتها، وإنما كانت دعوتهم إلى السيطرة على العواطف لأن إرخاء العنان لها سيؤدي إلى الجموح والتطرف، وعدم الاتزان (لأن العواطف شخصية فريدة تختلف من إنسان لآخر أما العقل فهو الحقيقة الكبرى التي يشترك فيها البشر في كل

البيئات والعصور والعقل الذي تصدر عنه الكلاسيكية ليس هو العقل الجاف والجامد الذي لا يمكن أن يدخل في الأدب، وإنما هو عقل منفعل وحساس استطاع أن يفجر في الأدب الكلاسيكي تحليلات دقيقة للعواطف الإنسانية الحارة لا تزال تهز وجدان، وهذا العقل يلتقي فيه الخيال والتفكير والإحساس في مزاج متزن، ويحقق المتعة الفنية والفائدة في آن واحد.⁽¹²⁾

3- يدعو الكلاسيكيون إلى نزعة عقلية متشددة، والعقل أساس فلسفة الجمال وهو مصدر القواعد الأخلاقية وما يقرر العقل صلاحه فهو كذلك، ويطبّقون هذه النزعة على العمل الأدبي في إبتكاره وصياغته ونقده ونتيجة لذلك يطالبون الأدباء بما يلي:

_ التقيد بالقواعد والأنظمة التي يقررها النقاد لهذا المذهب كقاعدة فصل الأجناس الأدبية وقاعدة الوحدات الثلاث في المسرح (الزمان والمكان والحدث)

_ ضبط خيال الأدب وتقييده في حدود تتوافق مع العقل ومنعه من الانطلاق في عوالم غير مألوفة في نطاق المعرفة الكلاسيكية.

_ احترام القوانين ولأعراف والتقاليد الاجتماعية السائدة وعدم التعرض لها أي كان مبادئها وآثارها على الناس والأدب.

_ ربط الأدب بالمبدأ الخلقى وتوضيفه في الغايات التعليمية فعلى الأدب أن يغلب الخير والشر دائما ويعلم الناس شيئا مفيدا.⁽¹³⁾

4- التعبير عن المواقف الإنسانية العامة المشتركة بين الناس التي ما من شأنها تدخل في أرض القوم بدور القيم والقدوة الحسنة على الإطلاق، وليس الأمر مقصورا على هذا فقط وإنما يدخل فيما يستوي فيه الأحياء كالكره وغيره.

5- الاهتمام بالمسرح أكثر من الشعر الغنائي لمقدرته على تجسيد العواطف النفسية العامة وإمكانياته الواسعة في التوجيه والتعليم وتناسبه مع الاتجاه العقلي الذي يتميز به الكلاسيكيون وتكتب المسرحيات الكلاسيكية شعرا.⁽¹⁴⁾

6- الاهتمام بالطبقات العليا في المجتمع واختيار روائع الأدب من حياة العصور والنبلاء والقادة والاستفادة من التاريخ القديم وأحداثه وقلة الاهتمام بالطبقات الشعبية العامة⁽¹⁵⁾ بروز تيارات فكرية كالحركات الإصلاحية، ووجود الصحافة وإحياء التراث والترجمة، ونشوء الوعي الوطني.

أبرز الأدباء الكلاسيكيين العرب:

- 1- محمود سامي البارودي
- 2- أحمد شوقي
- 3- مارون نقاش
- 4- حافظ إبراهيم
- 5- إبراهيم علي الجارم (من مصر)
- 6- خليل مردم (من سورية)
- 7- شفيق جبيري (من سورية)
- 8- خير الدين الزركلي (من سورية)

نماذج من إبداعاتهم:

يقول رائد المذهب الكلاسيكي محمود سامي البارودي مقلداً الأقدمين في الشكل والمضمون وغيرهما:

| | | |
|--------------------------------|-----|--------------------------------|
| فيا قوم هُبوا إنما العمر فرصةٌ | *** | وفي الدهر طُرقُ جمّةٍ ومنافع |
| أصبراً على مس الهوان وأنتم | *** | عديد الحصى؟ إني إلى الله راجعُ |
| وكيف ترون النذل دار إقامة | *** | وذلك فضل الله في الأرض واسع |
| أرى رؤسا قد أيتعت لحصاها | *** | فأين ولا أين السيوف القواطع |
| فكونوا حصيداً خامدين أو افزعوا | *** | إلى الحرب حتى يدفع الضيم دافع |

يقول أحمد شوقي معارضا لسينية البحري في رثاء مملكة الأكاسرة يجعل قصيدته رثاءً لأمجاد العرب في الأندلس، ووادي النيل جاعلاً منها حياً مقدساً للوطن:

| | | |
|---------------------------|------|----------------------------|
| وطنى لو شغلت بالخلد عنه | **** | نازعتني إليه في الخلد نفسي |
| وهفا بالفؤاد في سلسبيل | *** | ظماً للسواد من عين شمس |
| شهد الله لم يغب عن جفوني | *** | شخصه ساعة ولم يخل حسي |
| يصبح الفكر و المسلة ناديه | *** | وبالسرحة الزكية يمسى |

وفيها يقول:

| | | |
|--------------------------|-----|-------------------------------------|
| أين مروان في المشارق عرش | *** | أموي وفي المغرب كرسى |
| وعظ البحترى إيوان كسرى | *** | وشفتني القصور من عبد شمس |
| وكأني أرى الجزيرة أيكاً | *** | نغمت طيره بأرخم جرس ⁽¹⁶⁾ |

التعقيب:

ومن خلال ما سبق عرضه من النصوص نلاحظ أثر التقليد فيما ينفثه أدياء هذا المذهب حيث إنهم يضعون أقدامهم على موضع قدم السابقين من الشعراء متحاشين شوارد الكلمات والتصنع في البديعيات والتعقر في المعاني والخيال. فالبارودي في نموذج شعره السابق نلاحظ قدراً من خصائص المذهب الكلاسيكي، إذ أحسن اختيار الألفاظ فتراه يستعمل (عديد الحصى) كنايةً عن استعصاء الحصر والتعداد على من يروم إحصاء قومه، وكذلك كلمة السيوف دون الأسياف الدالة على القلة وكلمة افزعوا الدالة على صدق شعوره وإحساسه... وكما اهتم البارودي أيضاً بتجميل أسلوبه في إثارة شجاعة بني جلدته نحو الدفاع عن أنفسهم واسترداد وطنهم الحبيب من أيدي الغاشمين، لذلك تراه استهمل أبياته بالنداء (فيا قوم...) إيقاظاً للشعور وتنبيهاً على ما ينبغي القيام به كما أن من حسن اختياره للكلمات قوله: (هبوا...) لإفادة اندفاعهم وانسيابهم مثل الهواء على سبيل الالتماس والتحرير... فالأبيات اشتملت على الكلمات الفصحى، وهذا من مقدمات خصائص هذا المذهب. كما أن البارودي كان موضوعياً فيما يهتف به قومه إليه حيث كان مشاطراً لهم الهموم مخاطباً لعقلهم، مما يظهر نزعة العقلية في الموضوع المعالج. وفي أبياته أيضاً نوع من الأساليب البلاغية كأسلوب الخبر والإنشاء وغيرهما فمثال الخبر قوله: إني إلى الله راجع.. ومثال الإنشاء: أصبراً على مس الهوان.. فهو استفهام إنكاري... كما نرى أثر التناس في قوله:

أرى أروسا قد أينعت لحصادها*** فأين ولا أين السيوف القواطع

فهو في هذا البيت يتأثر بحجاج بن يوسف الثقفي في أحد خطبه المشهورة لأهل الكوفة، وفيه استعارة مكنية، علاوة على ما يتمتع به شعره من الألفاظ السلسلة البعيدة عن التكلف وعن الركافة المنقّرة وعن الابتذال المعيب؛ ذلك أنه حاول السير على خطّ القدماء من روعة البيان وحلاوة الموسيقى داخليةً وخارجيةً.

وما رأينا في البارودي مائل في قصيدة أحمد شوقي من عدم استدعاء للكلمة كما نرى في اختياره للكلمات الفصيحة مثل: سلسبيل، ونازع، والسواد، وأرخم وشفّ، فهذه الكلمات وغيرها مما في القصيدة وقعت في المواقع المناسبة جزاء ما في علم شوقي أن مواقع الكلمات كمواقع النجوم، وأسلوبه أسلوب جذاب مشاطراً فيه للناس أحاسيسهم ولم يخالف ما تعارف عليه الناس من حبّ الوطن والحنين إليه وهذا يظهر في مطلع قصيدته هذه:

وطني لو شغلت بالخلد عنه** نازعتني إليه في الخلد نفسي

هذا، وقد نلمس مثلاً حيّاً للنزعة العقلية التي هي أحد ركائز المذهب الأدبي الكلاسيكي، ونراه أيضاً يسعى وراء البديعيات غير المتكلفة وبناء الشعر على غير الأوزان المولدة المفوّتة على العربية بعض قيمها وجمالها.

دور المذهب الكلاسيكي في حفظ التراث العربي

لا ينطج عن أن التراث العربي مصدر أصيل يقتبس منه، ومعين صافٍ يستقى منه، وأساس قويّ يبني عليه؛ ورمز للهوية لأي مجتمع من المجتمعات فهو يربط بين الماضي والحاضر والمستقبل؛ لما أن أربابه عاشوا في زمن سلمت فيه اللغة العربية من الخطأ الناجم عن اختلاط العرب بغيرهم وعن بعض التعريبات المشعرة بالفقر اللغوي، كما أنها مازالت وقتئذٍ محتكمةً إلى السليقة.

يتعرض التراث في الوقت الحالي للعديد من التهديدات والتدميرات التي تسبب له الاضمحلال، والذي يعتبر ضرراً يمس جميع الشعوب بسبب تغييرات الأحوال الاجتماعية والاقتصادية، لذا يفضل بذل

جهود مضمّنية للمحافظة على التراث من الضياع من خلال حمايته على الصعيد الوطني، وكذلك على الصعيد العالمي، ووضع دستور عالمي من قبل منظمة اليونسكو العالمية، ينص على أنه يجب المحافظة على التراث العالمي وحمايته من الدمار، كما ألزم جميع الدول الموقعة على هذا الدستور بضرورة تطبيق هذا الاتفاق، بالإضافة إلى ضرورة مشاركة وتعاون المجتمع الدولي ككل، من أجل حماية التراث الطبيعي والثقافي من خلال الأساليب العلمية الحديثة⁽¹⁷⁾

وإذا كان الفضل الذي يتمتع به التراث العربي لتنوع بالعصبة أولى القوة فهو في حاجة ماسة إلى ما يحيي بيضته عن التشقق ويسيج بنيانه عن التسلق وذلك بأدوات شتى، ومن تلكم الأدوات استنطاقه بين الحين والآخر والرعي حول حماه المتمثل في المذهب الكلاسيكي (الاتباعي) من المذاهب الأدبية؛ ذلك أنه محاولة إبقاء اللغة الحاملة للتراث على عهدا القديم إلا ما لا بدّ منه مما فرضته التطورات العصرية بشرط أن لا يترك بصمات الضعف والتقهقر على اللغة العربية، إذ كيف يرضى عربي أو مستعرب بمصطلحات جديدة بديلة بمصطلحات عربية قديمة، فمثلا التناص هو عين الاقتباس في التراث العربي القديم إلا ما ألحق به من التغييرات لا تسمن ولا تغني، والأسلوبية أليس هي الأسلوب المعترف في اللغة القديمة إلا أدخل عليه من تغيير في الشكل، لذلك ترى كثيرا من أديباؤنا اليوم لا يرضون عن هذه البدائل لما يرون فيها من الحطّ من قدر اللغة العربية.

وعلى هذا، ندرك أن للمذهب الكلاسيكي دوراً كبيراً في الاحتفاظ بمجد التراث العربي من خلال الإحالة إليه كمصدر أسامي يمكن الاعتماد عليه والاستقاء منه، ومن خلال النسج على منواله شكلا ومضمونا، وعدم الخروج على نظامه نثراً وشعراً لأجل إعادته إلى سيرته الأولى.

النتائج

بعد هذه الجولة اليسيرة توصلت إلى ما يلي:

-الوقوف على أهميّة المذهب الأدبي الكلاسيكي في المحافظة على عمود الشعر العربي ودورها في رفع مستوى الشعر في الأدب الحديث إذ الكلام من الكلام كما يقال.

- أن الجديد الجيد لا يقوم على أنقاض القديم وإنما يكون على أسه وبنائه إذا أريد السلامة والقوة للأدب العربي بين الآداب العالمية.

- أن تراث العرب في الأدب الحديث لا يكون له قيمة إذا أهمل ما أنتجته قرائح الأدياء الأقدمون.

- أن بقاء التراث العربي يضمه السير تجاه المذهب الكلاسيكي من المذاهب الأدبية، ذلك أنه كان مرجعية أدبية حية يعرض إليه من أراد الجودة والرصانة لكل ما ينتجه من بنات الفكر.

- أنه يحافظ على أفكار الأقدمين ومناهجهم الحياتية حتى تبقى صورة حياتهم في ذاكرتنا ونربطها بحياتنا إذ الأدب - كما يقال - الحياة.

الهوامش

- 1- الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، موقع الوراق، بواسطة المكتبة الشاملة، ج1، ص499
- 2- إبراهيم مصطفى وغيره، المعجم الوسيط، تحقيق مجمع اللغة العربية، دار النشر، دار الدعوة، بواسطة المكتبة الشاملة، ج1، ص10
- 3- عبد الله أبو أيمن، المذاهب الأدبية وتأثيرها في الأدب على مر العصور، www.arab2-daz.arabepro.com الخميس أبريل 26/2012 - 11/03 pm
- 4- عبد الحق حمادى الهواس، المذاهب الأدبية، www.airssforum.com 9/23/2010/03/08
- 5- مجهول القائل، المذاهب الأدبية في الغرب، www.alukah.net 2009/06/02
- 6- المرجع السابق
- 7- عبد الحق حمادى الهواس، المرجع السابق.
- 8- المرجع السابق
- 9- المرجع السابق
- 10- عبد الله أبو أيمن، المرجع السابق، 12/10/2012 - 59/13
- 11- عبد الحق حمادى الهواس، المرجع السابق
- 12- عبد الله أبو أيمن، المرجع السابق
- 13- المرجع السابق

- 14 المرجع السابق
- 15 عبد الحق حمادى الهواس، المرجع السابق
- 16 المرجع السابق
- 17 محمد مروان، آخر تحديث:15:44، 12 نوفمبر 2017م، بواسطة www.mawdoo3.com يتصرف يسير

المثل العربي وقيمته التعبيرية في اللغة الشعرية: قراءة في مقصورة ابن دريد نموذجاً

إعداد:

يوشع محمد عبد الله

University of education, Winneba college of technology education, Kumasi.¹

ملخص البحث:

يستهدف هذا البحث الكشف عن كيف تم توظيف الأمثال العربية في مقصورة ابن دريد، ومدى نجاح ذلك، مع بيان ما أضافته هذه الأمثال للنص الدريدي من القيم التعبيرية والدلالية. لقد استعدت الدراسة اتخاذ إجراء استقرائي منهجاً من خلاله يتم اختيار الأبيات المشترية أمثالا في القصيدة لبيان منهجية توظيفها، مع كشف ما انضاف إلى أسلوب القصيدة وبنيتها الدلالية من القيم والجماليات، جزاء استخدام الأمثال، ما يزيد المتلقي تذوقاً للنص وشوقاً للاستمرار في قراءته، دونما سأم أو ملل، حتى تتحقق له البنية الدلالية للنص. هذا وقد أسفرت الدراسة عن بلاغة الأمثال في النص الدريدي، كما أجلت براعة ابن دريد والنجاح الذي تحقق نتيجة لتوظيفه للأمثال في توصيل أفكاره.

ABSTRACT

This Article seeks to explore Arabic proverbs in the poem known as: "Maqsuuratu Ibn Duraid". Inductive approach has been employed to select verses that contain proverbs. This is to explain how successfully Ibn Duraid used proverbs to convey his ideas. The Article also explains how the proverbs in the poem added expressive values, aesthetics and semantic significance to Ibn Duraid's style. This will make readers enjoy the full meaning of the text.

¹ youshauabduallah78@gmail.com, P.O. Box: 1277

المقدمة:

إن الأمثال العربية من الظواهر اللغوية التي عني بها اللغويون والأدباء، حفظاً وتصنيفاً؛ فقد خصصت لها - منذ القدم - تصانيف، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: "مجمع الأمثال للميداني"، و"جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري"، و"المستقصى في أمثال العرب للزمخشري"، وغيرها من الكتب القديمة. كما أجريت حول الأمثال دراسات في العصر الحديث، نحو: "الأمثال في الحديث النبوي الشريف، جمع وتخريج ودراسة: للدكتور محمد جابر فياض العلواني". و"الأمثال العربية والعصر الجاهلي، دراسة تحليلية، للدكتور محمد توفيق أبو علي."

ويمكن عدّ محاولتنا المتواضعة هذه إسهاماً منضافاً إلى تلك الدراسات الجادة التي تهدف إلى إثراء اللغة العربية عموماً، والأدب العربي خصوصاً، حيث إنها محاولة قامت على دراسة عملية للمثل العربي، مستعينة بمنهج استقراء واستخراج ما تنصّ في مقصورة ابن دريد من الأمثال العربية، وانهمض مع عبارات ابن دريد وأفكاره، وانسبك معها لتتحقق بذلك روعة الأسلوب ورشاقته، ولينتج عن ذلك انسجام معان يأخذ بمجامع القلوب.

هذا، وتشتمل الدراسة على مقدمة تشمل سبب دراسة القصيدة، لتأتي بعدها المواضيع التي تمت دراستها، والتي تتمثل في: "ابن دريد وقصيدته المقصورة"، "الأمثال في لغة الشعر"، "الأمثال في المقصورة الدريدية"، "طريقة توظيف ابن دريد الأمثال في المقصورة"، "جماليات الأسلوب في المقصورة الدريدية"، ثم الخاتمة، إضافة إلى ملخص للدراسة.

ولقد وقع الاختيار على مقصورة ابن دريد لإلقاء الضوء على ما بها من الأمثال؛ كونها تبرهن على ما للأمثال العربية من القيم التعبيرية، من جهة، وعلى شيوع توظيفها في النصوص الشعرية العربية، من جهة أخرى، وهو ما يتناسب وعصر الشاعر وذوق مجتمعه. ذلك أن "وظيفة الكلام تأخذ بعين الاعتبار السياق الاجتماعي للبحث، ومن ضمنها أهداف المرسل والأوضاع الاجتماعية للمساهمين في عملية التواصل. فالكلام يتخذ شكلاً معيناً تبعاً لموقعه في المجتمع، وبالتالي تختلف الوظيفة السيميائية بين موقف وآخر".²

على أن ذلك لا يعني بالضرورة أنهم كانوا يكثرون من الأمثال إكثاراً يُفُرطون فيه، فالعبرة ليست بكثرتها في نص ما، وإنما العبرة بحسن السبك وجودة الصناعة وجمال النظم، ما يثبت براعة مؤلف النص.

وتجدر الإشارة إلى أن العناية بدراسة هذه الظاهرة في الموروث الأدبي القديم، كالنص الدردي هذا، من شأنها أن تربط الجيل المعاصر بالأجيال السالفة، جاعلة من التراث الثقافي قديماً متجدداً، تجدداً يضمن حيويته وديمومته.

ابن دريد وقصيدته المقصورة:

هو الإمام أبو بكر محمد بن الحسين بن دريد بن عتاهية. ولد بالبصرة في عصر العلم الذهبي، عصر هارون الرشيد، سنة 223هـ، وتوفي ببغداد سنة 321هـ³.

أما قصيدته المقصورة، فهي أشهر قصيدة مقصورة. " والمقصود بالمقصورة في الشعر: ما كان بناء القافية فيه على حرف الألف غير الممدودة. ولم يكن مثل ذلك ذائعا في شعر الجاهليين، وإن جاء في قصائد ومقطعات معدودات، وكثر كثرة لا تحصى في شعر الأمويين والعباسيين ... ولقد كان ابن دريد أول من شُهر عنه الإطالة في هذا اللون من الشعر، ومقصورته هذه أشهر مقصورة عرفها التاريخ".⁴ بل إنها أشهر شعر ابن دريد وأجوده. بها اشتهر وذاع صيته. مدح بها الحاكم عبد الله بن محمد الميكالي، وابنه الأمير أبي العباس إسماعيل. قيل إن الناظم أحاط فيها بأكثر المقصور، وتبلغ أبياتها في أجود شروحها (231) بيتا، وقد زيد على الأصل أبيات ليست منه.⁵

ولقد تبارى في حفظ المقصورة متسابقون، وعُني بشرحها قديما وحديثا عدد غير قليل من الشراح، منهم محمد بن أحمد بن هشام اللخمي (ت: 577هـ)، وشرحه أشهر وأوفى. ومنهم ابن خالويه، والجواليقي، والخطيب التبريزي، وعبد الله الصاوي، وعبد القادر الجزائري، وعبد الوصيف محمد، وعبد العزيز بن علي الحربي، ومحمود حسن زيني.

طبعت المقصورة مرات عديدة. وترجمت إلى لغات مختلفة كثيرة؛ لما تحويه من الملكة اللغوية والمقدرة الشعرية الفذة والإشارات التاريخية والأدبية والحكم الماثورة والأمثال المنثورة، ما جعل الناس يولونها هذا الاهتمام.⁶

الأمثال واللغة الشعرية:

تعد الأمثال ظاهرة لغوية مهمة تشترك فيها اللغات البشرية؛ لما تمتاز به من قيمة ثقافية، ولقدرتها على التعريف عن حقيقة المجتمع، وتصوير واقعه وفكره. وقد تنبع الأمثال من الواقع، وقد تنبع من الخيال، حيث تصاغ على لسان حيوان أو جماد أو نبات، ولكنه رمز للواقع وستر للحقيقة".

إن اللغة الشعرية مرتفعة عن لغة الشارع؛ فهي، حسب وصف "جينكوهن" CohenJean لها: "كل ما ليس شائعاً ولا عادياً ولا مصوغاً في قوالب مستهلكة"،⁷ ويفرق بينها وبين لغة النثر باعتبارها الانزياح عن لغة النثر، فلغة النثر توصف بأنها لغة الصفر في الكتابة.⁸

ولما كان المثل آلية ترتقي بها لغة الشعر- لما يحمله في أطوائه من القيمة التعبيرية والدلالية- عُني به فحول الشعراء فتمقوا به أساليهم وعمقوا به أفكارهم؛ فقد كان الشاعر يأتي في بعض أبياته بما يجري مجرى المثل، من حكمة أو نعت أو غير ذلك مما يحسن التمثل به. فالنابغة الذبياني من شعراء ما قبل الإسلام، مثلاً، استعان بالمثل في الاعتذار:

ولست بمستبق أخال تلمه على شعث أي الرجال المهذب⁹

وفي العصر الأموي أيضاً وظف الشعراء الأمثال، فهذا الفرزدق، على سبيل المثال، يقول:

إذا ما أرادوا أن يُحيرَ قدوفاً أبى من تقصّي نفسه لا يُحيرها¹⁰

في هذا البيت توظيف للمثل العربي: "أراك بشرُّ ما أحرَّ مشقَرٌ"،¹¹ وقد استعان به الفرزدق في هجاء بني جعفر " بأنهم يخشون الموت ويطلبون الحياة والغنى، بوصفهم يردون روحهم إلى جوفهم، ليوظف هذا المثل الذي يضرب فيمن يستغنى بحالة حسنة أو قبيحة عن سؤاله. فأفلح الفرزدق في إثبات تلك

السلبية لبني جعفر، وفي الوقت نفسه أثبت حقيقته وقومه بأنهم يمتازون بالخصال العربية، منها: لا يهابون الموت ويكرمون الضيف، وغيرها من الخصال التي ذكرها في الأبيات التالية لهذا البيت¹²:

وكان الشعر في العصر العباسي يتسم " بسمات فنية وفكرية، حيث مالت الأفكار إلى العمق والترتيب والتحليل والاستقصاء. واتسعت المعاني وظهرت المعاني الجديدة المستوحاة من طبيعة الحياة العصرية في ذلك العصر"¹³. وكان الشعراء يضمنون نصوصهم شيئاً من الحكم والأمثال العربية، بوصفها أقوالاً تصور واقع المجتمع، وتصدر من ذوي خبرة وحكمة وتجربة في الحياة، يضاف إلى ذلك ما تتميز به من بلاغة ونصاعة وقوة تأثير. فهذا أبو تمام مثلاً، كان يوظف الأمثال. فلقد ذكر ابن أبي الأصبع " أنه استخرج أمثال أبي تمام من شعره، فوجدها تسعين نصفاً وثلاثمئة بيت وأربعة وخمسين بيتاً، واستوعب أمثال أبي الطيب المتنبّي، فوجدها مئة نصف وثلاثة وسبعين نصفاً وأربعمئة بيت، ولكنه أخرج من أمثال أبي الطيب ما ولده من أمثال أبي تمام، وصدر الجميع بما وقع في الكتاب العزيز من الأمثال، بزيادات على ذلك"¹⁴.

ولقد فطن البلاغيون العرب لظاهرة تضمين الشعر الأمثال، فعنوا بدراسة الظاهرة، واصطلحوا عليها بـ "العقد"، كما أطلقوا على الظاهرة المضادة للعقد مصطلح "الحل". كل ذلك للتنبيه على أن العرب، لفرط ولعهم بالأمثال قد تفننوا فيها، فمنها ما هو متضمن في الشعر، ومنها ما حوته نصوص نثرية مختلفة، وكلاهما عندهم جيد.

الأمثال في مقصورة ابن دريد:

ليس يختلف أبو بكر بن دريد الأزدي عن غيره من فحول الشعراء العباسيين في عنايتهم بلطافة الفكر، ونقاء السبك، ومتانة الحبكة، وجودة الأسلوب. فقد أكد عبد الوصيف محمد أن مقصورة بن دريد من أسى ما أُلّف في الأدب العربي "فقد جمع فيها ما تفرق في شتى المعاجم من كل مقصور، وأبدع نظمها، وأحسن سبكها بكل مثل منثور، حتى بدت طرفة فن الأدب، ونادرة المتندين في نوادي العرب"¹⁵

إن ما تتضمنه المقصورة من الحكم والأمثال يشهد لصاحبها بغزارة العلم وفحولة في الشعر وقوة الذاكرة وسعة الثقافة التاريخية والأدبية واللغوية، كما يقرر ذلك أصحاب التراجم، فأبو الطيب اللغوي

(ت:351هـ) يشير في مراتب النحويين إلى أن ابن دريد " هو الذي انتهى إليه علم لغة البصريين. كان أحفظ الناس وأوسعهم علماً، وأقدرهم على شعر؛ وما ازدحم العلم والشعر في صدر أحد ازدحامهما في صدر خلف الأحمر وأبي بكر ابن دريد، وتصدر ابن دريد في العلم ستين سنة" ¹⁶ وكان يقال إن " ابن دريد أشعر العلماء وأعلم الشعراء" ¹⁷.

إن الشاعر وهو متصف بهذه الصفات، لا غرو أن يُكتب له هذا النجاح - كما ستوضح الدراسة - في تسخير الأمثال في شعر يختار له بحراً يتناسب وذوق كل متلقٍ. فإذا كانت القصيدة قد أريد لها أن تحوي النصائح والمواعظ والإرشادات، فلا بد لمضمونها أن يتعارض - حتماً - والشكل المعقد المتجسد في أبحر شعر معقدة يستعصي استعمالها على الرجل العادي المستهدف بهذه النصائح والمواعظ والإرشادات. ومن ثمّ، اختار لها بحر الرجز المعروف بـ "بحمار الشعر": لسهولة استخدامه الناتجة عن تركّبه من تفعيلية واحدة مكررة، ولمناسبته جميع الأذواق، حيث إنه أقرب الأبحر من النثر. وهذا البحر هو:

مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن

أضف إلى ذلك أن القصيدة اعتمدت على روي ترتاح له النفوس، وتنسجم معه الطباع، ممثلاً بصوت الألف المقصورة، وهو صوت خفيف وسهل النطق، تنساق له الألسن لانتهائه للهواء؛ فلا تكلف في إخراجها، بل إنه يعين المتلقي على التنفس، فيقرأ القصيدة دون عناء ولا ملل. على أن هذا الصوت جعل من كل بيت بل القصيدة بأسرها خفيفة خفة الروي نفسه. فلقد أكد الجاحظ أن "حروف الكلام وأجزاء البيت من الشعر، تراها متقّقة مُلساً، وليّنة المعاطف سهلة، وتراها مختلفة متباينة ومتنافرة مستكرهة، تشقُّ على اللسان وتكُدُّه، والأخرى تراها سهلة ليّنة، ورطبة مُتواتية، سلسة النظام، خفيفة على اللسان، حتى كأن البيت بأسره كلمة واحدة وحتى كان الكلمة بأسرها حرف وحد" ¹⁸.

جاء في بغية الوعاة ¹⁹ أن مطلع المقصورة:

إما تري رأسي حاكي لونه طرة صبح تحت أذيال الدجى

على أننا نجد أن بعض النسخ، مثل نسخة عبد الوصيف محمد، يُعدُّ مطلع القصيدة هو:

يا ظبية أشبه شيء بالمها ترعى الخزامى بين أشجار النقا

وأيا كان مطلعها، فإن الأهم منه أن المحققين قد أجمعوا على صحة نسبتها إلى أبي بكر بن دريد الأزدى.

ولعل من الجدير - هنا - أن نشير إلى أبيات تتضمن الأمثال، على النحو التالي:

شجيت لا بل (أجرضتي) غصة عنودها أقتل لي من الشجي

"أجرضتي غصة": فيه إشارة إلى المثل السائر: حال الجريض دون القريض. الجريض: الغصّة، من

الجَرَض وهو الريق يُغصُّ به. وهذا المثل: يُضرب للأمر يُقدَّر عليه أخيراً حين لا ينفع.

شَيْمٌ (سحاب خُلِبَ بارقُه) وموقفٌ بين ارتجاعٍ ومُنَى

سحاب خُلِبَ بارقُه: يقال برقٌ خُلِبَ وبرقٌ خَلِبٌ، بالإضافة. يضرب لمن يَعِدُ ثم يُخلف ولا يُنجز.

لكها (نَفَثَةٌ مصدورٍ) إذا جاش لُغام من نواحيها عَما

نَفَثَةٌ مصدورٍ: من قولهم: "المصدور أنفث"، يضرب في عذر شكاية الرجل بثه وحرزته.

فاستنزل الزبء قسراً وهي مِنْ (عقاب لوح الجوّ) أعلى منتهى

هي من عقاب لوح الجوّ أعلى منتهى: مأخوذ معناه من قولهم: فلان أمنع من عقاب الجوّ. أي: هو لامتناعه

وحصانته بمنزلة لوح الجوّ. وهذا المثل قاله عمرو بن عدي لقصير بن سعد في قصة الزبء المشهورة.

لست إذا ما بهظتني غمرة بمن يقول: (بلغ السيلُ الرُّبى)

بلغ السيلُ الرُّبى: يضرب لما جاوز الحد.

ولا أقول إن عَرَّتني نكبةٌ قولُ القنوطِ: (انقَدَّ في البطنِ السَّلا)

انقَدَّ في البطنِ السَّلا: يضرب إذا بلغ أحدهم في الكرب غايته.

إن امرؤ خيف لإفراط الأذى لم يُخشَ مني نَزَقٌ ولا أذى

من غير ما وهن ولكني امرؤ أصون عِرْضاً لم يُدَيِّسْهُ الطَّخَا

هذا الكلام مأخوذ معناه من المثل النبوي: الشديد من ملك نفسه عند الغضب.

إني (حلبتُ الدهرَ شطريه) فقد أمرٌ لي حيناً وأحياناً حلاً

حلبتُ الدهرَ شطريه أو حلبتُ الدهرَ أشطره: مثل يضرب للرجل المجرب.

(وفرَّ عن تجرِبَةٍ) نابي فقلُّ في بازلٍ راضٍ الخطوبَ وامْتَضَى

فرَّ عن تجربة ناي: "هذا مثل مأخوذ من قولهم: فر عن الدابة، إذا فتح فاها.
و(الناس للموت خلا يلسُّهم) وقلَّ ما يبقى من اللَّسِّ الخلا
الناس للموت خَلاً يلسُّهم: هذا مثل مضروب للموت والناس.
واللوم للحر مقيم رادع والعبد لا تردعه إلا العصا
أخذ الشاعر معنى هذا البيت من قولهم: العَبْدُ يُقْرَعُ بِالْعَصَا وَالْحُرُّ تَكْفِيهِ الْإِشَارَةُ.

طرائق توظيف ابن دريد الأمثال:

تجدد المحاولة هنا للإشارة إلى المنهجية التي تبناها ابن دريد في التعامل مع الأمثال العربية. ولعل من المناسب في هذا الصدد أن نحاول أن نتجاوز بالنص الدردي من القول بمجرد التضمين إلى ما يصطلح عليه النقاد المحدثون بالتناس. ذلك ان التضمين، كما حدده البلاغيون، خاص بأن "يُضَمَّنَ الشَّعْرُ شَيْئاً من شعر الغير، مع التنبيه عليه، إن لم يكن مشهوراً عند البلغاء".²⁰

فمن هنا، كان القول بالتناس أولى؛ لأنه عبارة عن تصاهر النصوص، بصرف النظر عن كونها شعراً أو نثراً. وليس يعني ذلك إبعاداً للنص الدردي عن مفهوم التضمين بالكلية، بل إنه تجاوزاً به إلى التناس الذي هو أوسع وأشمل منه مفهوماً؛ إذ ليس يبعد التضمين كثيراً عن التناس، بل إنه مما عرج عليه متناصون، بوصفه تجلياً من تجليات الإيجاز الذي هو إحدى آليتي التناس.²¹ والتناس، ظاهرة تسمح بتجاوز السياق اللغوي الداخلي للانفتاح على ما هو خارج النص من النصوص والدلالات الأخرى، خلافاً للبنية التي تجعل من الأثر الأدبي نظاماً من الدوال اللغوية تربطها علاقات داخلية تجعل من هذا الأثر عالماً مغلقاً على نفسه لا يحيل على ما هو خارج منه.

فإذا كانت الأمثال نصوصاً مستقلة لها بنياتها الدلالية الخاصة بها، فإن النص الدردي قد نجح في الانفتاح على بعضها وهضمها واستيعابها بطريقة سمحت لصاحب النص أن يصوغ منها ومن غيرها من الدوال اللغوية أبيات شعر عبّر بها عن مضمون النص الذي يقدمه للمتلقى. فهذا النص إذن، ليس مجرد نسخة كاربونية لنصوص سابقة تحاكيها محاكاة عمياء، وليس صاحبه هو الآخر مجرد ناسخ، كما يحاول

رولان بارت إقناعنا به من أن النص ما دام "مجموعة من النصوص المتداخلة يتحول عبرها المؤلف إلى مجرد ناسخ ليس إلا".²²

يقرر اللغويون أن الأمثال لا يُتَدَخَّلُ في بنياتها التركيبية بزيادة أو نقص أو تغيير لحركاتها الإعرابية أو البنائية، ولا بتقديم بعض ألفاظها على بعض، إذ قالوا: "الأمثال تحكى. يعنون بذلك أنها تُضْرَبُ على ما جاءت من العرب، ولا تُغَيَّرُ صيغتها، فتقول للرجل: الصيف ضيَّعتِ اللبن، فتكسر التاء، لأنها حكاية".²³ فعلى هذا فإن "استدعاء الشعراء للمثل يكون بأشكال: إما بشكله الكامل والمباشر بلفظه ومعناه، أو روح المثل ومعانيه التي تظهر في ثنايا أبياتهم الشعرية، أو عبر قصة المثل".²⁴

إذا كان هذا هو المتقرر، فإن الملاحظة تبدي أن ابن دريد أجاز لنفسه التصرف في بعض الأمثال بما ينسجم مع أسلوبه هو، حيث نهج في توظيفه للأمثال العربية طرائق ثلاثاً؛ فأحياناً يذكر نص المثل ضمن البيت الشعري، دون أن يتصرف فيه، كما هو الشأن مثلاً، في قوله: (بلغ السيلُ الرُّبى - انقَدَّ في البطن السَّلا).
وقد يتصرف في المثل، كما في قوله:

لكنها نفثة مصدور إذا جاش لُغَامٌ من نواحيها عَمَا

وهذا توظيف للمثل السائر: "المصدور أنفت"، وقد أورده بأسلوب قدم فيه وأخر، وهو تصرُّفٌ تزعم هذه الدراسة أنه ضرب من الانزياح، بالمفهوم الأسلوبى. ومثل ذلك قوله: (أجرضتني - سحاب خُلِبَ بارقُه - حلبتُ الدهر- اللوم للحر مقيم رادع، والعبد لا تردعه إلا العصا). وهذه هي الطريقة الثانية.

أما الطريقة الأخيرة، فهي أن يعبر عن الفكرة بعبارته الشخصية مستعينا بمعنى المثل لا عبارته، كما في قوله:

إِن امرؤٌ خيفَ لإفراط الأذى لَمْ يُخَشَ مني نَزَقٌ ولا أذى
مِنْ غَيْرِ ما وَهَنِي ولكني امرؤٌ أَصُونٌ عِرْضاً لَمْ يُدْبَسْهُ الطَّخَا

وهذه الطرائق مجتمعة تجلّي عبقرية ابن دريد في التعبير بالأمثال عن مكنون ضميره، بوصفها عنصراً فعالاً من عناصر اللغة الشعرية التي بها ألف قصيدته. شأنه في ذلك شأن الكاتب الناجح "عند اعتماده خصوصاً أخرى، فهو لا يعيدها كما هي، وإنما يعيد صياغتها بعد تفكيكها في ذاكرته، فيصحبها من جديد في قوالب جديدة بعد أن حور فيها وعدل في شكلها ومضمونها"²⁵.

وليس ابن دريد شاذاً في هذا التصرف، بل إنه منوال شائع عند العرب نسج عليه شعراء، كما سبق الإشارة. ثم إن القراءة المتأنية للقصيدة لتسفر عن توزيع حكيم، للأمثال المدروسة، يؤكد معرفة ابن دريد الواسعة للأمثال ومواطن استعمالها. وأنت تقرّ القصيدة، تلاحظ أن صاحبها لم يصب الأمثال كلها في غرض واحد معين من أغراض القصيدة، وإنما وظف - بنجاح - مثلاً أو أكثر في أغراض مختلفة، حسب ما تدعو إليه الحاجة.

ففي سياق الغزل على سبيل المثال، عندما يؤكد استحالة وصل محبوبته، يقول:

شَجِيْتُ لَا بَلْ أَجْرَضْتَنِي غُصَّةٌ عَنودُهَا أَقْتَلُ لِي مِنَ الشَّجِي
شَيْمٍ (سحاب خُلِبَ بَارِقُهُ) (وموقفٌ بينَ ارتجاءٍ ومُنَى

وفي سياق وصفه لتجربة حياته القاسية التي لم يرحمه فيها الدهر، حيث عانى من شدة الفقر، وأصبح يؤوساً قنوطاً ليس له وسيلة للتنفيس عن نفسه سوى هذه القصيدة، قال:

لَكَيْهَا (نَفَثْتُ مَصْدُورٍ) إِذَا جَاشَ لُغَامٌ مِنْ نَوَاحِيهَا عَمَا

ولما سرد أحداثاً تاريخية وما حل ببعض رموز التاريخ وشخصيات قصص لمح إليها لتكون عبرة لمن يعتبر، وظف المثل العربي في قوله:

فاستنزل الزبَاءَ قسراً وهي من (عقاب لوح الجوّ) أعلى منتهى

وحين افتخر بجَلَدِهِ وحلمه وصبره على البلاء، معتزاً بنفسه، مع ما يتمتع به من القوة، عبّر عن ذلك مستخدماً للأمثال أيضاً فيقول:

لست إذا ما بهظتني غمرة بمن يقول: (بلغ السيلُ الرُّبَى)

ولا أقول إن عَرْتَنِي نَكْبَةٌ قولَ القَنُوطِ: (انقَدَّ في البطنِ السَّلَا)

إن امرؤ خيف لإفراط الأذى لم يُخشَ مني نَزَقٌ ولا أذى
من غير وهن ولكني امرؤ أصون عِرْضاً لم يُدَبِّسْهُ الطَّخَا

وفي سياق النصيحة والوعظ والإرشاد، استعان بأمثال كذلك، كما في قوله:

إني (حلبتُ الدهر) شطريه فقد أمرّ لي حيناً وأحياناً حلاً
و(فرّ عن تجرّبة) نابي فقل في بازلٍ راضٍ الخطوبَ وامتضى
و(الناس للموت خلا يلسُّهم) وقلّ ما يبقى من اللسنِ الخلا
واللوم للحر مقيم رادع والعبد لا تردعه إلا العصا

هذا التوزيع الحكيم والتنوع للأمثال يؤكد لنا براعة الشاعر وفحولته؛ فالغزل والفخر والاعتزاز بالنفس وغيرها من أغراض القصيدة كل منها يتضح ويترسخ معناه باستخدام أدوات التعبير الراقية، مثل الأمثال، إذا الشاعر أجاد نسجها شعراً.

جماليات الأسلوب في المقصورة :

أدرك ابن دريد أن قوة اللفظ لقوة المعنى، وأن المعنى السامي لا بد له من أسلوب سام، وهو بذلك ينطلق من النظرية التي تقول بجدلية العلاقة بين اللغة والفكر، والتي مؤداها أن البنى السطحية مرتبطة بالبنى العميقة، ومن الأخيرة تستمد الأولى شرعية وجودها، فهي التي تبني النظام النمطي للتراكيب، فلا تستقيم البنى السطحية ما لم تستقم القوانين الذهنية المنظمة لها.

ولما كان ابن دريد يحمل في قلبه فكراً جليلاً يتجسد في الحكم والمواعظ والنصائح وغيرها من أغراض قصيدته، تحتم عليه أن يبلور ذلك بأسلوب رفيع، متين الحبك، ينتقي له ألفاظاً وعبارات صحيحة فصيحة، لها في النفس أثر خلاب، لتتحقق البنية الدلالية للقصيدة.

على أن الأسلوب ليس وسيلة للتعبير عن المعنى فحسب، بل به يميز الأديب عمله الأدبي عن أعمال الآخرين. ومن خلاله تتجلى قدراته الإبداعية وعبقريته التأليفية. ولهذا يتفق المتأدبون وعلماء العربية على أن الأسلوب: " هو المذهب الكلامي الذي انفرد به المتكلم في تأدية معانيه ومقاصده من الكلام. أو هو طابع

الكلام أو فنه الذي انفرد به المتكلم".²⁶ فأسلوب الفنان هو تجسيد لشخصيته الكتابية؛ لأنه " المرأة الحقيقية إزاء عملية التعبير بوصفها دالة على الشخصية ومعيّاراً لها".²⁷ فالأسلوب، إذن " هو الرجل"،²⁸ على حد تعبير اللغوي والكاتب الفرنسي بوفون (1708 – 1788م).

ليس يسع المقام للتوسع في استعراض كل ما في القصيدة من الخصائص الأسلوبية بشكل مفصّل، لأن البحث مختص بدراسة أمثال تخللت القصيدة، فيكفي الإشارة إلى جوانب أسلوبية خاصة بالأمثال، كونها موضوع الدراسة؛ فقديمًا قالوا: يكفي من القلادة ما أحاط بالعنق.

إن مؤلف النص يمتاز أسلوبه في توظيف الأمثال، بوضوح وجمالية. وتتجلى جمالية هذا الأسلوب في التمظهرات الآتية:

1- وحدة القصيدة: على الرغم من تنوع الموضوعات في القصيدة، فقد وفق صاحبها في تحقيق وحدتها. وأنت تقرأ القصيدة، تجدك تنتقل من غرض لآخر دونما الإحساس بذلك التنقل إلا بتدبير. تقرأها والجو النفسي العام يصحبك من بداية القصيدة لآخرها، ما يكشف عن لودعية صاحبها وقوة شاعريته.

2- الاختيار: " من الخصائص الهامة التي يتميز بها الكلام الأدبي عن الكلام العادي، هو أنه يخضع لظاهرة " الاختيار"، فالباث يتخير من الرصيد اللغوي دوال²⁹ معينة يقحمها في ملفوظه عن قصد.

وبهذا الاعتبار فإن الخطاب الأدبي هو عمل يتم عن وعي، وإن كل ما يوجد في الخطاب من تراكيب وألفاظ يؤدي وظيفة قصدها الباث. وفي هذا نقض للفكر المثالي ومتصوراته كالعبقرية والإلهام".³⁰

وفيما يلي نحاول أن نشير إلى أنواع "الاختيار" في النص:

1- الاختيار النفعي: والمقصود بها أن يستخدم الأديب الألفاظ الأكثر انسجاماً مع السياق أو المقام. ولا بد لكل أديب مبدع أن يجيد اختيار الألفاظ؛ فقد " زعموا أن صناعة الشعر وغيرها من الصناعات لا توجد وتستحكم إلا بأربعة أشياء، وهي: جودة الآلة، وإصابة الغرض المقصود، وصحة التأليف، والانتهاؤ إلى نهاية الصنعة من غير نقص منها ولا زيادة عليها".³¹ والمقصود بجودة الآلة جودة الألفاظ.

يغلب على ألفاظ المقصورة الوضوح والسهولة؛ ذلك أن القصيدة المحتوية على النصائح والوعظ والحكم وإشارات تاريخية، ينبغي أن يُختار لها ألفاظ واضحة المعاني، سهلة الفهم، بعيدة عن الغرابة. وإذا لاحظنا الأبيات المتضمنة للأمثال، نجدها متسمة بالجزالة، ما جعل أسلوب ابن دريد - على مستوى الاختيار النفعي - أسلوباً جزلاً.

3- الاختيار التركيبي: هو اختيار الأديب طريقة لوصف الألفاظ تتناسب مع قواعد اللغة العربية، وتكون أكثر تلاؤماً مع المقام والمعني المراد تأديته. إن الشعر الجيد هو ما يتمتع بجودة السبك، وحسن التأليف؛ " فصحة التأليف في الشعر وفي كل صناعة هي أقوى دعائمه بعد صحة المعنى، فكل من كان أصح تأليفاً كان أقوم بتلك الصناعة ممن اضطرب تأليفه".³²

إن المقصورة الدرديدية قصيدة جاد معناها لجودة لفظها، فقد أحسن صاحبها نظمها وأحكم نسجها، فلا تعاضل في تراكيبها ولا تعقيد؛ ذلك " أن سوء التأليف وردئ اللفظ، يذهب بطلاوة المعنى الدقيق ويفسده ويعميه، حتى يحتاج مستمعه إلى طول تأمل... وحسن التأليف وبراعة اللفظ يزيد المعنى المكشوف بهاء وحسناً ورونقاً، حتى كأنه قد أحدث فيه غرابة لم تكن، وزيادة لم تعهد".³³

4- التصوير: وهو " أسلوب من أساليب التعبير عن الأفكار، فقد يعتمد الأديب إلى التعبير عن أفكاره بأسلوب مجرد، وقد يعتمد في ذلك إلى التصوير الذي يزيد المعاني جلاءً أو يؤكدّها".³⁴ ويتمظهر التصوير في أسلوب ابن دريد في المقصورة فيما يلي:

أ - التشبيه: إن للمثل قيمة بيانية تتجلى في التشبيه الذي هو وظيفته الأولى. ويتأيد هذا الرأي بما أشار إليه الميداني من حقيقة المثل بوصفه " ما جُعل كالعلم للتشبيه بحال الأول".³⁵ وإن توظيف ابن دريد للأمثال أفاد القصيدة قيماً تعبيرية، جعلت من تشكيلاته اللغوية أكثر ثراءً وأكثر تمتعاً بالبيان والفصاحة، ومن ثم كانت أكثر قدرة على الإبانة عن كثافة دلالية.

يظهر هذا بوضوح، على سبيل المثال، عندما يشبه الناس بالحشيش الرطب، بالنسبة للموت، فيقول:

والناس للموت خلا يلسهم وقل ما يبقى من اللسّ الخلا

ففي قوله: "والناس خلا يلسهم" تشبيهه بليغ، حيث شبه الناس بالحشيش الذي تتغذى عليه الحيوان.

2- الاختيار السياقي: وهو مظهر للانزياح، ويكون باختيار لفظ يؤدي معنى جديداً في سياق معين. ويتمظهر هنا في الاستعارات والكنائيات التي وظفها صاحب النص على نحو لافت للنظر.

ب: 1- أما الاستعارة، ف"هي ما كانت علاقته تشبيهه معناه بما وضع له، وقد تقيّد بالتحقيقية لتَحَقُّق معناه حساً أو عقلاً، أي التي تتناول أمراً معلوماً يمكن أن يُنصَّ عليه ويشار إليه إشارة حسية أو عقلية. فيقال إن اللفظ نُقل من مسماه الأصلي فجُعل اسماً له على سبيل الإعارة للمبالغة في التشبيه.³⁶ ونحن في هذه القصيدة، نلاحظ استعارة مكنية في قوله: (والناس للموت خلا يلسهم)؛ حيث يشبه الشاعر الموت بدابة جوعى ترعى العشب بِئهم، ولا تكاد تدر أو تبقي منه على شيء، فلم يذكر المشبه به الذي هو الدابة، ولكنه رمز له بشيء من لوازمه هو كلمة (يُلسُّ).

إن التعبير بالاستعارة التي تجسد الموت وتقدمه في صورة حيوان وحشي يهاجم الناس بقسوة ليجعل منهم عصفاً مأكولاً، لا يكاد يبقى منه إلا نزر يسير، إن هذا التعبير هنا أبلغ وأكثر دلالة على وحشية الموت وهمجيته – في زعمنا - من وصف زهير بن أبي سلمى للموت إذ يقول:

رَأَيْتِ الْمُنَايَا خَبَطَ عَشْوَاءَ مِنْ تَصَبِّبِ تَمْتِهِ وَمَنْ تَخَطَّيْ يَعْمَرُ فَمِهْرَمُ³⁷

ذلك أن الموت في بيت ابن دريد لا يكتفي بمطاردة الإنسان ومهاجمته وإبادته، بل إنه يتعدى ذلك إلى تمزيق جثمانه وقضمه وهضمه. وفي الإخبار عن "الناس" بالخبر المفرد "خلا" إشارة إلى حقيقة الإنسان وصفته الأبدية، هي أنه – أبد الدهر - يظل بالنسبة للموت فريسة ضعيفة لا منجى له من الموت ولا مفر. بخلاف بيت زهير الذي لا تتجاوز دلالته مجرد القتل، دون المساس بالجسد.

وتظهر الاستعارة أيضاً في قوله:

شَيْمٌ سَحَابٌ خُلِبَ بَارْقُهُ وَمَوْقِفٌ بَيْنَ ارْتِجَاءٍ وَمُئِي

حيث يشبه – على سبيل الاستعارة - حاله وهو بين الرجاء واليأس في وصل محبوبته وتدانها، بالرغم مما يكابده من التفكير فيها، يشبه حاله هذه بحال إنسان ماسّ الحاجة إلى الماء، ينظر إلى البرق الخاطف والسحاب المترقق وسط الصحراء ولا يتوقع منه نعمة الغيث.

ب: 2- الكناية: " هي أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يعي إلى معنى هو ردفه في الوجود فيومي إليه، ويجعله دليلاً عليه".³⁸ إن بالإمكان أن نزع أن ابن دريد استخدم بعض الأمثال لغرض الكناية، فقولته مثلاً: " إني حلبت الدهر شطريه": كناية عن كونه مجرباً. كما أن في قوله (:حُلِّبَ بارقه) كناية أيضاً عن يأسه، وليس يخفى ما هذا في التعبير من الإيجاز.

نخلص إلى أن الأمثال عبارة عن شواهد على واقع تجارب أولئك الذين ارتبطت بهم في أول أمرها (مصادرها)، ولأنها تصدر عن الحكماء، فإن الاستشهاد أو التمثيل بها " يزيد المنطق تفخيماً، ويكسبه قبولا، ويجعل له قدراً في النفوس، وحلاوة في الصدور، ويدعو القلوب إلى وعيه، ويبعثها على حفظه، ويأخذها باستعدادها لأوقات المذاكرة، والاستظهار به أوان المجاورة في ميادين المجادلة. والمصاولة في حلبات المقابلة".³⁹

إن توظيف الأمثال في نص ما، يزداد به التعبير قوة في اللغة الشعرية؛ لما تتميز به الأمثال من عمق الدلالة وقيم تعبيرية تنتج عن التشبيهات والاستعارات والكنائيات والإيجاز، والتي هي كلها آلية لإنتاج الدلالة وترسيخها في ذهن المتلقي. وقد أشار إبراهيم النظام إلى هذه الآليات حين أكد أنه " يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ وإصابة المعنى وحسن التشبيه وجودة الكناية، فهو نهاية البلاغة".⁴⁰

وهذه ما اجتمع للقصيدة الدريدية نتيجة توظيف الأمثال؛ ففيها إيجاز وكنائيات وتشبيهات واستعارات، وقد نجح في تسخيرها جميعها، خير تسخير، لإنتاج هذا النص.

الخاتمة:

إن توظيف الأمثال في النص الأدبي العربي ظاهرة شاعت منذ العصور الغارقة في القدم، كضرب من الاتساع اللغوي في إنتاج الدلالة. إنها ظاهرة تعطي المؤلف بعض المرونة والحرية في استخدام اللغة، بوصفها وسيلة للتعبير عن الفكر. على أن مزاج النصوص ومصاهرتها، تتطلب اقتداراً خارقاً للعادة، وأن تفكيك مختلف النصوص وربطها بحبال لغوية لتتناسل في بناء سياقي لغوي، تنتج عنه بنية دلالية متينة، هو عملية لا يقدر عليه غير النوابغ. وهو ما يكشف – هنا- عن عبقرية ابن دريد. فقد نجح - دون

تكلف- في تفكيك بعض الأمثال وإعادة تركيبها في مقصودته بطريقة جعلت من أسلوبه أكثر رشاقة، وجعلت معانيه تنسجم انسجاماً يأخذ بمجامع القلوب.

إن التناسخ الظاهر في النص الدردي، أكد ما للأمثال العربية من قيم تعبيرية وجماليات بلاغية وأساليب الحسن، وأن إدماجه في النصوص الأدبية ذو أهمية بالغة لإسهامه في ترسيخ معاني النص وأفكار المرسل في ذهن المتلقي.

الهوامش والمراجع:

- 1- بركة، فاطمة الطيبال، النظرية الألسنية عند رومان جاكوبسون: دراسة ونصوص، ص 30، ط 1993م، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع- بيروت.
- 3- محمد، عبد الوصيف، شرح مقصورة ابن دريد، ص5، المكتبة الشعبية.
- 4- الحري، عبد العزيز بن علي، مفاتيح المقصورة، ص 9-10، ط2، 1436هـ-2013م، دار ابن حزم، بيروت - لبنان.
- 5- ينظر: محمد، محمود جاسم، ابن خالويه وجهوده في اللغة، ص 99، ط 1، مؤسسة الرسالة، 1407هـ-1986م.
- 6- ينظر: محمد، محمود جاسم، ابن خالويه وجهوده في اللغة، ط 1، 1407هـ-1986م، مؤسسة الرسالة، ص 99.
- 7- كوين، جين، بناء لغة الشعر، تر: أحمد درويش، ص 24، مكتبة الزهراء، القاهرة.
- 8- ينظر: كوين، جين، بناء لغة الشعر، تر: أحمد درويش، مكتبة الزهراء، القاهرة، ص 35.
- 9- ديوان النابغة، شرح وتقديم عباس عبد الساتر، ص 28، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- 10- البصري، أبو عبيدة معمر بن المثنى، نقائض جرير والفرزدق، وضع حواشيه خليل عمران المنصور، 371/1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- 11- الزمخشري، المستقصى في أمثال العرب، 1/137، ط 1، 1381هـ-1962م، دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد - الهند.
- 12- سلوم، إنعام داود وغولي، إيمان علي القره، استدعاء الموروث الأدبي في نقائض الثالوث الأموي، مجلة كلية التربية للبنات، ص 586، مج 26 (ع2)، 2005م.
- 13- القماطي، رمضان سعد وآخرون، الأدب والنصوص والبلاغة 101/2-102، ط2، 1407 من وفاة الرسول صلى الله، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس - ليبيا.
- 14- الحموي، ابن حجة، خزانة الأدب وغاية الأرب، شرح عصام شعيتو 1/187، ط 2، 1991، دار ومكتبة الهلال، بيروت - لبنان.
- 15- محمد، عبد الوصيف، مقدمة شرح تكميلي على شرح مقصورة ابن دريد، ص3، المكتبة الشعبية.

- 16- اللغوي، أبو الطيب، مراتب النحويين، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ص 99، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.
- 17- السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم 1/ 77، ط1، 1384هـ - 1964م، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- 18- الجاحظ، البيان والتبيين، 1/ 67، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت.
- 19- السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، 1384هـ - 1964م، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1/ 80.
- 20- الصعدي، عبد المتعال، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، 4/ 118، 1999م، مكتبة الأدب.
- 21- ينظر: ناهم، أحمد، التناص في شعر الرواد: دراسة، ص 77، ط1، 2007م، دار الأفاق العربية، القاهرة.
- 22- تودوروف وآخرون، في أصول الخطاب النقدي الجديد، تر: أحمد المدني، ص105، ط2، 1989م، دار الشؤون الثقافية العامة.
- 23- أبو هلال، جمهرة الأمثال، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، ص 7/1، دار الجيل ودار الفكر، بيروت.
- 24- سلوم، إنعام داود و غولي، إيمان علي القره، استدعاء الموروث الأدبي في نقائض الثالث الأموي، ص 585.
- 25- ناهم، أحمد، التناص في شعر الرواد: دراسة، ص 30.
- 26- الزرقاني، محمد عبد العزيز، مناهل العرفان في علوم القرآن، ص617، ط1، 2001م، دار المدار الإسلامي، بيروت - لبنان.
- 27- كيوان، عبد العاطي، الأسلوبية في الخطاب العربي، ص 16، ط1، 1420هـ - 2000م، مكتبة النهضة المصرية.
- 28- شفيع السيد، الاتجاه الأسلوبي في النقد الأدبي، ص 11، 1986م، دار الفكر العربي.
- 29- الصحيح: دوالا
- 30- توفيق الزبيدي، أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث من خلال بعض نماذجه، ص 83، 1984م، الدار العربية للكتاب.
- 31- الأمدي، الموازنة بين الطائيين، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ص 381-382، دار الميسرة، بيروت.
- 32- الأمدي، الموازنة بين الطائيين، ص 383.
- 33- الأمدي، الموازنة بين الطائيين، ص 381.

- ³⁴- عتبة، عبد الرحمن، في رحاب اللغة العربية: مناهج وتطبيق، ص 38، ط4، 1989م، دار الأوزاعي، بيروت، لبنان.
- ³⁵- الميداني، مجمع الأمثال، تح: محمد محيي عبد الحميد 13/1، 2010م، دار المعرفة، بيروت - لبنان.
- ³⁶- القزويني، الأيضاح في علوم البلاغة، تقديم وشرح علي بو ملحم، ص 241، ط 2000م، دار مكتبة الهلال، بيروت - لبنان.
- ³⁷- ديوان زهير بن أبي سلى، شرح وتقديم الأستاذ علي حسن فاعور، ص 110، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- ³⁸- الحموي، ابن حجة، خزنة الأدب وغاية الأرب، شرح عصام شعيتو، 1/263.
- ³⁹- العسكري، جمهرة الأمثال، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش ج4/1.
- ⁴⁰- الميداني، مجمع الأمثال، تح: محمد محيي عبد الحميد 13/1.

المرأة المسلمة والحفاظ على المنظومة الأخلاقية في شعر عيسى أبي أبوبكر

إعداد:

الدكتور مرتضى الإمام أكبيدي

قسم اللغة العربية كلية الآداب، جامعة إلورن، إلورن، نيجيريا¹.

الملخص

لقد شغل معجم المرأة أفكار بعض الشعراء النيجيريين حيث يرون أنها قد تكون نبراس الهدى أو معول هدم للصرح الأخلاقي، والفكرة تستمدّ وجاقتها من مكانة المرأة المرموقة في الدين الإسلامي خاصة وفي المجتمع البشري عامة؛ لأنها إذا صلحت صلح المجتمع كله وإن طلحت طلح المجتمع كله. ومن هنا تتجلى قيمة المرأة في بناء القيم الأخلاقية والمثل العليا في المجتمعات الإنسانية عامة والإسلامية بصفة خاصة، ذلك أن هذه القيم باتت مهددة نتيجة للانحلال الفكري والثقافي المتواصل جراء الصراع بين المثل الأعلى والتطور الإنساني المادي. ومن ثم؛ فإن هذه الورقة ستتبع من خلال أشعار عيسى أبي بكر دور المرأة المسلمة النيجيرية في رعاية البنى الأخلاقية السامية، مستعينة بالمنهج الوصفي للإجابة عن الأسئلة التالية: ما دور المرأة النيجيرية المسلمة في بناء المجتمع الأخلاقي؟ وكيف شكّل عيسى أبي مهمتها في الحفاظ على المنظومة الأخلاقية؟ وعلى هذا تأتي محاور هذه المقالة على نقاط تالية:

- 1- الأخلاق في الإسلام وأثرها في إصلاح الفرد والمجتمع
- 2- دور المرأة في الحفاظ على المنظومة الأخلاقية في المجتمع البشري
- 3- المرأة المسلمة والحفاظ على المنظومة الأخلاقية في شعر عيسى أبي أبوبكر.
- 4- الخاتمة

¹ murtadoakeyede1979@gmail.com phone number: 08060171966

ABSTRACT

Mentioning of women's names and their functions in the Arabic poems has occupied the thoughts of some Nigerian poets, as they see them as a guiding light or a bulwark of moral edifice, and the idea derives its validity from the prestigious position of women in the Islamic religion in particular and in human society in general; Because when a woman is pious the whole society will be serviceable, but when is vicious the whole society will be bad. Hence the value of women is evident in building moral values and ideals in human societies in general and Islam in particular, because these values are threatened by the continuous intellectual and cultural decadence resulting from the conflict between the ideal and material human development. And then; this paper will follow through the poems of Isa Alabi Abubakar, the role of Nigerian Muslim women in fostering high moral structures, using the descriptive approach to answer the following questions: What is the role of Nigerian Muslim women in building an ethical society? And how did Isa Alabi Abubakar shape her mission to preserve the moral system? Based on this, the pivots of this article come on the following points:

- 1- *Ethics in Islam and its effect on reforming the individual and society*
- 2- *The role of women in preserving the moral system in human society*
- 3- *Muslim women and preserving the moral system in the poetry of Isa Alabi Abubakar.*
- 4- *Conclusion*

المقدمة:

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وبعد.

فقد كانت المرأة هي المدرسة الأولى التي تربي فيها الأبناء على القيم الأخلاقية الفاضلة، وكان الخلق النبيل في قديم الزمان من مزايا الإنسان ومستكمل المروءة فجاء الإسلام فكمّل نواقص تلك البني الأخلاقية، لأن غاية الرسالة النبوية هي تميم مكارم الأخلاق.

انطلاقاً فيما سبق كانت هذه الدراسة تنوي اكتشاف اهتمام الشاعر عيسى أبي على المرأة المسلمة والحفاظ على المنظومة الأخلاقية من خلال إنتاجه الشعري، إذ إنّ هذه القيم الفاضلة هي المعيار الإنساني الذي يحدد إنسانيته في كل مكان وزمان. ومن ثمّ، فإنّ هذه الورقة ستستكشف من خلال شعر

عيسى أبي تلك المنظومة الأخلاقية وحيثية ترغيب الشاعر المرأة المسلمة أن تزخر وتتمتع بها وذلك لصالحها لنفسها ومنفعة أسرتها وفلاح مجتمعها مستعينة بالمنهج الوصفي التحليلي. وعلى هذا، تأتي محاور هذه الورقة على نقاط تالية:

المحور الأول: الأخلاق في الإسلام وأثرها في إصلاح الفرد والمجتمع

المحور الثاني: دور المرأة في الحفاظ على المنظومة الأخلاقية في المجتمع البشري

المحور الثالث: نبذة يسيرة عن حياة الشاعر عيسى أبي أبوبكر

المحور الرابع: المرأة المسلمة والحفاظ على المنظومة الأخلاقية في شعر عيسى أبي أبوبكر

المحور الأول: الأخلاق في الإسلام وأثرها في إصلاح الفرد والمجتمع:

قبل الغوص في معرفة الأخلاق في الإسلام وكيف تصلح حياة الفرد والمجتمع ينبغي التطرق إلى تعريف الأخلاق في مفهومها اللغوي والدلالي.

يقول ابن منظور: الخلق بضم اللام وسكونها هو الدين والطبع والسجية، وحقيقته أنه لصورة الإنسان الباطنة وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها⁽¹⁾ وكذلك تعني لفظة الخلق لدى مجمع اللغة العربية معنى السجية والعادة والمروءة والدين⁽²⁾ وأما في الفكر الإسلامي فإنها تعني هيئة للنفس راسخة يصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر ورؤية، وإذا صدر عن هذه الهيئة أفعال جميلة عقلا وشرعا بسهولة سميت لذلك خلقا حسنا، ولكن إذا صدر عنها أفعال قبيحة على أساس هذا الشرط العقلي والشرعي سميت هذه الهيئة التي صدر عنها الفعل القبيح خلقا سيئا فالأخلاق أمر مقدر وذنوب مقسوم للإنسان ولا دخل له في إيجاده أو إصلاحه ولكن بتقدم الإنسانية وظهور المفاهيم المختلفة للفكر الإنساني، والأخلاق أيضا سجية نابعة من الدين، والدين أمر صادر من الله تعالى، وبالتالي لا دين لمن لا خلق له، ولا خلق لمن لا دين له، وهما يتمشيان في بوتقة واحدة. (3)

وهناك علاقة بين معنى الخلق في المنظور المعجمي والدلالي وهي أن معناه المعجمي هو السجية المروءة أو العادة الكامنة في الإنسان بينهما المعنى الاصلاحي يرى أن الخلق هيئة ختامية للنفس راسخة خالدة تملئ هذه السجية للنفس الإنسانية الفعل الخير أو الشر، فالسجية والهيئة سيان، وهي معنوية يظهرها أفعال الإنسان، فإن كانت هذه الأفعال راضية وهي سجية أو هيئة صالحة وخلق حسن وبالعكس ستكون

هذه السجية مردودة بين الناس. وبالتالي أنّ هذا الخلق هو أبرز ما يراه الناس، ويُدركونه من سائر أعمال الإسلام؛ فالناس لا يرون عقيدة الشخص؛ لأنّ محلّها القلب، كما لا يرون كلّ عباداته، لكنهم يرون أخلاقه، ويتعاملون معه من خلالها؛ لذا فإنهم سيُقيّمون دينه بناءً على تعامله، فيحكّمون على صحته من عدمه عن طريق خُلقه وسلوكه، لا عن طريق دعواه وقوله، وقد حدّثنا التاريخ أن الشرق الأقصى ممثلاً اليوم في إندونيسيا والملايو والفلبين وماليزيا، لم يعتنق أهلها الإسلام بفصاحة الدعاة، ولا بسيف الغزاة، بل بأخلاق التجّار وسلوكهم حتى في نيجيريا ولا سيمّا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم⁽⁴⁾ وفي حضارة أثر حسن الخلق في إصلاح الفرد والمجتمع فإنه هو أهم عنصر في تكوين الفرد المثالي والأسرة السليمة والمجتمع الراقى والدولة المتقدمة، ومن أجل ذلك حرص الإسلام أشدّ الحرص على إعداد المجتمع وتهذيبه، فالأخلاق الفاضلة هي التي تعصم هذه المجتمعات من الانحلال وتصون الحضارة والمدنية من الضياع ومن دونها لا تنهض الأمم ولا تقوى إلّا بها. ومهما بلغت الدولة من العلم فالعلم والأخلاق دعامتان من الدعائم الأساسية التي لا تستغني عنها جميع الشعوب، وهكذا فإن أهم دور للتربية الأخلاقية في نظر الإسلام يمكن تحديده بصورة إجمالية في كونها الوسيلة الوحيدة لبناء خير فرد وخير مجتمع وخير حضارة.. ويبين لنا التاريخ أن كل أمة نهضت نهضة جبارة وكل حضارة ازدهرت وتطورت، كان بفضل أبنائها الذين ملكوا نفوساً قوية، وعزيمة صلبة ماضية، وهمم جبارة وأخلاق حميدة، وسيرة فاضلة، وتماسك فيما بينهم، وترابط بين عائلاتهم، وهؤلاء ابتعدت نفوسهم عن سفاسف الأمور ومحقرات الأعمال، وردائل الأفعال ولم يقعوا فريسة للانحلال والفساد أو أسرى الملدات والشهوات، أو مطية للجهل والتخلف. بل انطلقوا بقيمهم ومبادئهم هذه حتى بنوا حضارتهم وأمجادهم ونهضتهم⁽⁵⁾.

والرسول صلى الله عليه وسلم يبيّن لنا فحوى بعثته إلى الخلق كافة فيقول: "إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق"⁽⁶⁾ ولم يزل يقرّر تلك الغاية العظمى من بعثته حيث يقول أيضاً: "إن أقربكم مني منزلة يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً"⁽⁷⁾ وهذا يدل على أهميه الأخلاق في المجتمع ومدى تأثيرها سواء سلباً أو إيجاباً على المجتمع فالأخلاق كلمة شاملة لكل القيم والمبادئ والسلوك الإنساني الحميد والحسن والتي بموجبه تسير الحياة بشكل صحيح وبتجاه الهدف الذي يحقق مبادئ الخلافة للإنسان على هذه الأرض من هذا المنطلق نجد أن عملية الحكم على أي مجتمع من المجتمعات يجب عليك أن تنظر إلى السلوك المتبع في عملية التعامل بين أفراد هذا المجتمع ومن خلال تلك النظرة إلى السلوكيات في هذا المجتمع تستطيع أن

تحكم على مدى التطور والذي وصل إليه المجتمع ذلك لأن انتشار الأخلاق الحسنة في أوسط المجتمع ينعكس بالإيجاب على كل المجالات ومن ناحيه أخرى نجد أن السقوط الأخلاقي والانحطاط الأخلاقي ينعكس سلبا ويؤثر في كل جوانب الحياة وبما أننا مجتمع مسلم وديننا يأمرنا باتباع الأخلاق الحميدة وترك الأخلاق السيئة ما جعل هذه المبادئ والقيم معيارا ينعكس على حياتنا بالسلب والإيجاب ولكن للأسف الشديد عندما ننظر إلى حال المجتمع العربي وتقوم بعمل دراسة على المستوى السلوكي والأخلاقي في هذا المجتمع تجد أننا نعيش في مستوى ردي وأن هناك عملية هدم لكل القيم والأخلاق الحميدة وأصبحت مجموعة المبادئ والقيم والأخلاق الحسنة مجرد تعابير ليس لها مكان في الواقع العملي إلا بنسب بسيطة جدا وأصبحت الأخلاق السيئة ثقافة مكتسبة بل وصل إلى حد التباهي والاعتزاز لمن يحمل تلك الثقافة وهنا سوف أتطرق لمجموعة من السلوكيات في المجتمعات البشرية والتي أصبحت واقعا نعيشه ونلاحظه أمام أعيننا ونمارسه كل يوم حتى صارت ثقافة اعتدنا عليها ولا تجد من يستنكرها في المجتمع إلا نسبة بسيطة من الناس أصبحت رده فعلها لا يؤثر حيث وصلنا إلى مستوى النظرة العجيبة والمريبة لأصحاب السلوك الحميد والحسن.

نذهب إلى المسجد لإقامة الصلاة المفروضة وما أن نفرغ من الصلاة ونستعد للخروج إذا بأشخاص يفقدون أحديتهم ونكتشف أنها سُرقَت، ماذا يعني ذلك؟ يعني أن المجتمع يعيش أزمة أخلاقية وأن بعض هذا المجتمع يغيب عنه الوازع الديني والأخلاقي.

بينما ونحن نذهب إلى السوق ونشتري حاجياتنا من الخضار والفاكهة تجد صاحب المحل يغش في الميزان أو يضع لك جزء منها مغشوشة وما إن تصل إلى البيت تكتشف أنها مغشوشة أو منقوصة الوزن، تمشي في أي شارع فتجد مجموعة من الناس يتجادلون ثم يشتبكون بالأيدي والعصيان وأحيانا بالأسلحة النارية ويسقط بعضهم مجروحا أو مقتولا وعندما تسأل لماذا وقع ذلك تجد أنه سبب بسيط لا يستدعي أن تصل الأمور إلى هذا الحد. أو تذهب إلى أي مرفق حكومي أو خدمي لتقضي معاملتك لن تستطيع قضاء معاملتك إلا إذا دفعت رشوة لكل من له صلة بإنجاز المعاملة. أو تركب في "الباص" الحافل الجماعي فتجد هذا يصيح فتسأله لماذا تصيح فيجيب أنه قد تعرض لسرقة محفظته وذاك سُرق موبايله وأخرى تعرضت للتحرش الجنسي.

تمشي في الشوارع فتلتقي بعشرات وأحيانا بمئات المتسولين والمشردين والذين لا يجدون عملاً وتشاهد الجدل والاحتكاك بين الناس أحيانا لأتفه الأسباب.

تعود إلى البيت ثم تجلس لتستريح وتفتح شاشة التلفزيون لكي تسمع نشرة الأخبار فتري مشاهد القتل والدمار والصراعات والتهجير والتفجيرات والفوضى في أكثر من بلد عربي أو غير عربي، ماذا يعني هذا؟ وأبشع الأمر نذهب إل مقبرة المسلمين لنصلي على الميت وبعد صلاة الجنازة يدرك شخص بأن محموله مسروق سبحان الله العظيم!!! إننا أمام أزمة أخلاقية كبيرة وأن الناس قد فقدوا كثيراً من مبادئهم وأخلاقياتهم واستبدلوا الماديات بالأخلاق وباعوا ضمائرهم لشهواتهم ورغباتهم، لقد انتشر الفساد في كل مكان ولم يعد للأخلاق الحميدة مكان في مجتمعاتنا وتحول المجتمع إلى غابة من الوحوش تنهش بعضها بعضاً دون رحمة أو قانون يردّها. ومن هنا لا بد من إعادة النظر في سلوكنا وإعادة تصحيح مسار حياتنا ولنبدأ بأطفالنا وشبابنا ونغرس فيهم القيم والأخلاق الحميدة حتى تترسخ في عقولهم ونفوسهم وتصبح ثقافة لا يمكن التخلي عنها بالتربية والتعليم في الصغر كالنقش على الصخر لا يمكن أن يزول حتى أمام تقلبات الطبيعة وتعرياتها.⁽⁸⁾

المحور الثاني: دور المرأة في الحفاظ على المنظومة الأخلاقية في المجتمع البشري

مما لا فرية فيه أنّ المرأة في اليونان والرومان وعند الهنود واليهود والنصارى وعند العرب قبل الإسلام لا اعتبار لها ولا تعتبر بحقوقها ولم تجد هذه الديانات كلها حقاً للمرأة أو مسؤولية في مجتمعها أو أدواراً في أسرتها، وكأنها في نظر هذه الديانات في مرتبة الخادم محرومة من الميراث أو مهضومة الحقوق أو محبوسة في المنزل ومحتقرة ومهيبضة الجناح مسلووبة الإرادة حتى أسماها بعضهم رجساً.⁽⁹⁾

ولكن لما جاء الإسلام بشرائعه الحنيفة كانت المرأة من أهم الجوانب التي تولاهها بالعناية والرعاية وأحاطها بسياس منيع من الصيانة والحماية ورسم لها خير منح لما لها من الأهمية والمكانة العالية ورسم وشؤونها ومسؤولياتها في الأمة ومكانتها في المجتمع وما لها من حقوق وما عليها من واجبات⁽¹⁰⁾ بل جاء القرآن الكريم بمبادئ سامية من أجل إصلاح حال المرأة المسلمة وبيان مكانتها الراقية التي ضيعتها الأديان الأخرى كذلك وضح الرسول صلى الله عليه وسلم هذه المبادئ وأكدها وشرحها وهي مبادئ صالحة لكل زمان ومكان.⁽¹¹⁾

انطلاقاً من هذا التقديم الطفيف عن المرأة عبر التاريخ في الديانات الأخرى ندرك شخصية المرأة المسلمة ومكانتها وأدوارها التي يرجو الإسلام مساهمتها مشاركتها فيها، لأنه ينبغي لمن عرف الدين الإسلامي وعلمه الله القرآن الكريم وفضله على غيره بل أحب الله أن يكون من أهل القرآن، وأهل الله وخاصته، كما ينبغي كذلك أن يجعل ذلك القرآن العظيم الذي كان مصدراً وأولياً لكل الأخلاق الفاضلة والسجيا السامية ربيعاً لقلبه، يعمر به ما خرب من قلبه ويتأدب بأداب القرآن كما يتخلق بأخلاق شريفة يبين بها عن سائر الناس ممن لا يعرف الدين الإسلامي ولا يقرأ القرآن⁽¹²⁾

ولا شك أنّ الأخلاق والسلوك والالتزام بالأداب الشرعية المستنبطة من الكتاب المبين والسنة النبوية المطهرة من أهم ما ينبغي أن يعتني به المسلم والمسلمة، ولأهمية هذا الموضوع أفرد له أهل العلم أبواباً في تصانيفهم بل وكتباً، ونجد الإمام البخاري قد جمع في كتابه (الجامع الصحيح) أحاديث في الأخلاق والسلوك والأداب وسماه (كتاب الأدب) وليس ذلك فقط بل صنف الإمام في الآداب كتاباً أسماه (الأدب المفرد) وكذلك فعل غيره من الأئمة الأعلام الذين أفردوه بالتصنيف.⁽¹³⁾ ومن هنا نجد أن الإسلام رسم أمام المرأة المسلمة أدواراً يجب عليها القيام بها في ترميم المنظومة الأخلاقية الفاضلة في المجتمع البشري لتكون المرأة مثالية صالحة متأسية يقول الله تعالى: "يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّزَوَّاجِكَ إِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا* وَإِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا* يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا* وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَمَلْ صَالِحًا نُؤْتِيهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا* يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِن اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا* وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا* وَادْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا* إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا* سورة الأحزاب، آية: 28-35

فقد وضعت هذه الآيات القرآنية المنهج القويم الذي نسير عليه في هذا المحور لنبرهن ونسجل تلك الأوصاف الحميدة والأخلاق الفاضلة التي ينبغي المرأة أن تتحلى بها وعلى هذه الأوصاف تأخذ المرأة مسؤوليتها تجاه مجتمعها البشري.

يتطلب القرآن الكريم أن تكون المرأة المسلمة محسنة، قانته، سالحة، صادقة، مصدقة، مطيعة لله تعالى والرسول صلى الله عليه وسلم، حيية، مؤدية للصلاة والزكاة، مسلمة، مؤمنة، صائمة، حافظة لحدود الله تعالى وغيب زوجها، ذاكرة لله سبحانه وتعالى، أمينة صابرة، مراقبة لله تعالى، راجية له، محبة لله، منيعة إليه، خاشعة، رحيمة، برة، تقية (14)

أجل، إذا تحلت المرأة بكل واحد من هذه الأوصاف المتقدمة بدون انجدال ستبني بيتها بيتا إسلاميا يقود ذلك البيت شريعة الرحمن وهدي محمد صلى الله عليه وسلم وستكون لها دور ملموس في المجتمع البشري وتكون المرأة سالحة مثالية. لكن إذا افتقرت المرأة هذه الأوصاف الفاضلة فتكون خائنة دون أمينة، وكيف تربي مثل هذه المرأة أبناءها؟ وكيف تبني أسرتها؟ وأي دور تقدم للمجتمع الإسلامي؟ وهل تقيم الدولة الإسلامية أو تهدمها بخيانتها؟ (15) ولكن القرآن الكريم قد أفادنا بخطابه المنير أن المرأة إذا كانت خائنة ستهدم الأسرة كما تهدم الدولة فتكون في آخر المطاف من النادمين الخاسرين وكانت من صفوف امرأة نوح ولوط (16) يقول الله تعالى: "ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةً نُوحٍ وامْرَأةً لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَا هُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ" سورة التحريم، آية:10. ، ومفهوم الخيانة في هذه الآية الكريمة خيانة في الكفر لا في الزنا وخيانة في الإيمان والدين لا في العرض. (17) لكن إذا كانت صادقة مسلمة مؤمنة أمينة ستكون من القانتين يقول تعالى مؤيدا لهذه الرؤية: "وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأةً فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ* وَمَرِيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا إِتْقَانُ الْإِسْلَامِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِيُظَاهَرَ أُولَٰئِكَ وَالرَّاسِخِينَ فِي غُلُوبِهِمْ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ" سورة التحريم، آية:11-12. من هنا يرى الإسلام وجوب تهذيب خلق المرأة وتربيتها على الفضائل والكمالات النفسانية منذ النشأة والترعرع قبل سن المراهقة كما يحث الإسلام الآباء وأولياء أمور الفتيات على هذا النهج القويم، ويعددهم عليه الثواب الجزيل من الله تعالى كما يتوعددهم بالعقوبة إن قصروا، (18) لأن المرأة خلق من ضلع الأعوج وبالتالي

ينبغي قبل فوات الأوان أن تفقه المرأة أن دعاة الإسلام هم الذين يريدون بها الخير والفلاح وأن أولئك المستغربين لا يريدون بها خيرا ولا يسعون في صالحها ولا في فلاحها. (19)

سيروا على درب الهداية واعلموا ** أن الحياة تضـافر وذمام
قل للذي طلب السبيل إلى العلا ** إن الصراط إلى الهدى الإسلام (20)

المحور الثالث: نبذة يسيرة عن حياة الشاعر عيسى ألي أبوبكر

هو الأستاذ الدكتور عيسى ألي أبوبكر ولد في السنة 1953م، بكماسي جمهورية غانا، من الأبوين الإلوريين الشريفين، ثم حصل على الشهادة الإعدادية والثانوية في مركز التعليم العربي الإسلامي إغيني، لغوس، نيجيريا، عام 1965م و1971م على الترتيب، وشهادة الليسانس في اللغة العربية، بجامعة إلورن، إلورن، من العام 1979-1982م، والماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة بايرو، كنو، من العام 1985 إلى 1988م، والدبلوم العالي في تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها، جامعة الملك سعود، الرياض، عام 1991م، والدكتوراه في اللغة العربية، جامعة إلورن، إلورن، نيجيريا، عام 2001م ودرجة الأستاذ الدكتور في الجامعة نفسها عام 2017م.

قدّم خدمة الوطن في قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة إلورن بين العام 1982-1983م. ثم حمّله القدر المختوم إلى أن يكون محاضرا في قسم اللغة العربية، جامعة عثمان دن فودي عام 1984 إلى 1994م. ثم رجع إلى مدينته الشريفة حيث وقّعه الله تعالى أن يكون محاضرا في قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة إلورن، إلورن، منذ 1994 حتى الوقت الحاضر. وقد تحمل بعض المسؤوليات الإدارية المهمة خدمة للدين الإسلامي واللغة العربية منها: كان منسق اللغة العربية للناطقين بغيرها، جامعة إلورن، بين 2001-2003م، ورئيس قسم اللغة العربية، جامعة إلورن من 2006-2008م. وقد كتب عدة مقالات أدبية في شتى المجالات الأدبية المحكمة سواء على المستوى العالمي والدولي والإقليمي في داخل نيجيريا وخارجها كما شارك في المؤتمرات المحلية والدولية والعالمية. وله مؤلفات كثيرة ودواوين عديدة منها منشورة وغيرها مخطوطة. ومن هذه المؤلفات: أساليب بلاغية لبعض مؤلفات الشيخ آدم عبد الله الإلوري، ديوان الرياض، دراسات في شعر الجهاد لدى عبد الله بن فودي، أعمال العلامة الإلوري: قراءة وتلخيص، والسباعيات، وغيرها.

وهو حالياً محاضر في قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة إلورن، إلورن، نيجيريا.⁽²¹⁾

المحور الرابع: المرأة المسلمة والحفاظ على المنظومة الأخلاقية في شعر عيسى ألي أبوبكر

بعد ما تطرقنا على هيمنة الإسلام على المرأة تحررها من قيودها وعبوديتها التي أوقعها الأديان الأخرى ووضح هذا البحث بعض مواصفاتها وأدوارها تجاه أسرتها وفي حضانة المجتمع البشري ثم سردنا بعض الأخلاق الفاضلة والسجيا النبيلة التي يجب عليها أن تتحلى بها لتكون مثالية في مجتمعها الإنساني. ومن هنا يجدر بنا استنباط تلك الأخلاق الفاضلة من خلال شعر عيسى ألي أبوبكر وذلك على النمط التالي:

يقول عيسى ألي الشاعر في عقيقة عائشة ابنة صديقه البروفيسور يوسف بدماصي قصيدة مشتملة بمجموعة من الأخلاق الفاضلة التي تمتعت بها عائشة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم يرجو الشاعر بها أن تتحلى بها عائشة لتكون امرأة مثالية وعائشة حقيقية ندرك هذا المقال حيث يقول:

| | | |
|-----------------------|----|---------------------------------|
| يمنّ طلوعك عائشة | ** | فيينا، فكوني عائشه |
| سيرى على درب الهدا | ** | ة ولا تسيري طائشه |
| لا تتركي في الضلع عنـ | ** | د الأمن نفسا جائشه |
| عيشي حياتك بالصلاح | ** | ح ولا تعيشي فاحشه |
| إني أريدك أن تكو | ** | ني للمكارم حائشه |
| ينحطّ قدر جميلة | ** | في كل أمر غابشه |
| وتكون في أعمالها | ** | وجه الخفارة خامشه |
| فخر الفتاة عفافها | ** | لا أن تفاخر فائشه |
| هذي الحياة تنافس | ** | لا تدخلها هامشه |
| لصديقنا (بدماص) عا | ** | ئشة وعندي عائشه ⁽²²⁾ |

ندرك حقيقة في هذه الأبيات أنّ الشاعر عيسى ألي أبوبكر يرسم للبنات عائشة بصفة خاصة والمرأة المسلمة بصفة عامة الدعائم الأصلية والركائز الأساسية التي وضعها الإسلام ويأمل أن تحوزها المرأة وتبني بيتها عليها ومجتمعها على نحو هذا السبيل، حيث بدأ الشاعر القصيدة بالجملة الفعلية وبالتحديد الفعل المضارع (يمنّ) الذي يدل على الاستمرار والتجدد وكأنّ الشاعر يرسم تلكم الأخلاق الفاضلة أمام

الجمهور واحدة بعد أخرى ويرجو من البنت الصغيرة والمرأة المسلمة الامتثال بها وبالتالي لأن فعل (يمن) يدل بنفسه على النعمة الطيبة غير مقطوعة لأن من وظائف هذا الفعل المعنوية دوام حالة صاحب هذه النعمة (23) فجعل الله طلوع هذه البنت "عائشة" لأسرة البروفيسور يوسف بدماص نعمة أبدية غير مقطوعة، ولذلك يرجو الشاعر من عائشة أن تكوني عائشة، لكنّ البنت الصغيرة لم تسمع ولم تفهم مقال الشاعر ولكنّ الجلاس الحاضرين وخاصة النساء المسلمات موجودات في الحفلة يفهمون ومن بينهم الوالدين يرجو من هما تربية عائشة تربية إسلامية، كما أدرك الشاعر أيضا أنّ الإنسان المسلم يشترع في تعليم أبنائه التعاليم الدينية والقيم الأخلاقية من الصغر إضافة إلى أنّ هذه النعمة الموهوبة بنت فيرجو الشاعر منها أن تكوني عائشة حقيقية تزخر وتتفاخر بالأخلاق الحميدة التالدة التي تحمل صيتها إلى مشارق الأرض ومغاربها ولذلك قال الشاعر: "كوني عائشة" بمعنى كوني يا عائشة من اللاتي يعشن الأبد بطاعة الرحمن ونبية المصطفى، وكوني عائشة التي كانت نبراس الهدى للأمة الإسلامية، هل لأنها ذات أموال ومناصب وبنين؟ كلا، فإنما هي ذات خلق نبيل.

وبعد براعة مطلع هذه القصيدة أخذ الشاعر يشرح ويبين تلكم الشمائل التي يرجو من المرأة المسلمة ن تكون جوهرها وأن تكون حليتها ومنها:

| | | |
|-----------------------|----|------------------------|
| سيري على درب الهدا | ** | ة ولا تسيري طائشه |
| لا تتركي في الضلع عنـ | ** | د الأمن نفسا جائشه |
| عيشي حياتك بالصلاح | ** | ح ولا تعيشي فاحشه (24) |

استعمل الشاعر أيضا فعل الأمر الذي يدل على الإرشاد والتوجيه والترغيب للبنت الصغيرة المرأة المسلمة أن تسيري على الصراط المستقيم والنهج القويم ووظف الحرف المهموس في صدر كلمة "سيري" التي تفيدة الرخاوة والخفيفة واللين لأن طبيعة المرأة تتماشى مع اللين والخفة والرفق ولعل هذا هو السر المكنون في رواية سيدتنا عائشة قول النبي صلى الله عليه وسلم: "الرفق لا يكون من شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه" (25) لأنهنّ خلقن من ضلع وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج، ولذلك لا بدّ من استعمال الرفق في معاملة النساء. ثم يوجّه المرأة المسلمة أن تعيش في إصلاح الأمور الدينية وبالأخلاق الفاضلة فلا تخوض الفواحش ما ظهر منها وما بطن من الزنا، والقلا، وتبرج الجاهلية الأولى، والوقاحة، والسرقعة، واللعان والبذيء لأنّ كلها تبعد المرأة عن ربها سبحانه وتعالى.

ولأجل الخطورة التي تكمن في تربية المرأة حتى تكون صالحة لنفسها ولآبائها مثالية لمجتمعها فائزة بثواب ربهما يقرر النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم: "ما من مسلم له ابنتان فيحسن إليهما ما صحبتاه أو صحبتهما إلا أدخلتاه الجنة" أو في إسناد آخر "من كان له ثلاث بنات يؤويهنّ ويكفهنّ ويرحمهنّ فقد وجبت له الجنو البتة"⁽²⁶⁾

ولم يزل الشاعر عيسى أبي يواصل سيره الحثيث ليثبت للقراء أهمية تربية المرأة المسلمة على الشمائل الإسلامية حيث يقول أيضا:

إني أريدك أن تكو ** ني للمكارم حائشه
ينحطّ قدر جميـلة ** في كل أمر غابشه
وتكون في أعمـالها ** وجه الخفارة خامشه
فخر الفتاة عفافها ** لا أن تفاخر فائشه⁽²⁷⁾

بدأ بأسلوب التوكيد "إني" ليفند الشكّ والريب عن الخطاب الذي يريد بثه للمرأة المسلمة بأنه يجب عليها أن تحوش مكارم الأخلاق كلها لأن جمال المرأة ينحط كلما تفقد الأخلاق الفاضلة وبالتالي أن فخر المرأة المسلمة يكمن في عفافها وفي حسن خلقها لا في تكبرها وتفخرها بحسن جمالها.

ولما ينوي الشاعر أن يأتي ببراعة ختام قصيدته يقول:

لصديقنا (بدماص) عا ** نشة وعندي عائشه⁽²⁸⁾

أن الله تعالى وهب إياه عائشة كما رزق لصديقه الأستاذ الدكتور يوسف بدماصي عائشة ويرجو لهما أن تعيشا حياة سعيدة مثل ما عاشتها سيدتنا عائشة بكر زوجات النبي صلى الله عليه وسلم.

وعلى النمط السابق يرشد الشاعر ألبى المرأة المسلمة إلى التحلي بالتواضع وهو في بهيمة الغزل ولم يغمره غزله وحبه لحبيبته أن يترك تلك مزايا المرأة حيث يقول:

لماذا أرى منك الجفاء محـيـراً ** كذلك ألقى الضرّ عندك والعسرا
علا الله مهديك الجمال تفـضـلاً ** فلم يتلق الحمد عندك والشكر
فما الشكر إلا أن تكوني كثيرة التـ ** اضع يا من اسمها كان لي ذكرا
أردد ذاك الذكر في كل حـالة ** لأخذ منك الودّ والحب والأجرا⁽²⁹⁾

ندرك في هذه اللوحة حقيقة أن الشاعر يتعجب من المرأة المسلمة كيف يصدر منها الجفاء والضرار والعسر لأجل الجمال الذي وهبها سبحانه وتعالى إياه ولم يزد لها الجمال شاكراً لله تعالى ومتواضعة كما أن الشاعر قد أخذ اسم هذه المحبوبة أذكارا في كل يوم، ولذلك يتعجب لها كيف تزخر المرأة المسلمة لأجل جمالها ولم يزد لها الجمال تواضعا للناس ومدشاكرة لله سبحانه وتعالى.

وعلى غرار ما سبق قوله في الغزل حيث لم يصمه غرامه وحبّه لمحبيبته ولم يعمه سحر هذا الحب ولم يتحير حتى يقرر ويفوّه سائلا للمرأة قائلاً:

| | | |
|--|----|------------------------------|
| لوثة الأعصر أم ربة طهر | ** | أنتِ يا مرأة نورٌ أم ظلامٌ |
| أم نعيم الخلد في طيب ويسر؟ | ** | لفحة النار إذا ما ذقت ظلما |
| بتعاطي الفحش والشر بمكر؟ | ** | أخت إبليس الذي يغري الـورى |
| فجور وهو معـروف ببر؟ | ** | أخت هارون الذي ينهى الورى عن |
| م لماذا العصى في أول العصر؟ | ** | أخذعتِ الشيخ في أكـل الحرا |
| فـصى الله لحسن نير؟ | ** | أم غررت العبد في خلـوته |
| يأخذ الألباب في سرّ وجهر | ** | قد حباك الله حسنا فاتـنا |
| مصـدر الإلهام في شعر ونثر | ** | أنت سرّ الله في عالمـه |
| إنّ في أـخبارها أعجب أمر | ** | سامحي الأديان يا بنت العـلا |
| حرّة تغـري الفتى ربة خدر؟ | ** | أنت لا تغرين في الدنيا فهل |
| فيك يحـكمها نسيم السحر ⁽³⁰⁾ | ** | أنا أهواك وأهوى رقـمـه |

ينبغي أن نتساءل أنفسنا هنا لماذا استعمل "يا النداء" في بداية هذه القصيدة؟ في قوله "أنتِ يا مرأة نورٌ أم ظلامٌ" ولعل السبب في ذلك أنه يريد مخاطبة النساء، المدرسة الأولى في بناء الأسرة فانتقى أم حروف النداء التي هي "يا النداء"⁽³¹⁾ ليناسب حديثه الذي يسوقه على الأمهات المؤمنات في تربية بناتهنّ على الأخلاق الحميدة وبالتالي ومن وظائف هذا الحرف هو أنه يوظف لنداء بعيد ولكنّ الشاعر استعمله للقريب توكيدا وتقريراً⁽³²⁾ على أنه يجب على المرأة على أن تتحلّى بتلك الأخلاق الفاضلة لذلك يسألها أنتِ يا مرأة نور أم ظلام؟ ليؤكد للمرأة المسلمة على أنه يجب أن تكون نورا في أسرتها ونورا في بيتها ونورا في مجتمعها ونورا في حياتها ونورا في مماتها، لأنها إذا كانت نورا ينتفع بها العلم الإسلامي ولكن إذا كانت ظلاما

فتكون هي من الخاسرات. ثم انثنى الشاعر يواصل خطابه المرير على المرأة المسلمة ويسرد أمامها ألوانا من الأخلاق الفاضلة التي ينبغي أن تتصف بها منها: يجب أن تكون المرأة ربة الطهر، نعيم الجنة، أمينة عند قومها، حافظة لسانها، تقية لربها، خاشية لخالقها، مثالية لقومها، عفيفة عند أقرانها، برة عند أسرتها، كما وضع أمامها أيضا صور من الأخلاق الطالحة لتتخذ منها خبرة وعبرة منها، يجب ألا تكون أخت إبليس، والإبليس لا يعمل إلا شرا، ولا تكون مكارا، أو خادعة أو عاصية، أو فاحشة أو غديرة أو غرور، وهذه الأوصاف كلها صادرة من الشيطان اللجيم ولكن المرأة -حسب رؤية الشاعر- سرّ الله في الأرض لا يمكن للرجال ولن يمكن التنأى عنها لأنها خلقت من ضلعهم وهنّ شقائقهم.

المحور الخامس: الخاتمة

قد يستبين من خلال هذه الدراسة أنّ الشاعر عيسى أبي قد أظهر من خلال نتاجه الشعري وجوها باهرة وصورا شائعة يرسم وينشد المنظومة الأخلاقية الفاضلة والشمائل الحميدة منها الصدق، والأمانة، والعفة، وتقوى الله، وخشيته، والتواضع وغيرها من الأخلاق الفاضلة التي يناشدها الأدب الإسلامي والتي ترغّب فيها المرأة المسلمة أن تتحلّى وتتمتع بها، وبهذه الأخلاق تجعلها مثالية بين أقرانها ومحترمة عند أسرتها ومتأسيّة عند قومها ومقتدية في مجتمعها. وكانت نتيجة هذه الدراسة هي:

- 1- أنّ المرأة قبل الإسلام كانت غير محترمة لدى قومها محبوسة في خدرها لم يرى لها حق من الحقوق.
- 2- أنّ المرأة في نظرة الإسلام كانت محترمة وربة بيتها وأسرتها وهي مدرسة الأخلاق الفاضلة.
- 3- أنّ الشاعر عيسى أبي تناول بعض المنظومة الأخلاقية التي بها تربّي المرأة المسلمة بيتها ومجتمعها وفق المنهج الإسلامي. ومن هنا توصي هذه الدراسة أن يتناول الأدباء الشعراء قضية المرأة والتحلي بالأخلاق الفاضلة لأنّ المرأة إذا افتقرت الخلق النبيل قد لا يسمح لها المكث في حجرة زوجها.

الهوامش والمراجع:

- 1- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر بيروت، ط/1، 1300هـ، المجلد العاشر، حرف القافصل الخاء، ص: 86
- 2- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، القاهرة، ط/2، 1972، ص: 183

- 3- الجمعية الأكاديمية للغة العربية وآدابها في نيجيريا (أسلن)، مجلة اللسان، المجلد الثالث، العدد الحادي عشر، 2019م، مطبعة ألي، إلورن، نيجيريا، ص: 106-107
- 4- عبد السلام حمود غالب، الأخلاق أهميتها وفوائدها، تأريخ الإضافة: 2013/10/20م، <https://www.alukah.net>
- 5- حسن الوزني- العراق، الأخلاق في الإسلام وأثرها في إصلاح الفرد والمجتمع، تأريخ الإضافة: 2014/3/27م <https://arabvoice.com>
- 6- محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، مكتبة الدليل، المملكة العربية السعودية، ط/4، 1997م، ص: 118.
- 7- محمد ناصر الدين الألباني، المرجع نفسه والصفحة ذاتها.
- 8- عارف الأحمد، الأخلاق وأثرها على المجتمع، تأريخ الإضافة: 2017/4/10م، mubasher.aljazeera.net
- 9- فاطمة بنت خليل محمد محسن، دور المرأة المسلمة بين الأصالة والمعاصرة، (د.مط، وط، وت)، ص: 10-12
- 10- السيدس، عبد الرحمن بن عبد العزيز، بلوغ الأمال في تحقيق الوسطية والاعتدال، مدار الوطن للنشر، المملكة العربية السعودية، ط/3، 2017م، ص: 168
- 11- مركز جيل البحث العلمي، أعمال المؤتمر، لبنان، طرابلس، 2015م، المرأة والسلم الأهلي، ص: 5
- 12- خالد بن عثمان السبت، مختصر أخلاق حملة القرآن، دار ابن جوزي، ط/2، 1436هـ، ص: 25
- 13- القسم العلمي بمؤسسة الدرر السنية، خزانة الكتب، كتب الأخلاق والسلوك والرقائق، مكتبة الدرر السنية، ط/1، (د.ت)، ص: 355
- 14- محمد بن علي بن جميل المطري، أخلاق المسلم والمسلمة، مركز الألوكة، (د.ط وت)، ص: 3-199.
- 15- أم أسامة بنت علي العباسية، صفات المرأة المسلمة في ضوء الكتاب والسنة، مكتبة الإمام الوداعي، ط/1، 1428هـ، ص: 9-256
- 16- الدكتور فروزان راسخي، وآخرون، المرأة خلقها ودورها الاجتماعي دراسة على ضوء القرآن الكريم، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي ط/1، 2016م، ص: 16
- 17- الدكتور أحمد محمد الشرقاوي، المرأة في القصص القرآني، المجلد الأول، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط/1، 2001م، ص: 211
- 18- عبد الله بن جار الله بن إبراهيم، الأوصاف الحميدة للمرأة المسلمة الرشيدة، ط/1، (د.ت)، ص: 5
- 19- الشيخ حسن البناء، المرأة المسلمة، دار الكتب السلفية، ط/2، 1407هـ، ص: 1
- 20- عيسى ألي أبوبكر، الرياض، ديوان الشعر، مطبعة ألي، إلورن، نيجيريا، ط/1، 2005م، ص: 121
- 21- السيرة الذاتية للبروفيسور عيسى ألي أبوبكر في مكتبة الباحث.
- 22- المرجع نفسه، ص: 97

- 23- ابن منظور، المرجع السابق المجلد الثالث عشر، حرف النون فصل الميم، ص: 417
- 24- عيسى ألي أبوبكر، المرجع السابق، ص: 97
- 25- محمد بن الخطابي البستي، معالم السنن، شرح سنن أبي داؤد، مطبعة المدني، مصر، ط/1، 2007م، المجلد الرابع، ص: 106
- 26- محمد ناصر الدين الألباني، المرجع، ص: 57.
- 27- عيسى ألي أبوبكر، المرجع السابق، ص: 97
- 28- المرجع نفسه، ص: 97
- 29- المرجع نفسه، 181
- 30- المرجع نفسه، 182-183
- 31- علي بن عيسى الروماني، معاني الحروف، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، لبنان، ط/1، 2009م، ص: 70
- 32- مجمع اللغة العربية، المرجع السابق، ص: 1106

صور من الصدق الفني في خطب الإمام عثمان عبد الله الزوري

إعداد:

الدكتور عبد الله عمر زور

المدرسة الحكومية الثانوية للغة العربية والدراسات الإسلامية، زور ولاية كِب

الملخص:

تتناول هذه الورقة الصدق الفني في خطب الإمام عثمان عبد الله الزوري، لكون الخطابة من أشرف أنواع البيان وأقوى مناهج التعبير وأقوى أساليب الكلام، وهي لسان تعبير هم قبل طلوع فجر الإسلام إلى أن جاء الإسلام، حين انحاز الخطباء من الملوك والأمراء والعلماء المرشدين إلى الدعوة إلى السلم. لذا عرض الباحث مساهمات الخطيب لدراستها كي يستخرج ما فيها من الصدق الفني، باستخدام أساليب راقية خلاصة التي من شأنها أن ترسخ الصدق المنطقي في قلوب الناس جميعاً.

ABSTRACT

This paper carried the truth literature in the previous sermons of Al-Imam Usman Abdullahi Zuru. Looking at the sermon been among the most graviest of conservation and most significant medium of conservation, and it is their used of language ever before the emergence of Islamic religion; until as well the coming of the said religion. At the early time of the sermoners among the leaders and as well the scholars that guide to the right path swayed in establishing the peace and tranquility respectively. This is why the researchers brought the contribution of this Imam because of its importance in learning and expressing what it contains in the best way of usage which is going to be stamped in the mind of the entire people as a whole.

المقدمة:

تعدّ الخطابة ضرب من الكلام، إذ اتبهاأت داعيتها، ووفرت أاداتها، وقلّت كفاية الكتابة أو ثقلت مئوتها سبيل الإقناع، وُعدة التأثير، لمافها من حضور المتكم بشخصه، ودفاع الخطيب عن رأيه بنفسه، وإضافته كل ما يؤيد مذهبه، وتملكه زمام الفصاحة وانقياده لسلطان البلاغة، واستجابة السادة والكبراء وأولي النجد لدعائه عند الأمر الحافز، والخطيب الدا هم لما بين الداعي والمدعوّ من حدة الجنس واللسان، وتوافر أسباب التفاهم والبيان⁽¹⁾ لأن من صفات الخطيب الناجح أن يكون مؤمنا بالدعوة التي يدعو إليها في خطبه.

ومن هذا المنطلق صادف الباحث أن إيمان الخطيب بفكرته من أكبر الأسباب التي تجعله صادق في التعبير عنها لينقل إحساسه إلى السامعين.

أثر الباحث أن يكتب مقالة بعنوان: "صور من الصدق الفني في خطب الإمام عثمان عبد الله الزوري". لتحقيق هذا الهدف المنشود يقسم الباحث المقالة إلى النقاط التالية:

-التعريف بالخطيب

- مفهوم الخطابة

- ملامح من الصدق الفني عند الخطيب

- الخاتمة

التعريف بالخطيب:

هو الخطيب الأديب عثمان الملقّب بـ "لَبُّو" Labbo بن عبد الله بن محمد بن علي. ووالدته حَجِيَا Hajiya مريم بنت إبراهيم، فهو من سلالة هوسا Hausa أبا وأما. وكانت والدته لاتذكر اسمه وإنما لقبته بـ "لَبُّو" Labbo ولد الإمام عثمان في مدينة زُورُ Zuru من ولاية كَبِ Kebbi سنة 1366 هـ- 1944م. في بيت علم، حين كان والده عالماً مشهوراً جاء راحلاً من بلد كَشِنَة Katsina من حارة تسمى "نِيْطِيَرْدَرْمَا" Cediyardarma وكان ينتقل من بلد إلى آخر للاستفادة وللإفادة كدأب العلماء بتلك الفترة. وكان إذا سمع عن عالم متفنن في بلد من البلاد يهاجر مع أهله وتلاميذه حتى وصل إلى زُورُ Zuru في أيام أمير سَامِ Sami ولما وصل وجد أهلها في حاجة إلى من يدرسونهم علوم الدين والشريعة الإسلامية⁽²⁾. توفي والده وهو

ابن سبع سنوات، ولذلك نشأ في كنف أخيه الكبير المعلم محمد تَنكُو Tanko ذي عفاف، وديانة، وتقى، ومروءة، وصيانة، وأدب، وورع. وقرأ عليه القرآن الكريم، وله الفضل العظيم في القيام بحسن تربيته وتوجيهه إلى الدين والعلم⁽³⁾. تلقى الإمام مبادئ العلم في الكتاتيب بدءاً بالقرآن الكريم كما هو المألوف وفق المنهج المتبع في هذه البلاد. تعلم القرآن الكريم عند والده واستمر يتلقى العلوم بعد وفاة أبيه. عند أخيه الكبير المعلم محمد تَنكُو Tanko لمرحلة أولية من مراحل تعلمه، ومن الكتب التي قرأ عنده مختصر الأخضرى، للشيخ عبد الرحمن الأخضرى، وكتاب العشماوي، للشيخ عبد الباري العشماوي، وكتاب مقدمة العزية، للشاذلي، ومنظومة الشيخ يحيى القرطبي في العبادة، المسمى بالقرطبة، على مذهب الإمام مالك، ونظم مقدمة ابن رشد للشيخ عبد الرحمن، ومثن ابن عاشر، المسمى بالرشد المعين على الضروري من علوم الدين، للعلامة أبي عبد الواحد بن عاشر المالكي، ومثن الرسالة لابن أبي زيد القيرواني تغمده الله بالرحمة والرضوان. ومما تعلم عند أخيه كتاب بردة المديح للبوصيري، وقصيدة الهمزية، في مدح خير البرية لشرف الدين محمد بن سعيد البوصيري، والوسائل المتقبلة "العشرينيات".

ثم سافر إلى كُنْتَعُورَ Kontagora حين اتصل بالمعلم مُؤدِبُو Modibbo في حارة تسمى "غَنْغَرِي" Gangare وأخذ عنده تخميس القصائد الوترية في مدح خير البرية صلى الله عليه وسلم لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر البغدادي، ومختارات الشعر الجاهلي، ومقامات الحريري، للعلامة أبو محمد القاسم بن علي البصري.

ولرغبة هذا الخطيب في الثقافة العربية الإسلامية التحق بمدرسة العلوم العربية في صكتو Sokoto سنة 1976م ونال شهادة الدراسات الإسلامية العليا سنة 1980م ثم التحق بكلية الآداب والعلوم العربية لولاية كَدُونَا Kaduna في زَارِيَا Zariya لنيل شهادة الدبلوم في اللغة العربية والدراسات الإسلامية والهَوْسَا Hausa وذلك ما بين 1993م إلى 1995م.

لقد ساهم الخطيب مساهمة جبارة نحو التدريس لذا أسس مدرسة يأوي إليها أطفال المسلمين للأخذ عنه العلوم الدينية ومبادئ اللغة وقواعدها حتى نبغ طلاب هذه المدرسة ونشروا الثقافة الإسلامية والعربية في زُورُ Zuru وما جاورها⁽⁴⁾

مفهوم الخطابة:

تناول اللغويون والأدباء لفظة الخطابة أو الخطبة بالشرح والتحليل فنظر للغويون إليها من حيث المعنى اللغوي المستعمل لدى العرب كما نظر إليها الأدباء من حيث المعنى الأدبي المصطلح عندهم. ففي لسان العرب: الخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام⁽⁵⁾ وفي الصحاح: مادة (خطب) الخطب: سبب الأمر، تقول ماخطبك، وخطبت على المنبر حُطبة بالضم، وخاصة بالكلام مخاطبة وخطاباً⁽⁶⁾ وفي تاج العروس: خطب الخاطب على المنبر يخطب بالفتح والضم وذلك الكلام الذي يتكلم به الخطيب⁽⁷⁾ وفي أساس البلاغة: خاطبه أحسن الخطاب وهو المواجهة بالكلام⁽⁸⁾ وفي المنجد: خاطب خطاباً ومخاطبة كالمه يقال: "خطبه في فلان أي راجعه في شأنه" تخاطباً: تكالماً. اختطب على المنبر خطب. الخطاب: ما يكلم به الرجل صاحبه⁽⁹⁾

والخطابة في النص الأدبي الكلام الذي يلقي على جمهور الناس للإقناع والتأثير، هو فن قديم وجد مع الإنسان يلجأ إليه النابهون في الإرشاد، والخصومات والحث على الحرب والسلام⁽¹⁰⁾ فهي فن من فنون الأدب المقصود بكل رياضة محمودة يتخرج بها الإنسان في فضيلة من الفضائل. وهذه الرياضة كما تكون بالفعل، وحسن النظر والمحركات تكون بمزاولة الأقوال الحكيمة التي تضمنتها لغة أي أمة⁽¹¹⁾ والخطابة أيضاً كلام يلقي من فرد على جماعة بقصد التأثير في نفوسهم وإقناعهم بأمر من الأمور ولها دواع تقتضيها ومواطن تجمد فيها حين لا يقوم مقامها قصائد الشعر أو الرسائل، فتكون جملة من القول البليغ يقصد بها إلى الترغيب فيما ينفع الناس من أمور معاشهم والتنفير مما يضرهم وقد يشتمل على الفخر والمدح، وتكون في المشاهد، والمجامع، والأيام، والمواسم، والتفاخر، والتشاجر.⁽¹²⁾

وتحرير القول يلاحظ من بين هذه التعريفات أن الخطابة كلام يلقيه فرد على جماعة، وأن الهدف من إلقائه الإقناع في أمر هام من الأمور، أو شأن عظيم من شؤون الحياة. فالخطابة جزء كبير وهام من أجزاء النثر الفني، الذي يعتمد اعتماداً كلياً على حسن الصوغ، وجودة السبك، وجمال الفكر، ونضارة الخيال، فيلقيه الخطيب على الجمهور من السامعين على إختلاف درجاتهم في الإدراك، فيخلب بذلك السامعين ويميلهم إلى رأيه ويقنعهم به.

ملاحم من الصدق الفني عند الخطيب:

أنعلم ماذا يقصد بالصدق حينما قيل: فلان صادق أو تدرى لماذا تبقى بعض الموضوعات الأدبية التي نقرأها عالقة في أذهاننا بينما تنمحي صورة البعض الآخرين من ذاكرتنا تماما، وذلك يتوقف على مقدار صدق الأديب بما يكتب وعمق إيمانه بذلك النتائج وارتباطه بحياتنا⁽¹³⁾ فما معنى هذا الصدق؟

ويعرف الفيروز أبادي الصدق الفني بقوله: الصدق بالكسر والفتح ضدّ الكذب. كالمصدوقة أو بالفتح مصدر وبالكسر اسم، صدق في الحديث وصدق فلانا الحديث⁽¹⁴⁾. وهذا هو المعنى اللغوي لكلمة اللفظ فالمراد هو صدق الواقع المنطوق باللسان، ولكن لمثل هذا الصدق اعترض الله تبارك وتعالى ولم يقبل من قبل المنافقين الذين جاءوا إلى الرسول الأعظم صلوات ربي عليه وسلامه وعلى آله وصحابه يشهدون له بالرسالة يقول الله عزّ وجلّ: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُتُنَفِّقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُتُنَفِّقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾⁽¹⁵⁾ ترى لم نعت الله تعالى المنافقين بالكذب مع أنهم شهدوا بكلام يطابق الواقع ألم يقولوا صدقاً نعم صدقوا بألسنتهم من غير أن يطابق كلامهم قلوبهم، قالوا هذا القول خلافاً لما يضمرونه في قلوبهم، وما يعتقدون به، فمثل هذا القول إذن كذب لا يقبل من أحد لأنه يناقض والتناقض ليس صدقاً. ومن إيمان الفنان بما ينتج وما يعرض للأجيال أن يصدق الأديب في التعبير عن عاطفته التي أحسّ بها فعلاً وإعلان عقيدته التي اعتقدها، أن يكون تام المطابقة للواقع ويصوغ للقارئ موقعه نحو هذا الواقع بأن يقول بلسانه ما في قلبه فإن قالها فهو صادق، وإن خالف كلامه الواقع فهو كاذب⁽¹⁶⁾

هذا ما عناه القرآن الكريم حينما ردّ ادعاء المنافقين، المراد من الأديب إذن العقيدة الحقّة الصادقة الناتجة من التفاعل العاطفي بين ذلك الأديب والموضوع الذي تناوله وعبر عنه بألفاظه المنتقاة، من هذه المدلولات اللغوية والاصطلاحية يدرك أن العاطفة ما أثارت وحركت شعور الأديب حتى لجأ إلى إبراز ذلك الشعور في النص الأدبي فكأن نصه الأدبي ترجمة لما يتحرك في نفسه. فليس المطلوب من الأديب أن يقول كلاماً مَهْمَا صادف، ولكن المطلوب أن يكون له مشاعر ذات طابع شخصي يدفع به كل عمل يخرج من بين يدي القارئ عن طريقة شعورية ثم تعبيرية، لأن الشعور هي مرحلة الأولى في نفس صاحبها ثم يليها التعبير في صورة لفظية. ومن المعقول أن العاطفة وانفعال الوجدان مما جعل الخطيب عثمان عبد الله أن

يختار الموضوعات الدينية ويحلل فيها المشكلات التي لا تكاد الأمة الإسلامية تخلو عنها. ومن هنا اتضح أن تلك الخطب مشحونة بؤثرات انفعالية تتجلى فيها صدق تعبير الخطيب العاطفي فيما نصه في إرشاد الناس وتعليمهم على التعاون والبر والتقوى، والحث على تربية الأولاد على أداء الصلوات المفروضة في الجماعة والتحذير عن استماع الكلمة الباطلة، ثم الوعظ في أهوال يوم القيامة ليكونوا على علم بها، وغير ذلك من المشكلات الإنسانية. ولاغرابة أن تستضيف هذه النصوص عاطفة صادقة لما يتبين فيها من معالم دينية، فصدرت أقواله بانفعالات صدق تعبيره العاطفي، لأن الأدب أداة قوية لنشر القيم الإنسانية على المنهج الإسلامي، إذ يخاطب العقل والفكرة، ويهذب العاطفة والقلب، وينتهي الشعور والوجدان⁽¹⁷⁾ وهذا سمّاه النقاد بالصدق الفني أو العاطفة الصادقة وذكروا أنه يهب الأدب قيمة خالدة⁽¹⁸⁾

والجدير بالذكر أن هذه العاطفة تدفع الخطيب إلى انهياج شعوره حين ألقى خطبته على المنبر ليفيد بها العباد، استمع إليه يقول: عن شأن تقوى الله عزّ وجلّ: فإن التقوى كما سبق في الذكر الحكيم فحقيقتها عباد الله تكون في القول والفعل وتكون في الأهل والأقارب وتكون في الجيران، حتى في الطرق والأسواق، وهي امتثال الأوامر واجتناب النواهي، وهي مفتاح العلم، فمن أراد العلم فليتيق الله في السرّ والعلانية قال تعالى: ﴿.....وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾⁽¹⁹⁾

بين الخطيب حقيقة التقوى فليس أمراً مخفياً إنما تظهر سيمتها بالتزام أمرالله وعدم عصيانه والتسامح بين الأهل والأقارب والجيران، والترفق في القول والعمل في جميع المعاملات بين الأفراد، والمصابرة على أداء الوجبات والبعد عن الحرمات، لأن الحلال عنصر من أسباب السعادة والفوز والفلاح في الدنيا والآخرة، واحتجّ الخطيب على ماقاله من الذكر الحكيم ليثبت أن التقوى مفتاح العلم. فهذا التعبير الصريح يلزم السامع على العكوف عليه، إذ الخطيب عن قضية صادقة يعتقدونها في نفسه. واصل قائلاً: "فأدبو أولادكم أيها الإخوان على لزوم الصلوات الخمس في الجماعة لسبع، واجبروهم واضربوهم على تركها لعشر، فمن اشتغل ببيعه وشرائه ومعيشة أولاده عن الصلاة بأن أخرها عن وقتها قد أصبح من الخاسرين، لأنه عرضها للنسيان ومن نسي صلاته فقد دخل في سلك المنافقين الذين يعذبهم الله. وقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾⁽²⁰⁾ والويل هو واد من العذاب إن جهنم

تستعيد منه في كل يوم سبع مرات، ولودخلت جميع جبال الدنيا فيها لذابت من شدة حره فهو مسكن من تهاون بالصلاة وأخرها عن أوقاتها إلا أن يتوب فتاب الله عليه.

فعاطفة الخطيب الصادقة هي التي دفعته إلى إلقاء الخطبة ليعبر عما في ضميره من إرشاد الناس على تربية أولادهم وخاصة أداء صلوات المفروضة في الجماعة، لأن سعادة الأولاد لا تكتمل إلا إذا استحسن الآباء تربيتهم، تربية صالحة تعود عليهم وعلى مجتمعهم بالنفع العميم، وكذلك الصلاة ذلك القول الذي ظل الخطيب يردده كثيرا في آخر الخطبة، فإنها ارتباب الأولاد تربية خالدة حتى إذا ما نادى منادي الموت لا يسر إليه كالعبد سوقا إلى السجن بل يسير إليه بإيمان ثابت وطمئنان بنية تامة. وهكذا نشبت هذه العاطفة القوية في خطبته يشجع الناس على التعاون بينهم ومن تتبعها بذوق مرهف يجد ذلك في قوله: "ما دام أن الإنسان لا يستطيع أن يعيش في هذه الدنيا وحيداً مهما بلغ من المجد لا بد له من المشاركة والتعاون مع غيره، وعليه أن يعرف حدود ربه ويكون على بينة من ربه في جميع أمورهِ كي لا يتعدها، وفي هذا التعاون حقوق وأحكام لا بد من مراعاتها والعمل بمقتضاها على مقتضى الحال، ويقول الله في محكم تنزيله: ﴿.....وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۗ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾⁽²¹⁾ والتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم قبل فوات الأوان.

وهكذا استمر الخطيب يجذب انتباه السامعين ويثير مشاعرهم ليتنبهوا جيداً إلى أقواله قائلا: "ولئن كان المسلم ينزه نفسه عن شغل هذا اللسان بالكلمات الباطلة، فإنه يجب عليه أن ينزه سمعه عن استماع الكلمات الباطلة، لأن للألفاظ والكلمات دلالتها ومعانيها التي تحمل في طياتها فيجازي عليها الإنسان بالإحسان إحساناً، وإن لجارحة الإستماع أعظم الأثر في حياة المسلم ديناً و دنيا، وربط الله عليها الفلاح، وعلق بها السعادة أو الشقاوة في العاجل والأجل، ورتب عليها الجزاء والعقاب. وترك الفحش ترك صاحبها لئن لا يرى القبيح أو يسمعها. وقال تعالى ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَّمْ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَهْلِينَ﴾⁽²²⁾

تلفظ الخطيب بصراحة أن حياتنا اليوم تعج وتمتلئ بمخالفة كثيرة من بين جرائم كبرى وجرائم أقل شأنًا وأخف إثماً، وأشار الخطيب إلى أن استماع الكلمة الباطلة له دور فعال في إقامة المجمع أو هدمه، وكـم

من كلمة أَلقت سامعها في ضيق أو ضنك، فضاقت عليه الدنيا على رحابتها والأرض على سعتها، وكم من كلمة واست جروحا وأخرى نكأت وحدثت حروقا، ولهذا كان من أولى الإهتمامات في حياة المسلم حفظ سمعه إلا من الخير، وإحسان كلامه، وإطابته، وحفظه عن قول الشرّ. فوصف الله المؤمنين في الآية السابقة بأنهم إذا سمعوا القبيح من القول لم يصغوا إليه، وقالوا للجهال لنا أعمالنا لانتكرها ولكم أعمالكم ووزرها عليكم، لا تسمعون منا إلا الخير وننزه أنفسنا ونصونها عن الخوض في الكلام الباطل والإستماع إليه.

وفي عرض آخر شرع الخطيب يصور يوم الجزاء ويصف الحياة الأبدية، ويقنع السامعين بحجج ليعلموا أنه آت قريب وذلك بقوله: "المسلمون الكرام: يوم القيامة يوم عظيم، والدار الآخرة لهي الحيوان أعد الله عزّ وجل ما فيها ليثيب به من أطاعه، ويعاقب به من عصاه، وجعل الإيمان بها ركنا من أركان الإيمان، حتي يظلّ الإنسان دائما مستحضرا لها ومستشعرا خطرها وعظمتها، فلا تفتنه الدنيا بغورها، ولا تخدعه بزینتها، فيفعل بمراد الله تعالى فيكون من المسحقين لثوابه وجنته. قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا ففِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۗ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُوذٍ ۗ ﴾ (23)

بدأ الخطيب بجذب انتباه السامعين بنداء ليلتفتوا إليه أنظارهم ثم شرع يصور يوم القيامة بأنه هو يوم الجزاء فيه يُوقف العباد بين يدي الله لنشر الصحف وإظهار الأعمال، لأنه قد انتهى وقت العمل، جاء وقت الحساب. ومن يسمع الذكرى من الله تعالى والمواعظ فلا يلتفت إليها ولا يبالي بها وكأن الأمر لا يغنيه وكان الموت لاتأنيه، وكأنه لن يُوقف في هذه المواقف العظيمة التي أعد الله ما فيها ليثيب به من أطاعه ويقب به من عصاه، لاتنفعه الذكرى في ذلك الموقف. ثم استمر يقول أن الإيمان بذلك اليوم من علامات الإيمان الحقيقي لأنه ليس كل من ادعى الإيمان يجد حلاوته، لأنها تسري سريان الماء في العود، وتجري جريان الدماء في العروق، فيأنس بها القلب وتطمئن بها النفس، فلا يحس معها بضيق ولا قلق، فتمنعه أن يقع في بحر الدنيا والغرق فيه لأن الدنيا دائما مزينة في نظر الإنسان إلا من عصم الله. فعليه أن يعمل بمراد الله فيكون من المسحقين لسعادة الأبد، سعادة الآخرة وهي الجنة.

وهكذا استمر الخطيب لما رأى أنهم لا يطابقون أحاديث العقلاء من الحكم والمواعظ في التعاون بين الأمة الإسلامية، فنصحهم بصواب الرأي هو: التحلي بحسن الخلق ومعاملة الناس بما يجب أن يعاملوا به من البر والتقوى، وهذا أعدل ميزان في التعامل الإنساني، وهكذا تلاحظ أن دواعي قول الخطيب قد اجتمعت في هذا النص الذي هو تعبير صادق للانفعال القوي الذي ينبض به الكلمات والعبارات، فالمناسبة تتطلب مثل هذا الانفعال العاطفي الهائل. لذا انحاز إليه كلامه المعبر عن أعماق القلب، من فعل الخير واجتناب المنكر من القول والاستماع إليه، والمصابرة على أداء الواجبات، وترك الدنيا والقيام بالعمل ليوم الجزاء.

الخاتمة:

تسعى هذه المقالة: "صور من الصدق الفني في خطب الإمام عثمان عبد الله الزوري". إلى النظريات العلمية، إذن تطرق الباحث مفهوم الخطابة المعجمي والاصطلاحي ونبذة تاريخية عن الخطيب، كما تطرق إلى سرد مفهوم الصدق الفني، ثم حلل الخطابة تحليلاً أدبياً حسب ما وقف عليه النقاد من الصدق الفني في الكلام ثم الخاتمة والهوامش والمراجع.

وأهم ماتوصل إليه الباحث مما يلي:

- يتضح أن الإمام عثمان عبد الله زور، Zuru خطيب موفق، كما ظهر للباحث خلال دراساته النظرية والتطبيقية مع ما ذاقه من مرارة اليتيم قد نشأ نشأة علمية، وبدأ دراسته العربية على يد والده ثم أخيه الكبير الذي اهتم به إهتماماً بالغاً منذ وفاة والده.
- ما بلغ مبلغ الرجال حتى فارق أخاه الكبير المعلم محمد تَنكُو Tanko وسافر إلى كُنْتَغُور Kontagora لطلب العلم ودرس فيها، ثم انتقل إلى صكتو Sokoto ودرس فيها ونال شهادة العليا في الدراسات العربية والإسلامية.

الهوامش والمراجع:

- 1- أحمد الإسكندري ومصطفى عناني، الوسيط في الأدب العربي وتاريخه، دار المعارف مصر، ط/16، 1335 هـ، ص: 23
- 2- لقاء مع الإمام عثمان عبد الله في بيته يوم الثلاثاء صباحاً، 13-5-2018م
- 3- لقاء مع المعلم حسن، واحد من كبار تلاميذ الإمام في بيته بزور مساءً يوم السبت، 17-2-2019م
- 4- لقاء مع الإمام عثمان عبد الله في بيته يوم الخميس مساءً، 28-4-2019م

- 5- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار المصادر بيروت، بدون تاريخ، ج/1، ص:321
- 6- الجوهري، قاموس الصحاح، طبع مملكة العربية السعودية، 1996م، ص: 121
- 7- الزبيدي، محمد مرتضى، (السيد)، تاج العروس، المطبعة الخيرية، ط/1، 1406هـ ص:237
- 8- الزمخشري، محمود بن عمر، (الإمام)، أساس البلاغة، المكتبة العصرية، 1427هـ ص:228
- 9- معلوف لويس، المنجد في اللغة والأعلام، دار الشرق بيروت، ط/40، 1929م ص:176
- 10- أحمد شايب، الأسلوب، مكتبة النهضة المصرية، ط/7، 1976م، ص: 116
- 11- أحمد الإسكندري، ومصطفى عناني، الوسيط في الأدب العربي وتايخه، مرجع سابق، ص:25
- 12- أحمد الهاشي، جواهر الأدب في إنشاء وأدبيات لغة العربية، الزهراء للأعلام العربي، بدون تاريخ، ج/2 ص:63
- 13- محمد النويبي، محاضرات في عصر الصدق في الأدب، نسخة إلكترونية مصدرها: <https://hawzah.net/ar/Article/view/90720> تاريخ الزيارة: 26\5\1920م
- 14- الفيروز آبادي، أبوظاهر محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، دار الفكر بيروت- لبنان، ط/8، 1398هـ، 1978، ص:252
- 15 - سورة المنافقون، الآية: ﴿١﴾
- 16 - محمد النويبي، محاضرات في عصر الصدق في الأدب، نسخة إلكترونية، مرجع سابق
- 17 - أغاك عبد الباقي شعيب، (البروفيسور)، الأدب الإسلامي في ديوان الإلوري، مكتبة وهبة للطبع والنشر، القاهرة، 2016م ص:172
- 18 - أحمد أحمد بدوي، (الدكتور)، أسس النقد الأدبي عند العرب، دار النهضة مصر، بدون تاريخ، ص:517

19 - سورة البقرة، الآية: ﴿٢٨٢﴾

20 - سورة الماعون، الآية: ﴿5-4﴾

21 - سورة المائدة، الآية: ﴿2﴾

22 - سورة القصص، الآية: ﴿55﴾

23 - سورة هود، الآية: ﴿108﴾

رأية الشاعر تاج الدين شِراً في مدح الدكتور محمد خَالَة جِدَّة: دراسة أدبية تحليلية

إعداد:

منير محمد بَكُور

قسم اللغة العربية جامعة الفيدرالية، غسو ولاية زنفرا¹

ملخص المقالة:

هذه المقالة بعنوان: "رأية الشاعر تاج الدين شِراً في مدح الدكتور محمد خَالَة جِدَّة: دراسة أدبية تحليلية" عبارة عن دراسة وجيزة لفحل من فحول الشعراء النيجيريين وهو: الشاعر تاج الدين شِراً، فتسعى هذه المقالة جاهدة في بسط الضوء عن السيرة الذاتية للشاعر تاج الدين شِراً وحياته العلمية، ثم عرض قصيدته الرائية في مدح الدكتور خَالَة جِدَّة وتحليلها وذكر بعض الخصائص الفنية المتمثلة في القصيدة وخاصة ما يتعلق بالألفاظ والتعابير من حيث الجزالة والسهولة واللين، كما اشتملت الحديث عن حسن المطلع والتخلص وحسن المقطع والأسلوب وصدق العاطفة مما ساعد على إظهار ما في القصيدة من الجمال الفني والمحسنتات البديعية والتصوير الفني. فالقصيدة مشتملة على أهم النقاط التالية:

__ نبذة يسيرة عن الشاعر

__ نص القصيدة

__ التحليل الأدبي للقصيدة

__ الخاتمة

¹ munirumhammadbakura@gmail.com/Phone number: 08034068231

ABSTRACT

This article titled: "Analytical studies on Raiyya Tajuddin Shira in eulogy of Dr, Khala Muhammad Jiddah" is aiming to highlight the biography of Tajuddin Shira and his contribution in the field of knowledge, and also to analyze his poem called 'Raiyya' in his eulogy to Dr, Khala Muhammad Jidda, and to illustrate the characteristics athetic and stylistic cited in the poem, and highlight the values of Arabic poetry contained in it. So, this article contained the following headings:

- *Brief biography of Tajuddin Shira,*
- *Full content of his Raiyya.*
- *Complete analysis on the poem.*
- *Conclusion.*
- *Then citation.*

المقدمة:

الحمد لله الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين، القائل "إن من الشعر لحكمة¹ وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد:

يعد الشاعر "تاج الدين شيرا" من أبرز الشعراء الذين يشار إليهم بالبنان، أنتج مجهودات أدبية قيمة، وله قصائد تربو على ألف قصيدة في دواوينه ومجموعاته الشعرية، اختار الباحث هذه القصيدة (الرائية) بعنوان: "أعاد حاتم" في مدح الدكتور خاله جده ليقوم لإجراء الدراسة الأدبية.

لمحة تاريخية عن الشاعر:

هو أبو طاهر تاج الدين بن الشيخ محمد (السُّطُوحِي)² بن أبو بكر شيرا الملقب ب(مَي دَلَائِلُ) بن آدم بن محمد بن أحمد. يكنى بأبي طاهر على ولده الأكبر (محمد طاهر)، ولد الشاعر تاج الدين شيرا وبزغ فجر حياته في ربيع اليوم الحادي والعشرين من شهر أكتوبر عام 1969م على ضفاف شاطئ النيل الأبيض حيث نزلت أسرته حين عودتها من الحج فانقطع بها الزاد وكانت والدته حاملة بحمله فوقفوا لانتظار ميلاد هذا الشاعر.³

نشأته:-

نشأ الشاعر يتيم الأم تحت رعاية والده الذي قام برعايته وتربيته بعطف وحنان فائق فقام بدور الأم والأب معا حتى أنساه فقَدَ أمه⁴

تعلمه:

في السن الرابعة من عمره تقريبا أخذه والده إلى خلوة الشيخ محمد المهدي إمام وخطيب مسجد الأحمدين بمدينة كوستي الأنفة الذكر حيث شاوره بحفظ القرآن الكريم فبدأ بالحفظ عن طريق التلقين ثم الكتابة على اللوح واستمر في الحفظ شيئا فشيئا حتى حفظ جزء عمّ وشارف على حفظ جزء تبارك حيث توقف عند قوله تعالى: (إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا)⁵. فبدأ بالدراسة في المدرسة النظامية حيث التحق بالصف الأول الابتدائي بمدرسة تسمى مدرسة الشاطئ الابتدائية نمرة (7) للبنين فشرع في تعلم القراءة والكتابة ولما أكمل الصف الثالث الابتدائي بدأ والده يملي عليه كتابة بعض العلوم الشرعية فبدأ بعلم التوحيد على نهج الإمام الأشعري، والفقهاء على مذهب الإمام مالك، وتلخيص سيرة ابن هشام، وكان يحفظها عن ظهر قلب كملخصات عن شيخه فبدأ الشاعر بحفظ تلك الملخصات والمتون كمتن جوهرة التوحيد للقاني وغيرها، وكان والده يمشي معه بعد صلاة المغرب لحضور حلقات الدروس الشرعية التي يلازمها مع شيخه العالم العلامة الشيخ محمد الطاهر بن محمد سليمان الأدهمي⁶ ويتضح مما سبق أن والده هو أول من بدأ بتدريسه مبادئ العلم علم التوحيد والفقهاء والسيرة⁷،

مشايخه:

وبعد تخرج والده بدأ ظهور كوكب الشاعر في سماء حلقات العلوم الشرعية فواصل التلقي عن شيخ والده الشيخ محمد الطاهر بن محمد سليمان الذي كان يفتي في المذاهب الأربعة وغيرها وكان ماهرا في علوم متعددة حتى أنه كان يقال أنه رضيع لكل فن وله سند متصل في كل فن إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو مذكور بالتفصيل في إجازة الشيخ المكتوبة والمختومة بختمه الخاص والتي أجاز بها الشاعر لتدريس العلوم الشرعية⁸، وممن درس وتلقى منهم من خلفاء الشيخ محمد الطاهر بن محمد سليمان الأدهم:

- الخليفة محمد آدم فضل الدنقلأوي

- الشيخ محمد آدم الحبشي
- الخليفة شيخ إدريس الكبوي
- الخليفة حسن صالح الحلاق
- الشيخ مبارك سعيد
- الشيخ محمود ملك
- الخليفة شيخ أحمد الطيب

استفاد الشاعر بكثير من معاصريه وزملائه في طلب العلم في الحلقة الأدهمية بمسجد الأحمديين كفضيلة الأستاذ حسن قسم السيد وغيره. وكل هؤلاء خلفاء أدهميون، وأما غير الأدهميين الذين سمع منهم الشاعر فمنهم:

- الشيخ علي زين العابدين بحلفاية الملوك بالخرطوم بحري.
- الشيخ حسن الخندقاوي بمسجد الخرطوم الكبير (متخصص في علم الحديث والقراءات).
- الشيخ زكريا الهوسوي بمسجد الخرطوم الكبير، الذي توفي بمدينة كانو.
- الشيخ الدكتور الشبلي علم القراءات (خاصة قواعد قراءة أبي عمرو الدوري) بجامعة القرآن الكريم بأم درمان (مسجد النيلين)، كل أولئك سودانيون.⁹
- وأما الشيوخ الذين أثروا في شخصية الشاعر من النيجيريين وتشاديين ومصريين، وغيرهم من العرب، فمنهم على سبيل المثال:
- السيد الشيخ الشريف إبراهيم صالح الحسيني من خلال خطبه المنبرية (بالمسجد القديم والجديد بغونغي - ميدغري).
- الدكتور محمد كبير يونس الكنوي (التفسير بجامعة الملك فيصل - ميدغري). ودراسات لغوية وبلاغية في القرآن الكريم.
- الشيخ عرفة المصري (الفقه المقارن بجامعة الملك فيصل - ميدغري).

- الشيخ محمود عاصم البغدادي مدير القسم الجامعي لجامعة الملك فيصل قبل مجيء الدكتور لنقبة (طرق الدعوة بجامعة الملك فيصل - ميدغري).
- الدكتور الشاعر لنقبة عبد العزيز التشادي، وهو شيخه الأول في علم الفرائض وقسمة التركات (بجامعة الملك فيصل - ميدغري).
- القاضي الشيخ زبير وسقو وهو شيخه الثاني في الفرائض وقسمة التركات (بجامعة الملك فيصل - ميدغري). فهما أول من علّماه علم الفرائض وقسمة التركات فجزاها الله خير الجزاء.¹⁰

نص القصيدة:

- أعاد حاتم من أزمان من غبروا؟ * أم أن رهطا من الأجواد قد عبروا؟
 مساكن الألف فاضت من ندى رجل * تقلد الجود سيفا زانه الظفر
 يجود درا على الأطفال منسكبا * كأنه الغيث حتما إنه المطر
 محمد خاله فالصنو من نضر * توارثوا الجود أجيالا فما بطروا
 سلالة العرب قد طابت سجيتهم * معادن العز في الدنيا إذا افتخروا
 خصصت خال في شعري أنمقه* ليفخر الشعر والتشبيه والصور
 فإنه الخال أما الجد والده * بدور تم يحاكي حسنها القمر
 شبيه خال تبنى حسن سيرته * وخلقه يبهز الأجيال إن ذكروا
 يا خال دم جوادا دم أخا كرم * لقد تقلصت الأجواد بل ندرنا
 فأنت خالك في جود وفي كرم * فالابن خال كما قد أكد الخبر
 فللسخاء خيوط أصلها ذهب * تقيك من سطوة الأشرار إن مكروا
 ودم بشوشا أليف الناس ذا خلق * فذو البشاشة جذاب لمن نفروا
 قدمت داري في رحب وفي سعة * ضاء المكان وهش الطير والبشر
 وهب فوج من النسومات منتشرا * فرقص الورق والأوراق فانهبوا
 فردد الكل أهلا ضيف حارتنا * مع الرفاق فنعم الصحب والنفر
 فلا غرابة صحب الليث أضربه * من الأسود بوادي العلم ما عثروا

- وشمروا ساعد التحصيل واقتطفوا * ثماره فاستطاب السعي والثمر
فأصبحوا مضرب الأمثال في زمن * تقاصرت هممة الساعين والفكر
وأفرط الناس في هرج وفي مرج * ورا الحطام لنوق العلم قد عقروا
نعم وراء ركاب العيش فانغمسوا * وما استفاقوا لجند الوعظ ما اعتبروا
أعبد كاف كفاك الله شاننكم * وكف عنك أذى الحساد ما مكروا
ففيك نظمت بعض الشعر ممتطيا * على متون قواف سيرها زمر
وهبت للضيف مأوى فائضا كرما * وحسن خلق فعنكم ينشر الخبر
أليس والدك المعطاء ليث ندى * وسيد أخجل الأجواد إن نحروا
يجود بالمال إن ضمن الكرام به * وينحر البدن للأضياف إن عبروا
تجده دوما بأبواب مفتحة * كذا القدور على النيران قد صبروا
ورثت عثمان من بالجود سيرته * تعطرت فتجى الفقر والخطر
روى منير بكورا عنك قصته * بأرض يروى فطاب الحل والسفر
لقد نزلت بشهم ملء بردته * وبين جنبه حيا الجود من نظروا
وجدت خير جليس حلو منطقته * كأنه المسك طيبا إنه درر
فعبد كاف كفاني كل معضلة * هو النسيم هو الأقمار والنهر
منير أبشر بخير زرتنا كرما * حللت أهلا بيروى حفاك الظفر
كذلك منصور مع جدا هما معهم * من الشباب لأهل العلم قد نصروا
هنا جذبت لجام الشعر أوقفه * مستفعلن فعلى تروى به السير
أعاد حاتم من أزمان من غبروا؟ * أم أن رهطاً من الأجواد قد عبروا

مناسبة القصيدة:

قرض الشاعر هذه القصيدة (الرائية) بمناسبة زيارة الدكتور محمد خالدة جنة والدكتور عبد الكافي عثمان البشير له في داره، في يوم الخميس/ ١٩/٨/٢٠١٨م، وحينما أهدى الدكتور محمد خالدة مبلغا من المال لأبنائه عند انصرافهم كتب هذه الأبيات متسائلا: أعاد حاتم الخ".

- براعة الاستهلال:

ابتدأ الشاعر بما يشعر على غرضه، لأن السامع أو القارئ يفهم الغرض المنشود لدى الأديب،¹¹. وبراعة الاستهلال لدى هذا الشاعر تعد واحدة مما يهتم به، وفي مستهل هذه القصيدة جذب الشاعر أنظار قارئيه ومخاطبيه لأعمال الفكر والنظر ذلك باستعماله الأسلوب الاستفهامي التقريري في تمييز بين سخاء حاتم الطائي وبين جود جماعة من الأجواد العابرين ففي استعماله هذا الأسلوب تشويق للقارئ والدارس، فهو بالتالي براءة رائعة في الاستهلال. استمع إلى قوله:

أعاد حاتم من أزمان من غبروا؟ * أم أن رهطا من الأجواد قد عبروا؟
 مساكن الألف فاضت من ندى رجل * تقلد الجود سيفاً زانه الظفر
 يجود درا على الأطفال منسكبا * كأنه الغيث حتما إنه المطر

- براعة التخلص:

وهي الانتقال من المقدمة أو التمهيد إلى الغرض المقصود مع حفظ المناسبة على وجه سهل يختلسه اختلاسا رقيقا دقيق المعنى بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى إلا وقد وقع عليه الثاني لشدة الالتئام بينهما¹². وقد أجاد الشاعر في تنقله لعرض أفكاره الأساسية في القصيدة حيث انتقل من سؤال إلى مدح بصورة دقيقة استمع إلى قوله:

مساكن الألف فاضت من ندى رجل * تقلد الجود سيفاً زانه الظفر
 يجود درا على الأطفال منسكبا * كأنه الغيث حتما إنه المطر
 محمد خاله فالصنو من نفر * توارثوا الجود أجيالا فما بطروا

- براعة الاختتام:

والمقصود ببراعة الاختتام هو قدرة الأديب على اختتام الكلام بشكل دقيق وحسن بحيث لا يبقى للنفس تشويق وتطلع البتة¹³. فالشاعر يضع اختتام القصيدة قوية في التحامه وانسجامه مع النص فتصير وحدة مترابطة ومتكاملة التنسيق كما تلاصق استهلاله بالنص حتى إذا نظر القارئ إلى هذا الاختتام يحس بأنه من الغرض الذي من أجله جاءت القصيدة، وقد ختم الشاعر قصيدته بنفس الأسلوب إثباتا وتقريرا

لوجود حاتم جديد مماثل لحاتم الطائي في الجود والسخاء في عصره حيث كرر البيت الأول في ختام القصيدة الذي ثمة وروده في مطلع القصيدة ليؤكد الوصف الذي بدأ به وكله بغية استمتاع القراء وتشويقهم. استمع إلى قوله في الاختتام:

هنا جذبت لجام الشعر أوقفه * مستفعلن فعلمن تروى به السير
أعاد حاتم من أزمان من غبروا؟ * أم أن رهطاً من الأجواد قد عبروا

عاطفة الشاعر في القصيدة:

العاطفة في اللغة: من عطف يعطف وعطف بالعين والطاء والفاء يقال: عطف الشيء إذا أملتة والوسادة: ثنيها كعطفها ومصدره العطوف، والتعطف الرحمة¹⁴.

وأما عند أهل الفن قد اختلفت الأنظار في تعريف العاطفة، منهم من ذهب إلى أنها مجموعة المشاعر التي تنتاب الأديب حين يمر بتجربة من تجارب الحياة أو يتأثر بموقف من مواقفها فتوجه نظرتة إلى وجهة خاصة¹⁵. وذهب ابن الرشيقي إلى أنها: تلك الدواعي والبواعث التي تدفع الشاعر إلى التعبير عما يتلجلج في صدره من طرب وطمع وغضب وشوق ووفاء وغيرها¹⁶.

فالعاطفة عند الشاعر تاج الدين شِراً على درجات مختلفة ومتباينة إذ أنها تتجلى تارة قوية وتارة رقيقة وتارة تملكه عاطفة الإعجاب والتقدير كما في قوله:

أعاد حاتم من أزمان من غبروا؟ * أم أن رهطاً من الأجواد قد عبروا؟
وبإمعان النظر في عاطفة الشاعر في هذه القصيدة يدرك أنها تبدو عاطفة صادقة حيث وجود التوافق التام بين ألفاظ الشاعر وشعوره وعدم وجود التخالف بين شعور الشاعر وصوره الفنية.

أفكار القصيدة:

الأفكار جمع فكرة وهي سلسلة التجارب والمشاعر التي يعبر الشاعر في مضمون قصيدته والقضايا التي يتحدث عنها¹⁷.

والفكرة أمر مهم في الدراسة فالأدباء ليسوا عصفائر يتغنون بالشعر خاليا من الأفكار، بل هم دائما يتكلمون بمعان، ومن الطبيعي أن يكون أول عناصر الشعر الأفكار التي يتضمنها، فالقصيدة تؤدي معنى كليا، وكل فيها يؤدي فكرة جزئية مع غيرها لتؤدي إلى المعنى الكلي الذي يبرز من خلال وجدان الشاعر وينطبق بنظرته تؤثر في نفسه، فلا بد للأديب من عرض أفكار يفهمها القارئ لأنه يخاطب الناس ويكلمهم، فكلامه دائما هو ما يواصلهم بأفكاره وآرائه المختلفة، ولذا عرف النقاد الفكرة بأنها المعنى أو الحقيقة¹⁸.

وتتمثل أفكار هذه القصيدة فيما يلي:

1- ذكر سبب نظم القصيدة. ومنه قوله:

أعاد حاتم من أزمان من غبروا؟ * أم أن رهطا من الأجواد قد عبروا؟
مساكن الألف فاضت من ندى رجل * تقلد الجود سيفا زانه الظفر
يجود درا على الأطفال منسكبا * كأنه الغيث حتما إنه المطر

2- مدح الدكتور محمد خاله جده الذي أغدق العطاء لأولاد الشاعر وأسرته جميعا وما تمتاز به من الجود والعطاء. ومن ذلك يقول:

محمد خاله فالصنو من نفر * توارثوا الجود أجيالا فما بطروا
سلالة العرب قد طابت سجيّتهم * معادن العز في الدنيا إذا افتخرنا

3- ذكر منافع الجود والعطاء للمعطي.

فإنه الخال أما الجد والده * بدور تم يحاكي حسنها القمر
شبيهه خال تبني حسن سيرته * وخلقه يهر الأجيال إن ذكروا

4- ذكر حال ممدو حيه وما اختصوا به من تحصيل العلم والمعرفة.

فلا غرابة صحب الليث أضربه * من الأسود بوادي العلم ما عثروا
وشمروا ساعد التحصيل واقتطفوا * ثماره فاستطاب السعي والثمر
فأصبحوا مضرب الأمثال في زمن * تقاصرت همّة الساعين والفكر

5- ثناء على عبد الكافي عثمان بشير وأسرته وسرد جزء من محامدهم وسجايهم.
 أعبد كاف كفاك الله شانتكم * وكف عنك أذى الحساد ما مكروا
 ففبك نظمت بعض الشعر ممتطيا * على متون قواف سيرها زمر
 وهبت للضيف مأوى فائضا كرما * وحسن خلق فعنتكم ينشر الخبر

6- بشارة الخير لمنير محمد وزميليه منصور وجده.
 منير أبشر بخير زرتنا كرما * حللت أهلا بيروى حفاك الظفر
 كذلك منصور مع جدا هما معهم * من الشباب لأهل العلم قد نصروا

الأسلوب:

كلمة مشتقة من مادة "سلب" يقال: سلب ثوبه وهو سلب وأخذ سلب القتيل وأسلب القتلى، كافتها تدل على الاختلاس والأخذ. كما تأتي وتدل على "الإحداد" كقولهم لبست الثكلى السلاب وهو الحداد، وتسلبت وسلبت على ميتها فهي مسلب¹⁹.

وتأتي أيضا بمعنى الطريق كما يقال: سلك أسلوب فلان أي طريقه، كما تأتي بمعنى "النظام" يقال: "أسلوب القرآن" بمعنى نظامه²⁰.

وأما عند أهل الفن فله دلالات مختلفة على وفق وجهة نظرهم فيه فمن قائل: أن الأسلوب هو "الطريقة التي يعبر بها الأديب عن نفسه في تناوله لموضوع ما، والنمط الذي يختاره في استخدام اللغة وبناء العبارة... ويختلف باختلاف الأديب وطريقته في التعبير تبعا لموهبته وثقافته وبيئته وزمنه وتذوقه وانفعالاته وتأثره بالموضوع"²¹.

هذا وقد تفنن الشاعر تاج الدين شبرا في أساليب قصيدته حيث استعمل أساليب مختلفة منها:

- الاستفهام: وقد استعمل أسلوب الاستفهام لإثبات بعض آرائه فمنها قوله:

" أعاد حاتم من أزمان من غبروا؟ * أم أن رهطا من الأجواد قد عبروا؟"

وكذلك عند قوله:

"أعبد كاف كفاك الله شائنكم * وكف عنك أذى الحساد ما مكروا"

وكذلك قوله:

"أليس والدك المعطاء ليث ندى * وسيد أخجل الأجواد إن نحرُوا".

- أسلوب النداء:

واستعمل أسلوب النداء أيضا فمنه قوله:

"يا خال دم جوادا دم أبا كرم * لقد تقلصت الأجواد بل ندرُوا".

- أسلوب الأمر والتكرار:

واستعمل أسلوب الأمر والتكرار أيضا لغرس أوامره ونصائحه في القصيدة ومنه قوله:

"يا خال دم جوادا دم أبا كرم". وقوله: "ودم بشوشا أليف الناس ذا خلق".

- أسلوب التوكيد:

واستعمل أسلوب التوكيد أيضا في ثنايا القصيدة إثباتا لما يقوله فمنها قوله: "سلالة العرب قد طابت سجيتهم"، وقوله: "لقد تقلصت الأجواد بل ندرُوا"، وقوله: "لقد نزلت بشهم ملء بردته" وغير ذلك.

ألفاظ القصيدة:

واللفظ عبارة عن الصوت الذي يتم به الكلام على المعنى، و يستخدم للتعبير عن الحقائق وإيصال الأفكار أو نقلها، ويستخدم أيضا للدلالة عن التعبير العاطفي والانفعالي، ولإثارة المشاعر. واللفظ هو الوسيلة الوحيدة إلى إدراك القيم الشعورية في العمل الأدبي، وهو الأداة الوحيدة المهيأة للأديب لينقل خلالها تجاربه الشعورية. وهو لا يؤدي هاتين المهمتين إلا حين يقع التطابق بينه وبين الحالة الشعورية التي يصورها،²².

فاللفظ الرشيق الأنيق يؤثر في القلوب والعقول تأثيرا شديدا، كأنه يزيد في حقائق المعاني وأقدارها، وبمقدار جماله وروعته الفنية تكون هذه الحقائق والأقدار²³.

ومن هنا يدرك القارئ بأن اللفظ مرتبط بالمعنى ارتباطا ضروريا ودل على ذلك قول ابن رشيق: "اللفظ جسم وروحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح بجسم يضعف بضعفه ويقوي بقوته"²⁴.

فقد وفق الشاعر في دقة اختيار ألفاظه بحيث يعرف التمييز بين الكلمات المشتركة والمترادفة والمتضادة فمن خلال إحساسه وذوقه يستعمل أدقها لأجل المعنى المثير والغرض المقصود، لذا تمتاز القصيدة باختيار ألفاظ أنيقة جزيلة واضحة سهلة لا يدا خلها الغرابة ولا الغموض.

-تراكييب القصيدة:

نمق الشاعر تراكييبه بابتعاد عن كل ما يلمح بدخول التعقيد اللفظي أو المعنوي فكانت كلها واضحة لا يشوبها ضعف ولا يشينها خلل لغوي، فمثلا: قد استعمل الشاعر جملا فعلية كثيرة لإفادة التجدد والتكرار فيما يثبته من أوصاف لممدوحيه منها قوله: "تقلد الجود سيفا زانه الظفر" وقوله: "توارثوا الجود أجيالا فما بطروا" وقوله: "يجود درا على الأطفال منسكبا".

كما تفنن الشاعر في إيراد جملا اسمية لإفادة الثبوت والاستمرار لأوصاف ممدوحيه فمنها على سبيل المثال قوله: "سلالة العرب قد طابت سجيتهم" وقوله: "معادن العز في الدنيا إذا فتخروا" وكذلك قوله: "فللسخاء خيوط أصلها ذهب" وقوله أيضا: "وحسن خلق فعنكم ينشر الخبر".

الخيال:

الخيال في اللغة يأتي لعدة معان: ما تشبه لك في اليقظة والحلم من الصور، كما يطلق ويراد به كساء أسود ينسب على عود يخيل به للبهائم والطيور فتظنه إنسانا²⁵.

وأما في الاصطلاح هو: القدرة التي يستطيع العقل بها أن يشكل صورا للأشياء أو الأشخاص أو يشاهد الوجود. أو قوة تحفظ ما يدركه الحس المشترك من صور المحسوسات بعد غيبوبة المادة²⁶. فبناء على هذا فالقصيدة حافلة بألوان من الأخيلا البديعية منها قول الشاعر:

"خصصت خال في شعري أنمقه* ليفخر الشعر والتشبيه والصور".

انظر إلى جمال المجاز في قوله "ليفخر الشعر والتشبيه والصور" حيث صور الشعر والتشبيه والصور بالإنسان وحذف المشبه به وذكر شيئًا من لوازمه وهو: "الافتخار".

هذا عدى ما تحتفل به القصيدة من التشبيهات التي تعكس حركة الخيال منها قوله:

"يجود درا على الأطفال منسكبا * كأنه الغيث حتما إنه المطر".

وفي هذا شبه الشاعر ممدوحه محمد خَالَة جَدَّة بالغيث عن طريق تشبيه المؤكد بدون ذكر أداة التشبيه، ولم يقف الشاعر عند هذا التشبيه فحسب بل أكده ثانياً بتشبيه مؤكداً أيضاً بقوله: "حتما إنه المطر" ومن طرائف أخيلته قوله:

"ففيك نظمت بعض الشعر ممتطيا * على متون قواف سيرها زمر".

وفي هذا البيت شبه الشاعر قافية الشعر بالدابة العظيمة مثل الناقة فحذف المشبه به وذكر شيئًا من لوازمه وهو: "امتطاء المتن". وكذلك قوله:

"هنا جذبت لجام الشعر أوقفه * مستفعلن فعلن تروى به السير".

وأخيرا وليس آخرا برع الشاعر في فنون الخيال من ذلك استعماله التشبيه البليغ وتوظيفه في القصيدة أنظر إلى قوله:

"فعبد كاف كفاني كل معضلة * هو النسيم هو الأقمار والنهر".

فقد شبه الشاعر ممدوحه بثلاثة أشياء – النسيم-الأقمار –النهر دون أن يذكر أداة التشبيه ليؤكد أن المشبه هو عين المشبه به كما لم يذكر وجه الشبه مبالغة في ادعاء أن المشبه هو عين المشبه به، وبإمعان النظر يدرك أن هذا التعبير تعبيرا حسنا بليغا جامعا لجميع جوانب الحسن والجمال.

الأوزان والقوافي:

الأوزان جمع وزن وهو تردد الوحدات الصوتية المشكلة في التفعيلة التي يرمز لها بالمتحرك والساكن، وتمنح تفعيلة القصيدة جمال نظام هيكلها في كل بيت من أبياتها المتكررة²⁷.

والقافية في اللغة على وزن فاعلة من القفو وهو الإبتاع وإنما قلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها ولعلها سميت بهذه التسمية لأن البيت في القصيدة يقفوا أخاه أي يتبعه، وهي مؤخر العنق، ويراد بها آخر كلمة في البيت أو الحرف الذي تبني عليه القصيدة²⁸.

وعرفها خليل بن أحمد بقوله: من آخر ساكن في البيت إلى أقرب ساكن يليه مع المتحرك الذي قبله²⁹. عنى النقاد بالموسيقى الشعرية الخارجية والداخلية، وأما الموسيقى الخارجية تهتم بالأوزان الشعرية والبحور والقوافي المختارة لبناء القصيدة، بيد مقصود بالموسيقى الداخلية هي تلكم الذبذبات والنغمات والإيقاعات التي يحتويها حشو البيت الشعري مما تطيب الأذان لسماعه.

وقد عمد الشاعر تاج الدين شراً في بناء هذه القصيدة إلى اختيار البحر البسيط لبسط أفكاره جزئيات متتالية لرصانته وجلاله في دقاته وذبذباته الهادئة، كما اختار حرف الراء رويًا للقصيدة التي بناها عليه. والبحر البسيط من البحور التي في المرتبة العليا من بقية البحور الشعرية كما أشار إلى ذلك إبراهيم أيس بقوله: "ولا يزال كل من الكامل والبسيط والوافر والخفيف في المرتبة الثانية بعد الطويل مع بعض التفاوت في النسب ثم يأتي بعدهما بقية الأوزان"³⁰. ويعتبر البحر البسيط من البحور المركبة لتألفه ثمانية أجزاء على النحو التالي:

مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن *** مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن

غير أنه لا يرد العروض والضرب منه إلا مخبونين وأن الخبن لازم فيهما كلزوم الحور العين بالجنة، وعروضته في القصيدة تامة مخبونة حيث صار فاعلن: (فاعلن)، إلا أن الضرب يختلف تارة تام مخبون - فاعلن - كمثّل عروضه وتارة تام مقطوع: (مستفعلن) فيسير: مفعولن.

الموسيقى الداخلية: وسبق أن الموسيقى الداخلية تعني بالنغمات التي في حشو البيت من أبيات القصيدة، ويعد التكرار أهم عناصر الإيقاع في إثراء الحركة الموسيقية المطربة. وعرف النقاد التكرار بقولهم: تكرار المتكلم اللفظة أو المعنى لتأكيد الوصف أو المدح أو غيرهما، فله أهمية كبيرة في تأدية المعنى وتأكيده.³¹

فالشاعر تاج الدين شِراً قد سلك سلك التكرار حيث كرر البيت الأول في ختام القصيدة الذي ثمة وروده في مطلع القصيدة ليؤكد الوصف الذي بدأ به قائلاً:

هنا جذبت لجام الشعر أوقفه * مستفعلن فعلمن تروى به السير
أعاد حاتم من أزمان من غبروا؟ * أم أن رهطاً من الأجواد قد عبروا

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، لقد وصل الباحث إلى خاتمة هذه المقالة المتواضعة التي موضوعها هو: "رأية الشاعر تاج الدين شِراً في مدح الدكتور خاله جده دراسة أدبية تحليلية" تناول الباحث الحديث عن لمحة تاريخية عن الشاعر وحياته العلمية ثم أتى بدراسة أدبية عن قصيدته الرائية وفصل القول عنها بادئاً بعرض نص القصيدة ثم تحدث عن مناسبة القصيدة وعن أهم أفكارها وشعرها الإجمالي ذاكراً ما فيها من الخصائص الفنية. الحمد لله والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وإمام المرسلين أفضل من نطق بالضاد. 1 هـ

الهوامش والمراجع:

- 1- محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، المجلد الرابع، ج: 8، دارالفكر، 1401هـ، 1981م، ص: 108.
- 2- نسبة إلى الطريقة الأحمديّة التي مقرها في (طنطا) بجمهورية مصر العربية نسبة للشيخ أحمد البدوي.
- 3- المرجع السابق نفسه.
- 4- المرجع السابق نفسه.
- 5- المعراج، الآية: 6.
- 6- السيرة الذاتية لشاعر ديوان مناجاة المرجع السابق: ص: 13.
- 7- المرجع السابق نفس الصفحة.
- 8- نفس المرجع، ص: 14.
- 9- المرجع السابق ص: 16.
- 10- المرجع السابق، ص: 17.
- 11- جلال الدين السيوطي، شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان، دار إحياء علوم الكتب العربية بمصر (د.ت): ص: 172-173.

- 12- المرجع السابق ص: 173
- 13- المرجع السابق ص: 175
- 14- ابن الفارس أبو الحسن أحمد، مقاييس اللغة، دار الحديث القاهرة، 1429هـ، مادة عطف ص: 67
- 15- العشماوي محمد زكي وآخرون، البلاغة والنقد، ص: 216
- 16- القيرواني ابن الرشيقي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج: 1، ط: 1322، 1هـ ص: 77
- 17- كمال أبو مصلح (الشيخ)، الكامل في النقد الأدبي، ط: 3، ص: 57
- 18- 17- أحمد الشايب (الدكتور)، أصول النقد، المرجع السابق، ص: 45
- 19- الجوهري إسماعيل بن حماد، الصحاح، المرجع السابق، مادة سلب ص: 55
- 20- ابن منظور جمال الدين بن عبد الله بن مكرم، لسان العرب، ط: 1، بيروت-لبنان، مادة سلب.
- 21- سعد حسين عمر مقبول (الدكتور) وعبد الحميد محمد ذكري، الأدب والنصوص والبلاغة، مكتبة الأعلام والبحوث والنشر، ط: 2، ص: 469
- 22- سيد القطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشروق القاهرة، ط: 8، (1424)هـ/2003م، ص: 79-80
- 23- 19- شوقي ضيف (الدكتور)، في النقد الأدبي، دار المعارف القاهرة، ط: 9، ص: 162
- 24- 21- إحسان عباس، فن الشعر، دار الشروق عمان، ط: 1 (1996) م ص: 163
- 25- الفيروز آبادي، المصدر السابق ص: 1164
- 26- مجدي وهبه وكامل المهندس، معجم مصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان-بيروت ط: 2، 1984 ص: 164
- 27- إبراهيم أنيس (الدكتور)، موسيقى الشعر، مكتبة أنجلو المصرية، ط: 5، (د-ت) ص: 246
- 28- الفيروز آبادي، المصدر السابق ص: 1353
- 29- السيد أحمد الهاشي، ميزان الذهب في صناعة الشعر، دار الكتب العلمية، عام 1406هـ-1986م ص:
- 30- إبراهيم أنيس (الدكتور)، موسيقى الشعر، المرجع السابق ص: 49
- 31- التحليل اللغوي للأحاديث المختارة في وصف الساعة دراسة أسلوبية، قسم اللغة العربية، جامعة عثمان بن فودي صكتو نيجيريا، رسالة الماجستير 2008م ص: 5، نقلا من عبد العزيز أحمد عبد الصمد رسالة الماجستير في الأدب العربي، جامعة ولاية كيني نَصْرَاوَا، 2018م.

تأثير اللغة العربية في الأمثال الحوساوية من "كتاب حوسا أدثلي"

إعداد:

رضوان بن هارون¹ وسعاد محمد أبه² و صالح محمد كبير³

محاضرون بقرية اللغة العربية، انغالا-نيجيريا (مركز جامعي للدراسات العربية)

الملخص:

تهتم هذه المقالة بالظواهر العربية المؤثرة في الأدب الحوساوي، حيث تأخذ بعضها من الأمثال الحوساوية لتكون نموذجا تسلك بالقارئ الهمام نحو البحث والتفتيش. فتتحدث عن كل من: أثر اللغة العربية في الأمثال الحوساوية والطابع الإسلامي فيها.

الكلمات الافتتاحية: اللغة العربية – أمثال – الحوسوية

SUMMAR:

This article are interested with Arabic climatology of Hausa literature, where study of few in hausa proverbs when the reader can go to the research and inspection on it.

The article wase talk about the following thins:

- *Effect of the Arabic language on Hausa proverbs.*
- *Islamic typographer on this proverbs.*

المقدمة:

كان الأدب الحوساوي مملوءا بالظواهر والطوابع التي أخذها من الأدب العربي أو اكتسبها أثناء تطوراتها، وقد مر بمراحل ثلاث على ما يذكر، وهي: مرحلة الأولى: ما قبل الفودويين، ومرحلة الثانية: مرحلة الفودويين. ومرحلة الثالثة: الاستعمار الإنجليزي الغاشم. وتطور الأدب الحوساوي في هذه المراحل بعمومه

¹ ridwanuh@gmail.com /07039361582

² maqsulamohammedabba@gmail.com/08025109697

³ Kabirsaleh009@gmail.com/08061604069

واكتسب العديد من الأدوات التي أصبحت مؤثرة عليه، ويبدو أثرها في كتاباته وأقواله وتصرفاته، وفي أشعاره وأمثاله، حتى ظنَّ أنها من طوابعه الأصلي.

وفيما يلي وقفة قصيرة مع بعض هذه الطوابع والظواهر العربية المؤثرة على الأدب الحوساوي، معتمدين على كتاب حوسا أدنقلي، كما حاول الباحثون إثبات الترجمة الموجزة لمؤلف الكتاب ثم الكلام على الظواهر والطوابع على النحو التالي:

- موجز تاريخ مؤلف كتاب حوسا أدنقلي
- أهمية كتاب حوسا أدنقلي
- أثر الظواهر العربية في الأمثال الحوساوية.
- الطابع الإسلامي فيها.
- الخاتمة

موجز حياة مؤلف كتاب هوسا أدنقلي: (1)

نسبه وولادته ونشأته :

هو يوسف بن يونس بن ميكائيل بن محمد بن عمر (سَنَدًا) بن عبد المؤمن اللأمري. نسبة إلى قرية اللأمري الواقعة في حكومة غرُكو المحلية في ولاية كنو، ولد فيها سنة 1944م. وهي تبعد عن قصر سلطان كنو بسبعة وخمسين كيلومترا.

نشأ يوسف بن يونس بين أبوين كريمين من أصل قبيلة حوسا. وقد ألحقه أبوه بمدرسة مالم غوغًا منذ نعومة أظفاره على عادة المسلمين في شمال نيجيريا، حيث كان الولد يبدأ دراسته الأولية بمدرسة القرآن ليتعوّد على قراءته. وفي عام 1951 م، التحق بالمدرسة الابتدائية بحارة تُدُنْ ودَا بمدينة كنو، ودرّس فيها لمدة أربع سنوات، ثم استمر بدراسته في المدرسة المتوسطة في كنو من سنة 1955 إلى 1957 م. وفي سنة 1958م. أراد المؤلف أن يكون جنديا إلا أن الله لم يقدر له ذلك. وبعد أن فشلت محاولته الأولى كتب امتحانا للالتحاق بمدرسة تدريب المعلمين في حكومة وُدُلْ المحلية وذلك سنة : 1960 إلى 1962 م.

وهكذا نشأ يوسف متقلبا بين المدارس حازما في طلب العلم حتى أداه ذلك إلى مفارقة ولايته، فالتحق بجامعة أحمد بلو زاريا كدونا لدراسة الليسانس فلم يتوقف عند هذا الحد بل خرج إلى لندن لدراسة الماجستير. وكأنه أخذ بقول الشاعر:

العلم يرفع بيتا لاعماد له *** والجهل يهدم بيت العز والكرم⁽²⁾

قد اجتهد المؤلف في مواصلة دراسته في جميع مراحلها من الكتاتيب والدهاليز والابتدائية والمتوسطة حتى الكلية والجامعة ولم يزل يتحمل الشدائد الدراسية إما طالبا أو مدرسا وإما مفيدا أو مستفيدا.

حياته العلمية:

لقد شارك المؤلف في التدريس بالمدارس الحكومية حيث عُيّن موظفا في مقاطعة غَيَا سنة 1963 إلى 1964م، منها إلى مقاطعة جَاهُنْ عام 1964م حيث غادرها عام 1965م، وفيها تزوج بزوجته الثانية حيث بارك الله لهما بأكثر أولاده. وبعد أن انتقل من جَاهُنْ إلى تُرُنْكَ سنة: 1966م وهي قرية تابعة لحكومة لَأَرْتَرُزُغُو المحلية الواقعة في ولاية جِغَاوَا حاليا. ومنها انتقل إلى حكومة بَرِينْ كُدُ المحلية من عام: 1967 إلى 1969م. حيث اشتغل فيها معلما ومدرسا.⁽³⁾

ثم عُيّن نائب مدير المدرسة الابتدائية في حكومة كَزُورِي إلا أن هذا التعيين لم يتم لسبب تغييره بتعيين آخر حيث عين مدير المدرسة الثانوية المسماة ب(Transis School) في حكومة محلية "دَوَاكِنْ تُوْفَا". وفي سنة 1978م بعث إليه المدير العام لشؤون التربية والتعليم بولاية كَنُو برسالة فيها يأمره أن ينقل طلابه وعُماله إلى حكومة سُمَيْلَ المحلية خلال أسبوع واحد فقط. والتزم بالأمر، لكنه لم يمكث طويلا في مدرسته الجديدة حتى جاءت رسالة أخرى من الوزارة فيها يُطلب منه أن يذهب إلى حكومة هَطِيْجَا المحلية ليتأسس مدرسة ثانوية هناك. وذلك عام: 1979م، ومكث فيها لمدة سنة: 1980م. وفي سنة 1989 ميلادية أصبح يوسف بن يونس مفتشا تربويا عاما على أربع حكومات محلية: غُورَمْ ودُوظِي وكِيَاوْ وِبَرِينْ كُدُ التي فيها مركز القيادة. وفي هذا المركز 731 عاملا و4485 طالبا. ولم يزل يتولى هذا المنصب حتى مطلع سنة 1991م. ثم تقاعد عام 1991م.⁽⁴⁾

شيوخه:

درس يوسف بن يونس عند بعض علماء وطنه، منهم:

- الحاج أيوب. تعلم منه علوم الفقه ككتاب الرسالة لابن أبي زيد القيرواني وكتاب الأخضري لعبد الرحمن الأخضري وكتاب العزية والعشماوي في الفقه المالكي.
- مالم محمود وزير غطاطو، درس عنده علم اللغة العربية.
- مالم شيخ رنغم. تعلم منه اللغة الإنجليزية.

أهمية كتاب حوسا أدنقلي:

لكتاب حوسا أدنقلي أهمية كبرى لا تقل عن أهمية أي كتاب أدبي في الحوسا . ويدل على أهميته اهتمام الباحثين والكتّاب به حيث يأخذون منه المادة والنصوص للاستشهاد على صدق ما أودعوه في كتبهم ومقالاتهم وبحوثهم الأكاديمية.

صار كتاب حوسا أدنقلي مرجعا للباحثين واللغويين في الأدب الحوسوي من أمثال أستاذ مصطفى محمد يوسف محاضر في جامعة عمر موسى يَزَادُوا بكتسنا- نيجيريا، في مقالة عنوانها: ظواهر دلالية مشتركة بين اللغة العربية ولغة حوسا دراسة دلالية التي نشرت. والدكتور ذاكر شريف محاضر في قرية اللغة العربية انغاللا- نيجيريا استعان بالكتاب في مقالة طبعت في مجلة العربية الصادرة من القرية المذكورة أعلاه بعنوان: الأمثال عند العرب والحوسا: دراسة مقارنة.

وقد تناوله رضوان بن هارون في مقالة طبعت في مجلة اللوح الصادرة من قسم الدراسة العربية والإسلامية بجامعة ميدغري بعنوان: "تأثير القرآن على المثل الحوساوي". وبالجملة يمكن القول بأن كتاب "حوسا أدنقلي" له أهمية كبرى بدليل عكوف الباحثين والكتاب على الاستفادة منه، إما نقلا وإما تدريسا.

ومن أهميته أنه كتاب جمع كثيرا من أمثال لغة حوسا قلما تجد مثلها في كتب الأدب الحوسوي. ذلك أنه مخصص بالبيان عن الأمثال والحكم، بينما الكتب الأخرى فيها الأمثال والحكم وغيرهما ككتاب: "أخبار الحاضر والماضي" جمع كثيرا من أمثال لغة حوسا ولكنه لم يخصص للأمثال والحكم. وكتاب: "مَغَنَّا جَارِيثِي". فيه الأمثال والحكم يستفيد بها باحث ما ولكنه لم يخصص للأمثال والحكم ككتاب حوسا أدنقلي.

ومما امتاز به الكتاب المدروس أن مؤلفه قام بشرح بعض الأمثال والحكم الواردة فيه ليوقف القارئ على المعنى المراد منها ويمنعه ذلك الوقوع في الخطأ في فهم المعنى ولاسيما إن لم يكن القارئ حوسويا. أضف إلى ما تقدم أن الكتاب حفظ للأمة برمتها بعض آدابها خوفا من الضياع والانقراض ليرجع إليه أبنائها عند الحاجة وقطع النزاع والمجادلة.

وثمة أهمية أخرى ولعلها أهم من سوابقها وهي: إبراز قيمة ما للأمة الحوسوية من الأمثال والحكم إلى غيرها من الأمم وإعلامها أن هذه الأمثال والحكم تساوي أمثال أي أمة وحكمها في معناها وتأثيرها في نفوس المخاطبين بالحوسا.

وهذه النواحي وغيرها من الأهمية تدل على قيمة هذا الكتاب وقدره من بين الكتب الأدبية في الحوسا. وما زال النقاد والباحثون يستفيدون منه من عدة نواح لغزارة مادته وأسلوبه الجذاب وتنوعه الفريد في عرض البيان وسرد التحليلات.

أثر اللغة العربية في الأمثال الحوساوية:

يحتوي كتاب (حوسا أدنقلي) على حوالي خمسمائة ونيف، وتتضمن هذه الأمثال كلمات عربية ما يدل على تأثير اللغة العربية على اللغة الحوسوية، وفيما يأتي بعض هذه الأمثال مع رقمها كما كانت في أصل الكتاب:

803- Wani kaya sai amale, wacce a yagi mai dan doro.

في المثال كلمة عربية وهي (Amale) بمعنى الجمل، فأبدل الجيم ألفا وزاد في آخرها ياء لتدل على المفرد في المفهوم الحوسوي بعد أن كانت جمعا في العربية أي: أن بعض الأثقال يحملها الجمل، فأين للبقرة صاحبة السنم؟

(5) Fitila, maganin duhu 1-

واشتمل هذا المثل على كلمتين عربيتين، ربما تختفیان على بعض، وهما: (Fitila) و (Duhu) حيث استخدمهما الحوسوي على أصالتهما بدون حذف أو زيادة، بمعنى: المصباح مزيل للظلام.

(6) Tsautsayi, takabar suruki. 2-

وفي هذا المثل أيضا كلمة عربية تَحَوَّست وهي: Takaba بمعنى: عدة الوفاة، وكلمة: Takaba بالحوسا هي مأخوذة من عَقِبَ في العربية بمعنى مثى في أثره.

ومعنى المثل: من (المنضوب) أن تعدد المرأة لصهرها، ووجهه أن المتوفي ليس له حق العدة عليها، وإنما ذلك يترتب على أزواجه لا على زوجات أبنائه. ومحل الشاهد ورود كلمة عقب بمعنى العدة.

a yi walkiya⁽⁷⁾ 3- Rufin asirin mai lauma, kada

وتتنوع الكلمات العربية في الحوسا كما في هذا المثل، حيث نلاحظ فيه ثلاث كلمات عربية الأصل، وهن: Asiri وLauma وWalkiya (السر، اللقمة، البرق) ومعناها: ستر صاحب اللقمة الكبيرة ألا يلمع البرق.

هذه الكلمات كلها عربية الأصل، أما الأولى فمأخوذة من ستر يستر سترا، بمعنى إخفاء العورة، أو ما يقوم مقامها مما يخجل المرء باكتشافه، وقُدِّرَ باللقمة الكبيرة هنا. والثانية فهي اللقمة أخذت كذلك من العربية ولم يعرف الباحثون لهذه الكلمة معنى غير معناها العربي.

والثالثة هي البرق، وقد تصرّف فيها الحوسوي من حيث النطق فقال: ولُقِيَا فهي ظاهرة التحريف من بَرَقَ، فلما كانت مزيدة -عند الحوسوي- بحرفين الياء والألف، كسر لامها لتسهيل النطق على لسانه ثم زاد ياء مفتوحة وأتى بما يناسب الفتحة من الحروف وهو الألف.

(8) 4-ido ba mudu bane amma ya san kima

فيه كلمة (مُدُّ-أما-قيمة) ومعناها: العين ليست بمد ولكنها تعرف القيمة. فالقيمة هنا بمعنى الوزن، لا بمعنى الدرجة والقدر.

(9) 5-Fatara, mai ta da tsohon bashi.

فيه كلمة (فقر) وفَتَرًا بمعنى الفقر الشديد. وترجمة المثل: الفقر يذكر الدَيْنَ القديم، أي أن الفقر الشديد يجعل المرء في الذكريات وطلب المخرج حتى يذكر صاحبه الذي اشتقض منه كما يجعله في واد التمييز بين من دفع له حقه ومن لم يدفع من بين المديونين.

6-ikon Allah mai gari gwauro talaka da mata hudu harda kwarkwara⁽¹⁰⁾

ومما يعد اقتراض لغوي كلمة (تَلَكَّ، بمعنى تَعَلَّقَ) وردت هنا بمعنى الفقير.

وحرف الحوسوي الكلمة من (تعلق) إلى (تَلَكَّ) أي الذي تعلق به الفقر ولزمه، وقد حذف منها عين الكلمة كما استبدل لامها من القاف بالكاف. ومعنى المثل هو: من قدرة الله سيد البلد عزب والفقير بأربعة مع السراري.

7-Gobe da kallo, jibi da labara⁽¹¹⁾

أي: المشاهدة غدا وبعد غد خبر.

فيلاحظ القارئ في هذا المثل كلمتين عربيتين، وهما: غُوبِي بِإِمَالَةِ الْبَاءِ. أي الذي غيب عن إدراك المخلوق، لأن ما يحدث في الغد مجهول عن الأذهان. و لَابَارٍ، بمعنى الخبر. وحرفها الحوسوي إلى ذوقه اللغوي.

(12) 8- Ba kullum safiya ta kanyi juma'a ba

ومن ظاهرة الاقتراض اللغوي في الحوسا ورود ثلاث كلمات كلها عربية في هذا المثل: وهن: كُؤْمُ بمعنى كل يوم، وصافِيًا بمعنى الصباح، وِجُومعة بمعنى يوم الجمعة. ومعناه: ليس كل يوم جمعة.

(13) 9- Ta jefa ta cafe, matar talaka, taga matar mai arziki.

أضف على ما سبق كلمة: تَاجِيْفَ-بِإِمَالَةِ الْجِيمِ وَتَلَكَّ وَأَزْرَقِي، الموجودة في هذا المثل:

أما الأولى فمأخوذة من: الْجِيْفِ بمعنى الرمية، أي مستعارة من جيف الميتة التي لم تذيب حيث طرح على المدبلة سميت جيف لعدم ذكاتها، واستعار الحوسوي هذه الكلمة فاستخدمها في كل ما يشبه الطرح أو يعطي معناه، فكان المطروح لشيء أو المرموم جِيْف، حيث أصبح كل منهما يُرمى به، فالجيف ترمى على المدبلة والمنتفع به يرمى نحو الغير فيأخذه.

والثالثة هي أَرْزَقِي، وهو الرزق. إلا أن المدلول الحوسوي مكثف عن العربي، لأن الرزق في الحوسا يعني الأموال الطائلة والكنائز الهائلة بخلاف مدلول العربي الذي لا يتجاوز المأكول والمشروب كما يفهم في قوله تعالى: (ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون).⁽¹⁴⁾

ومفاد المثل هو: رمت ثم أمسكت. على حد قول زوجة الفقير التي رأت زوجة الغني. أي إنها أخذت بأقوى سبب من أسباب طرد الوحل والشدة فكأنها تغبط بهذه الكلمات.

10-Mu wushe nan man,an ce da dan fulani"GAFFARTA MALAM"⁽¹⁵⁾

فيه كلمتان أصلهما العربية : GAFFARTA 'MALAM أي غفر الله لك يا معلم، فكلمة غفر، و معلم كلتاهما عربية.

ومعنى المثل: قيل للفلاتي: غفر الله لك يا معلم، فقال: جاوزنا ذلك. وهذا وغيره من آلاف الكلمات العربية التي تحوست وما أكثرها. الطابع الإسلامي في الأمثال الحوساوية.

مما لا يختلف فيه اثنان أن الإسلام قد أثر في حياة الرجل الحوسوي، وأحاط بجوانبه قولاً وفعلاً وحركة وسكوناً. فحاول أن يطبق الإسلام في كلامه العادي وفي كتاباته النثرية والمنظومة. وفي أمثاله القديمة والحديثة. وسيرى القارئ نوعاً من هذه الظاهرة من خلال هذه الأمثال نختار منها ما نستشهد به على سبيل المثال. والأمثال المختارة مرقمة بحسب رقمها الوارد في أصل الكتاب وإليك نماذج منها:

(16)11-ABIN DA MUTUM YA SHUKA SHI ZAI GIRBA.

هذا المثل يحتوي على المعاني التي أثبتها الإسلام وأيدها القرآن كما في قوله تعالى: "وجزاء سيئة سيئة مثلها." (17) وما زرعه المرء في حياته يجني ثمرته إما في الدنيا وإما في الآخرة. وفيه موافقة لقول العرب: لا تجني من الشوك العنب. ومن أراد الجزاء الحسن فليعمل الإحسان في حياته.

(18)12-ABOKIN BARAWO, BARAWO NE.

نستشق في هذا المثل ربح التعليم الإسلامي في اختيار الصاحب اللائق حيث شبه الرسول صلى الله عليه وسلم في حديثه جليس السوء بالكبير، والصالح ببائع الطيب. وصحيح أن من صحب السارق فهو سارق كما قال لبيد:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه *** وكل قرين بالمقارن يقتدي⁽¹⁹⁾

13- ALBASA BA TAYi HALIN RUWA BA DA TA YI HALIN RUWA DA BATAI YA JI BA.⁽²⁰⁾

يدل هذا المثل على معانٍ متعددة منها ما دل عليه القرآن والحديث في قصة نوح مع امرأته وابنه خير دليل في إخراج الحي من الميت والميت من الحي، فنبى الله نوح عليه السلام بمثابة الحي حيث أخرج الله من صلبه ميتا كما أصبحت حليلته ميتة، وصدق الله حيث قال: "يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي".⁽²¹⁾

14- ALLAH YAYI ABIN INJI MA FADIN AURENSA.⁽²²⁾

بمعنى قضى الله لي الأمر، إشارة إلى قوله تعالى: "إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون"⁽²³⁾.

15- Duniya rawar yam'mmata ce'nagaba ya koma baya.

موافقا لقوله تعالى: "وتلك الأيام نداولها بين الناس".⁽²⁴⁾

16-DURKUSAWA WADA, BA GAJIYAWA BANE⁽²⁵⁾

التواضع ليس عجزا. بمعنى أن الكبير إذا أطاع من هو أصغر منه سنا فإن عمره لم ينقص بذلك ولم ينقص منه شيئا لا مروءته ولا شهرته ولا ما يتمتع به من جاه ومنصب وغير ذلك.

17- Hassada ga mai rabo' taki⁽²⁶⁾

ومما يدل على الطابع الإسلامي في الرجل الحوساوي استعماله بعض الأساليب الدينية في النهي والزجر عن بعض المنهيات كالحسد كما في المثل أعلاه.

ومعنى المثل: الحسد أسمة المحظوظ. علما أن المحسود عليه لا يمنعه الحسد إلى الوصول إلى نصيبه. بل يزيده شهرة واستعدادا لما يتوقعه.

18: Mahakurci, mawadaci.⁽²⁷⁾

حث الإسلام على الصبر في غير ما آية وفي أحاديث عديدة فتأثر الحوسوي بهذه الطبيعة النبيلة فكان من أمثاله: الصابر فائز.

19- Rama cuta ga macuci, ibada.⁽²⁸⁾

كما دل على الطابع الإسلامي في الحوسا أن يكيّل الإنسان لغيره ما كال عليه ذلك، فتمثل بقول الله تعالى: "فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم".⁽²⁹⁾

20: Saurin fushi, shi ke kawo da-na-sani⁽³⁰⁾

ولما كان الغضب غريزة في قلب كل مخلوق لا ينفك عنه مهما حاول لجأ الحوسوي إلى خطاب المغاضب وتبريد نفسه بأن يتمهل ويتأمل قبل أن يحكم أو ينفذ مراده على المسيء. قال عليه الصلاة والسلام: (لا تغضب).⁽³¹⁾

21- Wani hani ga Allah, baiwa ne⁽³²⁾

جعل الله الحياة تجربة فيها الوجود والعدم والحظ والحرمان وفيها الصحة والعلل كما فيها الخير والشر، فربما طلب المرء شيئا ولم يحصل عليه لحكمة علمها الله تعالى وأخفاها على عباده فقد يغتم بذلك المرء أو يحزن على عدم وجوده ما يريد فتعلل الحوساوي هذا الحرمان بالمثل المذكور أعلاه، أي: عدم الحصول على بعض المطلوبات منح، لأنه قد يكون عليه وبالا أو سببا في هلاكه حسب ما دلت عليه آية الكريمة: "عسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم".⁽³³⁾

22-Zafin nema, baya kawo samu⁽³⁴⁾

أي سرعة الطلب لا تجلب الحظ وإنما الحظ والنصيب على ما قدره الله تعالى وقسمه بين عباده لا على جهدهم ولا جاههم ولا قوتهم ولا نسهم على ما دعت عليه الآية الكريمة: "نحن قسمنا بينهم معيشتهم".⁽³⁵⁾

23-Zama da madaukin kanwa, shi ke kawo farin kai⁽³⁶⁾

المجاورة مؤثرة في رأي الحوسوي، لذا صرح بذلك في كلامه العادي والسوقي، وفي أمثاله التي سارت له شعارا يتميز بها عن غيره فأطلق مثلا متلوا ومسموعا إلى ما شاء الله، ومعناه: الصحبة مؤثرة.

24- Duniya, budurwar wawa.⁽³⁷⁾

تجربة الحوسوي على الدنيا عظيمة وعلمه بغرورها كبير، ولهذا أطلق كثيرا من أمثاله عنها ناهيا عن الميل إليها وأمرًا باجتنابها وأنها دار نفاذ لا إقامة وفيء زائل لا ظل استقرار، وعلى العاقل أن يتفكر عنها وينظر ما فعلته بالذين سبقوه. وذلك في أساليب مختلفة ومناسبة عديدة فانظر إلى الأمثال السابق فيه ذم السفية لميله نحو الدنيا.

25- Duniya mai halin dan mangwaro, kana tsotsonta sai ta sunbule maka.⁽³⁸⁾

فيه وصف الدنيا بثمر منجو وأنه لا يثبت على يد الماصّ له بل يسرع إلى السقوط، فنعيمها لا يدوم وآلاتها لا تثبت .

26- Duniya, gidan kashe ahu, kowa ya kashe taro yai zari.⁽³⁹⁾

افترس الحوسوي عن الدنيا بأنها دار إتلاف الجنيمات ومن أتلف درهما منها فقد أسرف.

من طوابع الإسلام في نفس الحوسوي تسويته اليهود والمجوس ومن لا دين له فهم في نظره سواء إذ لم يكونوا في دائرة المسلمين، وقد قال تعالى: (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخسرين) (40)

356- Duk daya, maras salla ya je gidan bamaguje⁽⁴¹⁾

أدرك الرجل الحوسوي أن الأديان الموجودة حالياً كلها ملة واحدة سوى الإسلام، فهو الدين الذي ارتضاه الله للعباد فساق في ذلك مثل المذكور، بمعنى لا فرق بين الكافر والملحد. ويشهد لذلك قوله تعالى: ("إن الدين عند الله الإسلام").⁽⁴²⁾

400- Idan da rabon kunci zai sha mari, Allah ya bada hakuri baya hana fada⁽⁴³⁾

يدل هذا المثل على الرضا بالقدر خيره وشره، وكان من طوابع الإسلام في الرجل الحوسوي أنه آمن بالقدر وأن الكائنات كلها تجري على مراد الله تعالى ومشيئته وما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك كما قال تعالى: (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولنا وعلى الله فليتوكل المؤمنون)⁽⁴⁴⁾

الخاتمة:

تمت المقالة بمشيئة الله سبحانه وتعالى، وقد ناقش فيها الباحثون ترجمة مؤلف كتاب حوسا أدنقلي كما تناولوا الحديث عن أهمية الكتاب التي لا تقل عن أهمية أي كتاب أدبي في لغة الحوسا كما أكد الباحثون على أن الكتاب مهم لاهتمام الباحثين والكتاب به حيث يأخذون منه المادة والنصوص للاستشهاد عن صدق ما أودعوه في كتبهم ومقالاتهم وبحوثهم الأكاديمية.

وقد تطرق الباحثون إلى الحديث عن الظواهر العربية المؤثرة في الأدب الحوساوي متخذين كتاب "حوسا أدنقلي" نموذجاً، وإضافة إلى ذلك ناقش الباحثون أثر اللغة العربية في الأمثال الحوساوية والطابع

الإسلامي فيها كما ناقشت المقالة الخصائص والمميزات الفنية فيها كالإيجاز والإطناب وما يتعلق بعلم البيان كالتشبيهات والكنائيات. فقد أشار الباحثون على أن الأدب الحوساوي مملوء بالطواهر والطوابع التي أخذها من الأدب العربي.

النتائج التي توصل إليها الباحثون:

- كثرة الكلمات العربية في أمثال حوسا تدل على اتصال الأمتين واختلاطهما منذ أمد بعيد، لا يقاس بدخول الإسلام فيها.
- وجود الطابع الإسلامي في الأدب الحوساوي.

الهوامش:

- (1) مقابلة شفوية أجريتها مع المؤلف. وذلك يوم الإثنين 1438/9/10 هـ الموافق 2017/6/5م. ما بين صلاة الظهر والعصر في بيت المؤلف بحارة "تُدنْ وَدَا" بؤمفائي بكنو بمصاحبة أخي إدريس. الساكن في حارة "غَيْطُ غَيْطُ كَنُو".
- (2) البيت فيه خلاف حيث قيل: إنه لأبي العلاء المعري، كما في منتديات عالم حواء الرسمي بتاريخ 2007م. وقيل إنه لأمير الشعراء أحمد شوقي.
- (3) مقابلة شفوية...المصدر السابق.
- (4) الذاريات، الآية:57
- (5) Yusuf Yunus,Hausa A Dunkule.Designed & Printed by Government printer, kano,2006,pg:180
- (6) Pg:201
- (7) Pg:197
- (8) Pg:
- (9) Pg:179
- (10) Pg:65
- (11) Pg:181
- (12) Pg:173
- (13) Pg:200
- (14) الشورى، الآية:40
- (15) Yusuf yunus,pg:191
- (16) Pg:2
- (17) البيت لطرفة بن العبد كما عند أنصار الأدب الأصيل. تاريخ الدخول 2019/3/19م
- (18) Yusuf yunus,pg:2

(19) سورة الروم، الآية: 19.

Yusuf yunus,pg:4 (20)

(21) آل عمران، الآية: 47.

Yusuf yunus,pg:5 (22)

(23) آل عمران، الآية: 140.

(24) آل عمران: 140.

Yusuf yunus,pg:15 (25)

Yusuf yunus,pg:16 (26)

Yusuf yunus,pg:21 (27)

Yusuf yunus,pg:37 (28)

(29) البقرة، الآية: 194.

Yusuf yunus,pg:4141 (30)

(31) أخرجه البخاري رقم (6116)

Yusuf yunus,pg:46 (32)

(33) البقرة: الآية: 194.

Yusuf yunus,pg:53 (34)

(35) الزخرف، الآية: 32.

Yusuf yunus,pg:56 (36)

Yusuf yunus,pg:56 (37)

Yusuf yunus,pg:67 (38)

Yusuf yunus,pg:67 (39)

(40) آل عمران، الآية: 85.

Yusuf yunus,pg:56 (41)

(42) آل عمران، الآية: 19.

Yusuf yunus,pg:70 (43)

(44) التوبة، الآية: 51.

صور من الاشتقاق في ديوان "إكسير السعادات" للشيخ إبراهيم

الكوخي: دراسة صرفية.

إعداد:

بشير محمد^١ ومرضى إبراهيم^٢

معهد السلطان محمد مئطو للقرآن والدراسات العامة، صكتو.

الملخص:

تناولت المقالة تاريخاً وجيزاً عن حياة الشاعر رحمه الله، ثم تعريف الاشتقاق من حيث اللغة والاصطلاح والأنواع وأصل المشتقات. ثم دراسة الأسماء المشتقة في الديوان، وتحدث الباحثان في المقالة عن اسم الفاعل، واسم المفعول واسم التفضيل، وبعض صيغ المبالغة. ثم الخاتمة، والمراجع. وكذلك تحدثت عن دلالة كل صيغة من تلكم الصيغ المدروسة في الديوان، حيث تناول الباحثان نكتة حساسة وملموسة في كل، لمحاولة إبراز المعنى المقصود في الأبيات المدروسة في الديوان.

ABSTRACT

The article dealt with a brief history of the poet's life, may Allah have mercy on him. Then the definition of the derivative in terms of language, terminology, types, and the origin of derivatives, then study the derivative nouns in the article and the two researchers talked in the article about the participle name, the accusative noun and the preference noun, and some formulas of exaggeration.

¹ 08081413441

² +2348060686457, murtalaibrahim773@gmail.com

Then conclusion, and reverences. It also talked about the significances of each of those formulas studied in the DIWANI, Where the two researchers dealt with a sensitive and concrete joke in each, in an attempt to highlight the intended meaning in the selected verses in the divan.

المقدمة:

الحمد لله الذي بيده تصريف الأمور كلها. القائل في كتابه العزيز: "وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ" والصلاة والسلام على من اشتقه الله من خير الأبوين سيدنا ومولانا محمد المصطفى أفصح من نطق بالضاد، القائل: "رحم الله امرأً أصلح لسانه" وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم. وبعد: فإن الاشتقاق من أشرف علوم اللغة العربية وأدقها وأنفعها وأكثرها وروداً في النصوص الأدبية وهو مدار علم التصريف في معرفة الأصل، ولذا فإن جميع النحاة إذا أرادوا أن يعلموا الزائد من الأصلي في الكلام نظروا في الاشتقاق.

وعلى هذا فإن هذه المقالة المتواضعة اختارت ديوان إكسير السعادة، للشيخ إبراهيم إنياس الكولخي رضي الله عنه. موضوعها لما فيه من المشتقات، واختار الباحثان صوراً من الأسماء المشتقة في الديوان لتحليلها تحليلاً صرفياً، وتحتوي المقالة على النقاط التالية.

- التعريف بالشاعر.
- تعريف الاشتقاق.
- دراسة الأسماء المشتقة في الديوان.
- الخاتمة

التعريف بالشاعر:

هو الشيخ إبراهيم بن الحاج عبد الله التجاني بن السيد محمد بن مدن بن بكر بن محمد الأمين بن صنب الرضى.

مولده:

ولد الشيخ إبراهيم يوم الخميس في قرية من قرى (سالم) لعائلة والده تسمى (طيب انياسين سادس عشر من رجب عام ألف وثلاث مائة وثمان عشرة سنة على القول الأرجح^٢. وردت رواية أخرى قوية بأنه رجب عام ألف وثلاث مائة وعشرين، لكن الأول يرجحه كلام الشيخ الموجود بخط يده "الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد: فيرجع المؤرخون أن تاريخ ولادة الشيخ انياس كان عام: ١٣١٨ هـ 3

وقد نشأ هذا الشيخ في حجر والديه رضي الله عنهما مصوناً موجهاً أحسن التوجيه بمستقبله، باجتهاد ورعاية، لكن والده لم يتكلم ولم يتساهل في إعطاء مستقبل ولده هذا أفضل جهد حتى علمه القراءة ان حفظاً متقناً، وهو إذ ذاك في سن مبكرة ثم شرع يعلمه مبادئ العلوم والفنون، من نحو وصرف وفقه ولغة، وسيرة وتفسير وإلى غير ذلك من العلوم.

وتربى تربية إسلامية صوفية، وظهرت منه النجابة في صغره ثم شمر عن ساعد الجد والاجتهاد في تحصيل العلوم الرسمية المنطوقة منها والمفهومة، حتى استفاد وأفاد^٣

وبالجملة فإن الشيخ قد نشأ بارعاً في النجابة والفهم وحب العلم، وبعد النظر في المستقبل وحسن السلوك وسد الفراغ فائقاً في الحفظ وشدة التدقيق وقوة الذاكرة، ثم نقله والده المحترم الطريقة التجانية، وقدمه فيها بعد أن بلغ في أسرارها وثمراتها الحسية والمعنوية.

مؤلفاته:

ومن مؤلفاته وفتاويه رضي الله عنه، ما يلي:

١_ كاشف الإلباس عن فيضة الختم أبي العباس

٢_ تبصرة الأنام في أن العلم هو الأمام رتبته على مقدمة وثلاثة فصول.

٣_ نجوم الهدى في كون نبينا أفضل من دعا إلى الله وهو تأليف محكم النسجقطعي البراهين واضح الدلالة،

طبع مرات ونشر. وله غير ذلك

أشعاره:

وأما أشعاره رضي الله عنه فهي منحصر كما تقدم في محامد الأهداف، كسرد مناقب الرسول صلى الله عليه وسلم، والتعلق به، ووصف محبته والحث عليها والتعريض على اتباعه، والعض بالنواجذ على سنته الغراء المطهرة، وسرد سيرته الفضيلة الزكية. وقال:

وإن سألوني عن حبيبي ومذهبي ** جوابي رسول الله حين أجيب

تمسك بأذيال النبي متابعا ** مذاهبه فالمحدثات فلا لا^٤

وفاته:

توفي الشيخ إبراهيم إنياس يوم الأحد: ٢٧، يونيو: ١٩٧٥م، في (لندن) المملكة المتحدة، وقبل أن ينتقل إليها قضى ثلاثة أشهر أو يزيد في (باريس) يعالج عينيه^٥

تعريف الاشتقاق.

الاشتقاق لغة: اشتقاق الكلمة من الكلمة: أخذها منها^٦

معنى الاشتقاق في اللغة هو أخذ الشيء أي نصفه أو جانب منه، ومنه قالوا: "اشتق الفرس في عدوه" يريدون أنه مال في أحد شقيه وقالوا: قعدوا في شق من الدار، يريدون ناحية منه.

واصطلاحاً: "هو صوغ كلمة من أخرى على حسب قوانين الصرف"^٩ وعرفه أحمد بن أحمد الحملاوي بقوله: والاشتقاق أخذ كلمة من أخرى مع تناسب بينهما في المعنى وتغيير اللفظ^{١٠}

وهو أخذ كلمة من الأخرى، لمناسبة بين الكلمتين ولو مجازاً. وينقسم إلى ثلاثة أقسام، وذلك أن التناسب بين المأخوذ والمأخوذ منه إما أن يكون في المعنى وفي اللفظ جميعاً مع ترتيب حروف الأصول فيهما، وإما أن يكون ذلك التناسب في المعنى واللفظ، مع عدم الترتيب في حروف الأصول. وإما أن يكون في المعنى وحده ويكون مع ذلك أكثر حروفهما من نوع واحد وباقيهما من مخرج واحد أو من مخرجين متقاربين.

فالأول: هو ما كان للتناسب فيه بين المأخوذ والمأخوذ منه في المعنى واللفظ وترتيب الحروف، نحو: ذهب، يذهب، وهو ذاهب، ونحن جلوس، وجلس، ويجلس، وهو جالس، ويسمى هذا النوع الإشتقاق الصغير^{١١}

والثاني: هو ما كان التناسب فيه بين المأخوذ والمأخوذ منه في المعنى واللفظ من غير ترتيب الحروف - نحو: جذب وجبذ، وحمد، ومدح وأن، وأتى، وأيس، ويئس، ويسى الاشتقاق الكبير.

والثالث: هو ما كان التناسب فيه بين المأخوذ والمأخوذ منه في المعنى وأكثر الحروف، وكان في باقي الحروف من مخرج واحد أو مخرجين متقاربين، نحو: ثلب/ وثلم، ونعق، ونهق، وهتل، وهتن، ومدح، ومده، ويسى الاشتقاق الكبير.

ولو تأمل الدارس النظر في هذه الأقسام الثلاثة أدنى تأمل لتبين له الأمور الآتية:

١- أن الأقسام الثلاثة تشترك في أن بين اللفظ المأخوذ والمأخوذ منه تناسبا في المعنى، فالذهاب مع - ذهب، ويذهب، والجلوس مع - جلس، ويجلس. وهكذا مدح، مع جمد، وجذب، مع جبذ، وأيس، مع يئس، وأن، مع أنى مشتركة في المعنى، وثلب، مع ثلم، ونعق، مع نهق، وهتن، مع هتل، ومدحن مع مده، مشتركة في المعنى.

٢- أن النوع الأول والثاني يشتركان في أن بين اللفظ المأخوذ والمأخوذ منه تناسبا في لفظ واحد، دون النوع الثالث، فجميع حروف جلس موجودة في جلس، فجميع حروف ذهب موجودة في الذهاب، وكذلك جميع حروف مدح موجودة في حمد، وهكذا جبذ وجذب، وأيس ويئس، لكن ثلم وثلب، ونعق ونهق، هتل وهتن، مدح ومده، اتفقا في حرفين الأول والثاني، واختلفا في الأخير، إما أن يكون من مخرج واحد أو متقارب المخرج^{١٣}

أصل المشتقات:

وأصل المشتقات عند البصريين هو المصدر لكونه بسيطا أي يدل على الحدث فقط بخلاف الفعل، فإنه يدل على الحدث والزمن، وعند الكوفيين الأصل الفعل، لأن المصدر يجيء بعده في التصريف، نحو: نجح ينجح نجاحا

كما مر بنا أن أصل المشتقات ثلاثة، فلعلماء العربية في ذلك أقوال كثيرة متشعبة، غير أن أشهرها أربعة أقوال:

١- أن المصدر هو الأصل، وما عداه من الفعل بأنواعه الثلاثة، وسائر المشتقات من الصفات كاسم الفاعل والمفعول، والصفة المشبهة وأفعال التفضيل، وغيرها كاسمي الزمان والمكان واسم الآلة، فرع من المصدر، وكلها مأخوذة منه، وهذا قول جمهور البصريين.

٢- أن الفعل أصل المصدر وغيره من المشتقات فرع منه، وهو قول الكوفيين.

٣- أن المصدر أصل للفعل وحده، والفعل أصل لما بقي من المشتقات، فيكون اسم الفاعل. مثلا فرعا من المصدر بواسطة الفعل.

٤- أن المصدر مستقل والفعل أصل آخر مستقل وليس أحدهما فرعا من الآخر ولا مأخوذ منه، وهو قول ابن طلحة أستاذ جاز الله الزمخشري^{١٣}

دراسة تطبيقية:

لقد وردت الأسماء المشتقة في ديوان الشاعر بكثرة، منها ما هو مشتق من الفعل الثلاثي الصحيح، والمعتل، ومنها ما أخذ من غير الثلاثي. قبل الشروع في تفصيل النماذج ينبغي للباحث أن يمهّد بتعريف كل مشتق وكيفية صياغته.

اسم الفاعل: "هو اسم مشتق للدلالة على من وقع منه الحدث، أو قام به، دالا على أصل الحدث على جهة الحدوث.

قوله: (دالا على أصل الحدث) يخرج صيغ المبالغة لأنها تدل على التكثير في الحدث. فهناك فرق بين سَمَاعٍ وسامع وأكَّال، و أكل^{١٤} صياغة اسم الفاعل: من الثلاثي على وزن (فاعل) فإذا كان معتلّ العين وأعلّ في فعله قلب حرف العلة همزة مثل قائم ، وصائم ، وبائع . قال تعالى: (التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون)^{١٥} وإذا كان معتلّ اللام فيحذف حرف اللام في حالتي الرفع ، والجر مثل: "أنت رامٍ" مررت بقاضيٍ وبداعٍ" ومن غير الثلاثي على وزن المضارع بإبدال حرف المضارعة ميماً مضمومة وكسر ما قبل الآخر مثل:مخرَج ، مُشترِك، ومستخرج قال تعالى: (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكِر)^{١٦} (كأنهم جراد منتَشِر)^{١٧}

يقول الشاعر:

وصلت بك الأرسال والكل خادم ** من الخضرة العليا أتاه علاء^{١٨}
هو الكامل المحمود والسؤل والمنى ** وأنت الحبيب المصطفى والمقرب^{١٩}

والشاهد: من البيت لفظ خادم، مشتق من خدم يخدم وهو اسم الفاعل من مادة خدم، يقال: خدم يخدم خدمة وهو على باب نصر وهو فعل ثلاثي متعد يقال: خدم جاره عمل له وساعده في العمل، واسم الفاعل جاء على قياسه الصرفي، وهو خادم، ويجمع خدام وخدم

وقد استخدم الشاعر لفظ خادم للدلالة على الذات القائم بالحدث والحدوث، وقوله: والكل خادم، جملة تدل على قيام الرسل عليهم الصلاة والسلام بالصلاة عليهم، وخدمته وهذا الحدث يتجدد ويتكرر لذا عطفه على الجملة الفعلية وهي وصلت.

وأما "كامل": فمشتق من كمل يكمل وهو كامل على وزن فاعل، وأصله ثلاثي. (كَمَلَ) الْكَافُ وَالْمِيمُ وَاللَّامُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى تَمَامِ الشَّيْءِ. يُقَالُ: كَمَلَ الشَّيْءُ وَكَمُلَ فَهُوَ كَامِلٌ، أَيْ تَامٌ. وَأَكْمَلْتُهُ أَنَا^{٢٠} قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ}^{٢١}

ك م ل: (الْكَمَالُ) التَّمَامُ وَقَدْ (كَمَلَ) يَكْمُلُ بِالضَّمِّ (كَمَالًا). وَ (كَمَلَ) بِضَمِّ الْمِيمِ لُغَةً. وَ (كَمَلَ) بِكَسْرِهَا لُغَةً وَهِيَ أَرْذَلُهَا. وَ (تَكَامَلَ) الشَّيْءُ. وَ (أَكْمَلَهُ) غَيْرُهُ. وَرَجُلٌ (كَامِلٌ) وَقَوْمٌ (كَمَلَةٌ) مِثْلُ حَافِدٍ وَحَقْدَةَ^{٢٢} ويستخلص الباحثان من هذا اللفظ للدلالة على أن النبي صلى الله عليه وسلم

قد تم وكمل في جميع صفاته المحمودة وأخلاقه الحسنة، بحيث إذا قربه حبيبه يناله لين القلب، وطفرس الصدر، وللإشارة إلى أنه وفي بالعهد حريص بأتمته رؤوف رحيم بالمؤمنين.

وقال الشاعر:

عليه صلاة الله ثم سلامه ** مع الآل والأصحاب ما حادث حدث
عليه صلاة الله ثم سلامه ** تقيني شر السحر إن نافث نفث^{٢٣}

والشاهد:

حادث: مشتق من حدث يحدث وهو حادث على وزن فاعل. وفعله ثلاثي، وقال ابن فارس: (حَدَثَ) الْحَاءُ وَالذَّالُّ وَالنَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ كَوْنُ الشَّيْءِ. يقال: حَدَثَ أَمْرٌ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ. وَالرَّجُلُ لِحَدَثِ: الطَّرِيْقُ السَّيْنِ"٢٤ ويقول الرازي: ح د ث: (الْحَدِيثُ) الْخَبْرُ قَلِيلُهُ وَكَثِيرُهُ، وَجَمْعُهُ (أَحَادِيثُ) عَلَى غَيْرِ الْقِيَاسِ. قَالَ الْفَرَّاءُ: نَرَى أَنَّ وَاحِدَ الْأَحَادِيثِ (أُحْدُوْتُهُ) بِضَمِّ الْهَمْزَةِ وَالذَّالِ نَمَّ جَعَلُوهُ جَمْعًا لِلْحَدِيثِ. وَ (الْحُدُوْتُ) بِالضَّمِّ كَوْنُ الشَّيْءِ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ وَبَابُهُ دَخَلَ (أَحَدْتُهُ) اللَّهُ (فَحَدَثَ) "٢٥

نافث: مشتق من نفث ينفث على وزن فاعل. وفعله ثلاثي مجرد، (نَفَثَ) التُّونُ وَالْفَاءُ وَالنَّاءُ أَصْلٌ صَحِيْحٌ يَدُلُّ عَلَى خُرُوجِ شَيْءٍ مِنْ فَمٍ أَوْ غَيْرِهِ بِأَذْنِ جَرَسٍ. مِنْهُ نَفَثَ الرَّاقِي رِيْقَهُ، وَهُوَ أَقْلٌ مِنَ التَّفْلِ. وَالسَّاحِرَةُ تَنْفُثُ السُّمَّ. وَ " لَا بُدَّ لِلْمَصْدُورِ أَنْ يَنْفُثَ " مَثَلٌ. وَ " لَوْ سَأَلْتَنِي نِقَاةً سِوَالِكِ مَا أَعْطَيْتُهُ "، وَهُوَ مَا بَقِيَ فِي أَسْنَانِهِ فَتَفَثَهُ. وَدَمٌ نَفِيْثٌ: نَفَثَهُ الْجُرْحُ، أَيِ أَظْهَرَهُ"٢٦

ن ف ث: (النَّفْثُ) شَبِيْهُ بِالنَّفْخِ وَهُوَ أَقْلٌ مِنَ التَّفْلِ. وَقَدْ (نَفَثَ) الرَّاقِي مِنْ بَابِ ضَرْبٍ وَنَصَرَ. وَ (النَّفَاثَاتُ) فِي الْعُقَدِ السَّوَاجِرِ"٢٧

نفث: النفث: نفث الرامي ريقه، وهو أقل من التفل. والساحرة تنفث. والحية تنفث"٢٨ يشير هذان اللفظان إلى دوام الصلاة والسلام على خير خلق الله مع آله وأصحابه، ولتكون هذه الصلاة وهذا التسليم مسريدين ترا بدون انحسام وبدون توان وتأخير. لما ينال من البركة والخير الدائم في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

فكلمة (خادم) في المثال السابق تدل على من وقع منه فعل الفهم فهي اسم فاعل

فالكلمات (خادم - كامل - حادث - نافث) كلها أسماء دلت على من وقع منه الفعل فهي أسماء للفاعل

إذا لوحظ أفعال هذه الأسماء توجد لها ثلاثية الأصول (خدم - كمل - حدث - نفث) وهي جميعاً على وزن (فعل)

وبالمقارنة بين الفعل واسم الفاعل نجد أن اسم الفاعل جاء بزيادة ألف بعد الحرف الأول أي على وزن (فاعل)

إذا كان الفعل الثلاثي معتل الآخر (ناقص) مثل (دعا - سعى - قضى) صيغ اسم الفاعل منه على وزن (فاعل) مع قلب حرف العلة ياءً في اسم الفاعل فيصير (الداعي - الساعي - القاضي) وتثبت هذه الياء في حالة النصب (رأيت ساعياً في الخير) أو إذا كان الاسم معرفاً بأل (الداعي إلى الخير كفاعله) وتحذف في حالتي الرفع (هذا قاضي بالحق) والجرح (مررت بداعٍ للسلام) وفي حالة الحذف يصير الوزن (فاع)

إذا كان الفعل الثلاثي مبدياً بهمزة (أكل - أخذ - أمر) صيغ اسم الفاعل منه على وزن فاعل مع جعل الهمزة ممدودة فيصير (أكل - أخذ - أمر)

٢. صاغ من غير الثلاثي (على وزن المضارع مع إبدال حرف المضارعة ميماً مضمومة وكسر ما قبل الآخر) اسم الفاعل والفعل المضارع متشابهان من حيث المعنى، كما أن اسم الفاعل يعمل عمل الفعل المضارع.

صيغ المبالغة:

وقد أورد الشاعر هذه الظاهرة في بعض أبيات ديوانه، ما يربو على سبعين مرة، واستعمل جميع هذه الصيغ إلا أن صيغة "فعال" أكثر استعمالاً في الديوان وذلك كقوله:

ودار سلام بعد عدن وأزلفت** وتلمس مداحاً له كل ملمس^{٢٩}

الشاهد:

مدّاحاً: مشتق من مدح يمدح مدحاً، من باب فتح يفتح، وصيغة المبالغة على وزن "فَعَّال"، وهي من الثلاثي، مدح: المدح: نقيض الهجاء، وهو حسن الثناء.

ويقال: انمدحت الأرض، اتسعت. والأمدوحة: من المدح، ويقال: بل هي المنقبة، والأول أصحُّ. قال:

لو كان في مدحة حيٍّ منشراً أحداً * أحيا أباكَنّ يا ليلي الأُماديحُ^{٣٠}

(مَدَحَ) الْمَيْمُ وَالِدَالُ وَالْعَاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى وَصْفِ مَحَاسِنِ بِكَلَامٍ جَمِيلٍ. وَمَدَحَهُ يَمْدَحُهُ مَدْحًا: أَحْسَنَ عَلَيْهِ الثَّنَاءُ^{٣١}

استخدم الشاعر هنا هذه الصيغة ليبدل على الكثرة، بمعنى أن المداحين كثروا بحيث لا يستطيع المحصي إحصائها، إشارة إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم يمدح ويمجد في جميع الأماكن المختلفة في العالم بدون استثناء.

فقيرغني حامد ومحمد ** جوادريم مدحه خير منشد^{٣٢}

الشاهد:

جواد: مشتق من جاد يجود جودا، والصيغة المبالغة على وزن فعّال. وهو ثلاثي معتل العين، جود: الجود؛ خلاف البخيل، ويقال: جاد جوداً. والجود: المطر الغزير. وجاد الشيء جوده وجودة^{٣٣}.

(جَوَدَ) الْجِيمُ وَالْوَاوُ وَالِدَالُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ التَّسْمُحُ بِالشَّيْءِ، وَكَثْرَةُ الْعَطَاءِ. يُقَالُ رَجُلٌ جَوَادٌ بَيْنَ الْجُودِ، وَقَوْمٌ أَجَوَادٌ. وَالْجَوْدُ: الْمَطَرُ الْغَزِيرُ. وَالْجَوَادُ: (جُودٌ) يَوْزَنُ هُودٍ^{٣٤} واستعمل الشاعر هذا اللفظ هنا للدلالة على كثرة جوده وهبته وكرمه للسائل والمحروم، وذلك لمن عرفه ولمن لم يعرفه.

اسم المفعول:

هو اسم مشتق للدلالة على من وقع عليه الحدث على جهة الحدوث.

صياغته من الثلاثي على وزن مفعول مثل: مقصود، ممدود معدود، مأكول، مشروب، مأخوذ^{٣٥}

ينظر في معتل العين فإذا كان أصله الياء يحذف منه حرف عند قريش فيقولون مثلاً في اسم المفعول من دان مدين، ويقولون مبيع، ويقولون رجل معين. أما بنو تميم فيقولون مديون، ومبيوع. ومعين وإذا كان أصل العين الواو فيتفق الجميع على الحذف فيقولون مَصُوعٌ، ومَقُولٌ، ومَزُورٌ. استخدم الشاعر هذه الظاهرة في ديوانه، بالكثرة حوالي خمسين مرة منها قوله:

وأول مذکور وأول ذاكر ** وأوفى لنا خرقا سرىا مشرفا^{٣٦}

مذكور: من ذكر يذكر ذكرا واسم الفاعل ذاكرا، واسم المفعول مذكور، على وزن مفعول. وهو ثلاثي مجرد من باب نصر ينصر، (ذَكَرَ) الدَّالُّ وَالْكَافُ وَالرَّاءُ أَصْلَانِ، عَنْهُمَا يَتَفَرَّعُ كَلِمُ الْبَابِ.

وَالْأَصْلُ الْأَخْرَجُ: ذَكَرْتُ الشَّيْءَ، خِلَافُ نَسِيتُهُ. ثُمَّ حُمِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ بِاللِّسَانِ^{٣٧}

واسم المفعول هنا يفيد الحدث والتجدد والاستمرار مع تثبت الذكر قبل الخلق وبعدها لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد ذكره الله تعالى في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق جميع الخلق كلهم أجمعين.

هو الكامل المحمود والسؤل والمنى * وأنت الحبيب المصطفى والمقرب^{٣٨}

الشاهد:

محمود: من حمد يحمد حمدا واسم الفاعل منه حامد، واسم المفعول محمود، على وزن مفعول. من باب فتح يفتح على القياس الصرفي حمد: الحمد؛ خلاف الدم، ورجل محمود ومحمد، إذا كثرت خصاله المحمودة. قال: إلى الماجد الفر * عالجواد المحمدي

وبذلك سمي رسول الله صلى الله عليه محمداً. وتقول: حمادك أن تفعل كذا، أي: غايتك. وفعلك المحمود منك غير المذموم. وأحمدت فلاناً، إذا وجدته محموداً. ورجل حمدة: يكثر حمد الأشياء ويزعم فيها أكثر مما فيها. والحمدة: صوت التهاب النار^{٤١}

(حَمِدَ) الْحَاءُ وَالْمِيمُ وَالذَّالُّ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ وَأَصْلُ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ الدَّمِّ. يُقَالُ حَمِدْتُ فَلَانًا أَحْمَدُهُ. وَرَجُلٌ مَحْمُودٌ وَمَحْمَدٌ، إِذَا كَثُرَتْ خِصَالُهُ الْمَحْمُودَةُ غَيْرُ الْمَذْمُومَةِ. وَلِهَذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ سُمِّيَ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. وَيَقُولُ الْعَرَبُ: حَمَادَاكَ أَنْ تَفْعَلَ كَذَا، أَيْ غَايَتُكَ وَفِعْلُكَ الْمَحْمُودُ مِنْكَ غَيْرُ الْمَذْمُومِ^{٣٩}

ح م د: (الْحَمْدُ) ضِدُّ الدَّمِّ وَبَابُهُ فِهْمٌ وَ (مَحْمَدَةٌ) بِوَزْنِ مَثْرَبَةٍ فَهِيَ (حَمِيدٌ) وَ (مَحْمُودٌ) وَ (التَّحْمِيدُ) أَبْلَغُ مِنَ الْحَمْدِ. وَالْحَمْدُ أَعَمُّ مِنَ الشُّكْرِ. وَ (المَحْمَدُ) بِالتَّشْدِيدِ الَّذِي كَثُرَتْ خِصَالُهُ الْمَحْمُودَةُ. وَ (المَحْمَدَةُ) يَفْتَحُ الْمِيمَيْنِ ضِدُّ الْمَدَمَةِ^{٤٠}.

مقرب: بتشديد الراء وفتحها، على وزن مفعّل. من قرّب يقرب تقريبا، واسم الفاعل منه مقرب، واسم المفعول مقرب، لأنه ثلاثي مزيد بالتضعيف. قرب: القرب: ضد البعد. وذو قرابتك: من يقرب منك رحما. وفلان قريبي و (ذو) قرابتي. والقربة: القرابة.

والقرب: الخاصة، والجميع الأقرب. قال (الشاعر):

وكننت إذا ما قرب الزاد مولعا * بكل كميت جلدة لم توسف

مداخلة الأقرب غير ضئيلة * كميت كأنها مزادة مخلف^{٤١}

(قَرَبَ) الْقَافُ وَالرَّاءُ وَالْبَاءُ أَصْلُ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ الْبُعْدِ. يُقَالُ قَرَبَ يَقْرُبُ قُرْبًا. وَقُلَانُ ذُو قَرَابَتِي، وَهُوَ مَنْ يَقْرُبُ مِنْكَ رَحْمًا. وَقُلَانُ قَرِيبي، وَذُو قَرَابَتِي. وَالْقُرْبَةُ وَالْقُرْبَى: الْقَرَابَةُ. وَالْقَرَابُ: مُقَارَبَةُ الْأَمْرِ. وَتَقُولُ: مَا قَرَبْتُ هَذَا الْأَمْرَ وَلَا أَقْرَبُهُ، إِذَا لَمْ تُشَامَهُ وَلَمْ تَلْتَبَسْ بِهِ^{٤٢}

اسم التفضيل:

اسم مشتق على وزن (أفعل) ولو تقديراً لزيادة صاحبه على غيره في تلك الصفة وهو يدل على شيئين اشتركا في صفة ما، وزاد أحدهما فيها على الآخر، وقد استعمل الشاعر هذه الصيغة حوالي أربعين مرة في الديوان،

يقول الشاعر:

وأحلم خلق الله أعدل خلقه ** من الناس أسخى بل من الناس أشجع⁴³

الشاهد:

أحلم: من حلم يحلم حلما، واسم التفضيل على وزن "أفعل" من ثلاثي مجرد من باب. حلم: الحلم: ترك الإعجال بالعقوبة وترك الطيش، يقال: حلمت عنه أحلم حلماً. وحلم الأديم حلماً، إذا تثقب وفسد^{٤٣}

(حَلَمَ) الْحَاءُ وَاللَّامُ وَالْمِيمُ، أَصُولُ ثَلَاثَةٌ: الْأَوَّلُ تَرْكُ الْعَجَلَةِ، وَالثَّانِي تَثْقُبُ السَّيِّءِ، وَهِيَ مُتَبَايِنَةٌ جِدًّا، تَدُلُّ عَلَى أَنَّ بَعْضَ اللَّعَةِ لَيْسَ قِيَاسًا، وَإِنْ كَانَ أَكْثَرُهُ مُنْقَاسًا.

فَالأَوَّلُ: الْحَلْمُ خِلَافُ الطَّيْشِ. يُقَالُ حَلَمْتُ عَنْهُ أَحْلَمُ، فَأَنَا حَلِيمٌ.

وَ (الْحِلْمُ) بِالْكَسْرِ الْأَنَاءُ وَقَدْ (حَلَمَ) بِالضَّمِّ (حِلْمًا) وَ (تَحَلَّمَ) تَكَلَّفَ الْحِلْمَ^{٤٤}

أشجع: من شجع يشجع شجاعة، واسم التفضيل على وزن "أفعل" شجع: الشجع: الطول، ورجل أشجع وامرأة شجعاء. ورجل شجاع: مقدم، ورجل شجعة وشجعاء، قال ابن دريد: لا يلتفت إلى قولهم شجعان فإنه خطأ. قال أبو زيد: سمعت الكلابيين يقولون: رجل شجاع ولا توصف به المرأة. والأشجاع: مفاصل الأصابع، الواحد، أشجع. والشجاع: ضرب من الحيات.^{٤٥}

(شَجَع) الشَّيْنُ وَالْجِيمُ وَالْعَيْنُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى جُزْأَةٍ وَإِقْدَامٍ، وَرُبَّمَا كَانَ هُنَاكَ يَبْغُضُ الطُّولَ، وَهُوَ بَابٌ وَاحِدٌ. مِنْ ذَلِكَ الرَّجُلُ الشُّجَاعُ، وَهُوَ الْمُقْدَامُ، وَجَمَعَهُ شَجَعَةٌ وَشُجَعَاءٌ. وَالشُّجَاعُ: الْحَيَّةُ. وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ -: «يَعِيءُ كَنْزُ أَحَدِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَوْ قَرَعًا»^{٤٦}

ش ج ع: (الشُّجَاعَةُ) شِدَّةُ الْقَلْبِ عِنْدَ الْبَأْسِ وَقَدْ (شَجَع) الرَّجُلُ مِنْ بَابِ ظَرْفَ فَهُوَ (شُجَاعٌ) وَقَوْمٌ (شَجَعَةٌ) وَ (شُجَعَانٌ) نَظِيرُ غَلَامٍ وَغِلْمَةٍ وَغِلْمَانٍ. وَرَجُلٌ (شَجِيعٌ) وَقَوْمٌ (شُجَعَانٌ) مِثْلُ جَرِيْبٍ وَجُرْبَانٍ وَ (شُجَعَاءٌ) كَفَقِيهِ وَفَقَّهَاءُ^{٤٧}.

ودل هذان اللفظان على المشاركة وزيادة هذه الصفات للنبي صلى الله عليه وسلم على غيره، إشارة إلى أنه فاق جميع الخلائق في الحلم والأناة وعدم التعجل في الأمر والطيش فيه، ومع ذلك هو رسوب حسام صرام شجاع مقدام، لا يوازي مع غيره في الشجاعة والاقدام في الأمر كله.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين. وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: فقد حاول الباحثان ذكر التعريف بالشاعر، ومؤلفاته وحياته إلى وفاته، وديوانه وما تضمن من الأبيات، وهكذا الاشتقاق مع الدراسات التطبيقية في الديوان لبعض الأبيات المختارة فيه. والله المستعان وهو الهادي بمنه إلى سواء الصراط.

الهوامش والمراجع:

- ١- سورة الإسراء: ٨٩
- ٢- عبد الرزاق بن فراج الصاعدي، أصول علم العربية في المدينة، الناشر: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى السنة الثامنة والعشرون، العددان ١٠٥-١٠٦، ١٤١٧هـ-١٤١٨هـ/١٩٨٧-١٩٨٨م، ص: ٢٨٥
- ٣- المصدر السابق، ص: ٢٨٦
- ٤- المرجع السابق ص: ٢٨٧
- ٥- محمد بن عبد الله السيد، (التجاني) من أخبار الشيخ إبراهيم، ص: ٥٨
- ٦- إبراهيم إنياس، (الشيخ) كاشف الإلياس، ط: ٢٠٠٢م، ص: ٦٦
- ٧- نشوان بن سعيد الحميري، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، المحقق: د حسين بن عبد الله العمري، الناشر: دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية) الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م ج: ٦، ص: ٣٣٥١
- ٨- يعقوب أبوبكر الغاني، إتخاف الإخوان بمآثر غوث الزمان، ص: ٣٤٣.
- ٩- إبراهيم أنيس (الدكتور) وشركاؤه، المعجم الوسيط، ط: ٢، ١٩٧٢م، ص: ٧٦٥
- ١٠- أحمد بن أحمد الحملوي، شذا لعرف في فن الصرف، دار الأقصى - القاهرة ١٩٩٤م، ط: ١، ص: ٦٨
- ١١- المرجع السابق، ص: ٧٦
- ١٢- أحمد الحملوي، المرجع السابق، ص: ٦٥
- ١٣- مصطفى جواد، (الدكتور) المباحث اللغوية في العراق، مطبعة لجنة البيان العربي، ١٩٥٥م، ص: ٤٥٢
- ١٤- سورة القمر الآية: ١٧
- ١٥- سورة القمر الآية: ٧
- ١٦- الحاج إبراهيم الكولخي (الشيخ) نزهة الأسماع والأفكار في مديح الأمين ومعاني المختار، ط: ٣، ج: ١، ص: ٣٤
- ١٧- الكولخي، مرجع سابق، ص: ٣٥
- ١٨- أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، معجم مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ج: ٥، ص: ١٣٩
- ١٩- سورة المائدة الآية: ٣

- ٢٠- زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، مختار الصحاح، المحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م ج: ١، ص: ٢٧٣
- ٢١- الكولخي المرجع السابق، ص: ٣٦
- ٢٢- ابن فارس، مقاييس اللغة، ج: ٢، ص: ٣٦
- ٢٣- الرازي أبوبكر (الإمام) مختار الصحاح، ج: ١، ص: ٦٨
- ٢٤- ابن فارس، مقاييس اللغة، ج: ٥، ص: ٤٥٧
- ٢٥- الرازي المرجع السابق، ج: ١، ص: ٣١٥
- ٢٦- ابن فارس، مجمل اللغة ج: ١، ص: ٨٧٨
- ٢٧- الكولخي، المرجع السابق، ص: ٤٣
- ٢٨- ابن فارس، مقاييس اللغة، ج: ٥، ص: ٣٠٨
- ٢٩- الكولخي، الكرجع السابق، ص: ٣٩
- ٣٠- ابن فارس، مجمل اللغة، ج: ١، ص: ٢٠٢
- ٣١- سورة، ص، الآية: ٣١
- ٣٢- ابن فارس، مقاييس اللغة، ج: ١، ص: ٤٩٣
- ٣٣- الرازي، المرجع السابق، ج: ١، ص: ٦٣
- ٣٤- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن، الاشتقاق، مكتبة الخانجي بمصر، تحقيق: عبد السلام محمد هارون. ص: ٣١٢
- ٣٥- الكولخي، المرجع السابق، ص: ٥١
- ٣٦- ابن فارس، مقاييس اللغة، ج: ٢، ص: ٣٥٨
- ٣٧- ابن فارس، مجمل اللغة، ج: ١، ص: ٢٥٠
- ٣٨- ابن فارس، مقاييس اللغة، ج: ٢، ص: ١٠٠
- ٣٩- الرازي، مختار الصحاح، ج: ١، ص: ٨٠
- ٤٠- ابن فارس، مجمل اللغة، ج: ١، ص: ٧٥٠
- ٤١- ابن فارس، مقاييس اللغة، ج: ٥، ص: ٨٠
- ٤٢- ابن فارس، مجمل اللغة، ج: ١، ص: ٢٤٦٥
- ٤٣- ابن فارس، مقاييس اللغة، ج: ٢، ص: ٩٣

- ٤٤- الرازي، مختار الصحاح، ج: ١، ص: ٨٠
٤٥- ابن فارس، مجمل اللغة، ج: ١، ص: ٥٢٢
٤٦- ابن فارس، ج: ٣، ص: ٢٤٧
٤٧- الرازي، مختار الصحاح، ج: ١، ص: ١٦١

التقديم والتأخير في بناء الجملة عند الشيخ التجاني بن عثمان من خلال أرجوزته

السياحية الكدوية: دراسة في ضوء الأسلوبية

إعداد:

الدكتور هارون محمد هطيحيا^١

قسم اللغة العربية، جامعة بايرو، كنو نيجيريا

ملخص:

إن قضية الرتبة في بناء الجملة العربية من الموضوعات التي نالت اهتماماً بالغاً في الدراسات النحوية القديمة حيث توصلت أخيراً إلى وضع الصورة الأصلية لبناء ترتيب عناصر الجملة العربية، فقدّموا المسند إليه على المسند في الجمل سواء كانت اسمية أو فعلية أو غيرها، كتقديم المبتدأ على الخبر والفعل على الفاعل. ثم أجازوا الخروج عن هذه الرتبة بوجود عنصر التقديم والتأخير (القلب) في بعض الأبنية الكلامية فنية كانت أو غيرها لأسباب يراها الأديب أو المؤلف كرخصة شعرية يستخدمها الناظم ليعبر عن خلجانه بما يلي حاجاته النفسية والفنية. ولاشك أن القضية أثارت نقاشاً نظرياً في مجال علم أسلوب الكتاب أو الشعراء. إذ أنكرها البعض حيث يعتقد أن كل بناء يتصف بالتفرد أن يستقل بدلالته دون آخر. ومنهم من يميل إلى أن يوافق الدلالية مع إثبات وجوه التحسين المرغوب فيه ولكنها ليست حتمية للمعنى.

فالدراسة تسعى إلى الوقوف على انحرافات الراجز في الرتبة المألوفة وطريقته في استخدام عنصر القلب والأسرار الدلالية وراءها، لما في ذلك من أثر كبير في وصف أسلوب الكاتب في بناء الجملة وسلوكه في قلب عناصرها، مستعيناً بالمنهج الوصفي في ذلك الأمر الذي يأخذ بيد الباحث إلى تحديد محاور الورقة في النقاط التالية:

- نبذة وجيزة عن حياة الراجز.
- التقديم والتأخير (القلب) عند العلماء.

¹ mhhadeja@gmail.com

- الأسلوبيون وظاهرة القلب.
- نماذج من التقديم والتأخير في بناء الجمل في الأرجوزة وأسرارها الدلالية.
- الخاتمة.

ABSTRACT

The issue of rank in the construction of the Arabic sentence is one of the topics that received great attention in ancient grammatical studies, as they finally reached the development of the original image for the construction of the arrangement of the elements of the Arabic sentence, so they presented the predicate to it on the Musnad in sentences, whether it is nominal, verbal, or otherwise, such as introducing the subject to the news And the verb on the subject. Then they allowed departing from this rank by the presence of the element of presentation and delay (the heart) in some verbal buildings, whether artistic or others, for reasons that the writer or author sees as a poetic license that the regulator uses to express his sects to meet his psychological and artistic needs.

There is no doubt that the issue sparked a theoretical debate in the field of the science of the style of writers or poets. Some denied it, as it is believed that each building is unique in its significance without the other. Some of them tend to agree with the semantic demonstration of aspects of desirable improvement, but they are not deterministic to the meaning.

The study seeks to find out the deviations of the Rajiz in the familiar rank and his method of using the element of the heart and the semantic secrets behind them, because this has a great impact on describing the writer's method of constructing the sentence and his behavior in the heart of its elements, using the descriptive method in that matter that takes the researcher's hand to define axes The paper in the following points:

-A brief overview of the life of Rajiz.

-Presentation and delay (Inversion) among scholars.

Stylistics and the phenomenon of the Inversion

-Models of his deviations in building sentences in al-Urjouzah and its semantic secrets.

-Conclusion.**نبذة عن حياة الراجز:**

الراجز: هو المرحوم الشيخ التجاني بن عثمان بن محمد غيوا ينتهي نسبه إلى أسرة كانورية. هاجر جده الأول محمد غيوا إلى كنو لأسباب تجارية. ولد عام ١٩١٤م^(١) في مدينة كنو، وعاش في عصر ازدهر بالعلم والمعرفة، واحتك بفضائل علماء عصره أمثال: الشيخ محمد سلّغ، والشيخ أبوبكر بن محمد المعروف بـ"مجنّيوًا" - أول من قدّمه في الطريقة التجانية - وغيرهما كثير؛ الأمر الذي ساعده على تكوين شخصيته الفكرية والصوفية. وبعد أن تمكّن في العلم والمعرفة أسس معهداً علمياً كبيراً في داره، ذاع صيته في ديار نيجيريا، يفتد إليه طلبة العلم من جميع أنحاء نيجيريا. ثم أخذ يعقد رحلات إسلامية وصوفية إلى المدن الشمالية لزيارة أتباع الطريقة التجانية الإبراهيمية لنشر الطريقة وتعليم الأتباع فقهها لما في ذلك من تجديد الأخوة وترغيبهم للتمسك بها من بين هذه الرحلات، الرحلة الكدوية، التي تناولها في الأرجوزة رحلة عقدها عام ١٩٥٢م من كنو إلى بزّين كُد^(٢).

ومما ساعد على إقبال الناس للشيخ حماسته العلمية والصوفية والأدبية التي يجدها الطلاب في معبده، إذ رزقه الحق بالثقافة الإسلامية العالية والقوة الأدبية بكثرة قرضه للشعر مستخدماً ملكته وموهبته الفطرية.

لقي الشيخ مصرعه في حادث سيارة وهو في طريقه إلى زاريا يوم الجمعة ١٢/٢٧/١٩٧٠م مخلفاً وراءه علماء تبخروا على يده، كما ترك عدداً كبيراً من الإنتاجات الفكرية والعلمية والأدبية.

التقديم والتأخير (القلب) عند العلماء:

تتباين اتجاهات العلماء العرب حول النظرية التي تحكم طبيعة أبنية الجمل العربية، في مثل ذلك يقول عبد القاهر الجرجاني: أنه قال: "إن الكندي الفيلسوف قد سافر ليقابل المبرد وقال له: إنني لأجد في كلام العرب حشواً، فقال أبو العباس في أي موضع وجدت ذلك فقال: أجد العرب يقولون عبد الله قائمٌ، ثم يقول: إن عبد الله قائم، ثم يقول: إن عبد الله لائق. فالألفاظ متكررة والمعنى واحد. فقال أبو العباس: بل

المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ، فقولهم: عبدالله قائم؛ إخبار عن قيامه، وقولهم: إن عبدالله قائم جواب عن سؤال سائل، وقولهم: إن عبدالله لقائم جواب عن إنكار منكر لقيامه^(٣).

يوحى هذا النص بما يجده الكندي في تفرد المعنى في هذه الأبنية المختلفة كما وضع العالم اللغوي مدى اختلاف الأبنية من المعنى والدلالة حتى أقنع الفيلسوف باختلاف الدلالية في هذه الجمل.

ويرى ابن خلدون: "أن كل موقف محدد يقتضي شكلاً بعينه، ذلك أن «زيدٌ جاء» ليست عين «جاء زيد» إذ أن الأداة السابقة للكلمة المفيدة هي التي تسترعي اهتمام المتحدث، بالتالي في التقرير السابق فإن المتحدث يركز أكثر على الشخص الذي قام بالمعنى على حين يركز في الأخير على فعل المعنى وليس على الشخص"^(٤).

نفهم من هذا النص أن التقديم يؤثر في اختلاف الناحية الدلالية كما ندرك أن التقديم يوحى بالتركيز والاهتمام من المتحدث. نلمس من هذين النصين ما للعلماء من الاهتمام بترتيب عناصر الجملة العربية وما لها من أثر في دلالات الكلام العربي.

الأسلوبيون وظاهرة القلب:

إن الإيحاء بوجود ما في بعض الأبنية يلزم عنه وجود نموذج في بناء اللغة، من الممكن أن تحدث انحرافات عنه^(٥).

صرّح هذا النص أن عنصر البناء الأصلي لتكوين البنية الكلامية قابل للتغيير فيحدث القلب، أي التقديم والتأخير. ثم إنه استمر قائلاً: إن معظم المهتمين بالأسلوب يقبلون استخدام 'القلب'^(٦) كرخصة شعرية منهم، على سبيل المثال ما ذكره ابن جني في كتابه الخصائص.

فالدراسة الأسلوبية تتطلب من الباحث أن يدرس أسلوب الكاتب أو الشاعر في القلب، للوقوف على العوامل الأساسية للقلب عنده. اللغة العربية كمادة أساسية للأديب، يختار منها المفردات التي يعبر بها عن خلجاته، ينظمها ويرتبطها بطريقته المألوفة، التي يعود الفضل في نسجها وترتيبها إلى النحاة إذ عالجا قضية الجملة وبنائها ولم يتركوا فيها شاردة ولا واردة إلا تحدثوا عنها من حيث النظم والترتيب.

فالأديب قد يستغني عن تلك الأنظمة والرتبة ويظهر عمله بالتقديم والتأخير ذلك لأن قضية النظم في تركيب الجمل لا يتصف بالقداسة، بحيث يجب الالتزام به في التعبير، بل توجد الأسباب والمواقف التي تدعو إلى تغيير ذلك النظام الأصلي للجمل، منها ما هو الصوتي ومنها ما هو البيئي أو المزاجي.

فالمراد بالتقديم والتأخير هنا الخروج عن هذه الرتبة اللغوية بأن يقدم الأديب ما حقه التأخير كتقديم الخبر على المبتدأ أو العامل على المعمول لأهداف قد تكون فنية أو غير ذلك كما سنرى. وهذا النوع من الأسلوب يطلق عليه عند بعض النحاة التقديم الطارئ كما يسميه صاحب الموسوعة حيث يقول: "وضع اللفظ سابقاً لغيره على نوعين تقديم أصيل، وتقديم طارئ... والطارئ هو الذي يقتضيه موقف بلاغي..."^(٧).

ثم إن حنا الفاخوري تحدث عن التقديم والتأخير في الجمل العربية حيث يقول ما نصه: "الأصل أن يكون المسند إليه متقدماً على المسند يتقدمه في الذهن، وأما تأخره مع الفعل فالباحث يفرض أن العامل قبل المعمول: ويعدل عن الأصل للدلالة على الأهم، أو لتعجيل المسرة أو المساءة أو إظهار التعظيم، أو ما إلى ذلك نحو: ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ والحبيب أقبل"^(٨).

ويلاحظ من النص السابق أن الرجل حاول أن يبدي رأيه في التقديم والتأخير بين عناصر الجمل، حيث يرى أن الأفضلية أن يتقدم المسند إليه على المسند وذلك - حسب نظره - لتقدمه في ذهن الملتقي، ولكن تأخر المسند إليه في الوضع الأصلي ربما يعود إلى قضية العامل قبل المعمول ولكنه أضاف في النقطة الأخيرة إلى جواز تغيير هذا الترتيب الأصلي، ثم التمس مبرر في هذا التغيير، حيث ذكر أربعة أمور وهي دلالة على الأهمية، أو التعجيل، أو الإساءة، أو لإظهار التعظيم لم يكتف بهذه بل ترك الأمر مفتوحاً لإيجاد مبررات أخرى تقتضيها السياق.

يقول الدكتور فتح الله ما نصه: "إذا كان للجملة في العربية نظام مثالي في ترتيبها، فإن هذا النظام ليس مقدساً لا يجوز المساس به، فثمة تغيرات تطرأ على طريقة الترتيب بحيث يقدم عنصر أو يؤخر آخر"^(٩).

فالشعراء مختلفون في نظامهم التعبيري البعض يخرج من النظام الأصلي التعبيري بأن يقدم أو يؤخر، من هنا قد لا يتم وصفاً دقيقاً للأعمال الشعرية دون الوقوف على سلوكهم في التقديم والتأخير، لذا اختار الباحث أن يتناول هذه الظاهرة في الأرجوزة. ولكن قبل الشروع في ساحة الجمل الواردة في الأرجوزة يجدر للباحث أن يسלט الضوء على مراده بالتقديم والتأخير في صياغة الجملة العربية، لما لذلك من مساعدة القارئ لفهم ما يصوغه الباحث.

يقول الدكتور صالح: "يراد بالتقديم والتأخير أن تخالف عناصر التركيب ترتيبها الأصلي في السياق فيقدم ما الأصل فيه أن يتأخر ويتأخر فيه ما الأصل فيه أن يتقدم والحاكم للترتيب الأصلي عنصرين يختلفان إذا كان الترتيب لازماً أو غير لازم^(١٠)."

يتضح أن اللغة العربية لها ترتيب أصلي لعناصر تركيب الجمل الذي تسوق منه الجمل سواء كانت اسمية أو فعلية أو غيرها. منها على سبيل المثال تقديم الفعل على الفاعل إذ يقول ابن مالك:

وبعد فعل فاعل فإن ظهر * فهو وإلا فضمير استتر وقال ابن عقيل في شرح هذا البيت: "إن حكم الفاعل التأخير عن رافعه وهو الفعل أو شبهه نحو قام زيد"^(١١).

فالترتيب الأصلي للجملة الفعلية أن يتقدم الفعل ويتأخر الفاعل، ولكن قد يتأخر الفعل ويتقدم الفاعل في الجملة لأسباب يريدتها المتكلم.

وهكذا الأمر في الجملة الاسمية في الترتيب الأصلي فيها أن يتقدم المبتدأ ويتأخر الخبر، هكذا تقديم صاحب الضمير على الضمير وتقديم الفاعل على المفعول، فكل هذه التقديمات أصلية كما يذكر صاحب الموسوعة النحوية والصرفية^(١٢).

وخلاصة القول إن الشاعر أو الأديب قد يخرج في ترتيب جملة من النظام الأصلي في التقديم والتأخير لعناصر تركيبية إلى النظام الطارئ يتكلم في السياق من المتقدم والمتأخر.

نماذج من التقديم والتأخير في بناء الجمل في الأرجوزة وأسرارها الدلالية.

إن الشيخ التجاني بن عثمان أخذ بطابع الانحرافات اللغوية في ترتيب عناصر الجمل في أرجوزته بحيث تراه يقدم الخبر ويؤخر المبتدأ أو يقدم المعمول على العامل. وفيما يلي بعض النماذج من التقديم والتأخير بصورة مختلفة:

١/ تقديم الفاعل على الفعل:

كقوله:

همتهم قد جذبت ذا الجاني * لحيم وشيخنا التجاني

لو نظر القارئ إلى صدر هذا البيت يراه يتكون من الجملة الفعلية في أصل الوضع ولكن الراجز قدّم الفاعل على الفعل، فصارت الجملة اسمية إذ الفعل "جذبت" والفاعل هو "همة" فتعبير الجملة من حيث الوضع، ويرى الباحث أن السبب للتقديم والتأخير هنا يعود إلى العامل الصوتي إذ لولا هذا التقديم لما صنع الراجز التصريح بكلمة الجاني والتجاني في هذا البيت، وقد يكون الدافع غير ذلك، وورد هذا حوالي خمس مرات في الأرجوزة.

٢/ تأخير الفعل على الفاعل والمفعول:

كقوله:

محمد الأول حبي جاري * جزاه ربي عرفه لي جاري

فالجملة الأخيرة في آخر هذا البيت وهي قوله "عرفه لي جاري" فيها تقديم وتأخير، فجاري اسم الفاعل عَمَلٌ عَمَلٌ فعله، فالسياق الأصلي أن يقول: "يجري عرفه إليّ" الفعل ثم الفاعل والجار والمجرور في محل نصب مفعول به، ولكن الراجز قدّم الفاعل والمفعول لسببين حسب فهم الباحث، أحدهما: الدافع الصوتي لتشكيل التصريح، والثاني: قد أيضا يكون لتعظيم ما يأتي إليه من الهدايا المتواصلة من الممدوح. وقد ورد هذا اللون من التقديم والتأخير ثلاث مرات في الأرجوزة.

٣/ تقديم المفعول على الفاعل:

كقوله:

أميرهم محمد أديب * أعطاه ما يرومه المجيب

يقع التقديم والتأخير الطارئ في عجز البيت حيث يقول الراجز "أعطاه ما يرومه المجيب" الترتيب الأصلي لهذه الجملة أن يأتي بها الراجز كالاتي: "أعطاه المجيب ما يروم" ولكن الشاعر قدّم "ما يروم" ما موصولة، يروم جملة الصلة وهما في محل نصب المفعول الثاني لأعطى التي تتعدى إلى مفعولين والهاء في "أعطاه" في محل نصب المفعول الأول، والمجيب فاعل مرفوع بضمة ظاهرة في آخره، فقدّم الراجز الفاعل على المفعول الثاني لدافع صوتي. وورود مثل هذا النوع لا يقل عن خمسة مواضع في الأرجوزة.

٤/ تقديم الصفة على الموصوف:

كقوله:

رافقتي المقدم الكبير * بلاري حبيبنا الشهير

فقدّم الشيخ التجاني صفتين لمعلم بلاري قبل ذكر اسمع حيث قال: "المقدم الكبير بلاري" والأصل في مثل هذا أن يكون "رافقتي بلاري المقدم الكبير"، ولكن الراجز أراد أن يظهر ما لمالم بلاري من المكانة الصوفية في الطريقة، فقدم صفته الصوفية على اسمه ويوحى ذلك إلى ما للشيخ من درجة صوفية على جميع المنازل عندما يتحدث عن الشخصية الصوفية، كما يحتمل أيضاً الدافع إلى هذا التقديم صوتياً لتشكيل التصريح.

وقد صادف الباحث مثل هذا النوع من التقديم في ثلاثة مواضع في الأرجوزة.

٥/ تقديم الجار والمجرور على الفاعل:

كقوله:

شيعني لمركز الموبيل * لَوْنُ أخي لكي يرى رحيلي

فإن الجملة هنا فعلية ماضوية، فالترتيب الأصلي هو "شيعني لَوْنُ أخي لمركز الموبيل" ولكن الشيخ التجاني قدّم الجار والمجرور والمضاف إليهما على الفاعل ما أنهما متعلقان بالمفعول هنا. وربما فعل ذلك لدافع صوتي فقط. وقد ورد مثل هذا في سبعة مواضع.

٦/ تقديم الخبر على المبتدأ:

هو قليل جدا إذ لا يتجاوز مرتين فقط، أحدهما قوله:

دُرُبُنْدِي كَتُّكُو كَذَا كَفِنُعْنَا * جوازها بسرعة فيه غنا

فالوضع الأصلي لهذه الجملة أن يقول الراجز: (جواز دُرُبُنْدِي كَتُّكُو كَذَا كَفِنُعْنَا * بسرعة فيه غنا)، فأخّر المبتدأ وقدّم الخبر، وربما الدافع إلى ذلك تعدد الأخبار الواردة على الترتيب التسلسلي للطريقة الموصولة إلى هذه الأماكن، كما قد يكون الدافع الصوتي كعادته.

الخاتمة:

استطاعت الورقة أن تقف على جهد القدامى في قضية القلب وترتيب عناصر الجملة العربية وما لذلك من التأثير في دلالات الجمل، كما وقفت على نظام الشاعر وطريقته في تشكيل القلب وأسبابها في هذه الأرجوزة، حيث أسفرت الورقة على النتائج الآتية:

- (١) أن القدامى قد عالجوا هذه الظاهرة بصورة مفصلة قبل أن تظهر دراسات الأسلوبية الحديثة.
- (٢) أن الأسلوبيين أجازوا استخدام القلب كرخصة شعرية.
- (٣) إن القلب من أهم موضوعات الدراسة في أسلوب الكاتب.
- (٤) معظم أساليب القلب عند الراجز واردة في الجمل الفعلية أكثر من الاسمية.
- (٥) أنه يستخدم القلب للتشكيل الصوتي لصناعة التصريح في الأرجوزة.
- (٦) وقد يستخدم أيضاً لإظهار تعظيم الشيء عنده.
- (٧) إن أساليب القلب وردت ٢٨ مرة في الأرجوزة بصور مختلفة.

الهوامش والمراجع:

- (١) مقابلة شفوية مع السيد بشير نجل الشيخ التجاني بن عثمان بتاريخ: ٦/٧/٢٠١٢م، يوم الجمعة، الساعة الحادية عشر صباحاً.
- (٢) قرية تقع في الجنوب الشرقي من ولاية كنو القديمة، تبعد عن المدينة بحوالي مائة ونيف كيلومتر، والآن تقع في ولاية جغاوا التي أقلت عن ولاية كنو عام ١٩٩١م.
- (٣) دلائل الإعجاز، للجرجاني، ص:

- (٤) المقدمة، لابن خلدون، ج/ ص: .
- (٥) عبد الرحيم علي (البروفيسور): البناء الأدبي للآية القرآنية، ترجمة: البروفيسور عبد المتعالي زيد العابدين، ط/١، إصدار هيئة الأعمال الفكرية، هيئة الأعمال، سنة ٢٠٠٧م، ص: ١١٠.
- (٦) المرجع نفسه.
- (٧) أبوبكر عبد العليم، الموسوعة النحوية والصرفية الميسرة، ص: ٢٠٠.
- (٨) حنا الفاخوري، الجديد في الأدب العربي، ج/٤، ط/٥، مكتبة المدرسة ودار الكتاب للمبتدأ، سنة ١٩٦١م، ص: ٦٤.
- (٩) فتح الله أحمد سليمان (الدكتور)، الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، المرجع السابق، ص: ٢٠٣.
- (١٠) صالح الشاعر الاثنين (الدكتور)، في النحو العربي، صوت العربية. www.voiceofArabic.net/index photos
- fo.com
- (١١) ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ص: ٦٤.
- (١٢) أبوبكر علي عبد العليم، الموسوعة النحوية والصرفية، المرجع، ص: ٢١٥.

مدارس تحفيظ القرآن الكريم في نيجيريا ودورها في الحفاظ على الثقافة العربية

الإسلامية: معهد غُوني طن زَرْغًا نموذجًا

إعداد:

د. عمر ثاني فغي^١

قسم اللغة العربية جامعة بايرو كنو- نيجيريا

ملخص:

عنوان البحث: "دور مدارس تحفيظ القرآن في الحفاظ على الثقافة العربية الإسلامية في نيجيريا: معهد غوني طن زرغا نموذجًا. يتناول نبذة عن مدينة كنو ودخول الإسلام وانتشار الثقافة العربية الإسلامية فيها، وأنواع المدارس والمعاهد فيها. مع اقتصار البحث على معهد غوني طن زرغا لتحفيظ القرآن والدراسات العامة، بغية الوصول إلى إسهاماته في ترقية الأمة النيجيرية من الناحية الدينية والاجتماعية والثقافية، مع المرور على آراء بعض الناس حول أمثال هذه المدارس، منهم من يرى أنها منبع الفساد والتسول ومنهم من يرى أن التعب فيها كثير وأن ما يجني قليل جدا، ومنهم من يرى ضرورة تطويرها تطورا يتماشى مع متطلبات العصر مع البقاء على أداء رسالتها التحفيزية. ويدور البحث حول النقاط التالية:

- ١- نبذة عن مدينة كنو ودخول الإسلام فيها.
- ٢- مدارس تعليم القرآن في نيجيريا.
- ٣- التعريف بمعهد غوني طن زرغا.
- ٤- إسهامات المعهد من الناحية الدينية والاجتماعية والثقافية.
- ٥- الخاتمة.

¹ E-mail: usfagge2@yahoo.com, 08069486270

ABSTRACTS

The research titled: "The Role of Qur'anic memorization Schools in Preserving the Arab-Islamic Culture in Nigeria, the Gwani dan Zarga Institute as a model. The research deals with an overview of the city of Kano, the introduction of Islam, the spread of Arab-Islamic culture in it, and the types of schools and institutes in it. The Qur'an and general studies, in order to reach its contributions to the promotion of the Nigerians in religious, social and cultural terms, while passing through the opinions of some people about such schools, some of whom see them as the source of corruption and beggary, and some of them see that fatigue is a lot and that what is gained is very little, and some of them Whoever believes that it is necessary to develop it in line with the requirements of the times while maintaining the performance of its conservative message. The discussion revolves around the following points:

- *An overview of the city of Kano and the introduction of Islam in it*
- *Qur'anic schools in Nigeria.*
- *Introducing the Institute of Goni dan Zarga.*
- *His contributions from the religious, social and cultural aspects.*
- *Conclusion.*

نبذة عن مدينة كنو ودخول الإسلام فيها:

بلدة كنو مدينة تجارية ينتهي إليها أهم طرق القوافل التجارية التي تخترق الصحراء الكبرى، فيها ما يبدأ من تونس وينتهي إلى كنو، وفيها ما يبدأ من تافللت في المغرب ويتفرع فرعين: أحدهما يمر بسجلماسة وتغازة، والآخر بتوات وأودغست فيجتمعان كلاهما في تنبكتو، ومنها يتوجه شرقا إلى كنو. دخل الإسلام هذه المدينة عن طريق التجارة وإن كان هذا الدخول على قسمين:

١- دخول الإسلام عن طريق غير رسمي: دخل الإسلام في مدينة كنو إلى الشعب والأفراد عن طريق التجار وبطريقة غير رسمية، لأن العلاقة التجارية قوية بين المغرب ومدينة كنو. فالمزايا الإسلامية الحميدة والصفات الخلقية الحسنة التي يتمتع بها التاجر المسلم لها وقع وأثر في قلوب الناس، وأدى ذلك إلى انتشار الإسلام في هذه المدينة، وكما هو معروف أن الإسلام يدخل البلاد ومعه لغته وثقافته.

٢- دخول الإسلام عن طريق رسمي: دخل الإسلام في مدينة كنو عن طريق الطبقة الحاكمة وانتشاره على أيديها بالطريقة الرسمية.^٢ وأول ملك أسلم في كنو هو الملك الحادي عشر عليّ ياجي بن ثاميا في النصف الأول من القرن الخامس عشر الميلادي على يد الونغراويين الذين جاؤوا من "مُلجي" وبعد أن اعتنق الملك الإسلام أصدر أوامره إلى كل المديرية التي تحته بنشر الإسلام والتمسك بتعاليمه، وأمر ببناء المسجد ثم عين بعض أعضاء الوفد لمناصب ذات أهمية في المجتمع الإسلامي. فعين عبد الرحمن الزيتي قاضيا، وغردامس إماما، ومحمد الأول مؤذنا، وأوتنا مشرفا على ذبح اللحوم على الطريقة الشرعية.^٣

وتعاقبت الملوك إلى عهد محمد "رُمفا" ١٤٦٣هـ = ١٤٩٩م وفي عهده أصبحت كنو مركزا تجاريا هاما في غرب إفريقيا كلها، وفي عهده قام الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني بزيارة كنو، وأشار إلى الملك بتأسيس دولة إسلامية مبنية على أسس إسلامية سليمة.^٤

ويرى الباحث أن تأسيس الدولة على أسس إسلامية سليمة من أهم العوامل التي ساعدت على انتشار الإسلام والثقافة العربية في مدينة كنو وما حولها من القرى والمدن.

في عام ١٩٦٧م قام الحاكم العسكري بجمهورية نيجيريا الفدرالية بتقسيم الوطن إلى اثنتي عشرة ولاية،^٥ ومن بين هذه الولايات ولاية كنو، ونالت اسمها من المدينة القديمة كنو، وهي من أهم الولايات من حيث الكثافة السكانية، ومن حيث كثرة المحافظات ولها أربع وأربعون محافظة، ومدينة كنو هي عاصمة الولاية، ومضى عليها الآن اثنان وخمسون سنة، وتعاقب عليها عشرون حاكما من حاكم عسكري وثلاثة حكام مدنيين، وأسهم معظمهم اسهامات دفعت الثقافة العربية والإسلامية إلى الأمام في هذه الولاية.

مدارس تعليم القرآن في نيجيريا:

تنقسم مدارس تعليم القرآن في نيجيريا إلى قسمين: فالأول: هو القسم الذي يتعلم فيه الصبيان قراءة القرآن فقط من غير الحفظ. والثاني: هو القسم الذي يتعلم فيه الطلاب حفظ القرآن.

والقسم الأول بمثابة المرحلة الابتدائية وهي أكثر انتشارا في البلاد، وشرط قبول التلميذ هو أن يبلغ الولد أو البنت خمس سنوات من العمر، ولا يرتاح ضمير الأب المسلم إلا بعد أن يدخل ولده أو بنته فيها.^٦

ويستغرق الولد أو البنت سنوات في هذه المدرسة. بعضهم يغادرها إذا وصل إلى جزء معين، بعضهم جزئياً وبعضهم خمسة أجزاء، وبعضهم عشرة حزباً، وبعضهم يختم القرآن كله قراءة لا حفظاً.

والقسم الثاني: مدارس تحفيظ القرآن وعددها قليل بالنسبة إلى الكتاتيب، ولا يلتحق بها الولد في الغالب إلا إذا أتم مرحلة الكتاتيب، فيما يحفظ التلميذ القرآن حفظاً متقناً ويكون دقيقاً في معرفة أماكن المد والإدغام والشدة وهمزة الوصل والقطع، ومعضلة الرسم العثماني. والسنوات التي يستغرقها التلميذ في هذه المدرسة تعتمد على ذكائه وذهنه طولاً وقصراً.

وهذه المدارس هي التي أنتجت الحفاظ المتقنين الحفظ لكتاب الله حتى وصل معظمهم إلى رتبة "غوني" أي الماهر في القرآن، وعلى الرغم من إسهامات هذه المدارس في إيجاد حفظة كتاب الله في هذه البلاد. يرى بعض أهل العلم أن هناك أشياء تعرقل هذه المدارس وتمنعها من التقدم، وهذه الأشياء هي:

- تسخير العلماء تلاميذهم في فلاحه أراضيهم الزراعية.
- عادة التنقل من القرى إلى المدن مع الأولاد حيث يصبح الأولاد متسولين يجمعون النقود لمعلمهم مما يؤدي إلى انحرافهم.
- اعتبار كل ولد مرحلة على حدة يتطلب اهتماماً خاصاً من معلمه.
- ويرون أن هذه الطريقة البدائية يتكبد المعلم والولد على السواء تعباً كبيراً في مقابل فائدة قليلة، فلو نظمت الطريقة لكان التعب أقل والفائدة أكثر.^٧

التعريف بمعهد غوني طن زرغا:

أسس هذا المعهد الشيخ غوني صالح عبد الله بن عبد الله المتوفى ١٩٩٠م الملقب بـ"غوني طن زرغا" (Gwani Danzarga) ومعنى "غوني" أي: الماهر، عند ما أذن له أستاذه غوني ندود (Gwani Nadudu) بأن يستقر في بيته للتدريس بدلا من التدريس في معهد أستاذه المرحوم، ويبلغ اليوم تأسيس هذا المعهد خمسين سنة تقريبا. وتخرج فيه ما يزيد على ألف حافظ للقرآن الكريم، ويقع هذا المعهد في حارة قُوقِ (koki) داخل سور مدينة كنو. وهو كغيره من المعاهد تبنى الطريقة المعتادة في الكتاتيب.^٨

النمط القديم:

هذا النمط القديم للمعهد ينسج على منوال الكتابات المعتادة في التدريس وله ثلاثة أنواع من المراحل:

١- مرحلة تدريس الحفاظ، يقوم بالتدريس فيها غوني طن زرغا نفسه أمام داره ويلتف حوله جماعة من الحفظة، حيث يقرأ الطالب ما كتبه في اللوح الخشبي والمدرس يصحح له الأخطاء من ناحية الحفظ والنطق والكتابة.

٢- مرحلة ما قبل النضج، وفي هذه المرحلة يبدأ التلميذ درسه بكتابة الثمن أو الربع من كل حزب، ثم ينضم إلى حلقة الدرس أمام المدرس، والمدرس يصحح للتلميذ الأخطاء نطقا وكتابة، وتستمر هذه الحالة إلى أن يختم القرآن الكريم. وينوب أحد العلماء مناب غوني طن زرغا في الدرس بهذه المرحلة.

٣- مرحلة تعليم الصغار مبادئ القراءة والكتابة. وينوب عن غوني طن زرغا أحد أتباعه في التدريس بهذه المرحلة.^٩

الطراز الجديد:

نظرا للحاجة الماسة إلى ضرورة إجابة هذا المعهد لحاجة العصر قام غوني يهوذا - نجل غوني طن زرغا وهو خير خلف لخير سلف - بعمل جبار لتطوير المعهد حيث كون لجنة تضم الخبراء والموظفين الأكفاء والعلماء ورجال الأعمال لإيجاد منهج دراسي مناسب يفي بحاجات العصر.^{١٠} لأن المنهج كما يراه بعض الأكاديميين شبيه بالثوب، كما يجب أن يخاط الثوب ويفصل طبقا لقامة من يخاط له، فكذلك المنهج الدراسي يكون على قامة البيئة والأمة التي يراد وضع المنهج لها ولأبنائها.^{١١} وفي عام ١٩٨٧م تم وضع المنهج وعرضه على الحكومة وقبولها له مع إدخال بعض التعديلات، وبذلك دخل المعهد طورا جديدا وأطلق عليه: معهد غوني طن زرغا لتحفيظ القرآن الكريم والدراسات العامة. ومقره الآن في وئك خارج المدينة غربا، وفي السنة نفسها أنشئ قسم التجويد والدراسات الإسلامية وهو المرحلة الابتدائية، وفيها يحفظ التلميذ ثلاثين حزبا من القرآن، وتُدرس مادة الفقه والحديث والسيرة واللغة العربية والانكليزية وغير ذلك.^{١٢}

وفي عام ١٩٩٣م بدأت المرحلة الإعدادية وفيها حسب المنهج المقرر، يكمل التلميذ ثلاثين حزبا أخرى، ويتم بذلك حفظه للقرآن كله مع التعمق في المواد الدراسية الأخرى، من فقه وتفسير وعلوم القرآن وعلوم

القراءات والحديث والسيره واللغة العربية والانكليزية وغير ذلك. وفي عام ١٩٩٦م أنشئ القسم الثانوي، وهي المرحلة الثانوية وفيها يتقن التلميذ حفظه للقرآن^{١٣} وبهذا انضم المعهد إلى ركب المدارس القرآنية الثانوية النظامية، لها منهج تهدف إلى تعليم القرآن الكريم واللغة العربية والانكليزية وغيرها من المواد المهنية، والدراسات الإسلامية. وبعد أن واكب المعهد المدارس الثانوية النظامية فتح أبوابه لمحبي العلم حيث أنشأ قسماً لتعليم السيدات، ويكون الدرس فيه يوم السبت والأحد، وأنشأ قسماً آخر بالمساء لتعليم الأولاد والبنات لإعطاء الفرصة لمن يذهبون إلى المدارس الحكومية، وأنشأ قسماً للعلوم وهو خاص لمن يريد التخصص في العلوم التجريبية من علم الأحياء والفيزياء وسائر المواد المهنية وغير ذلك، ويكون الدرس فيه كل يوم من الساعة الثامنة صباحاً إلى الساعة الخامسة مساءً ما عدا يومي السبت والأحد. وكذلك أنشأ الروضة للصبيان، وخصص وقتاً للعبادة عملياً من وضوء وتيمم وغسل وصلاة، ويعقد المعهد الدورة التحفيظية شهراً كاملاً في وقت الإجازة. وأثناء الدورة تلقى المحاضرات كل يوم بعد صلاة العصر، ويكون موضوع المحاضرة في التفسير أو الحديث أو الفقه أو التوحيد أو حياة أحد الصحابة رضوان الله عليهم^{١٤} وخصص برنامج للخلاوي لهدف تدريب المشاركين في إتقان الحفظ والتضلع في الفقه والحديث والتوحيد واللغة العربية. ويدرب التلاميذ على الكتابة على اللوح الخشبي في كل يوم السبت والإثنين والأربعاء، إلا أن تراكم المواد الدراسية حال دون إجراء هذه الكتابة الآن. وللمعهد مكتبة إلا أنها لاتناسب مستوى المعهد، وله مختبرات كيميائية حية. وله ثمان وثلاثون مدرساً، عشرة منهم من قبل الحكومة وثمان وعشرون من قبل المعهد، وفيه ميادين واسعة للألعاب الرياضية^{١٥}.

وكل ما سبق من قبول أصحاب هذا المعهد للتغيرات العصرية، وإدخال التطورات في المنهج وإنشاء أقسام متنوعة لأعمار مختلفة وانعقاد دورات علمية وخواوي متنوعة لهدف توسيع الذخيرة العلمية للمجتمع النيجيري يدل دلالة واضحة على سعة صدر أصحاب المعهد وبعدهم عن ضيق المدارك. وفي عام ١٩٩٩م بدأ المعهد تخريج نخبة من الطلاب ولم يزل على ذلك إلى الآن.

إسهامات المعهد من الناحية الثقافية والاجتماعية:

١- تخرج نخبة من الطلاب: ومن بين عام ١٩٩٩م إلى ٢٠١٩م تم تخرج إحدى وعشرين دفعة، وعدد المتخرجين في هذه المدة الزمنية حسب إحصائيات المعهد ١١٠٨ تلميذا.^{١٦}

٢- تقدم خريجي المعهد: استطاع كثير من خريجي المعهد من الالتحاق بالجامعات داخل وخارج نيجيريا. ونال بعضهم شهادة الليسانس في اللغة العربية وبعضهم في الدراسات الإسلامية، وبعضهم نال شهادة الماجستير في اللغة العربية وبعضهم في الدراسات الإسلامية وبعضهم نال شهادة الدكتوراه في اللغة العربية، أمثال الدكتور يحيى غوني يهودا، وهو الآن محاضر بقسم اللغة العربية جامعة بايرو كنو، والدكتور عثمان أبوبكر، وهو الآن محاضر بشعبة اللغة العربية جامعة مَي تَمَا سُلي كنو.

٣- إنتاجات بعض خريجي المعهد: من طلبة هذا المعهد من وهبه الله موهبة لغوية، واستطاع أن يسهم في الشعر والنثر، منهم بشير عبد الله ثاني فغي الذي أسهم في قرض القصائد والمقطوعات الشعرية في الأغراض المختلفة، واستطاع جمع هذه القصائد والمقطوعات في ديوان شعر سماه: "صوت الضمير" وهو مخطوط لم ينشر بعد. ويحتوي الديوان على أربعة أغراض شعرية، وهي:

- أ- المدائح النبوية، في ثمان قصائد على أربعة وثلاثمائة بيت.
- ب- المرثي، في سبع قصائد على مائة وخمسة وخمسين بيتا.
- ت- المناسبات، في أربع عشرة قصيدة على مائتين وخمسة وثلاثين بيتا.
- ث- الغزليات، في عشرين قصيدة على مائتين وتسعة وأربعين بيتا.

وقد أسهم في فن المقالات والقصص والمسرحيات، وفي فن القصة كتب قصة بعنوان: "حب بلا نتيجة" وفي المسرحيات كتب: "راوية الإسلام أبو هريرة رضي الله عنه" و"الطالب الكسول" وفي المقالات كتب: "حرمة نظر الرجل إلى المرأة الأجنبية" و"هذه ضالتك" و"أهمية اللغة العربية لدى الشعب النيجيري" وأسس مجلة بعنوان: "المشكاة" تصدر شهريا بكلية مالم أحمد مقدمي الثانوية للدراسات الإسلامية للبنات فغي.^{١٧}

٤- المشاركة في المسابقات القرآنية، شارك خريجوا المعهد في المسابقات القرآنية التي تعقد سنويا في الداخل على مستوى المحافظات، وعلى مستوى الولايات، وعلى مستوى الوطن، وفي الخارج على مستوى القارات،

وشارك أحدهم وهو زبير حمزة في المسابقة الوطنية التي انعقدت عام: ٢٠٠٦م في ولاية كنو وفاز بالمرتبة الأولى من بين المتسابقين.^{١٨} وهو الذي ناب مناب الوطن في المسابقة العالمية التي انعقدت في مكة المكرمة بالمملكة العربية السعودية وفاز بالمرتبة الثانية في تلك المسابقة.

٥- تأسيس المدارس والحلقات: استطاع بعض خريجي هذا المعهد أن يؤسسوا المدارس والحلقات في أوساطهم على منوال المعهد الذي اغترفوا من نميره وهو حفظ كتاب الله واستظهاره وتجويد قراءته. ومن بين هؤلاء الخريجين ما يلي أسماؤهم:

- المعلمة فاطمة محمد يوسف، التي تخرجت عام ١٩٩٩م وتزوجت وانتقلت مع زوجها إلى العاصمة أبوجا، وعند ما أسست مدرسة الشيخ أبوبكر محمود غومي بأبوجا عام: ٢٠٠١م عينت مدرّسة بهذه المدرسة، وفي عام ٢٠٠٢م صارت مديرة المدرسة، وفي خلال ست عشرة سنة تخرج على يدها عدد كثير من الذين ختموا القرآن وأجادوا قراءته، واستطاع بعض منهم تأسيس مدارس في أماكن مختلفة في أبوجا، وفي عام: ٢٠١٤م أنشئ برنامج تفسير القرآن الكريم وهو مخصص للسيدات في مسجد المدرسة والمقرنة فاطمة هي التي تقوم بالتفسير.^{١٩}

- المعلمة أسماء بخاري صفوان، تخرجت من المعهد عام ١٩٩٩م وأسست مدرسة عام ٢٠٠٦م في بيت زوجها بحارة طوري ببّا (Dorayi Babba) كنو، وأسستها صوت القرآن لتعليم الأمهات، وهي خاصة للسيدات. والدروس تكون بالمساء، أي دوامة المساء. وبعد مضي اثني عشرة سنة من تأسيس المدرسة طلب اللاتي ختمن القرآن إنشاء قسم لتدريس كتب الفقه والحديث والسيرة والتوحيد وغير ذلك. وأجابت إدارة المدرسة هذا الطلب وأنشئ هذا القسم، ويكون الدرس فيه صباحا وذلك في يوم الإثنين والخميس.^{٢٠}

- المعلمة أمّنة بخاري صفوان، تخرجت من معهد غوني طن زرغا عام ٢٠٠٣م وهي من الدفعة الخامسة من خريجي هذا المعهد، واستطاعت هذه المعلمة تأسيس مدرسة خاصة للسيدات في بيت زوجها بحارة طوري قرما، (Dorayi karama) بمدينة كنو، وسمتها: حلقات أمي حمزة لتحفيظ القرآن، والدروس فيها تجري بالمساء، وفي أغسطس عام ٢٠١٨م أنشئ قسم آخر لتعليم الصبيان، والدروس فيه تجري بالمساء أيضا.^{٢١}

- المعلم أيوب يوسف، تخرج عام ٢٠٠٠م وهو من الدفعة الثانية من خريجي المعهد، وفي عام ٢٠٠٥م أسس مدرسة بحارة طوري قرما (Doryi karama) بمدينة كنو، وسماها: معهد تجويد القرآن، والدروس في هذا المعهد كان صباحا ومساء مضى على تأسيس هذه المدينة أربع عشرة سنة.^{٢٢}

- المعلم إبراهيم حسين، تخرج من المعهد عام ٢٠٠٢م وهو من الدفعة الرابعة من خريجي هذا المعهد، وفي عام ٢٠١٤م أسس مدرسة سماها معهد ماهر حسين لتحفيظ القرآن والدراسات الإسلامية، والدروس تلقى صباحا ومساء، وفي عام ٢٠١٨م أنشأ قسما لتعليم اللغة الانكليزية والهوسا والحساب وغير ذلك من المواد على غرار المدارس الابتدائية الحكومية.^{٢٣}

٦. المعلم مصطفى عبد الله حسن، تخرج من هذا المعهد عام ٢٠٠٢م وهو من الدفعة الرابعة من خريجي هذا المعهد، وفي عام ٢٠١٤م أسس مدرسة بحارة "وَيْك" (Waika) وسماها معهد عبد الله حسن لتحفيظ القرآن والدراسات الإسلامية.^{٢٤} وغيرهم.

٦- جمعية خريجي المعهد: استطاع خريجوا هذا المعهد تأسيس جمعية كمظلة سيتطلون بظلمها ويتكافلون فيما بينهم تكافلا ماديا ومعنويا ويشجع بعضهم البعض على نشر العلم والفضيلة.^{٢٥}

بعد هذه الجولة يرى الباحث أن هذه الإسهامات التي حققها المعهد جاءت نتيجة التطور الذي تبناه المعهد، وهذا التطور جاء نتيجة وجود منهج دراسي سليم وتنظيم طرق التعلم والتعليم. مع معالجة معظم المشاكل التي تعرقل مدارس تحفيظ القرآن وتمنعها من التقدم في كنو خاصة وفي نيجيريا عامة، ومن بين هذه المشاكل التي عالجها المعهد ما يلي:

- ١- ترك اعتبار كل طالب مرحلة على حدة يعطيه المدرس اهتماما خاصا.
- ٢- ترك كثرة التنقل مع التلاميذ من القرى إلى المدن بلا مؤنة كافية.
- ٣- الابتعاد عن تسخير التلاميذ في فلاحه مزارع المدرس.
- ٤- اشتغال التلاميذ بأعمال يدويه وأعمال منزلية للحصول على ما يسدون به الرمق.
- ٥- الابتعاد عن التسول الأمر الذي يؤدي إلى النذل وتارة يؤدي إلى الانحراف.

وقد استطاع المعهد الإطاحة بهذه المشاكل عن طريق تطبيق هذا المنهج الممتاز، وبهذا وافق المعهد إلى تحقيق ما يهدف إليه الدكتور علي أبوبكر في ثقافته حيث يقول: "فلو نظمت الطريقة لكان التعب أقل والفائدة أكثر".^{٢٦}

وبإزاء هذه الانجازات مشاكل يواجهها المعهد، ومنها:

- ١- تراكم المواد الدراسية التي منعت المعهد من ممارسة الكتابة القرآنية، الأمر الذي يحتاج إلى تحرك سريع لمعالجته.
- ٢- عدم وجود مكتبة تناسب ذوق العصر، الأمر الذي يتطلب من الأثرياء وأصحاب الأعمال وأهل الخير في الأمة أن يضعوا بصماتهم في إيجادها.

الخاتمة:

البحث بعنوان: "دور مدارس تحفيظ القرآن في الحفاظ على الثقافة العربية الإسلامية في نيجيريا: معهد غوني طن زرغا نموذجاً" دار حول نبذة عن مدينة كنو وشهرتها بالتجارة ودخول الإسلام فيها عن طريق الأفراد دخولا غير رسمي، ودخول الإسلام عن طريق الطبقة الحاكمة دخولا رسميا. ووقف على نوعين من مدارسها: مدارس تعليم القرآن ومدارس تحفيظ القرآن، ومنها معهد غوني طن زرغا المنقسم إلى النمط القديم والطرز الجديد. والنمط القديم يضم ثلاث مراحل تعليمية ومضى على تأسيسه خمسون سنة، وأنتج ما يربون على ألف حافظ للقرآن. والطرز الجديد جاء نتيجة وجود منهج دراسي سليم، وبه واكب المعهد ركب المدارس الثانوية النظامية، وأنتج خلال إحدى وعشرين سنة ١١٠٨ طالبا، وتطرق إلى إسهامات خريجي المعهد من ناحية الثقافة والاجتماع. ووصل البحث إلى النتائج التالية:

- ١- مواقف غوني بهذا الإيجابية أوصلت المعهد إلى ما هو عليه الآن من الإنجاز.
- ٢- أن المعهد بطرازه الجديد وبأقسامه المختلفة ومناهجه القيمة حافظ على الثقافة العربية الإسلامية ونشرها في البلاد.
- ٣- أنتج المعهد علماء أكفاء محبين للعلم حيث أنشأوا مدارس وحلقات علمية في أماكن متعددة.
- ٤- ساهم المعهد في تثقيف السيدات وإرجائهن إلى ركب الثقافة والعلم.

- ٥- على الرغم من مواكبة المعهد لمتطلبات العصر ظل يؤدي وظيفته أو رسالته الأصلية وهي تحفيظ القرآن الكريم حفظًا متقنًا.
- ٦- أن المنهج الدراسي السليم وتنظيم طريقة التعليم للمعهد سهل عملية التعلم والتعليم وقلل من تعب المعلم والمتعلم.

الهوامش والمراجع:

- ١- علي أبوبكر (الدكتور) الثقافة العربية في نيجيريا، ط ١، مؤسسة عبد الحفيظ البساط، ١٩٧٦م، ص: ١٤
- ٢- شيخو أحمد سعيد غلادنت (البروفيسور) حركة اللغة العربية وأدائها في نيجيريا، ط ٣، شركة دار الأمة كنو، ١٤٢٧هـ = ٢٠١٦م، ص: ٢٨
- ٣- المرجع السابق، ص: ٤٠
- ٤- المرجع نفسه، ص: ٤١
- ٥- المرجع نفسه، ص: ٣١
- ٦- علي أبوبكر، الثقافة العربية في نيجيريا، ص: ١٥١
- ٧- محمد منصور جبريل، (الدكتور) دور الكتاب في تعليم مهارة القراءة للناطقين بغير العربية، مدينة كنو نموذجًا، ص: ١٠
- ٨- مقابلة شخصية مع غوني يهود في مقر المعهد بؤنك كنو، ١٤ من سبتمبر ٢٠١٩م
- ٩- مقابلة شخصية مع غوني يهودا، المرجع السابق.
- ١٠- المرجع نفسه.
- ١١- شيخ عثمان أحمد، دور المعاهد العليا في نشر الثقافة العربية. مجلة دراسات عربية، العدد التاسع، أكتوبر ٢٠١٤م ص: ٤٩
- ١٢- المرجع السابق.
- ١٣- نفس المرجع.
- ١٤- نفس المرجع.
- ١٥- نفس المرجع.
- ١٦- تقرير معهد غوني طَن زَرْغًا لقائمة خريجي المعهد مترجم إلى اللغة العربية.

١٧- إبراهيم عمر ثاني، معاني حروف الجر في قصيدة المائة الكافية. بحث قدم إلى قسم اللغة العربية جامعة بايروكنو،

للحصول على شهادة الليسانس، ص: ١٦-١٨

١٨- تقرير معهد غوني طن زرغا، قائمة خريجي المعهد مترجم إلى اللغة العربية، ص: ١

١٩- المرجع نفسه والصفحة.

٢٠- المرجع نفسه والصفحة.

٢١- المرجع نفسه والصفحة.

٢٢- المرجع نفسه، ص: ٢

٢٣- المرجع نفسه والصفحة.

٢٤- المرجع نفسه والصفحة.

٢٥- المرجع نفسه والصفحة.

٢٦- علي أبوبكر، الثقافة العربية في نيجيريا، ص: ١٥١

MALAM:

A JOURNAL OF ARABIC STUDIES
(NEW SERIES)
VOL.111

SAFAR 1442/ OCTOBER 2020

DEPARTMENT OF ARABIC

USMANU DANFODIYO UNIVERSITY, SOKOTO, NIGERIA

EDITORIAL BOAD MEMBERS

| | |
|--------------------------------|-------------------------------|
| Prof. Nasiru Ahmad Sokoto | Editor- in- chief |
| Prof. S. B. Aljannare. | Member |
| Dr. Abubakar. A. Malik | " |
| Prof. A. A. Yagawal | " |
| Prof. Kamal Babikir | " |
| Prof. Muhammad Arzika Dan Zaki | " |
| Dr. Aiyu Malami | " |
| Dr. Nuru Atiku Balarabe | Member & Secretary |

EDITORIAL ADIVISORS

Prof. A.S. Agaka
Dept. of Arabic
Usmanu Danfodiyo University, Sokoto.

Prof. S.U Musa
Department of Arabic
Usmanu Danfodiyo University, Sokoto.

Prof. Moshood Mahmood M. Jimba.
Kwara State University.

Prof. Yahya Imam Sulaiman,
Department of Arabic
Bayero University, Kano.

Dr. Umar Muhammad Adam
Kaduna Polytechnic.

CONTRIBUTORS TO THIS VOLUME

1. Shareefuddeen Abubakar, Department of Arabic studies, Nasarawa state University, Kyafi, Nasarawa State, Nigeria.
2. Dr. Abbas Shamsuddeen Ibrahim, University of education, Winneba College of technology education, Kumasi, P.o. Box: 1277, Kumasi
3. Usman Idris Musa, Fatima Lami Abubakar Institute for Legal and Administrative Studies Minna Niger State, Nigeria.
4. Khaled Saleh Mohammed Alazzani, Associate Professor of Grammar, Morphology and Language, faculty of Arts, University of Aden, Aden, Yemen.
5. Abdulahabi Salahuddeen, Department of Arabic, Yobe State University, Damaturu, Nigeria.
6. Hamad Yunus, Fatima Lami Abubakar Institute for Legal and Administrative Studies Minna Niger State, Nigeria.
7. Prof. Salisu Abdulkarim, Fatima Lami Abubakar Institute for Legal and Administrative Studies Minna Niger State, Nigeria.
8. Dr. Adam Ayub B, Fatima Lami Abubakar Institute for Legal and Administrative Studies Minna Niger State, Nigeria.
9. Faiz Shuaib Adam, Department of Arabic language, Islamic University of Madina, Kingdom of Saudi Arabia.
10. Abdullahi Usman Faiko, Abdullahi Usman Faiko Fati Lami Abubakar Institute for Legal and Administrative Studies Minna Niger State.
11. Dr. Adam Ayub B, Fatima Lami Abubakar Institute for Legal and Administrative Studies Minna Niger State, Nigeria.
12. Dr. Abubakar Idris Imam, Fatima Lami Abubakar Institute for Legal and Administrative Studies Minna Niger State, Nigeria.
13. Murtala Ibrahim, Sultan Maccido Institute for qur'an and General studies, Sokoto, Nigeria.
14. Hawa'u Isa Waziri, Federal University Kasheri, Gombe State- Nigeria
15. Abdunassser Ali Mohammed Alnakhye, Associate Professor, Department of Arabic language, Faculty of Education, University of Aden, Aden, Yemen.
16. Dr. Alatabuli Sheikh Kabara, Department of Arabic. Bayeru University, Kano, Nigeria.
17. Dr. Ahmad Muhammad Salis, Department of Arabic. Bayeru University, Kano, Nigeria.

18. Abubakar Muhammad Yaya, Arabic unit, Department of languages, Nigerian Army University, Biu, Borno state Nigeria
19. Prof. Moshood Mahmood M. Jimba, Kwara State University, Malete.
20. Ibrahim Junaid Modepoola, P.hD student, Kwara State University, Malete.
21. Shamsu Auwal Mustapha, P.hD student, Department of Arabic. Bayeru University, Kano, Nigeria.
22. Dr. Amidu Adinoyi Jimoh, Department of Arabic and Islamic studies, Kogi state University, Anyiangba, Nigeria.
23. Ibrahim Shaaban, Lecturer, Department of Arabic, University of Malaya, Kula-lumpur, Malaysia.
24. Dr. MT Dayyib Bn Faa, Lecturer, Department of Arabic, University of Malaya, Kula-lumpur, Malaysia.
25. Dr. Ahmad Aarifeena Bn Safr, Lecturer, Department of Arabic, University of Malaya, Kula-lumpur, Malaysia.
26. Dr. Yusuf Liman, Department of Arabic and Islamic studies, Sokoto state University, Sokoto, Nigeria
27. Dr. Sirajo Muhammad Sokoto, Lecturer, Department of Arabic, Federal University, Gusau.
28. Abdulhakeem Abdulrahman, P.hD student, Department of Arabic. Bauchi state University, Gadau, Nigeria.
29. Misbahu Tijjani Rabi, Nigeria Defence Academy, Kaduna, Nigeria.
30. Dr. Muhammad Mansur Jibreel, Department of Arabic. Bayeru University, Kano, Nigeria.
31. Ibrahim Dawud, Republic of Mali, and Masters student, Department of Arabic, Islamic University of Madina, Kingdom of Saudi Arabia.
32. Mahmood Dan Jumua Musa, Department of Arabic, Ilorin University, Ilorin, Nigeria.
33. Dr. Shehu Usman Ahmad, Department of Arabic, Bayeru University, Kano, Nigeria.
34. Ridanu bn Harun, Lecturer, Arabic Village, Ingala-Nigeria.
35. Ibrahim Adam Sulaiman, Arabic Village, Ingala-Nigeria.
36. Muhammad Jamiu Yaakub, Department of Arabic, Kwara State state college of Education, Nigeria.
37. Yushau Muhammad Abdullahi, University of education, Winneba College of technology education, Kumasi, P.o. Box: 1277, Kumasi
38. Murtado Imam Akeyede, Department of Arabic, Ilorin University, Ilorin, Nigeria.
39. Dr. Abdullahi Umar Zuru, Government Secondary School, Zuru, Kebbi State- Nigeri.

40. Munir Muhammad Bakura, , Department of Arabic, Federal University, Gusau, Zamfara, Nigeria.
41. Ridanu bn Harun, Lecturer, Arabic Village, Ingala-Nigeria.
42. Suad Muhammad Abbah, Arabic Village, Ingala-Nigeria.
43. Salih Muhammad Kabir, Lecturer, Arabic Village, Ingala-Nigeria.
44. Bashir Muhammad, Sultan Maccido Institute for qur'an and General studies, Sokoto, Nigeria.
45. Murtala Ibrahim, Sultan Maccido Institute for qur'an and General studies, Sokoto, Nigeria.
46. Dr. Harun Muhammad Hadeja, , Department of Arabic, Bayeru University, Kano, Nigeria.
47. Dr. Sani Fage, , Department of Arabic, Bayeru University, Kano, Nigeria.